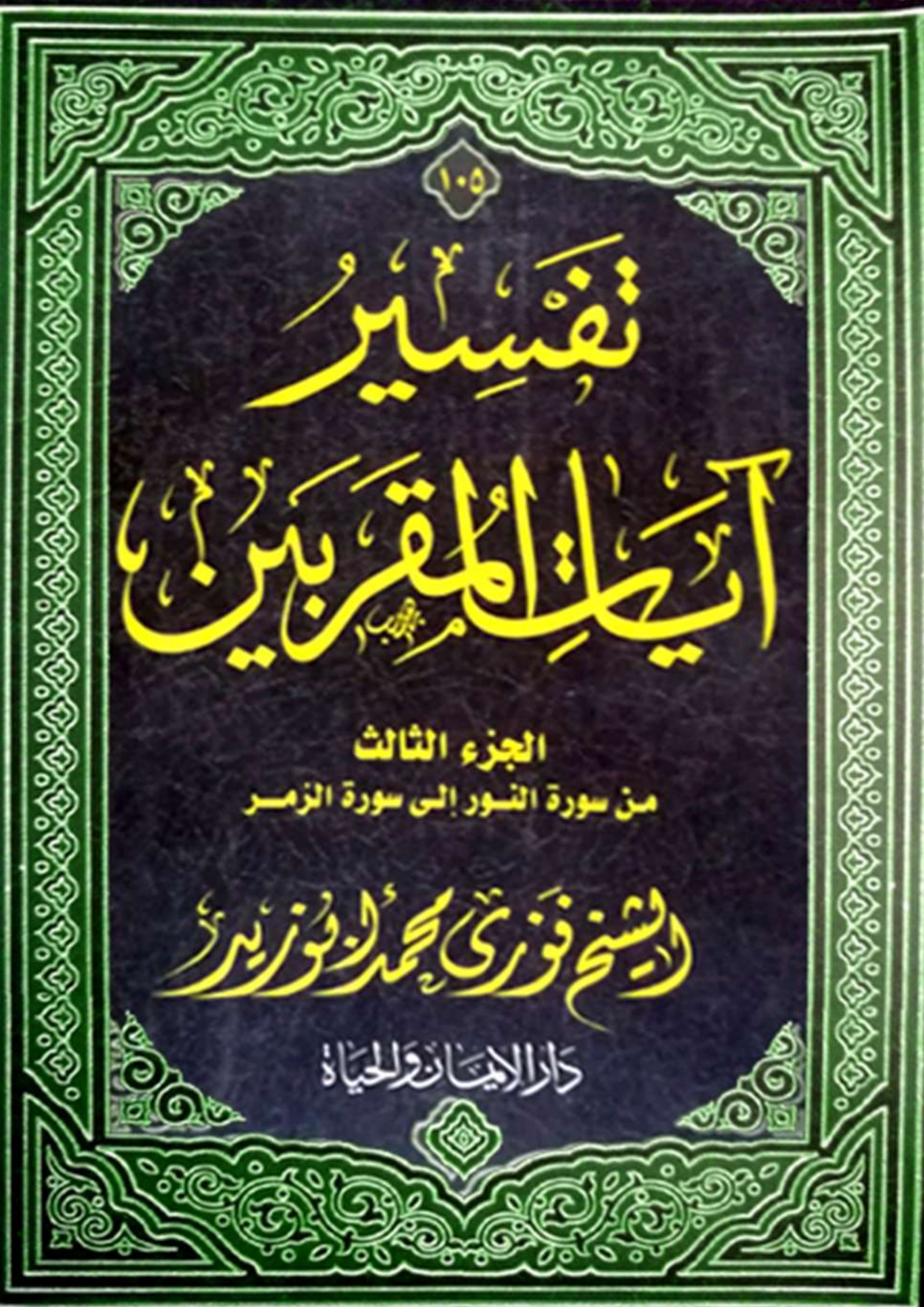

١٠٥
تفسير
آيات المقربين
الجزء الثالث
من سورة النور إلى سورة الزمر
الشيخ فوزي محمد أبوزيد
دار الإيمان والحياة

(١٠٥)



من سورة النور إلى سورة الزمر

الشيخ فوزي محمد أبو زيد

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آيات المقربين – جزء ٣
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	٧ ربيع ثانى ١٤٣٩هـ، ٢٥ ديسمبر
كتاب رقم	مائة وخمسة من المطبوع
سلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب التاسع
الداخلى	٤٩٦ ص*٨٠جم، ١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، القاهرة، ت: ف: ٠٢-٢-٠٢٠
إيداع محلى	٢٠١٧/٢٨٢٤٥
ترقيم دولى	978-977-90-5191-8
الباركود	28245 9 789779 051918
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على واسع فضله، والشكر لله على جميع آلاءه ونعمه، والصلاة والسلام على سيد أنبياءه ورسله سيدنا محمد وآله وصحبه، وأتباعه ومحبيه والناهجين على نهجه

وبعد .....

لا يستطيع مفسر مهما أوتي من العلم والبيان أن يبين بياناً كافياً شافياً يكتفى به في معاني القرآن لكل زمان ومكان ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للمسلمين في كل زمان ومكان رجال ينتقيهم الله تبارك وتعالى فيبينوا من معاني القرآن ما يحتاج إليه أهل زمانهم وما تتحمله عقولهم ويليق باستعداداتهم، وهذا ما أدى إلى كثرة التفاسير والمفسرون لكتاب الله في كل زمان ومكان .

وفي الحقيقة فإن أي تفسير لمفسر إنما هو في الحقيقة تعبير عن خواطره نحو كتاب الله التي تجول في نفسه إن كان من المفسرين العاديين ، أو تعبير عما يجول في نفوس الحاضرين والسامعين ، والمفسر هنا يكون من العارفين الذين ينفذون قول رب العالمين ﴿ عِظْهُم وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ (٦٣النساء).

ونرى أن المفسر الحقيقي للقرآن هو الذي يبين مراد الله تبارك وتعالى في آيات القرآن لعباده المخاطبين به في كل زمان ومكان، بل وهناك تفسير إلهامي على قدر كل مسلم يلهمه الله تعالى به أثناء قراءته أو سماعه للقرآن تطبيقاً لقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر).

وتمشياً مع المنهج الموضوعي في تفسير الآيات الخاصة بالمقربين في كتاب الله تعالى فقد انتهينا من الجزأين الأول والثاني وتم طباعتهما ، وهذا بفضل الله تبارك وتعالى الجزء الثالث من سورة النور إلى آخر سورة الزمر، راعينا فيه أن يكون التفسير بلغة سلسة ومبسطة بعيداً عن الآراء المذهبية والتيارات السياسية والحزبية والتوغل في النواحي النحوية والبلاغية لأننا نخاطب به جموع المسلمين خاصة وأنه تم إلقاءه على هيئة حلقات عامة في ربوع المساجد وهي غاصة بالحضور والسامعين، ورجحنا فيه اكثر الأقوال ملائمة للفكر المتزن والعقل السوي حتى يصير كلام الله تعالى ميسراً تناوله للمسلمين على اختلاف ثقافاتهم ودرجاتهم العلمية ومقاماتهم الإيمانية ، فإن كان فيه فضل وبركة فهو من الله تعالى ، وإن لوحظ فيه غير ذلك فعن قصور منا لا عن تقصير لأننا اجتهدنا وسعنا بعد الاستعانة بالله تعالى والاستمداد من رسوله ﷺ في حديثنا.

والله نسأل أن يبلغ القصد والمراد إن وحده ولي ذلك ...

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف)

وصلى الله على سيدنا محمد .... معلم الناس الخير .... وآله ... وصحبه ... وورثته أجمعين إلى يوم الدين ...

حدائق المعادى ـ القاهرة

٢٦ من ربيع الأول ١٤٣٩ هـ

١٥ من ديسمبر ٢٠١٧م



البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠ـ٤٠ـ٤٣٤٠٥١٩

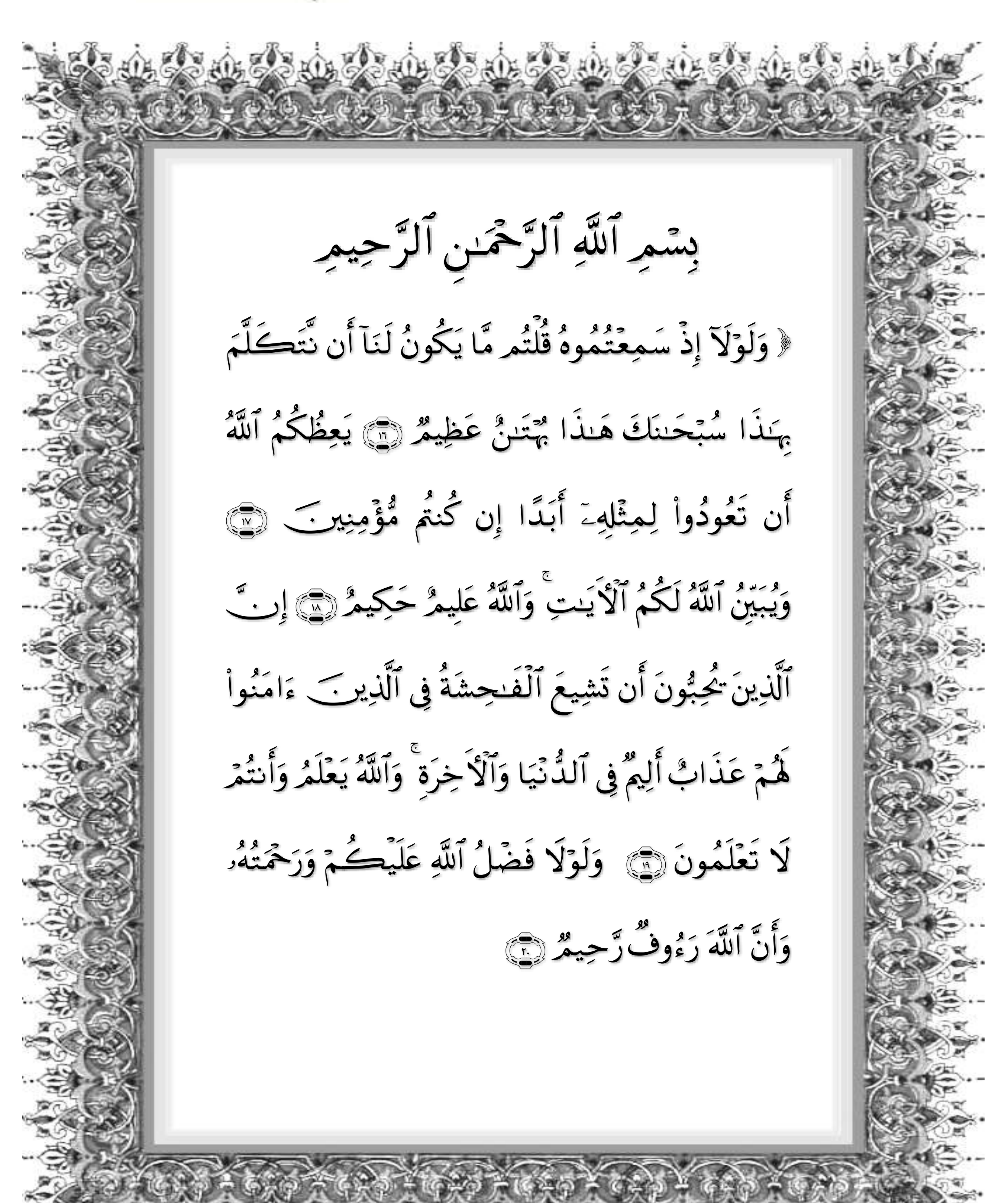
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

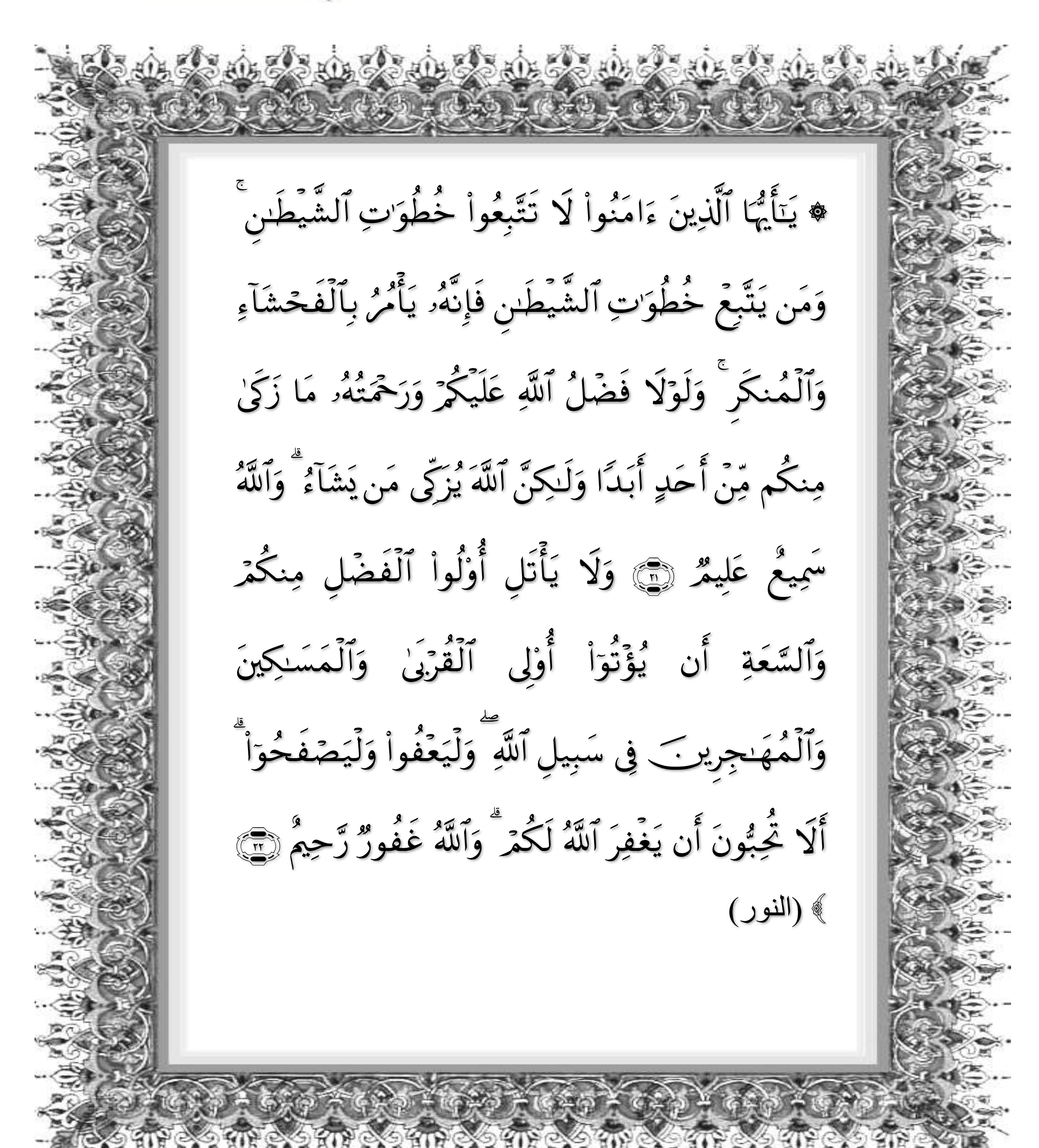
fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾



۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴾ (النور)

١. أولو الفضل والسعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد الذي أنزل علينا القرآن، وجعل لنا فيه تبياناً لكل شيء، وهدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على من جمَّله الله بأخلاق القرآن؛ سيدنا محمد وآله الذين ساروا على هُداه، وأصحابه الذين اقتدوا به ومشوا على هديه نحو الله، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

لو أن المسلمين تنبهوا إلى ما في كتاب الله، وعملوا به ومشوا على هُداه، فلن يكون بينهم وبين بعضهم مشاكل ولا خلافات ولا تحزبات ولا محاكم ولا منازعات، لأن القرآن فيه حلٌّ لمن اتَّبعه في جميع المشكلات.

ومن أين تأتي المشاكل؟

لأننا نضع كتاب الله خلف ظهورنا، ونمشي بهوى أنفسنا، فنختلف، فهذا له هوى، وهذا له ميل، وهذا له محبة لأمر، فلا بد أن يحدث الشقاق ولا يتم الوفاق ويحدث الخلاف، ويزيد ذلك أهل النفاق، نسأل الله ان يُطهِّر المجتمع منهم أجمعين.

والله ﷻ ضرب لنا الأمثال، وذكر القصص عن الأنبياءالسابقين، وعن سيد الأولين والآخرين، لكي نعتبر ونتعظ ونأخذ منهم العبرة في حياتنا أجمعين: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف).

[1] الأقصر – أرمنت - أولاد الشيخ ١٠ من محرم ١٤٣٨هـ ٢٠١٦/١١/١٠م

فالنبي ﷺ - وهو من تعلمون طُهراً ونقاءً وصـــفاءً وكمالاً وجمالاً، لا يشـــابهه كمالٌ - ولا يدانيه جمال، وفوق ذلك وبعد ذلك على صــلةٍ بمولاه، وينزل عليه الوحي ليُنبئه بكل أمرٍ يحتار فيه أو يحتاجه في هذه الحياة.

لكن المنـافقين لا يـدركون ذلـك، ولا يعلمون ذلـك، لأنهم دائمـاً وأبـداً أعـداءٌ للمرسلين والنبيين، وأعداء في كل زمان للحكماء والمصلحين، وهي طبيعة المنافقين، ولا يخلو منهم زمانٌ ولا مكان.

فالنبي ﷺ كان دأبه إذا خرج لغزوة أو لسفر يُسهم بين زوجاته، ومن تخرج لها القرعة تســـافر معه، وانظر للعدالة النبوية حتى لا يكون في نفس واحدةٍ منهن أن تقول: فضَّـــل الأُخرى عني، فكلهن يجتمعن ويعمل لهن القُرعة، ومن تخرج عليها القرعة هي التي تسافر مع حضرة رسول الله ﷺ.

لم يصحبهن ﷺ كلهنَّ إلا في حجَّة الوداع، لأن هذه السفرة ليست بغزو ولا جهاد ولكنها حجة الوداع لرسول الله ﷺ.

غزوة بني المصطلق

سافر ﷺ لإحدى الغزوات، واسمها غزوة بني المصطلق، وهي قبيلة عربية كانت قد أعلنت الحرب على الرسول، وأمر بالقُرعة بين زوجاته، فجاء السهم على السيدة عائشة، فسافرت معه ﷺ، والنبي ﷺ كان مُنظَّمٌ بأمر ربه تنظيماً دقيقاً في كل شئونه، فليس عنده شيء عشوائي، ولذلك أنا أعجب للأمة الذين اقتدوا بسيد الأمة، وأغلب رجالهم يمشون بالعشوائية!! أين الإقتداء الذي قال لنا فيه الله: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ (الأحزاب)؟!!.

كان ﷺ عندما يسافر ينظَّم الجيش، ويُنظِّم المئونة التي يأكلون منها، ويُنظِّم السلاح، ويُنظم الخيول في سلاح الفرسان، وفيه سلاح المشاة، الخيول والرماح والخناجر، وفيه سلاح الرماة الذين يرمون بالنبال، وكان هذا سلاح الجيش في هذا الوقت، ويُجهّز كتيبة للإمداد والتموين، فهؤلاء عليهم أن يطبخوا ويجهزوا الأكل للجيش، ويحضروا المياه للجيش، ومعهم كتيبة للمسعفات، معهم أربطة وأدوات لعلاج الجروح السطحية والغائرة، وهؤلاء ينصبون الخيمة في آخر المعسكر، حتى إذا أُصيب جندي يأخذوه ويحملوه لهذه الخيمة للعلاج ... وكان يجعل كتيبة للاستطلاع والاستكشاف تمشي أمام الجيش تنظر من يتربَّص هنا، والذي يأتي من هناك،

وكتيبة الإمداد والتموين منهم جماعة يسبقون الجيش لينظروا الأماكن التي فيها المياه على الطريق، لأن الجزيرة العربية ليس كلها فيها ماء، ويحدِّدوا الأماكن التي سينزل فيها الجيش بحيث تكون فيها مياه، لكي يشرب الجيش ويملأ الأسقية التي معه.

وهناك كتيبة تنتظر إلى أن يتحرَّك الجيش حوالي ثلاثة كيلومترات وتبحث في مكان المعسكر عن أشياء نسيها الجنود فيه وما تركوه فيه ليوصلوه لأصحاب رسول الله، كل هذا تنظيم دقيق من رســـول الله ﷺ لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل، من علمَّه؟ الله ﷻ:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣النساء).

وأثناء رجوعهم من الغزوة عسـكر الجيش في الليل لكي يستأنفوا المسـير في النهار، وأنتم تعلمون أن الصـحراء ليس فيها دورات للمياه، فمن كان يُريد قضـاء حاجته يقضيها في الصحراء، ونساء أهل المدينة كنَّ قد عوَّدن أجسامهن أن لا يقضين حاجاتهن إلا عند مجيء الليل، ويخرجن معاً جماعات يقضين حاجتهن في الصحراء ويعُدن، لخلو البيوت من المراحيض وما شابه ذلك.

وانظر إلى هذا التدريب، هل يوجد من يستطيع أن يؤخر نفسه ليكون الإخراج في وقت محدد؟! جسم الإنسان مُهيأ أن يروِّضه الإنسان كما يريد بأمر الحميد المجيد عزوجل، كما تريد يمشي الجسم، ولكن اضبط نفسك واضبط جسمك تجده كما تريد.

فالسيدة عائشة خرجت لقضاء حاجتها، وكان معها عُقد عزيز عليها لأنه كان هدية من أمها، هذا العقد انفرط أثناء مشيها، فأخذت تبحث عنه إلى أن أشرق النهار، وفي هذه الفترة كان الجيش قد مشى وهي لا تشعر.

وكان الموكلين بحراستها يضعون على الجمل هودج حتى لا تركب كما يركب الرجل، فهي تدخل الهودج ثم يرفعوه على الجمل، وكانت خفيفة الوزن غير سمينة، فلما رفعوا الهودج لم يشعروا أنها ليست فيه، فوضعوه ومشوا.

أخذت تبحث عن أحد من القافلة فلم تجد، وفي موضع خيمتها مكان المعسكر جلست واسترجعت كما علمنا الله وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وحضرة النبي علَّمنا أن نسترجع عند كل مصيبة وليس للموت فقط، حتى قال ﷺ:

{ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلْيَسْتَرْجِعْ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ }[٢]

ففي أي مصيبة ولو قليلة أصابت الإنسان فعليه أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

٢ مسند البزرار عن شداد بن أوس ﷺ

فجلســـت وهي مرهقة ومُتعبة فنامت، فجاءت الكتيبة التي تتبَّع الجيش وتبحث عن مخلفاته، فوجدوها نائمة، وواحد منهم كان يعرفها، فاسترجع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاستيقظت، وكيف يحملونها ولا يوجد هودج؟! فاضطروا أن يأتوا بجمل، ونخَّ الجمل، ومشـــوا بعيداً ووجَّهوا ظهورهم لها، حتى ركبت، وقادوا الجمل وذهبوا للجيش في وسط النهار.

ســيدنا رســول الله ﷺ كان معه من ضــمن المرافقين معه كتيبة من المنافقين، وقائدهم العام اسمه عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول، ومعه عصابة من المنافقين يمشون مع المسلمين ويتظاهرون أنهم معهم، ويدخلون المسجد ويتظاهرون أنهم يصلون، لكنهم مثلما قال الله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (١٠البقرة) قلوبهم غير ســليمة، ولذلك جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، والدرك يعني السلم النازل، فالسلم الصاعد نسـميه درج، والسـلمة النازل نسـميها درك، ولذلك فجهنَّم نسـميها دركات، والجنة نسميها درجات.

أين هؤلاء المنافقون؟ في آخر دركة من جهنم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٤٥النساء) لأنهم أشد على المؤمنين من الأعداء المحاربين لأنهم يعيشون بينهم.

فعندما رآها عبد الله بن أُبي عقد اجتماع لمن حوله وقال لهم: أرأيتم زوجة النبي كيف جاءت وتخلفت عن الجيش؟! وبدأوا يشنعون على السيدة عائشة رضي الله عنها ويتهمونها - حاشا لله ﷻ - بأنها فعلت الفاحشة.

سيدنا رسول الله ﷺ كان حكيماً لا يستطيع أن يُبرئها مع أنه يعرف طهارتها ومتأكد من ذلك، لأنهم سيقولون أنه يجامل زوجته، فانتظر حتى تأتي البراءة من الله ﷻ.

هذه القصة ذكرها لنا الله في سورة (النور) ..

وسيدنا عمر ﵁ كان يُرسل رسائل إلى ولاته في البلدان المختلفة كالبصرة والكوفة ومصر بأن علِّموا نساءكم سورة النور وسورة الأحزاب لأن فيهما آداب النساء، فالسورتين فيهما الآداب التي ينبغي أن يعلمها نساء المؤمنين، فتُشرح لهنَّ ويعلمونها جيداً، وأنت مسئول عن نسائك في هذا الأمر، إن كانت زوجتك أو أمك أو بناتك:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[٣]

لماذا سُميت سورة النور؟ لأنها أنارت لنا الطريق، ووضحت لنا المفاهيم التي ينبغي أن يعرفها كل مؤمن، وتعلمها كل مؤمنة، ليكون مجتمعنا المجتمع السليم القويم الذي يقول فيه النبي الكريم:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[٤]

---

٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير ﵁

فجاءنا الله بهذه الآيات ليُعلِّمنا الأدب في مثل هذه المواقف، لأن هذه المواقف ستتكرر في المجتمع، والمجتمع لا يخلُوا من المنافقين في أي زمان أو مكان.

أدب المؤمن عند سماع الشائعات

وأول شـــيء نتعلمه هو: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ لا يصـح لنا أن نتكلم في هذا الأمر، نعمل كالصـحابي الجليل أبو أيوب الأنصـاري الذي جلس مع زوجته وقال لها: ما رأيك فيم يُشـاع ويُنشـر عن السيدة عائشـة؟ قالت له: يا أبا أيوب هل ترضـــى ذلك لي؟ قال: لا، قالت: فكيف يرضـــونه لزوجة رســـول الله ﷺ؟!!.

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ لا يصـــح لنا أننا نخوض في هذا الكلام بأي عِرضٍ من أعراض المؤمنين، لأن الكلام في هذا الشـأن في حُكم الدين جريمة شـنعاء اسـمها قذف المحصـنات الغافلات، وقذف المحصـــنات عقوبته أن يُجلد القاذف ثمانين جلدة، ويُفضـــح ببلده، ولا تُقبل شـــهادته، لماذا؟ لأنه كيف يقذف مؤمنة وليس عنده دليلٌ ولا برهانٌ أكيدٌ على ذلك؟!! وهذا عقابه في الدنيا، أما في الآخرة فقال فيه ﷺ:

{ إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ لَيَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ }[٥]

٥ الحاكم في المستدرك ومسند البزار عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

قذف المحصـــنة يهدم عمل مائة ســـنة من الصـــالحات والطيبات والنوافل والقربات، لكن المؤمن يُسلِّم لسانه من هذا الأمر بالكلية، ولو انتشر هذا الخُلق الطيب في المجتمع، سنكون كلنا مجتمعاً نورانياً إلهياً ربانياً كمجتمع محمد رسول الله والذين معه.

عقوبة إشاعة الفاحشة

وزاد الله ﷻ في التحذير في الآيات النى معنا وشدَّده فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ العادة أن الذي يؤاخذ هو الإنســـان الذي فعل الجريمة، لكن هنا ذكر الله أن هذه الجريمة يؤاخذ عليها ثلاث أصـناف، الصـنف الأول الذي عمل، والصـنف الثاني الذي حضـر ولم ينكر عليه ولم يمنعه، والصـــنف الثالث الذي لم يفعل شـــيئاً ولكنه أحب هذا الأمر، ويتمنَّى أن هذا الأمر ينتشر ويشيع بين المؤمنين.

فهو لم يعمل ولم يشـع ولم يحضـر ولكنه لما سـمع الخبر فرح أن فلانة هذه قيل فيها كذا، أو فلان هذا قيل فيه كذا، جائز يُعبِّر ويقول: يسـتحق أو يقول: كذا، وجائز لا يقول، ولكن كونه أحب في نفســه أن ينتشـر هذا الخبر فقد دخل شـريكاُ مع هؤلاء كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴾ يحب فقط بداخله أن هذا الأمر ينتشـر، وأن هذه السـيرة تشيع، كونه يحب هذا الأمر فقد أصبح شريكاً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ والفاحشة يعني الجُرم الفظيع كالزنا، وعمل قوم لوط، وأي جريمة من الجرائم الكبرى والتي نسميها الكبائر، يريد أن يشيع هذا الموضوع وينتشر.

هؤلاء القوم ما لهم؟ ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ العذاب الأليم - كما قلتُ - في الدنيا الجلد ثمانين جلدة، ولذلك بعد أن نزلت براءة السيدة عائشة سيدنا رسول الله جمع هؤلاء القوم كلهم، وأمر بإقامة الحد عليهم، وجلدهم كل واحد منهم ثمانين جلدة، ليكونوا عبرة لغيرهم.

وتسقط شهادتهم، فلا تُقبل لهم شهادة عند القاضي في أي قضية، هذا غير استهزاء المؤمنين والسخرية منهم، وهذه وحدها ليست هينة، فكون المؤمنوين يسخروا منهم ويستهزئوا بهم ويهوِّنوا من شأنهم فهي عقوبة من عقوبات الدنيا.

أما في الآخرة فإن الله ﷻ توعَّدهم بالعذاب الأليم كما ذكرت الآية، والعذاب الأليم في الآخرة على قدر جُرمهم وعلى قدر ارتكابهم لإثمهم، يكون قدر العذاب الذي يحكم به عليهم الله ﷻ في جهنَّم، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة أجمعين.

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝١٩ ﴾ لماذا جرت هذه الحادثة؟ الله يعلم السرُ فيها، لأن الله جعل نبيه قدوةً لنا، وجعل زوجاته قدوة لزوجاتنا، فإذا حدث هذا الأمر ظُلماً لأحدٍ من المؤمنين، فيكون له تسلية فيما حدث لسيد الأولين والآخرين، يقول: هل أنا أفضل من رسول الله؟!! فقد حدث مع رسول الله، ومع زوجته الطاهرة التقية بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فله هنا تسلية في هذا الأمر.

ويكون للمؤمنين كلهم تعليم في عدم إثارة هذه العُفُونات، وعدم نشر هذه الذنوب والآثام، وإنما مجتمع المؤمنين لا ينشرون إلا الخير الذي يحبه رب العالمين ﷻ.

رأفة الله ورحمته بالمؤمنين

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠ ﴾ لولا فضل الله ورحمة الله تداركت المسلمين في وقت هذه المحنة، وفي هذا الامتحان، لكان ربما بعضهم قد سوَّلت له نفسه أن تخوض، ما الذي منعه؟ فضل الله ورحمة الله، وليست شطارة ولا مهارة، ولكنها عناية من الله، والله كما وصف نفسه فهو رءوفٌ بالمؤمنين ورحيمٌ بالمتقين، في كل وقت وحين لا تتخلى رعايته عنهم طرفة عين ولا أقل.

والله يا إخواني لو تخلَّت عنا عناية الله طرفة عين ما استطعنا عمل عمل نافع قليلاً أو كثيراً لله، لأن الأمور كلها بمعونة الله، وبتوفيق الله جل في عُلاه، فلا قوة لنا على طاعته إلا بفضله ومعونته، ولا بُعد لنا عن معصيته إلا بحفظه وصيانته، ولو تخلَّى عنَّا نَفَساً فمن الذي يستطيع أن يحفظ نفسه من المعاصي؟!! ومن الذي يستطيع أن يحفظ نفسه من الفتن؟!! فالحفيظ ﷻ هو الذي يتولى لنا ذلك ،وهو الذي يُعيننا على ذلك، نسأل الله ﷻ أن يُديم علينا عنايته بنا على الدوام حتى نخرج من الدنيا إلى حضرته بسلام.

النهي عن طريق الشيطان

ثم حذَّر الله ﷻ المؤمنين في كل زمان ومكان ونحن منهم فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ وما خطوات الشيطان؟ فهل الشيطان له طريق يمشي فيه خطوات؟ نعم، فما طريق الشيطان؟ الإفساد بين الناس، وتزيين المعاصي للمؤمنين، وتسويل الشهوات للمتقين، وإخراجهم من الأخلاق العلية التي يُحبها رب العالمين، فهذا طريق الشيطان وخطواته.

يعلم أن الله يُحب العبد الحليم فيستفز الإنسان دائماً ويجعله غضوباً لكي لا ينال مقام الحليم، ويعلم أن الله ﷻ يُحب العبد الكريم فيجعله دائماً حريص وشحيح حتى لا ينال محبة الله ﷻ لأن الله كريمٌ يحب كل كريم، ويعلم أن الله يُحب التأني والأناة في كل أمر، فيجعل الإنسان متسرع وعجول ... فهذه خطوات الشيطان.

فكل الأخلاق الكريمة التي يحبها الرحمن يحاول الشيطان أن يجعل الإنسان يأتي بضدها حتى لا ينال رضا الله، ولا ينال متابعة حبيب الله ومصطفاه، ولذلك نبَّهنا الله من خطوات الشيطان.

ومن يمشي وراءه: ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ الله ﷻ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر لنعرف أن هذا طريق شيطان.

فكل أمر تُحبه النفس يميل إليه الطبع ويخالف ما أمر به الرحمن نعرف أنه من الشيطان ومعه النفس، لأنهما الاثنين متعاونين على إسقاط الإنسان من رضا الرحمن ﷻ.

فينتبه الإنسان من الخواطر التي تأتي على باله، والكلمات التي تُهيّج داخله نحو أي أمر من الأمور، ويزنها كلها بما في كتاب الله، وما ورد عن رسول الله ﷺ.

ومع ذلك لا يقدر أحدٌ منا أن يُنجِّي نفسه إلا إذا استمدَّ العون من الله، واستمطر الفضل من حضرة الله، فليحذر أي واحد منا أن يظن أنه يقدر بنفسه أن يغلب الشيطان وحده، النبي علَّمنا أن نقول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) يعني يا رب امنع عني الشيطان الرجيم.

ولذلك أحد الصالحين ذهب إليه أحد مريديه فقال له:

كيف أتغلَّب على الشيطان؟ قال له: أضرب لك مثلاً: لو أنك تسير عند بيت، وخرج عليك كلبٌ كبير يريد أن يأكلك، وأنت لا تقدر أن تمنعه عن نفسك، فماذا تفعل؟ قال: أُنادي على صاحب الكلب ليمنعه عني، فقال له: هو نفس الأمر، نادي على الله واطلب من الله أن يمنعك من الشيطان ..... لكن أنت وحدك لو بعدت عنه من هذه الناحية، سيأتيك من الناحية الأخرى، فحيله لا تُعد ولا تُحد، ولا يوجد أحدٌ يقدر أن يخرج من هذه الحيل إلا بفضل الله وبمعونة الله ﷻ.

تزكية الله للمؤمنين

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾:

وزكا يعني تطهَّر، فلا أحدٌ منا يستطيع أن يتطهر إلا بنظرات الله، وبمعونة الله، وبتوفيق الله، لكن الإنسان وحده ماذا يعمل مع مكر الشيطان والنفس والدنيا والأهواء والشهوات المزينة حولنا في كل الجهات؟!! نحن نحتاج: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ (٧٨الحج) فنعتصم بالله على الدوام.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾:

ويزكِّي يعني يطهِّر ما يريد تطهيره.

عندما نزلت براءة السيدة عائشة عرَّفنا الله ﷻ مكانتها، ومكانة حضرة النبي عند الله ﷻ، لأن سيدنا يوسُف أرسل الله له شاهداً من أهلها ليُبرِّءه، فعندما تزينت له وأخرجت الخدم، غلَّقت الأبواب وقالت له: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٢٣يوسف) أو (هُيئت لك) يعني هيا تعالى على حسب القراءات، فقال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ (٢٣يوسف)

وأخذ يجري منها، فشـدَّت قميصـــه من الخلف، وإذ بزوجها يطرق الباب فرأى الأمر، فعكست هي الحكاية على الفور، وقالت: انظر ماذا يريد أن يفعل بي؟! فأرسل الله إليه طفلاً صـغيراً رضـيعاً من أهلها، وكان موجودا في نفس المكان، كانت أمه قد نســيته، فأنطقه الرحمن ﷻ وقال: لو كان القميص قُدَّ من الأمام فهي صـــادقة، يعني كانت تدافع عن نفســـها، وإذا كان القميص قُدَّ من الخلف فهو الذي كان يجري منها، فهذا الشاهد أرسله الله له ليشهد ببراءته.

وسيدنا موسى اتهمه بنو اسرائيل بأنه كبير الخصيتين، ولذلك لا يخلع ملابسه أبداً، فذات يوم نزل يستحم في النيل، وكان يوم سوقٍ، والسوق بجوار البحر، ووضع ملابســه قبل أن ينزل على صـــخرة، وبعد أن إســتحم وخرج ليلبس ملابســـه، فإذا بالصـــخرة تجري وعليها ملابســه، فجرى وراءها، ومرت في وســط الســوق، حتى مرت بالســوق كله، وأخذ يضــرب الصــخرة بالعصـــا ويقول لها: ثوبي حجر، ثوبي حجر، فلم تجبه، وظل يجري حتى رآه كل أهل الســـوق، حتى يكون: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٦٩الأحزاب) لكي يُبرأه الله بهذا الحجر.

والســـيدة مريم كانت لها خلوتها في بيت المقدس، وكان من يكفُلها زوج خالتها ســيدنا زكريا، وكانت غرفتها عالية لا يســتطيع أحدٌ صــعودها إلا بسـلم، وكان معه مفتاح الحجرة، فيضـــع الســـلم ويفتح وينظر ليطمئن عليها، ويرجع مرةً ثانية ينزل ويرفع السلم من مكانه مرةً أخرى ويضعه في مخزن ويغلق عليه.

من الذي يســـتطيع الذهاب إليها؟ لا أحد، إلى أن ذهب إليها أمين الوحي جبريل ليُبشـــرها بالمولود، فخافت منه، فقال لها: لا تخافي، ونفخ في كمها فحدث الحمل، وحدث أن اكتملت أيام الحمل في لحظات، فلم تمكث تسعة أشهر كعادة النساء، لأنه لو كان الحمل تسعة أشهر لانكشف الأمر وحدثت فضيحة، لكنها كانت لحظات حوالي تسع ساعات تقريباً، يعني الشهر في ساعة واحدة فقط.

فاحتارت ماذا تفعل؟ فنزلت ومشــت خارج البلد وهي خائفة، وذهبت تحت جذع نخلة، وجاءها الألم وولدت بأمر الله ﷻ، فمن أين تأكل؟ أنبت الله في شـــجرة النخل الرُطب وقال لها: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ (مريم) هل تســـتطيع الوالدة حديثاً أن تهُز جزع النخلة؟! لا، لكن ليُعلِّمنا الله أن الإنســـان لا بد أن يأخذ بالأسباب، فلا يطلب في نفسه أن كل شيء يأتيه بدون أسباب، هذا سبب بسيط، لكن لا بد من السبب لكي تأتي الأرزاق من عند الرزاق ﷻ.

فأخذته ومشـــت، فخرج عليها القوم وهم اليهود، وأنتم تعلمون اليهود، وتعرفون ألســـنتهم الحداد، فقالوا لها: ماذا فعلت؟! ومن أين أتاك هذا الطفل؟! وابن من؟! فماذا تفعل؟! لم ترد لكن: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾ (٢٩مريم) فأنطقه الله: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ (مريم) وهل كان قد أخذ الكتاب وقتها؟!

وهل كان قد أخذ النبوة وقتها؟! لا، لكن ليُنبئ عن مستقبله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ (مريم)..... فكانت هذه ....هي براءة السيدة مريم.

سيدنا يوسف برَّأه الله بشاهد، وسيدنا موسى برأه الله بحجر، والسيدة مريم برأها الله بنطق ابنها، لكن السيدة عائشة برأها الله بكلام ربها ﷻ، أرأيتم المنزلة؟! من الذي يُحصِّل هذه المنزلة، تبرَّأت بكلام الله الذي يُتلى إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ولذلك سيدنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما، يقول: (كل ذنبٍ له توبة، إلا الخوض في أم المؤمنين عائشة فليس له توبة).

لأن الله برأها فكيف تخوض فيها؟!! أريد أن أقول هنا أن القوم الذين يدَّعون أنهم مسلمين ويخوضون في السيدة عائشة، فهؤلاء في الحقيقة غير مسلمين.

متى يكونوا مسلمين؟ عندما يتركون الخوض في السيدة عائشة، والخوض في سيدنا أبي بكر، والخوض في سيدنا عمر، وهؤلاء الذين ينتسبون إلى الشيعة، وهم لا شيعة ولا شيء لأن سيدنا علي حاربهم، وحرَّق جماعة منهم بالنار.

ما الذنب الكبير الذي وقعوا فيه؟ أن الله قد برأ السيدة عائشة وهم يخوضون فيها، هل هذا يليق بمسلم؟!! لا، ولذلك عندما يقولون: نريد أن نتقارب معكم، فالشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر بارك الله فيه قال لهم: نريد شيئاً واحداً فقط وهو أن تُوقفوا الخوض في السيدة عائشة، وسبِّ أبي بكر وعمر والصحابة، وبعد ذلك نتفاهم.

لكنكم تخالفون صحيح كلام الله، وتخوضون في السيدة عائشة، وتسبُّوا سيدنا أبو بكر، وتسبوا سيدنا عمر، وتسبوا سيدنا أبو هريرة، وكثير من أصحاب رسول الله، فهل هذا الكلام يصِّح؟!!.

إذا كان الله ﷻ برَّأها فلا يجوز لأي إنسانٍ بعد ذلك أن يقع في عِرضها، أو يتحدَّث بسوءٍ في شأنها، فماذا بعد كلام الله؟!! كيف لأحد أن يخوض في عِرضها أو يتحدث في شأنها بعد أن قال الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ (٢٦النور).

ولهذا فينبغي على أي مسلم مهما كان شأنه، ومهما كان علمه أن يلتزم الأدب مع الله، ويُقرر ما قرره الله في شأن أبي بكر وعمر وعائشة وغيرهم من صحابة رسول الله الأجلاء رضى الله عنهم أجمعين ...

عناية الله بالصديقين

ثم بيَّن الله عنايته بالصديقين والمقربين، وتربيته ﷻ لهم، وكذا تربية رسول الله ﷺ لصحابته الكرام، ولنعرف أن باب القرب من الله وسبب رفع الدرجات عند الله، ليست العبادات ولا الأذكار ولا المجهادات التي يجاهد فيها كثيرٌ من الناس في هذا الزمان، فالباب الأعظم للرقي عند الله هو الجهاد في التخُلق بأخلاق سيدنا رسول الله، والجهاد في التخُلق بكتاب الله، والجهاد في التخلق بأخلاق الله جل في عُلاه:

ليس الرقي إلى العُليا بأعمالي ... ولا جهادٍ به تقوى وأحوالي
خُلقٌ عظيمٌ وإيقانٌ ومعرفةٌ ... بالله ذي الفضل والإحسان والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت ... وفي خوف المقام تنال القرب بوصال
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه ... سعادة أبداً بغير زوال

الأخلاق هي أسرار العُلى والمعالي، فسيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه تعَّهده الرسول ﷺ بتربيته ليبلغ مقام الصديقية العُظمى، فكان دائماً يُشرف عليه ويربيه، ثم انتقل من مقام تربية الحبيب إلى تربية القريب المجيب ﷻ، ليزيد من مقام الكمال والقرب من الواحد المتعال ﷻ، وكان يربيه عليها سيدنا رسول الله، فما الأوراد التي أعطاها له؟ لا شيء

كان جالساً معه ذات يوم ومعهم أصحاب رسول الله وجاء رجلٌ من المنافقين وأخذ يسُب في سيدنا أبي بكر أمام سيدنا رسول الله، ولماذا قلنا منافقين؟ لأنه لا يوجد أحدٌ من المؤمنين الصادقين يجرؤ أن يعلو صوته ويتفوَّه بما لا يليق أمام أمير الأنبياء والمرسلين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الحجرات) وقال ﷺ:

{ لا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ }[٦]

لا يصح أن نذهب عند النبي، أو عند وارث لحضرة النبي ويبرز الخلاف بيننا، وهذا يكيل لهذا، وذاك يكيِّل لذاك، فهذا ليس بأدب، لكن لو أردنا محاسبة بعضنا أو معاتبة بعضنا فيكون في مكان آخر وليس أمام النبي ولا وارث النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالرجل عندما زاد عن الحد في سب سيدنا أبو بكر، أراد ﷺ أن يدافع عن نفسه وقال بعض كلمات فسيدنا رسول الله قام ومشى، فأسرع خلفه أبو بكر ﷺ وأخذ يقول:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟! قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ }[٧]

---

٦ البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ
٧ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة ﷺ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) وكان سيدنا رسول الله ﷺ ذاهب إلى العمرة، وسيدنا أبو بكر قال: يا رسول الله لا تُجهِّز شيئاً للسفر، فقد جهَّزتُ كل حاجاتك للسفر من طعام وماء وكل ما تطلبه، فجعل حاجته وحاجة رسول الله ﷺ على جمل واحد، وأتى برجل ممن يعمل عنده، وقال له: لا شغل لك إلا هذا الجمل فقط، تسحبه عندما نجلس، وتنيخه وتحرسه إلى أن نصل إلى مكة إن شاء الله، وكان الحارس شاباً فلعب وترك الجمل، فهرب الجمل منه، فغضب أبو بكر - ليس لنفسه - ولكن لرسول الله، وهو الذي وعد رسول الله، فيكون قد غرَّر به، لأن الرسول لم يُحضر شيئاً واعتمد عليه، فذهب سيدنا أبو بكر لهذا الشاب يريد أن يضربه، وإذ بحضرة النبي قد حضر يحضر ويرشده ألا يلعنه ولا يؤذيه، كما روت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت:

{ مَرَّ النَّبيُّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: «لَعَّانِينَ وَصدِّيقِينَ؟ كَلاَّ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ »، فَعَتَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ. قالَ: ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبيِّ فَقَالَ: لا أَعُودُ.}[8]

---

8 رواه البيهقي وغيره عن عائشة رضي الله عنها

لا يسب صديقٌ أبداً، فمن يُرد مقام الصديقية ماذا يفعل؟ كلمة لعن لا تأتي على لسانه مطلقاً، إلا لمن لعنهم الله، فالله لعن اليهود والمشركين والكاذبين: ﴿ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٨٩ ﴾ (البقرة) ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١ ﴾ (آل عمران) هؤلاء لعنهم الله، لكن لا ألعن أي إنسان آخر، وحضرة النبي قال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلا وَإِلا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا }[9]

فالمؤمن لا يستخدم اللعن أبداً، حتى ولو مع البهائم السائمة، كالمواشي أو الجمادات، فقد كان رسول الله ماشياً في غزوة، وكانت السيدة عائشة مَعَ النَّبِيِّ ﷺ:

{ فَلَعَنَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَدَّ، وَقَالَ لا يَصْحَبُنِي شَيْءٌ مَلْعُونٌ }[10]

وهذا الأدب الرباني الذي علَّمه رسول الله ﷺ لأصحابه، من يركب الجمل ويلعنه يؤدبه بترك الجمل يمشي في أي جهة حتى لا يلعن المؤمن شيئاً أبداً، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ وَلا الطَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ }[11]

---

٩ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه
١٠ مسند أحمد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها
١١ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

سيدنا أبو بكر ﷺ دخل مجلس سيدنا رسول الله ﷺ، وكان فيه جماعة من الفقراء إلى الله ليس لهم بيوت وغير متزوجين، وليس معهم مال ولا أي شيء، فكانوا يمكثون في المسجد، والمسجد لم يكن له سقف، كان جدران وأرض ليس فيها فرش، ولكن فيه تراب، ولما أرادوا فرشاً للمسجد، أمرهم النبي ﷺ أن يذهبوا للعقيق، وهو واد بجوار المدينة ـــ فجمعوا الحصى الصغير وفرشوا به المسجد، وهؤلاء القوم لكي يبيتوا في المسجد اختاروا مكاناً في المسجد ووضعوا عليه عريشة لتحجب عنهم الشمس، وتمنع عنهم المطر، وسموها الصُفَّة ... والصُفَّة يعني العريشة التي رُصَّ عليها صفوف من جريد النخل مربوط ببعضه، فيُشكِّل عريشة السقف، وتحته نخل كأعمدة للسقف.

هؤلاء القوم كان منهم سيدنا بلال، ومنهم سيدنا سلمان الفارسي، ومنهم سيدنا تميم الداري، ومنهم سيدنا صُهيب الرومي، فكانوا حوالي تسعين رجلاً، ومؤونتهم على رسول الله، فيُطعمهم ويسقيهم، وكل وظيفتهم هي تلقي العلم والقرآن من رسول الله،فيخدموه ويجاهدوا في سبيل الله.

وسبحان الله!! هؤلاء القوم هم الذين حملوا لنا القرآن وسُنَّة رسول الله، لأنهم كانوا متفرغين لهذا الأمر، وغيرهم مشغول، فمنهم من كان في الزراعة، ومنهم من كان في التجارة، لكن هؤلاء ليس لهم عمل سوى هذا الأمر، وسيدنا رسول الله عيَّن لهم رئيساً وهو سيدنا أبو هريرة وجعله عرِّيف أهل الصُفَّة.

كانوا ذات مرة جالسين، ومرَّ أبو سفيان وكان ذاهباً للمدينة ليمدَّ الهدنة التي بين قريش وحضرة النبي، ولم يكن أسلم بعد، فقالوا لبعضهم: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، فقال سيدنا أبو بكر: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ هل في هذه الكلمة حرج؟ لا، لكنه بعد ذلك ذهب إلي حضرة النبي، وحكي له الموقف، فقال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ: لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي }[12]

ما هذا الأدب النبوي العالي؟!! هؤلاء القوم الضعاف المنكسرة قلوبهم هم الذين لهم وزن وقيمة عند الله، فمن يستضعفهم ويستهزئ بهم، يلقى ما لا يستطيع تحمله من مولاه جلَّ في عُلاه، لأنهم فقراء ومساكين.

فلا تخشى الأعيان، ولا تخاف من العظماء، ولكن تخاف من الذين لا ناصر لهم ولا معين لهم إلا الله ﷻ، لأن الله ﷻ يغار عليهم ولا يرضى أن يمسهم أحدٌ بسوء.

صلاة التهجد لسيدنا أبي بكر كم كان عدد ركعاتها؟ لا شيء، كانت صلاة تهجده أن يذهب ليبحث عن رجل مقعد أو امرأة مقعدة وليس لهم عائل يعولهم، ويذهب قبل الفجر حتى لا يره أحد، ويكنس البيت ويرشُّه ويأتي لهم بالطعام والماء، وينصرف ولا يعرفه بنفسه.

---

١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه

هذه صلاة القيام في السحر لسيدنا أبي بكر، والذي قال فيه الله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ ﴾ (الليل) هذه الآيات نزلت في سيدنا أبي بكر، والآيات التي في آخر السورة أيضاً: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ ﴾ (الليل) أخذ له نصيباً من رسول الله، لأن الله قال لرسول الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ (الضحى).

سيدنا أبو بكر ﷺ كان يتولى أحد أولاد خالته لأنه فقير وقوم له بكل نفقاته وطلباته لوجه الله، ولمَّا وقعت حادثة الإفك وهي التُهمة الكاذبة على السيدة عائشة ﷺ، كان هذا الرجل من الذين روَّجوا هذه الشائعة، ومشى في طرقات المدينة يُشنِّع على السيدة عائشة، فهل هذا جزاء الإحسان؟!! الرجل الذي تكفَّل بك بالكلية وقريبك تُشنِّع عليه!! فسيدنا أبو بكر عندما وجد منه ذلك قال ﷺ: { وَاللَّهِ لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ }[١٣]،

١٣ صحيح ابن حبان وانسائي عن عائشة رضي الله عنها

فعاتب الله ﷻ ســـيدنا أبو بكر وأنزل: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ﴾ ،

ويأتلِ يعني يحلف، فأهل الفضـــل هم القريبون من الله، وقريبين من رســـول الله، وعندهم سعةً في المال، وسعة في العطاء، فلا يحلف على أن لا يُعطي.

﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لا يحلف على الأقارب ولا على المساكين الذين خاضوا في هذه الفتنة، ولا المهاجرين في سبيل الله الذين خاضوا في هذه الفتنة أيضاً.

فماذا يصـــنعون؟ ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ ﴾ وانظر إلى هذه الأخلاق الشـــديدة التي يطالب الله بها كُمَّل المؤمنين، رجل يتهم قريبه الذي يعطف عليه في عِرض ابنته التقية زوجة الحبيب، والله ينهاه أن يقطع الذي يعطيه له، فأعطاه مرةً ثانية، لماذا؟ لأنه يُعطي لله وليس لأجله، وماكان لله دام واتصـل، ما دُمت تعطيه لله فلا تقطعه عنه لأي سبب من أسباب الدنيا ولو كان إيذاء، فاعفُ عنه واصفح عنه.

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمَّا نزلت هذه الآية وقرأها سـيدنا رسول الله على سيدنا أبي بكر قال: { بَلَى، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ }[١٤].

فعفا عنه وردَّ له ما كان يعطيه، بل وضـاعف النفقة التي كان يعطيها، ولم يقطعها عنه حتى خرج من الحياة الدنيا، لكي ينال رضاء الله وإكرام الله ﷻ.

ولذلك لا يجوز للمرء أن يكون من الصـالحين إلا إذا تخلَّق بخُلق العفو كأمير الأنبياء والمرسلين، وكالصديق الأعظم، وكالصالحين أجمعين، الحبيب قال له الله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف) خذ العفو كله معك، وكان ﷺ يعفو على الدوام حتى لأعدائه، فالنبي ﷺ ذهب إليه رجلٌ من اليهود في المدينة وهو زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ كان قد أقرض النبي تمراً لأجل معين، يقول هذا الرجل:

{ فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، خَرَجَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِـهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟

١٤ صحيح ابن حبان والنسائي عن عائشة رضي الله عنها

فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْـــتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُـــكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْـنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْـنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِـهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْـرِينَ صَـــاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ ، قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَـــانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْـرِينَ صَـاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَـــعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُـولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلامَاتَ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِـدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْـهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِـيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْـلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا[15] }

---

١٥ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

وحياة رســـول الله مليئة بهذا العفو النبوي الإلهي الذي خلَّقه به الله ﷻ، وهذا العفو الذي علَّمه الله بذاته للصديق ... فمن أراد أن يكون مع حضرة النبي، ومن أراد أن يكون في مقام الصـــديق، ويريد أن يكون في مقامات المقربين فدائماً يحرص أن يُخلِّق نفسه بخُلق العفو، وهذه تحتاج إلى جهادٍ شديد، قال ﷺ:

{ يَصِيحُ صَائِحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عِدَةً فَلْيَقُمْ، أَيْنَ أَهْلُ الْعَفْوِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ }[16]

فهم أول زُمرة تدخل الجنة، فمن أراد أن يكون من: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ ﴾ (الواقعة) فعليه أن يتجمَّل بخُلق العفو كما وضَّـــح الله، وبيَّن النبي ﷺ، ومشـــى الصـــديق على آثاره ... نســـأل الله ﷻ أن يُجملنا أجمعين بأن نعفو عمن ظلمنا، وأن نصل من قطعنا، وأن نُعطي من حرمنا، وأن نكون على أخلاق نبينا ﷺ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٦ الثامن من الخلعيات عن أبي الدرداء رضي الله عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النور)

٢.الله نور السموات والأرض[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أنعم علينا بنوره لنعرف بنورِه نورَه ﷻ في الأزل القديم، وجعلنا في الدنيا من أمة نوره الأعظم، وحبيبه الأكرم؛ ســـيدنا محمد ﷺ، اللهم صــلِّ وســلِّم وبارك على ســيدنا محمد نور الله الدال بالله على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هُداه، شفيع المذنبين يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سـليم، صــلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وأصــحابه الأخيار، وكل من تبع هديه إلى يوم القرار، واجعلنا من جملتهم ومعهم ومنهم بفضلك يا عزيز يا غفار.

كلام الله كما قال فيه حبيب الله ومصطفاه:

{ وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ }[٢]

يعني كثرة الترداد، فكلما زاد الإنســان في التلاوة أو في السـماع، زاد حلاوة في القلب، ونوراً في الفؤاد، وصـــفاءاً ولطفاً في الطباع، فكلام الله يُعَلِّم كل من يقرأه أو يسمعه، ويُهذبه ويُؤدبه بما يُحبه الله ﷻ ويرضاه.

ولذلك نحتاج جميعاً عند ســماع كلام الله، أو عند التلاوة أن نضـــع أمام أعين قلوبنا قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (١٧القمر) ..

---

١ الأقصر – الرزيقات قبلي ٢٤ من جماد الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/٣/٢٣م
٢ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لا بد أن نتدبر حتى لا ندخل في القوم الذين نعى عليهم الله وقال لهم في كتاب الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٢٤محمد) .. نســـأل الله ﷻ أن نكون أجمعين من أهل التدبر والتمعن والتذكر والتفكر في كلام الله ﷻ.

الآيات التي معنا من ســورة النور، والقرآن كله نور، وسُــميت بســورة النور للآيات التي معنا اليوم، وإنا لن نوفِّي كلمات الله حق شـــرحها، لكن ســـنحاول تلمُّس بعض معانيها على قدر ما يســـمح به الوقت، وعلى قدر ما تتحمله قلوب ومواعين الحاضرين.

من خصائص القرآن

فانظر معي للآية الأولى الذي يُخاطِب هو ربُّ العزِّة ويقول: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ وعـدُّوا معي: ﴿ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ﴾ فهـذه واحـدة، ﴿ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وهذه الثـانيـة، ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وهذه الثـالثـة، وكل واحدة من هؤلاء الثلاث تحتاج إلى كتاب كبير لنُوفِّي فيه بعض معاني كلام العلي الكبير ﷻ.

﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ ﴾ ما الآيات المبينات؟ هي الآيات التي نزلت في القرآن الكريم بشأن التشريعات الإلهية في العبادات، وفي الزواج، وفي الطلاق، وفي المواريث، وفي جملتها نسميها (آيات الأحكام) فبالله عليكم آيات الأحكام هذه كم تحتاج لنوفيها؟!!. آيات الأحكام أنزلها الله لنعرفها ونعمل بها، فلا بد أن أعرف أحكام شرع الله، لكي أُرضي الله بتنفيذ ما أمرني به ﷻ في كتابه، والحبيب ﷺ ذكَّرنا بموقف عظيم كلنا سنكون فيه يوم الجمع، فلابد أن يُسأل كل واحد منا أمام أحكم الحاكمين كما قال ﷺ:

{ لاَ تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ؛ - ومنها -: وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ؟ }[3]

ليس تعلُّم الرياضيات أو الإنجليزي أو الفرنساوي وغير ذلك، فهذه حِرَف، ولكن ماذا تعلمت من أحكام دين الله ومن شرع الله الذي أنت مكلف أن تسير على هُداه في هذه الحياة؟ فإذا غمض عليك شيء، فإياك أن تفعل شيئاً إلا إذا رجعت إلى شرع الله، وإذا لم أفهم أعمل بقول الله: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النحل)

[3] عن أبى بردة رواه الترمذي، الترغيب والترهيب، وتمامه قال ﷺ: { لاَ تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ؛ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ؟ }.

ولماذا لم يقُل (فاســـألوا أهل العلم)؟ لأنه ربما يكون عالماً ولكنه ليس عاملاً، فيُفتي بالرُّخص دون شرط، لكن العالِم المشغول بذكر الله ووقته كله وأحواله كلها في ذكر الله فهؤلاء قال فيهم الله:﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ (١٩٩آل عمران) لو عُرضـــت على المرء منهم الدنيا بما فيها ليُجيز فتوى بمخالفة شـــرعية يأبى ذلك ولا يرضى، لأنه يخاف من الله ﷻ.

فأنا لا أعمل أي عمل إن كان لنفســـي، وإن كان لأولادي، وإن كان حتى في الخصوصيات التي مع زوجتي، إلا بعد أن أسأل شرع الله، وأتعلم أحكام دين الله ﷻ، وهذا وجهٌ من أوجه هذه الآيات.

وهناك وجه آخر: بعض الســـادة أهل الصـــفاء والنقاء قالوا: هذه الآيات هي الأنبياء والمرســـلين الذين جعلهم الله آيات وعلامات واضـــحة تدل الناس على طريق الله، وعلى دين الله ﷻ، والتي قال فيها ﷺ في شأن أصحابه على هذا الأثر:

{ أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ } [٤]

وعلى سبيل العلم بالشـيء فإن الشيعة في ايران يسمون العلماء الكبار (آية الله) وآية الله يعني آية أقامها الله لتنشـر دين الله وشـرع الله وأحكام الله تبارك وتعالى لخلق الله.

---

٤ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر عن جابر بن عبد الله ﷺ

الآيات المبينات هي آيات القرآن التي نزلت لتبين عظمة الله، وتبين قدرة الله، وتبين الآخرة وتبين الدنيا، وتبين أحكام الســـابقين، وتبين أحكام اللاحقين، ففيها تبيانٌ لكل شيء.

الآيات البينات فيها معاني كثيرة، ولكن نكتفي بهذا القدر، حتى لا نطيل.

وماذا غير ذلك في القرآن لنعرفه بعد أن نعرف أحكام شـرعنا؟ ﴿ وَمَثَلاً مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يجب أن نعرف القصص التي حكاها لنا القرآن عن السابقين، إن كان النبيين، أو الأمم التي كذَّبت النبيين، وماذا حدث معهم حتى لا نقع في مثل ما وقعوا فيه، فيُؤاخذنا الله ﷻ كما أخذهم، وهذا علمٌ آخر أمرنا به الله، وهو أن نقرأ أحســـن القصـص، وأين أحسـن القصـص؟ في كتاب الله!، ولكن نلاحظ ونحن نتعلمها أن نبعد عن الروايات الاسرائيلية التي لا تليق بالأنبياء والرسل وهي غير موجودة في القرآن ولا السُـنَّة، ونأخذ في اعتبارنا أنه لا يتجاوز تفسـيرنا لآيات الله المذكورة عن الأنبياء والمرسلين عصمة الأنبياء.

إياك أن تخوض في نبي من الأنبياء وأنت تُفسِّـــر آية، أو توجهها لمعنى آخر لا يليق بعصمة هذا النبي، فالمبدأ الأول أن الله عصمهم، والذي يعصمه الله يكون مُنزهاً عن الصـــغائر كما أنه معصـــومٌ من الكبائر، بل لا يخُطر بباله قط أيَّ فعل أو قول يُغضب الله أو يخالف رضا الله جل في عُلاه.

إذا قيل لك غير ذلك فلا تُصدِّق لأن هؤلاء أنبياء، وتولاهم الله بولايته، وأسبغ عليهم نبوته، وجعلهم على الدوام في رعايته، فكانوا دائماً وأبداً معصومين بعصمة الله تبارك وتعالى ... فعندما يقول الله - مثلاً - في سيدنا موسى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ (٣٩طه) فهل يصِّح أن نسمع برواية لا تليق في حق هذا النبي؟!!

لا، ونأخذ مثالاً واحداً: قيل أن سيدنا موسى كان ألدغ، ولم يكن فصيحاً في النُطق، ولذلك قال كما أخبر القرآن: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ (٣٤القصص) لكن شرط النبي والنبوة الفصاحة، فكيف يكون نبياً ولا يُبيِّن للناس ولا يتكلم مع الناس؟!!.

وهؤلاء يستشهدون برواية مدسوسة، يقولون: عندما أحضرت زوجة فرعون السيدة آسيا موسى وهو طفل صغير، وكان يريد فرعون أن يقتله لأنه أصدر حكماً بقتل كل صبي يُولد في بني إسرائيل، فقالت له: وهل هذا الطفل يعرف التمرة من الجمرة؟ فأحضر تمرة وأحضر جمرة، فأخذ الطفل الجمرة وأمسكها بيده ووضعها على لسانه فأصابته بلدغة في اللسان!!.

نحن نريد أن نحتكم إلى العقل، الصبي الصغير عندما يمسك بالجمر، فماذا يصنع الجمر بيده؟ يلسعه في يده، إذاً هل يُعقل أن يضعه في فمه؟!! فالرواية نفسها متناقضة، فلو الجمر لم يؤثر في يده فكيف يؤثر في لسانه؟!! فهذا شيء لا يصح أبداً.

فلماذا كان أخوه هارون أفصح منه لساناً؟ لأنه عندما ذهب موسى إلى فرعون عايره فرعون فقال له: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (١٨الشعراء)

فأخذ يعايره ويقول له: أنا الذي أطعمتك وربيتك وفعلت فيك كذا وكذا، وأنت الآن تريد أن تفعل ذلك بي!! فاستحى موسى لمَّا ذكَّره فرعون بهذه الأشياء، فطلب من الله أن يُرسل معه أخاه هارون لأنه لم يتربَّى في بيت فرعون، وليس له عليه فضل، فيكون أفصح منه في إبلاغ الرسالة لفرعون.

فهذا مثال واحد سُقناه لننزِّه أنبياء الله ورسله عن هذه الروايات المكذوبة كالتي أشرنا إليها، وهي موجودة في الكتب المنتشرة في الأسواق، وكثير من الناس يشترون الكتب الموجودة بكثرة عند سيدنا الحسين وعند السيدة زينب، مثل (قصص الأنبياء) للثعالبي وغيره، وهذه الكتب معظم رواياتها اسرائيلية، فلماذا تشتريها وتقرأها؟!! لكن نزِّه الأنبياء عن أي شيء يخالف العصمة التي عصمهم بها الله تبارك وتعالى.

فنقرأ قصص الأنبياء حتى نأخذ منهم العظة والعبرة، فالأمم التي تُصاب في حياتها أو في حضارتها أو في أُناسها، السبب الرئيسي أنهم لم يرجعوا إلى كتاب الله، أو إلى التاريخ، ورأوا وعد الله الذي لا يتخلَّف مع السابقين، لذلك لا بد أن يكون لنا أيضاً وقفة مع قصص القرآن ونحاول أن نأخذ منها العبرة والموعظة الحسنة.

الأمر الثالث الذي وجَّهنا ربنا إليه، لنخرج من الدنيا ولنا منازل عظيمة عنده، ولنا درجات كريمة في الدار الآخرة، إن كان في الموقف العظيم أو في الجنة، هو:...﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ننظر إلى المواعظ التي أوردهـا الله في كتـاب الله للمتقين والمقربين والسابقين لكي نمشي على آثارهم ونتشبه بهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّهَ بالرجال فلاح

وهذا ما نحاول أن نفعله، حيث نأتي بمواعظ المتقين في كتاب الله، ونحاول أن نُفصلها ونُفسرها لنمشي على هُداها، لعل الله ﷻ أن ينظر إلينا نظرة عطف وحنان، فيرفعنا إلى درجاتهم وإلى منازلهم أجمعين إن شاء الله.

وهذه آية واحدة في كتاب الله، فانظر كم فيها من العلوم؟ ولا يستطع أحد أن يُحيط بهذه العلوم.

الله نورُ السموات والأرض

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أمر واضح لنا ولغيرنا، بل لكل الكائنات، حتى الكفار في عصرنا أثبت الله ﷻ إليهم بعلومهم العصرية، وفي معاملهم، أن الله ﷻ نور السماوات والأرض، أن الكون كله نور، والكون كله عبارة عن ذرات، والذرات تتكون من بروتونات ونيوترونات والكترونات، والالكترونات هي الكهارب والتي هي الأنوار، فالكون كله نور سواء الظاهر والباطن.

هناك نور الشـمس، وهناك نور القمر، وحتى المخلوقات لها نورها الذاتي، لكن ما يهمنا في الآية النور المعنوي الذي خصَّـــنا به الله ﷻ، لأن الأنوار الموجودة في الأكوان يتمتع بها كل البشر المؤمن وغيره، حتى الحيوانات وحتى الحشرات و حتى الطيور وغيرها.

لكن النور الذي خصَّنا به الله هو نور الإيمان، ونور القرآن، ونور النبي العدنان ﷺ، ولذلك حتى الشـــيخ بن القيم رحمة الله عليه، يقول: (الله نور، ونبيه نور، وكتابه نور، والإيمان نور، ويجعل منازل المؤمنين إن شـــاء الله في الجنة من النور) وهذا نور خاص بنا جماعة المؤمنين، وهذا المثل الذي أعطاه لنا الله ﷻ.

وهذا مَثَل لأن الله ﷻ نوره لا يحتاج لليل أو نهار، فعند الله ﷻ لا يوجد ليل ولا نهار ولا شـــمس ولا كواكب ولا أقمار، وإنما نوره ذاتي: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

هذا النور الذي تفضَّـــل به علينا الله هو نور الإيمان، ونور الإيمان الذي أعطاه لنا الله هو فضلٌ من الله، وإكرام من الله، لا بمجهود قدمناه، ولا بعمل فعلناه، ولا بمال اشـــتريناه، ولكنه فضـــل من الله تبارك وتعالى، قال فيه الله: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٥٢الشورى).

فالنور الذي أعطاه لنا الله هو أعظم هدية قدَّمها لنا الله ﷻ، ويبيِّن قدر هذا النور سيدنا رسول الله ﷺ وهو يوضِّح الآية القرآنية التي نزلت في سورة المطففين، فيقول ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ((كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) }[٥]

نكتة، وليس نقطة، والنكتة الشيء الذي له أثر، والران يعني الغطاء أو الستارة، من أين يأتي الغطاء؟ من الذي يكتسبوه من الغفلات والذنوب والمعاصي والبعد عن حضـــرة الله ﷻ، فأين يكونوا في هذه الحالة؟ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ (المطففين).

فتأتي الغفلة، ولا توجد مراقبة لحضـرة الله، ولا توجد خشـية من عظمة الله، ولا يوجد خوف من جلال الله وكبرياء الله، كيف يحدث ذلك ونحن مؤمنين؟ يحدث للمؤمن الذي أســرف على نفســه، وغفل عن ذكر ربه، وخالف ما نهاه عنه الله، ولم يقتدي بحبيب الله ومصـــطفاه، فتنزل عليه هذه الســتارة، فتمنعه عن مراقبة الله، وعبادة الله كأنه يراه، أو كأن الله يراه، والخوف والرجاء في حضرة الله،

---

٥ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

والتســـليم في كل الأمور لحضـــرة الله، وتولية الوجه بالكلية في كل الأمور لحضرة الله جل في عُلاه .. كل هذا يأتي من الغفلات التي تنتاب الإنسان ... ومع ذلك وهو في هذه الغفلة يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه: ((لو كُشف عن نور المؤمن العاصـــي لملأ ما بين الســـماء والأرض، فما بالكم بالمؤمن المطيع؟!!)) لو كُشف عن نور المؤمن العاصي الذي عليه هذه الستارة لملأ ما بين السماء والأرض، فما بالكم بالمؤمن المطيع؟!! هذا النور هو الذي تفضَّل علينا الله به.

وجعل النبي ﷺ نور وقال لنا فيه: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾

(١٥المائدة) لو كان النور هو الكتاب لما أتى بالواو، ولكانت صـــفة النور كتابٌ مبين، لكن الواو تقتضـــي المغايرة، فالذي قبلها غير الذي بعدها، فالنور شـــيء، والكتاب المبين شيء، وهو ﷺ كان عندما يدعو في صلاة الصُبح يقول:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا }[٦] ... وفي رواية أخرى:

٦ صحيح مسلم ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي وَنُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشَرِي وَنُورًا فِي لَحْمِي وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا }[7]

وكان دعاؤه ﷺ لا يُردُّ، وأظهر الله دليلاً حسِّياً في عصر حياة النبي على نورانيته وشفافيته، فكان ﷺ إذا مشى لا يُرى له ظل، والذي ليس له ظل هو النور، لكن أي شيء مادي لا بد وأن يكون له ظل .. وكان ﷺ كما يقول عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ }[8]، وكان ﷺ كما يقول أبو هريرة ﷺ:{ ما نظرتُ إلى شمسٍ ولا قمرٍ ولا مصباحٍ إلا وكان رسول الله ﷺ أزهى من نور الشمس وأبهى من نور القمر وأضوأ من نور المصباح }، ويقول جابر بن سمرة ﷺ:{ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ }[9]

---
٧ جامع الترمذي عن ابن عباس ﷺ
٨ معجم الطبراني وسنن الدارمي
٩ جامع الترمذي وسنن الدارمي

أي كان القمر في ليلة الرابع عشر وهو في رائعة السماء، لكنه رأى رسول الله أبهى من القمر، فرســـول الله ﷺ نور والقرآن نور والله ﷻ نور وجعل الله في باطن المؤمن نوراً يقبل كل هذه الأنوار، فيكون نوره مســـتمداً من نور الله، ويتلألأ بإمدد رســـول الله، ويظهر (إن عمل بكتاب الله) فيكون نوراً كما قال الله في مثل المؤمن: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾.

ضـــرب الله مثلاً لنور الإيمان في قلب العبد المؤمن، والله جعل نور الإيمان في القلب، لأنه الخزانة النورانية الإلهية التي لا يستطيع أي شيطان أن يصل إليها ليُفسد ما فيها، فالشيطان يوسوس في الصدور، لكن لا يستطيع أن يصل إلى القلوب، ولو حاول أن يصل إلى القلب سيخرج النور الذي في القلب فيحرق هذا الشيطان، قال ﷺ:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ }[10]

لا يقدر أن يفعل شـيئاً من الوسـوسـة ما دام يذكر الله، وأين يوسـوس؟ ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس) .

١٠ مسند أبي يعلي الموصلي وشعب الإيمان للبيهقي عن أنس ﷺ

ولذلك لا يستطيع أن يتجاوز هذه المنطقة، لكنه يوسوس للإنسان ليقع في الغفلة، ويقع في المعاصي، لكنه لا يستطيع أن يُغيّر ما في باطنه، أو يصل إلى الإيمان الذي بداخله، ما دام هذا نور من نور الله ﷻ، وهذا فضل الله ﷻ على عباده المؤمنين.

القلب إذا بيَّضه المؤمن وجلاه بذكر الله، أصبح كالمشكاة، وكالمكان اللامع الذي فيه المصـــباح، والمصـــباح هو الإيمان، والإيمان في الفؤاد، والفؤاد في قاع القلب، والفؤاد كأنه زجاجة، والزجاجة كأنها كوكبٌ دريٌّ، يُوقد من شـــجرة (لا إله إلا الله محمدٌ رسـول الله) وهي الشـجرة المباركة، ولذلك قال فيها الله: ﴿ زَيۡتُونَةٍ ﴾ يعني تُغذي الإنسان لأن الزيت فيه غذاء، فتُغذي الإنسان بما يريده الله ﷻ من أهل الإيمان.

﴿ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ ﴾ لا هي شـــرقية، ولا هي غربية، وهذه إشـــارة للآيات القرآنية، لأن الســـيدة مريم قال فيها الله: ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ ﴾ (مريم)

وسيدنا موسى قال فيه الله: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ ﴾ (٤٤القصص) أما نحن فلا شرقية ولا غربية، ولكن محمدية ذاتية إلهية تستمد من رب البرية، ويُعيننا عليها الحبيب المختار ﷺ بأنواره البهية .... ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ ﴾

يعني حتى الإنســان لو لم يدخل في نار المجاهدات الشـديدة، والعبادات الأكيدة، فعليه أن يسكن إلى الله، ويستحضر عظمة الله وخشية الله، فيجد إمدادات الله ﷻ تأتي له، ما دام محافظاً على الفرائض التي فرضها عليه مولاه تبارك وتعالى.

ليس شرطاً زيادة النور بزيادة النوافل، لكن أهم ما فيه وأهم من النوافل الخشية، والحضــور، والخوف من جلال الله وعظمة الله، والرجاء في الله، وهي الأوصـــاف القلبية التي لا بد منها للإستمداد من الحضرة الإلهية من الله ﷻ.

هذا النور الإلهي إذا ظهر في القلب شعَّ في أفئدة المحبين الذين يرغبون في عُلو شــأنهم عند رب العالمين، فتقتبســهم الأنوار إلى صــاحب هذه الدار، ويلتفون حوله، ويُلهمه الله ﷻ بما ينفعهم ويرفعهم من علوم الحقائق والأســرار، ويرقيهم إلى مراتب الكشـــف الإلهي، ويتمتعون بمشـــاهدات وأنوار .. كل هذا يحدث من نور الإيمان الموجود عندنا.

أثر نور الإيمان

ما أريد أن أقوله: أن النور الموجود معنا هو نور الإيمان، ولو أننا جماعة المؤمنين حكَّمنا فقط نور الإيمان في أفعالنا وأحوالنا لنجحنا ونجونا جميعاً، يعني أي شيء تريد فعله اعرضه أولاً على نفسك: هل أنت راضٍ عنه وأنت تفعله؟!

أو هل أنت تفعله وتعرف أنك على خطأ؟ هذا المقياس لو أن المؤمنين مشـــوا عليه لن تكون هناك مشـــاكل، لأن معظم من يقع في الخطأ يعلم أنه على خطأ، ولكنه يتمـادى في الخطـأ!! لكن الله أمرنـا أن نحكم دومـاً نور الإيمـان الـذي معنـا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ أين هذا التذكر؟ يرجع لنفســـه: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) ... لكننـا نقول على المنـابر، ونقول في الـدروس، والنـاس تعرف الحلال من الحرام، فـالأبلـه قـد يعرف الحلال من الحرام، وحتى الحيوانات تعرف الحلال من الحرام، فإذا كانت عندك مثلاً قطة في البيت، إذا ألقيت لها طعاماً تأكله وهي مطمئنة، وإذا خطفت هي بنفسـها تهرب، لماذا؟ لأنها تعرف أنه حرام!! ..... فلا بد للإنسان أن يراجع نفسه، أي شيء تفعله راجع فيه نفسك!!

كلمة قلتها لزوجتي أُحاســـب نفســـي عليها: هل أخطأت في هذه الكلمة أم أنا محقٌ؟!! فاذا رأيت أني مخطئاً أعتذر لها، ولن يحدث بعد ذلك مشكلة، لأن الاعتراف بالحق فضيلة، لكن هذه الفضيلة ألغيناها من قاموسنا حالياً!!.

فأي أمر من الأمور يجب على الإنســان أن يرجع للمرجعية التي بداخله، والتي جعلها فيه الله وهي نور الإيمان الذي في باطنه، الذي ينير دوماً بنور الله جل في عُلاه.

وكما قلت لو أن المؤمن كان متلطخاً من رأسه إلى قدميه في المعاصي، فإن نور الإيمان موجود بداخله، ولذلك عندما يرجع لنفسه قليلاً يتوب إلى الله، ويرجع إلى الله، لماذا؟ لأنه رجع لنفسه.

وهذه هي الجزئية التي بها صار الصالحون صالحين، يرجعون دائماً لأنفسهم، فيحاسب نفسه، حساب النفس، فأُحاسب نفسي: هل ما فعلته صواب أم خطأ؟ فالإنسان قد يندفع، لأن الإنسان من النسيان، وكل بني آدم خطاء، ولكن أرجع فأحاسب نفسي، فإذا أخطأت أداوي خطأي بالكلمة الطيبة، والبسمة الصادقة، فينتهي الأمر، ولكن لا أُكابر وأتمادى في الغي وفي القبيح.

لو رجعنا كلنا لهذا النور الإيماني في باطننا، فحكَّمنا أنفسنا لن توجد مشكلة تحدث في المجتمع كله، ونعود كأيام حضرة النبي، ذهبت إليه امرأة تعترف بالزنا وتريد أن يُقام عليها الحد، لأنها سمعته يقول:

{ مَنْ أَصَابَ ذَنْبًا أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ }[11]، فقالت له:

{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ارْجِعِي، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ، فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، لَعَلَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ؟ فوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي،

---

11 مسند أحمد وسنن الدارمي عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه

فَلَمَّا وَلَدَتْ، جَاءَتْهُ بِالصَّبِيِّ تَحْمِلُهُ فِي خِرْقَةٍ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا قَدْ وَلَدْتُ، قَالَ: فَاذْهَبِي، فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ، جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ، فَأَمَرَ بِالصَّبِيِّ، فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا، فَحُفِرَ لَهَا حُفْرَةً، فَجُعِلَتْ فِيهَا إِلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرْجُمُوهَا، فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَاهَا، فَانْتَضَحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ، أَوْ جَبْهَتِهِ، فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهْلا يَا خَالِدُ، لا تَسُبَّهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ، لَقُبِلَ مِنْهُ، فَأَمَرَ بِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ }[12]

وهذه ليست حالة واحدة فقط، فهناك أحوال كثيرة حدثت أيام رسول الله كانت على هذه الشاكلة، ما الذي يجعله يفعل ذلك؟ لأنه يراجع نفسه !! ... ولذلك لا بد للمؤمن أن يراجع نفسه دائماً، فأنظر إلى ما فعلت، وهل هذا العمل صواب أم خطأ؟ وما فعلته مع غيري هل أرضاه لو عمله هو معي أم لا؟ فإذا كنتُ لا أرضاه لا أفعله معه.

هذه الحالة الوحيدة التي أيقظ بها حضرة النبي الأمة المحمدية، والتي قال فيها رب البرية: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢القيامة) النفس التي تلوم صاحبها دائماً، حتى في الطاعات، فلو أذَّن الفجر ذات يوم ونام ولم يقُم للصلاة، يظل يؤنب نفسه طوال اليوم، فمن فاتته طاعة أو فريضة في وقتها ولم يؤنب نفسه فهذا مريض مرضاً خطيراً يحتاج إلى جرَّاح معه توكيل من البشير النذير يُجري له هذه الجراحة.

---

١٢ سنن النسائي ومسند أحمد عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه

لأن أصـــحاب رســـول الله ﷺ كانوا عندما يفوت أحدهم تكبيرة الإحرام الأولى يُغبن، ويجلس في البيت ويعزيه أصـــحابه ثلاثة أيام، لأنه كيف تفوته تكبيرة الإحرام؟!! وكيف يفوته هذا الخير الكثير؟!! وإذا فاتته الجماعة الأولى يُعزوه لمدة أسبوع، مع أن الجماعة الثانية قائمة والوقت لا يزال متسعاً، لكنهم سمعوا حضرة النبي ﷺ يقول:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ } [13]

فيُحاسب نفسه على ذلك دائماً، والتي قال فيها سيدنا عمر ﷺ:

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا } [14]

فلو أن الأمة رجعت لمحاسبة النفس، وكل واحد يحاسب نفسه، ولا نريد حكماً غيرك: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ (١٤الإسراء) اقرأ كتابك الذي بداخلك، واعرض ذلك على لوحة أعمالك، وانظر فيما يُرضيك، وما الذي يحزنك، وحاول أن تضبط الأمور لتخرج من دار الغرور وأنت مع: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٦٩النساء).

---

١٣ سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي رضي الله عنه
١٤ جامع الترمذي

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ﴾ لكن أهل النور يشـــاهدون الحقائق ولا يحتاجون للأمثال، فقد كان الإمام أبو العزائم يقول:

دع عنك مثلاً بل مثالاً واشـــهدن   نور العلي بنوره الوضــاح

يعني هذه الأمثلة للناس الغافلين عن الحقيقة، لكن المؤمن يصل إلى كبد الحقيقة على الفور: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا مراقبته في السر والعلانية، وخشيته في الغيب والشهادة، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤ ﴾ (النور)

٣.صفات الفائزين[1]

بســم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أكرمنا بهداه، وجعل آذاننا صــاغية لكلام الله، ووفقنا فجعلنا أجمعين في طاعة الله، وفي طاعة حبيب الله ومصــطفاه على الدوام، اللهم أكرمنا بدوام هذه النعمة، وزدنا منها ولا تحرمنا منها حتى نخرج من الدنيا وأنت راضٍ عنا يا أكرم الأكرمين، والصــلاة والســلام على الإمام الأعظم، والرسول الأكرم؛ سيدنا محمد الذي من أطاعه غنم، ومن عصاه فقد حُرم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين ..... يا أرحم الراحمين.

من أحبه الله فدليل هذا الحب الأعظم من الله للعبد في الدنيا أن يوفقه الله لطاعته وطاعة رســوله ﷺ، وطاعة الرســول هي عين طاعة الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء).

ولذلك بيَّن سيدنا رسول الله ﷺ منزلة هذه الأمة يوم القيامة عند الله، ومن يتخلف ولن يكون معهم في الجنة، فقال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى }[2]

فمن الذي يحرم الإنسان من الجنة؟ مخالفته لأمر الله، وعصيانه لسيدنا رسول الله ﷺ، وكان ﷺ ذات يومٍ مســتلقياً على ظهره، وهو كما أخبر عن نفســه تنام عينه

١ المسجد الحسيني – طفنيس - إسنا – الأقصر ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٥م
٢ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﵁

وقلبه لا ينام، يحكي جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فيَقُولُ:

{ جَاءَتْ مَلائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ }[٣].

فأهم شيء يحرص عليه المؤمن في حياته طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ، وكل اختبارات الدنيا التي يمتحننا الله فيها أن أي أمرٍ نتعرض له فيه جانبٌ إذا فعلته فقد أطعت رسول الله، لكن الهوى الذي بداخلي، والدنيا التي تُحركني، والحظوظ والأهواء والشهوات التي تشغلني تدفعني لأن أترك طاعة رسول الله وأمشي على هواي، وهذا هو ميدان جهادنا كلنا.

وأضرب لذلك مثلاً بسيطاً: الفجر يؤذن، والله قال لنا: ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾

(٣١الأحقاف) فيجب أن أُجيب داعي الله، لأن المؤذن يقول لي: (حيَّ على الفلاح) يعني أقبل على هذا الفلاح، لكن النفس تقول لي: النوم الآن جميل، ولا يزال الوقت معي حتى مطلع الشـــمس، فخذ حظَّك من النوم، فتضـــحك عليَّ إلى أن أنام، وأقوم فأجد الشمس في كبد السماء!!، فما الذي ضيعني هنا؟ النفس والهوى، ولذلك يقول الله ﷻ:

---

٣ صحيح البخاري والأنوار في الشمائل للبغوي

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعات).

فكلنا في ميدان الجهاد، الحبيب يريد أن يأخذ بأيدينا إلى الجنة، والنفس والهوى يريدان أن يبعدونا عن هذا الطريق، وأين هذا الصراع؟ بداخلي، ومَن الذي سينجح ويفوز ويجوز؟ كما قال الله في الآيات التي معنا: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

فأحرَص ما يحرِص عليه المؤمن دواماً طاعة الله، وطاعة رسول الله، وطاعة الله يعني تنفيذ طلبات وأوامر الله التي طلبها منا، وطاعة رسول الله يعني الأخذ بسنته التي سنَّها لنا، ولا أتركها طرفة عين ولا أقل.

أوصاف المنافقين

فلما نزل الوحي على سيدنا رسول الله ﷺ انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام، قسم آمنوا ظاهراً وكذبوا باطناً - نسأل الله الحفظ والسلامة - وهؤلاء المنافقون والعياذ بالله، وقسم آمنوا ظاهراً وباطناً وهم المخلصون، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين، وقسم لم يؤمنوا لا ظاهراً ولا باطناً وهؤلاء الكافرون،

والله ﷻ عمل مقارنة في الآيات التي معنا من سورة النور - وسورة النور تنير لنا المسيرة التي نسير فيها - بين المنافقين والمؤمنين، لكن الكافرين ليس لهم اعتبار فلم يذكرهم الله ﷻ.

فالمنافقون كانوا عندما يسمعون رسول الله يقولون: سمعنا وأطعنا، ثم يتولوا مدبرين، ويبعدوا عنه ولا ينفذون شيئاً، وهذه علامة من العلامات التي أتى بها الله لنعرف بها المنافقين.

يسارعون إلى التصديق، ولكن يفرُّون عند العمل والتحقيق، وهذه ذكرها لنا الله ليُنزِّه المؤمن نفسه عن أوصاف هؤلاء القوم، فعوِّد نفسك وعاهد نفسك، أن لا تقول كلمة وتُخل في العمل بها، فقبل أن تقول أي كلمة كوعدٍ لأحد، أو كلام فيه رباط بينك وبين أحد، فكِّر وقدر بحيث إذا قلت تنفِّذ.

سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان في الحج، وكانت السنة الأخيرة له، وبعدها توفاه الله ﷻ، وأثناء طوافه بالبيت كان مشغولاً مع الله، كما في الصلاة، فالطواف مثله مثل الصلاة في الدعاء وتلاوة القرآن، قال ﷺ:

{ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلاةٌ، إلا أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ فِيهِ الْمَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فِيهِ، فَلا يَنْطِقْ إلا بِخَيْرٍ }[٤]

٤ سنن الدارمي وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

أباح الله لنا في الطواف الكلام مع بعضـنا لكن في الضـرورات، يعني لو قابلت أحداً أعرفه من بلدي أثناء الطواف، فلا مانع أن أتكلم معه وأعرف مثلاً مكان سـكنه ورقم تليفونه، ثم ننتهي من الطواف ونجلس معاً نتكلم مع بعضـنا، لكن لا أسـتهلك كل الطواف في الكلام.

فسيدنا عبد الله بن عمر كان يطوف، فجاءه سيدنا عُروة بن الزبير بن العوام إبن أُخت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تحتضنه وتربيه لأنها لم يكن لها أولاد، فقال له وهو يطوف: أريد أن تزوجني إبنتك فلانة، لكن سـيدنا عبد الله كان مشـغولاً ولم يردُّ عليه، وبمجرد أن انتهى الحج ورجع إلى بيته مرِض مرَضِ الوفاة، فجمع أولاده الرجال وقال لهم: كنتُ قد وعدتُ عُروة بالزواج من فلانة، فوصيتي لكم أن تزوجوه حتى لا ألقى الله بثُلث النفاق – يقصد إذا وعد أخلف - فقالوا له: وهل قلت له: موافق؟ قال: لا، ولكني سكتُّ والسكوت علامة الرضا.

هو لم يتكلم ولكنه سكت، وكونه سكت فقد أوجب على نفسه أن هذا وعدٌ ولا بد من تحقيقه، لماذا؟ حتى لا يدخل في عداد المنافقين والعياذ بالله.

من الذي سيكون أسفل في جهنم، هل المنافقين أم الكفار؟ المنافقون: لأن الله قال لنا في القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٤٥النساء) والدرك يعني السلالم النازلة، فكل من نزل جهنم ستكون له درجة يخرج منها، لكن هؤلاء في الدرجة الأخيرة من جهنم حتى لا يخرجوا منها أبداً، لماذا؟ لأن هؤلاء يقولون ما لا يفعلون، ويخالفون ما يقولون، وهذا أمرٌ لا يحبه الله، وأمرٌ قد يضُّر الحبيب ﷺ ومن معه، لأنهم كانوا يخرجون معه في ساعة الشدة ويظن أنهم عوناً له، وإذا بهم يخذلونه، فلو لم يخرجوا معه لكان أفضل له لأنه لن يعتمد عليهم.

أوصاف المؤمنين

فهذه كانت أوصاف المنافقين، لذلك أوصانا الله بوصايا جامعة، في الآيات التي معنا.

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وهذه الآية كان لها سبباً نزلت من أجله وتعالج قضية خطيرة يمكن أن تكون آثارها موجودة حتى في زماننا هذا، وهي أن الإنسان لأن نفسه معه عندما يحدث خلافٌ بينه وبين آخرين، حتى ولو كان بينه وبين إخوانه في الميراث، فيريد أن يختار من يحكم له هو، وهذا الأسلوب لا يصِّح أن يكون مع المؤمنين.

فماذا يريد المؤمن؟ المؤمن يريد الحق إن كان له أو لغيره، لأنني عندما آخذ الحق وأنا في الدنيا، أفضل من أن آخذ الباطل ثم أقف هناك أمام الحق ﷻ ويحدث لي ما لا يُحمد عُقباه من الذُّل والخزي أمام حضرة الله.

فالمؤمنون الصادقون كمثال سيدنا الإمام عليٍّ ﷺ وكرَّم الله وجهه، ادَّعى عليه رجلٌ دعوى، وذهب يشكوه لسيدنا عمر، فأرسل إليه سيدنا عمر، فأصبح سيدنا عليٌّ هو المتهم والرجل هو المدَّعِي، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته.

فلما وقفا أمام سيدنا عمر فقال سيدنا عمر لسيدنا على: تعالَ واجلس بجانبي يا أبا الحسن، فغضب سيدنا علي وتغير وجهه ولم يجلس، وبعد أن انتهت القضية وحُكم فيها، وخرج منها سيدنا عليٌّ بريئاً، فقال له سيدنا عمر: رأيتك وقد غضبت، فلماذا؟ فقال سيدنا علي: ناديت الرجل بإسمه وناديتني بكُنيتي وقلت: يا أبا الحسن، وتركته واقفاً وطلبت مني أن أجلس بجوارك، فأنت لم تسوِّ بيننا والقضية لم تنته بعد!!.لم يرضَ بالتميُّزفي المحكمة، لأنه حريصٌ على الحق، وعلى إقامة الحق كما علَّمهم سيد الخلق ﷺ.

متى تُصلح أحوالنا كلنا؟ إذا وصلنا إلى هذا الحال؛ أن كل واحد منا يطلب الحق ولو كان مراً، ولو كان على نفسه لغيره، فالمهم أن يُظهر الحق، وكان هذا حال المؤمنين أجمعين في عصر حضرة النبي ﷺ.

ولذلك عندما تولى سيدنا عليٌّ الخلافة، وكان في طريقه لصلاة الفجر، فوقع منه درعه الذي كان يلبسه، وبعد أن صلَّى وذهب إلى السوق وجد درعه مع أحد اليهود، فقال له: هذا الدرع درعي، فقال له: ليس درعك، فذهب الخليفة لقاضيه ليشرح له القضية، ويطلب تحكيم القضاء، فقال له القاضي: ومن يشهد لك بأن هذه درعك؟ قال: ابني الحسن، قال القاضي: الإبن لا يجوز شرعاً أن يشهد لأبيه، فقال عبدي الذي يعمل عندي: فقال القاضي: والعبد شرعاً لا يجوز أن يشهد لسيده، فهل معك دليلٌ آخر؟ فقال الإمام عليٌ: لا، فحكم القاضي وقال: الدرع درعك يا يهودي، فالقاضي يحكم بمستندات أمامه، فلو رأى القاضي الشيئ بعينه فهل يحكم على ما رآه أم ما يراه أمامه في المستندات؟ يحكم بما في الورق، مثلاً رأى بعينيه رجلاً يقتل آخر، وعُرضت القضية عليه، وأهل القتيل لم يستطيعوا إثبات ذلك، فهل يحكم بما شهد؟ لا، لأنه سيكون شاهداً في هذه الحالة وليس قاضياً ... فالرجل اليهودي تعجَّب وقال: إن هذا لهو الحق الذي قامت به السماوات والأرض، قاضي أمير المؤمنين يحكم ليهودي على أمير المؤمنين، الدرع درعك يا إمام، ولقد وجدتها خلفك وأنت ذاهبٌ إلى صلاة الفجر، ثم نطق بالشهادتين، فقال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: ما دمت قد أسلمت فهي هدية مني إليك.

هكذا كان سلفنا الصالح، ولكن هذه الآيات نزلت في أحد المنافقين إسمه بشر، حدث خلافٌ بينه وبين أحد اليهود، فقال له اليهودي هيا نذهب إلى النبي، وهو يعلم أن النبي ﷺ سيحكم بالحق، فقال له: لا ولكن هيا نذهب لكعب الأحبار وهو زعيم اليهود!!، اليهودي يريد الذهاب إلى النبي، والمسلم يريد الذهاب لليهودي!!، وهذه هي القضية التي فضحها الله ﷻ في هذه الآيات؛ أن من يفعل ذلك يكون من المنافقين، لكن المؤمن في أي زمانٍ ومكانٍ لا يريد إلا الحق، ويدور مع الحق حيث دار، لأننا أمة الحق، وأوصانا الله ﷻ بالحق وقال لنا في آيات الصدق: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (٣العصر) فالحق يحتاج من الناس أن تصبر عليه.

سيدنا أبو بكر ؓ في مرض وفاته قالوا له: لمن تترك المسلمين؟ فقال لهم: لعمر، فأتوني بعمر، وقال له: سأُوصيك بوصية وأنت كفيل بالمسلمين من بعدي إن شاء الله، واعلم أن الحق ثقيل، ومع ثقله مريئ - الإنسان عندما يؤديه يشعر بارتياح في داخله - واعلم أن الباطل خفيف ومع خفته وبيء أي مهلك.

الميزان الذي أعطاه لنا الله، لو أن المسلمون حكموا به سنستريح كلنا، فلو كل واحدٍ منا فعل شيئاً أو قال شيئاً ورجع لقلبه ليرى أثره عليه إن كان سعيداً بهذا العمل أو حزينا، فلن تكون هناك مشاكل بعد ذلك،

ولن نحتاج إلى أحدٍ آخر لنُحكِّمه في ذلك، ولكن حكِّم نفسك أنت ... فمثلاً أنا وإخواني نُقسِّم الميراث، وقد ميَّزتُ نفسي، فهل أشعر براحة نفسية؟!! مستحيل، حتى ولو كان الإنسان بعيد عن الله، وبعيد عن طاعة الله، بل سيشعر في نفسه أنه أخطأ وأنه عمل عملاً غير سليمٍ.

فلو أن الإنسان حكَّم هذا الأمر الإلهي الذي في قلبه في كل أموره، فكل الناس ستستريح: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) ... لكن كل ما يحدث أن النفس تجعل الإنسان يكابر، فيعرف أنه أخطأ ولكن لا يستطيع أن يقول أنه أخطأ، كيف يعترف بالحق مع أن الإعتراف بالحق فضيلة؟!! وهي المصيبة العُظمى التي يقع فيها معظم المسلمين في هذا الزمان وفي كل زمان.

ولكن لو أدرك المؤمن أن ما يفعله في الدنيا أفضل مما سيُؤجِّله إلى الآخرة، فسنسير كلنا على المنهج القويم الذي وضعه لنا الله ﷻ.

فالمؤمنون دائماً عندما يسمعون كلام الله وكلام رسول الله يقولون: ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ سمعنا بآذان رؤوسنا وقلوبنا، وأطعنا بتنفيذ ما طلبه منَّا إلهنا وحبيبنا ﷺ: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ هؤلاء الذين فازوا بالفلاح، والفلاح يعني الفوز العظيم يوم القيامة إن شاء الله.

الآية الجامعة

آية وحيدة من كتاب الله جمعت كل ما في الكتب السماوية السابقة، سيدنا عمر ﷺ وأرضاه كان يسير في المدينة ذات يومٍ وهو خليفة، وإذا برجل يقابله ويقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فقال له: لِمَ تنطق بالشهادتين؟ فقال له: آية في كتاب الله أنزلها الله على المسلمين جمعت كل ما في الكتب السابقة السماوية وزيادة، فعندما سمعتها من أحد الأسرى عندنا اهتزَّ قلبي وشدتني إلى الإيمان بالله ﷻ، وهي:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾.

آية صغيرة لو أن أحدنا وضعها أمامه وأخذ يقرأها ويتدبَّرها ويحاول أن يعمل بها فيا هناه، فيكون قد فاز وجاز، يُطيع الله فيما أمرنا به من تشريعات، ويطيع الرسول ﷺ فيما سنَّه لنا من سننٍ وواجبات، ويخشى الله ﷻ فيما فات، فيتذكَّر الأعمال التي عملها وعندما تُعرض على الله ﷻ فماذا سيكون موقفه؟ وهي التي تنبهه إلى التوبة النصوح والرجوع إلى الله، والندم على ما فعله في حق نفسه أو في حق عباد الله، وهذه هي خشية الله ﷻ.

ويتق الله ﷻ فيما هو آت، فكل ما سيأتي يُحاسب نفسه عليه، ولا يفعل إلا ما يُرضي الله، ولا يقوم بأمرٍ إلا إذا تأكد وتيقَّن أنه به سيكون من المحبوبين لحضرة الله ﷻ، فمن يفعل ذلك يكون من هؤلاء القوم: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾

فهذا نظام المؤمنين، وهو الحرص على طاعة الله ﷻ في كل وقتٍ وحين.

أما الآخرين فكما قال فيهم الله ﷻ مرةً ثانية يُذكرنا بهم: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ يُقسمون بأغلظ الأيمان، على أنهم سيخرجون مع رسول الله إذا خرج للقتال، ويخرج سيدنا رسول الله للقتال فيأتون بالأعذار التي عَيَّرهم بها الله في كتاب الله، فكان عذرهم عن عدم الخروج يوم الأحزاب كما قال الله: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ (١٣الأحزاب) بيوتنا مكشوفة للأعداء، لكن الله ﷻ فضحهم وقال: ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (١٣الأحزاب) ... فهم قومٌ مخادعون، كانوا مع رسول الله في الصلاة وفي الصوم وفي الظاهر، لكن عند الجهاد يقولون مثلاً: إن الجو حارٌ الآن فهل تنتظر حتى يتلطف الجو!! لكن الله يقول لرسول الله أن يقول لهم: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١التوبة) لم يترك لهم الله أمر إلا وفضحهم به الله ﷻ.

فقـال لـهم الله: ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لمـاذا تُقسموا؟! طاعتكم معروفة وهي قولية وليست فعلية، فلا داعي للقسم لأنكم معروفين، فيضـرب الله ﷻ لنا المثل بهؤلاء حتى نبتعد عن أخلاق وأوصـاف المنافقين، ونكون على أوصـاف المؤمنين الصـادقين الذين ذكرهم الله في قرآنه الكريم .. وانظر إلى الحديث الصحيح لرسول الله ﷺ والذي يقول فيه:

{ ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }[٥]

يجب على المؤمن أن يعاهد الله أن لا يكذب أبداً؛ محقاً كان أو مبطلاً، ولو حتى في اللهو واللعب، فسيدنا رسول الله ﷺ كان يمزح، ولكنه كان يقول:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[٦]

لماذا؟ لتكون هناك ثقةً بين المجتمعات الإسـلامية، فهذه الأمة سـمَّاها الله ﷻ بـالصـادقين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) أمة الصـادقين، وببركة الصـدق سـتكونون صـدّيقين وتنالوا أعلى الدرجات في الجنة بعد النبيين والمرسلين، قال ﷺ:

---

٥ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٦ معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما

{ إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }[7]

فالمؤمن يحاول دائماً أن يتخلى عن أخلاق المنافقين، ويتصف بأوصاف المؤمنين الصادقين ليكون: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

فعيَّر الله ﷻ المنافقين بطاعتهم أنها طاعة غير مُجدية، وهي طاعة معروفة في ادعاء أنهم مطيعين، ولكنهم في الحقيقة مكذبين في قلوبهم بما جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ.

طاعة الله وطاعة الرسول

وأمرنا الله ﷻ أن نطيع الله، وأن نطيع رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ نطيع الله فيما جاءنا به، ونطيع الرسول فيما بيَّنه لنا، وبين الله لنا عاقبة الطاعة فقال لنا: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ فحتى تُحَل كل مشاكلنا العائلية والمجتمعية والدولية نحتاج كلنا لطاعة الله، وطاعة رسول الله ﷺ.

---

٧ البخاري ومسلم وأبي داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الطائعين، وأن يُجمِّلنا بجمال عباده الصادقين، وأن يرزقنا أخلاق الفائزين وأحوال المتقين، وأن يُنير قلوبنا بنور قرآنه الكريم، وأن يوفقنا للعمل خلف نبيه الرءوف الرحيم، وأن يجعلنا معه يوم الدين، وفي جنة النعيم أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) ﴾ (النور)

٤.أهل التمكين وأهل الاستخلاف في الأرض[1]

بســـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي بشَّـــرنا في كتابه بأنه أعد لنا ما أعده لأحبابه مع نبيه وحبيبه وصـفيه، والصـلاة والسـلام في كل وقتٍ وآن على من أرسـله الله بالهدى والقرآن والنور والبيان؛ سيدنا محمد وآله الحسـان، وصـحابته الذين حملوا ســـرَّه المصـــان، وكل من تبعهم على هذا الهدى والنور إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بمنِّك وفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

عاد الزمان في عصـرنا هذا كما كان في عصـر الحبيب المهتدِي، والذي كل ذو روح له يُفتدي؛ سـيدنا محمد، ولذلك من إعجاز القرآن أنه حيٌّ طريٌّ منذ نزوله على ختام الأنبياء إلى آخر الزمان، فالآية التي معنا نزلت على الحبيب ﷺ وصـحبه الكرام في مواقف معينة تعرضـوا لها، ونحن نتعرض لها وأشـد منها، وكما حدث لهم الوعد سيحدث معنا إن شاء الله في هذا الوقت.

سبب نزول الآية

لأنه لو اقتصرت هذه الآية على الأحداث الماضية لكان يجب أن تُلغي هذه الآية من القرآن الآن، لكن القرآن لكل زمانٍ ومكان، ولكل عصرٍ وأوان لأمة النبي العدنان ﷺ.

ما الأمر؟

---

[1] طفنيس ـ إسنا – الأقصر ٢٨ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٦م

سيدنا رسول الله ﷺ كان ومن معه في مكة في شدةٍ شديدة، حرب وسُخرية واستهزاء، وكل ما يخطر على بالك وما لا يخطر على بالك من فنون الأذى تعرَّض له النبي ﷺ ومن معه، فأمرهم النبي بالهجرة إلى المدينة، ثم هاجر هو كذلك إلى المدينة.

وفي المدينة ظنوا أن هناك طمأنينة، ولكن زاد الأذى، فبعد أن كان الأذى في مكة من أهل مكة فقط، أصبح الأذى في المدينة من القبائل العربية، واليهود الذين يسكن معهم النبي، والكل متألِّبٌ على أنصار الله، وعلى رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

حتى زاد الأذى أكثر من ذلك، فقد دُسُّوا أُناس - وهذا لم يكن في مكة - تظاهروا بالإسلام، ودخلوا في وسط المسلمين ليعرفوا أخبارهم، ويتعرفوا على أسرارهم ويبلغوها للكفار، فيكون الإيذاء أشد، لأنهم عرفوا الأسرار الخاصة الموجودة بين حضرة النبي وبين السادة المؤمنين.

حتى كان النبي ﷺ وصحبه الكرام يبيتون في السلاح ويصبحون في السلاح، لأنهم متوقعين في أي لحظة شراً من هنا، أو هجوماً من هنا، أو أذى من هنا، حتى أن أحدهم قال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبَدَ الدَّهْرِ نَحْنُ خَائِفُونَ هَكَذَا، مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمٌ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ فِيهِ السِّلاحَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ لَنْ تَغْبُرُوا إِلا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " إِلَى آخِرِ الآيَةِ }[2]

أنزل الله ﷻ هذه الآية ليُبرِّد القلوب، ويُفرح الأفئدة، ويزيل هذه الرهبة.

قال الله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴾ وعدٌ من الله، والله لا يخلف وعده، فوعده لا يتخلف، ولكن لمن هذا الوعد؟ لمن اجتمع فيهم شرطين: الإيمان والعمل الصالح: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقال الله: "مِنْكُمْ" لأن المؤمنين كثير، لكن من يعمل العمل الصالح قليل: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡ ﴾ (٢٤ص).

من يستطيع أن يجاهد نفسه، ويمنعها عن المعاصي والمخالفات، ويجعلها دوماً في الطاعات والنوافل والقربات فهؤلاء هم الصـالحون الذين نسـأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين ... فمن يحافظ على الإيمان، ويبرهن على صـدق الإيمان بالعمل الصـالح، فالإيمان دعوة والإيمان حُجة، وما الدليل عليها؟ وما البرهان عليها؟ ...العمل الصالح!

[2] تفسير بن أبي حاتم وجامع البيان للطبري

ولذلك قال حبيبي وقرة عيني ﷺ:

{ لَيْسَ الإيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }[٣]

ويقول الحسن البصري رضي الله عنه: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، وإن قوماً غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، قالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)

ولو نظرتَ إلى آيات كتاب الله تجد دائماً تلازماً بين الإيمان والعمل الصالح، كل الآيات التي فيها الإيمان معها العمل الصالح: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ (العصر) فكل الآيات على هذه الشاكلة؛ الإيمان شرطه أن يكون معه العمل الصالح.

وعد الله

هؤلاء القوم بماذا وعدهم الله؟ وعدهم بثلاث عطاءات، ولم تكن تخطر ببالهم في هذه الآنات، الوعد الأول: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ سيجعلهم خلفاء الله عز وجل في الأرض،

---

٣ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس رضي الله عنه

وهم الذين يقومون بالخلافة، كما مكَّن لقوم موسى بعد أن كانوا مستضعفين، وكان فرعون يستعبدهم، فمكَّن الله ﷻ لهم في الأرض، وكما مكَّن لسيدنا يوسف بعد أن كان عبداً يُباع ويُشترى، فأصبح هو الذي على خزائن الأرض ويتحكم فيها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢١يوسف).

فكما مكَّن هؤلاء القوم فسيُمكِّن لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض، وهذا حدث في أيام حضرة النبي، فإنه ﷺ لم ينتقل إلى جوار الله إلا بعد أن خضع له كل أعدائه في الجزيرة العربية، وفتح الله له مكة، وفتح الله له خيبر، ودانت له الجزيرة العربية كلها، وسلَّم له الأعداء المحيطين به ... وفي عصر خلفائه الراشدين زاد التمكين، حتى ملكوا ناصية الأرض في عصرهم، فكانت الدولة الإسلامية من بلاد الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، كلها دولة موحدة، وكل من عليها يقول (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وهذا الذي وعدهم به سيدنا رسول الله ﷺ، قال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ }[٤]

٤ صحيح البخاري وأبي داود عن خباب بن الأرت ﷺ

وفي حديث آخر عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ:

{ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللَّهَ }[5]

المرأة تمشي بمفردها من الحِيَرة في بلاد العراق إلى مكة، وهذا من الأمان والاطمئنان الذي يسيطر على بلاد المسلمين أجمعين بفضل رب العالمين، وببركة النبي الأمين ﷺ.

وأخبر أصحابه أنه سيأتي يوم لن يحمل فيه أحدٌ منكم سلاحاً، ولا حتى سكيناً أو خِنجراً، لأنهم كانوا يبيتون في السلاح ويقومون على السلاح فقال:

{ لَنْ تَغْبُرُوا إِلا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ }[6]

---

5 صحيح البخاري ومسند أحمد
6 تفسير بن أبي حاتم وجامع البيان للطبري

أي لا يحمل أحدهم حتى قطعة حديد، وهذا من الأمان والاطمئنان الذي سيجعله الله لأهل الإسلام، لأن الإسلام من السلام، يعني يصبح أهله في سلام، والإيمان من الأمن، فلا بد لأهل الإسلام والإيمان أن يكونوا في سلام وفي أمنٍ وطمأنينة لأنهم مع الله جل في علاه، ومن كان مع الله حلَّ عليه أمان الله سبحانه على الدوام.

الوعد الثاني: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ سيمكنهم بالقيام بمشاعر الدين بدون خوف ولا رهبة من الآخرين لأنهم في حماية رب العالمين ﷻ، والخوف الذي هم فيه حالياً سيتحوَّل إلى أمن.

وهذا هو الوعد الثالث: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ بعد الخوف الذي هم فيه سيكونون في أمن وطمأنينة على الدوام، وهذا ما حدث مع رسول الله وصحبه الكرام، وسيكون نفس الأمر معنا إن شاء الله.

التحذير من ترويع المسلمين

فالمؤمنون الآن مشتتون، والكفار والمشركين قاتلهم الله يقومون بحرب شرسة لا هوادة فيها على المسلمين، وسيطروا على جماعات من المنافقين

وأمدوهم بالســـلاح لكي يخيفوا ويرعبوا ويدمروا المســـلمين ويقولون: إن المسلمين يحاربون المسلمين، ولكن هؤلاء لا شأن لهم بالإسلام، فالمسلم يقول فيه ﷺ ليُبين الذي معه من الذي ليس معه مع أنه جالس معه:

{ مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا }[7]

هل هناك مؤمن يحمل السلاح على إخوانه المسلمين؟!! فقد قال ﷺ:

{ مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ }[8]

لا يصح ذلك حتى في اللهو أو في اللعب، وقد ورد:

{ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ، فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا }[9]

وفي رواية أخرى:

{ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بعْضُهُمْ إِلَى نَبلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ، فَزِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ ﷺ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: لا، إلا أَنَّا أَخَذْنَا نَبلَ هَذَا، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا }[10]

---

٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٩ سنن أبي داود والبيهقي
١٠ مسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة

فلا يجوز أن أُشير لأحدٍ بسكين أو بسلاح وأقول أنا مؤمِّن!!، لأنك بذلك روعت مسلماً، أو أشير إليه بخنجر وأقول أنا أمزح، فلا يصِّح هذا، ومن يحمل السلاح أيَّاً كان نوعه - حتى ولو حمل حديدة - على المسلمين فليس من المسلمين كما قال سيد النبيين ﷺ.

فهؤلاء القوم - قاتلهم الله - كما أخبر النبي:

{ يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا }[11]

فهؤلاء الإخوة السوريين اثنا عشر مليون منهم مهجرين في البلاد ليس لهم مأوى، هُدمت بيوتهم، وشُرِّدوا هم ونساؤهم وأطفالهم ولا يجدون مأوى لهم، منهم من هاجر إلى أوروبا، يقولون لهم: نريد الشباب لأنهم ليس عندهم شباب للعمل في المصانع، فيذهب الشباب ويقولون له: إذا أردت أن تُؤمِّن حياتك وتعيش معنا نمنحك الجنسية، ولكن بشرط أنك تترك الإسلام وتتنصَّر، وهذا ما حدث في الفترة الماضية في ألمانيا وغيرها، أو يقولون له: ليس لك عمل عندنا.

من أين أتي الإرهابيون بالأسلحة التي يحاربون بها؟ من أمريكا، وقد خرج تقرير مخابراتي أمريكي وأقر بخروج عشرة مليون قطعة سلاح انتقلت من مخازن الجيش الأمريكي، ورأوها تُستخدم في سيناء وفي ليبيا، وقالوا في وصف هذه الأسلحة أن الجيوش لا تقدر عليها.

---

١١ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان ﷺ

من الذي أوصلها لهؤلاء القتلة؟ الأمريكان، لماذا؟ ليروعوا المسلمين، والمسلمين الليبيين حالياً هل يعيشون في بلادهم في أمان؟! لا، هل المسلمون في الصومال يعيشون في بلادهم في أمان؟! لا، وهكذا غيرهم.

نصر الله للمؤمنين

فالله ﷻ بشَّرنا بأن هذه الغُمة ستزول، وسينصر الله جُنده المؤمنين الصادقين:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥١غافر) فالمؤمنون إن شاء الله سينصرهم الله،

وسيرجع لنا مرة أُخرى وعد الله الأول بالاستخلاف في الأرض.

وسيذهب الغُثاء من الكفار وغيرهم وأنواعهم وأصنافهم، ولا يبقى على وجه الأرض ليتحكَّم فيها ويسيِّر شئونها إلا المسلمين الصالحين الذين صدقوا في الوفاء بالوعد لله مع سيد الأولين والآخرين ﷺ، كما أخبر ﷺ:

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، وَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا لِلإِسْلامِ }[١٢]

١٢ مسند الروياني عن أبي إمامة ﷺ

وقال الله تعالى في صـــــريح القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (٢٨الفتح) وهل ظهر الإسلام على كل الأديان السابقة؟ لا، لكن في الأيام القادمة إن شاء الله سيظهر على كل الأديان:

يـــعـــلـــو عـــلـــى كـــل الأديـــان دين ربـــي فـــاتـــلـــوا لـــنـــا أخـــبـــاره

سيكون الدين الأعلى في الكون كله، وسيتمكن المؤمنون من الدين في كل أرض من أرض الله، لأنه ما دامت لهم الغلبة فالآخرين سيكونون خاضعين ومسَلِّمين.

وبعد الخوف الذي يعيش فيه إخواننا ونحن وغيرنا إذا كان من الفقر والغلاء، أو من البنادق والقتل .. فكل أنواع هذا الخوف ســــتنجلي ويأتي بدلاً منها الأمن والأمان من حضرة الرحمن ﷻ:

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾ (قريش).

شروط الوفاء بالوعود الإلهية

وهذا سيحدث معنا كلنا إن شاء الله، ولكن بشرط أن نوفِّي بالطلب الذي طلبه منَّا الله، وما الروشتة التي تتحقق بها هذه الوعود كلها؟ ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾

وفى ذلك قال ﷺ: { مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ }[13]

عبادة خالصة لله، فلا تكون العبادة طمعاً في مآرب دنيوية، أو من أجل شهوات نفسية، أو من أجل مناصب فانية دنيوية، لكن تكون العبادة خالصة لله كما أمرنا الله في كتاب الله وقال: ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٢٩الأعراف) اجعلوا العبادة خالصة لله ﷻ كما قال الرجل الصالح في الإلهام الذي ألهمه به مولاه: (لو لم أخلق جنةً ولا ناراً أفلم أكن أستحق العبادة لذاتي؟!!).

الناس في زماننا استغلوا الدين والعبادة من أجل المصالح والمنافع، فمنهم من استغلوا الدين ليكونوا حكاماً، ويريدون انتخابات وسياسات، وهذا من استغلال الدين في الدنيا، ومنهم من يستغل الدين ليسيطر على أموال المسلمين، فيكتبون لافتات إيمانية على المحلات التجارية، وجعلوا أشكالهم وهيئاتهم دينية ليثق الناس فيهم ويقولون إنهم مؤمنين وموحدين ويسلموا لهم أعمالهم وأموالهم ... كل هذا لا بد وأن يزول، ويبق المخلصون الذين يعبدون الله طمعاً في رضاه، ولا يبغون أجراً ولا ثواباً إلا من عند الله ﷻ، لا يطلبون بذلك دنيا دنية ولا رغبات نفسانية لقوله ﷺ:

---

[13] صحيح مسلم ومسند أحمد عن عثمان بن عفان ﷺ

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، طُمِسَ وَجْهُهُ، وَمُحِقَ ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ} [14] ، وفي رواية أخرى: { مَنْ طَلَبَ عَمَلَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } [15]

العمل هيئته للآخرة، ولكنه ماذا يبغي من وراء هذا العمل؟ يريد مصلحة دنيوية عاجلة، وهذا لا يجب مع الله، فالخلاص بالإخلاص؛ أن يُخلص الإنسان العمل لله، ولا يرجو من الله إلا الله، ولا يرجو من العمل إلا رضـــــاه جل في عُلاه، إذا وُجد هؤلاء الأقوام وانتشــروا وكثروا فعلى الفور ســتتحقق هذه الوعود الإلهية التي ذكرها الله في الآيات القرآنية.

ومن يرتدَّ بعد ذلك عن الإيمان ولا يعجبه هذا يقول الله تعالى فيه: ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله ﷻ.

---

١٤ معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء ﷺ
١٥ مسند الشهاب عن أبي بن كعب ﷺ

العبادة الخالصة لله

ما هيئة العبادة التي يريدها الله؟ عبادة جسمانية، وعبادة مالية: فالعبادة الجسمانية: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والعبادة المالية: ﴿ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فشمل الله العبادتين لأنهما رمزاً للعبادة بالأجسام، ورمزاً للعبادة بالأموال.

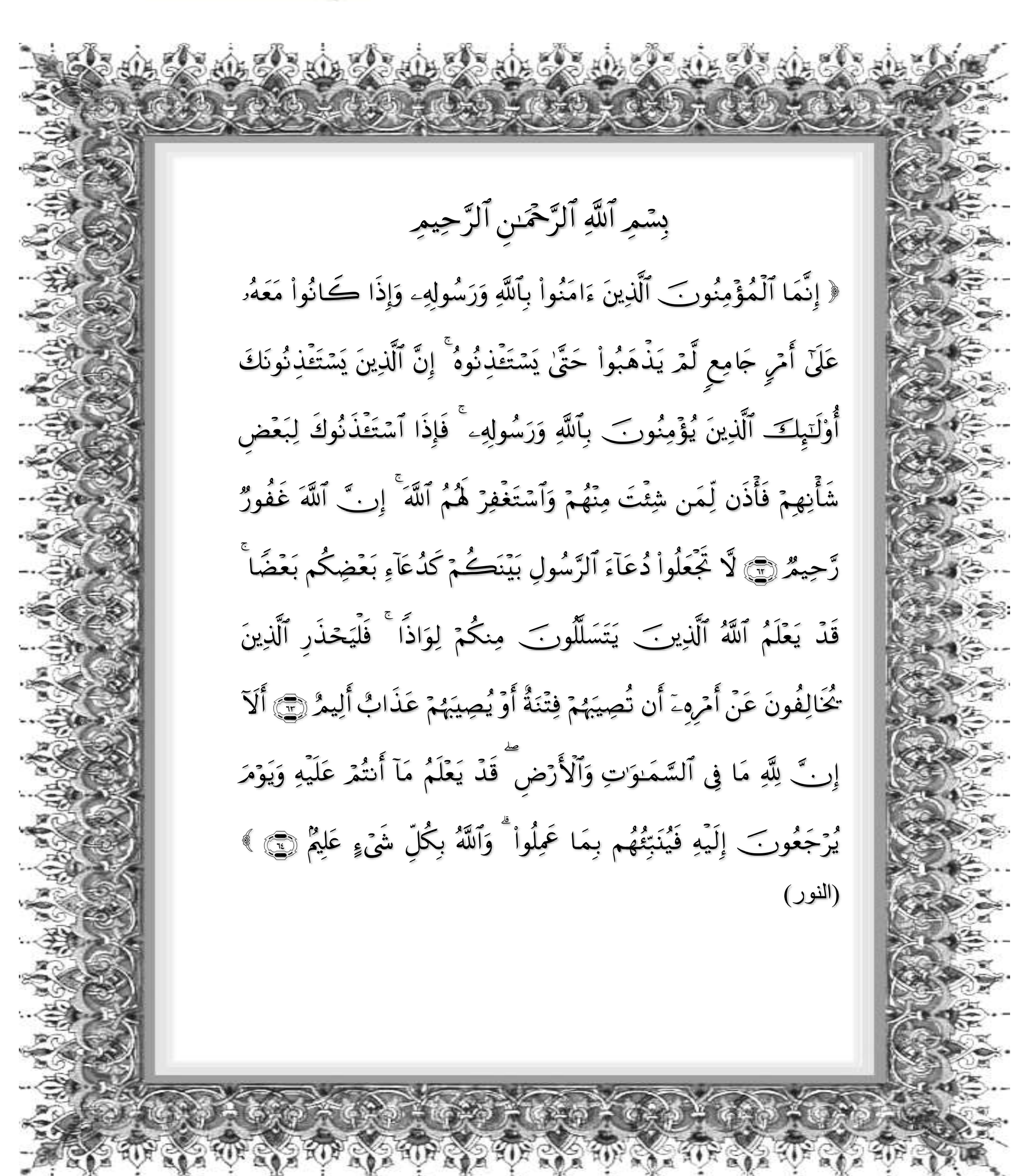
وشمل الجميع بالطاعة للحبيب فقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

فروشة التمكين والاستخلاف في الأرض والأمن والأمان تحتاج إلى إقامة الصلاة، وليس أداء الصلاة، ولكن إقامة الصلاة بخشوع قلب، وحضور مع حضرة الله جل في علاه طلباً لمرضاة الله.

وإيتاء الزكاة بحسب النصوص الواردة بشأنها في كتاب الله، وإعطائها للموارد والأصناف التي حددها الله في آيات كتاب الله جل في علاه، ولذلك لا يجوز التفريق بين الصلاة والزكاة، فالذين امتنعوا عن دفع الزكاة حاربهم سيدنا أبو بكر، وقال: لا أترك من فرَّق بين الصلاة والزكاة ... وبعد ذلك الطاعة الشاملة الكاملة لكل ما جاءنا به، ووجهنا إليه سيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يُحقق لنا هذا الوعد، وأن يجعلنا من المقيمين للصلاة، والمؤتين للزكاة، والمحافظين على طاعة الله، والمحافظين على طاعة حبيبه ومصـــطفاه، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصةً لوجه الله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾ ﴾

(النور)

٥.أهل الأدب مع الرسول ﷺ[١]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي تولَّى بذاته أمر حبيبه ومصطفاه، فبيَّن منزلته ومكانته عنده ﷻ في كتاب الله لأنه لا يعلم أحدٌ قدره ولا مقداره عند مولاه، ثم بيَّن لأصحابه - لحرصه تبارك وتعالى عليهم أن يذلوا أو يضلوا - الآداب التي ينبغي أن يكونوا عليها مع حبيب الله ومصطفاه، حتى لم يدع لأحد في الوجود كلاماً بعد كلام الحق تبارك وتعالى في كتابه المورود.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد الذي أعلى الله شأنه على جميع الأنبياء والمرسلين والمقربين، ورفع ذكره وقرنه باسمه وجعله باباً للدخول على حضرته للأولين والآخرين، صلِّ وسلِّم وبارك اللهم على هذا النبي الذكيِّ الطاهر القدسيِّ؛ سيدنا محمد وآله أهل وراثته وأصحابه الذين قاموا بنصرته وعلينا معهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

باب الأدب

عَلِم ملك الملوك تبارك وتعالى أن باب الأدب هو الذي يوصِّل المرء إلى أعلى الرتب، فلو كان العبد قد قضى عُمره كله طائعاً لله، لكنه سقط في سقطة من الآداب في حق مولاه، أو في حق حبيب الله مصطفاه، طُرد فوراً من رحمة الله جل في عُلاه.

١ مسجد الشيخ أبودوح – طفنيس - إسنا – الأقصر ٢٨من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٦م

وأنتم تعلمون المثال الظاهر على ذلك، كما ورد في الأثر أن (إبليس عَبَدَ الله ﷻ اثنان وسبعون ألف سنة، وليس في السماوات السبع موضع شبر إلا ولإبليس فيه سجدة لله تبارك وتعالى).

لكنه سقط في باب الأدب، وفي هفوة وذلة واحدة، فكان نتيجتها: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومًا مَّدۡحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (١٨الأعراف) .. مع أنه كان معه شُبهة، لأنه كان يعتقد أنه لا يجب السجود إلا لله، فلا ينبغي أن يسجد لأحد غير مولاه، لكنه خالف أمر الله في مواجهة الله، وهذه هي السقطة التي سقط فيها.

آدم وقع في الخطيئة فتاب عليه الله لأنه لم يكن في المواجهة، ونسي: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا ﴾ (١١٥طه) لكن إبليس طُرد لأنه كان في المواجهة، وأمره الله بالسجود، فقال: ﴿ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ﴾ (٦١الإسراء) فكان هذا اعتراض على الرحمن ﷻ، أوجب عليه الإنطراد من رحمة الله إلى يوم الدين، فلم تنفعه طاعاته، ولم تشفع له عباداته، لأن العبرة بالأدب.

والله ﷻ عندما أثنى على حبيبنا وقرة أعيننا صلوات ربي وتسليماته عليه، أثنى عليه لجميل أدبه، فعندما رقَّاه إلى عوالم الملكوت الأعلى، وكاشفه بالجمالات الموجودة في السماوات والعوالم التي بعد السماوات، لم يلتفت إليها، وحجز بصره أن ينظر إليها لأنه لا يريد أن يكحِّل بصره إلا بالنظر إلى مولاه، فامتدح الله ﷻ حُسن أدبه، وقال لنا أجمعين في شأنه: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) لم يزغ هنا أو هناك، لأنه لا يريد إلا ملك الملوك ﷻ ... هذا هو الأدب الذي قالوا لنا فيه: (**حافظ على الأدب ولو رُقِّيت إلى أعلى الرُتب**) لأنه رُبَّ ذلَّة واحدة تُصاب فوراً بعدها بالعطب، ولذلك تولَّى الله ﷻ بذاته أن يعلِّمنا الأدب مع نبيه ﷺ، لأنه يُحبنا من أجل حبيبه وحبيبنا.

ومن جملة هذه الآداب ما ورد في الآيات التي معنا الآن من سورة النور، لكن الآداب مبثوثة في كتاب الله، وقد شرحنا بعضها وطبعناها لكم في كتاب: (الآداب القرآنية مع خير البرية) أتينا بالآيات التي تتكلم عن الأدب مع رسول الله، ووضحناها على قدر الأحباب، وليتنا نقرأ ونذاكر ونطبق.

أدب الحضور مع الرسول

والأدب الذي ذكره الله لنا في هذه الآيات هو الأدب مع النبي ﷺ، وكذلك ورثته في حال الاجتماعات واللقاءات المهمات، فما الذي ينبغي علينا في مثل هذه الأمور؟.

هذه الآية كان لها سبب نزول، ولكن سببها موجود إلى قيام الساعة، نحن نعرف أن حضرة النبي ﷺ كان معه مندساً في صفوف المؤمنين كتيبة كبيرة من المنافقين، والله ﷻ ما فضحهم ولا كشف أمرهم إلا ليعرف المؤمنين المؤمن من المنافق، حتى لا نقع في الأحوال التي وقعوا فيها، ولا تختلط علينا الأوهام التي عاشوا فيها، وإنما نكون دائماً مع الصادقين الذين مدحهم الله وأثنى عليهم في كتابه المبين.

المنافقون كانوا في الجماعات كصلاة الجمعة؛ كان إذا صعد حضرة النبي منبره الشريف يتسللون ويتفلتون واحد تلو الواحد ويخرجون خارج المسجد، ولماذا أتيتم؟ مثلهم كمثل بعض الموظفين المنكوبين في هذا الزمان، يمضي حضور ثم يترك العمل، وهي نفس الأمر، فيحضرون مع حضرة النبي ثم يهربون، فلماذا أتيتم؟! وهل النبي يريد منكم شيئاً؟! ولمَّا جاءت غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب، وسيدنا سلمان الفارسي أشار على النبي ﷺ بأن يحفر خندقاً حول المدينة، وذهبوا ليحفروا هذا الخندق، وكان النبي ﷺ بذاته يشاركهم في الحفر والحمل، حتى كانت الصخرة التي تستعصي عليهم يُخبروا بها حضرة النبي، فيقول لهم: دعوها لي، ويمسك ﷺ بالآلة أو المعدة بنفسه ويضربها فتتفتت الصخرة!!

هؤلاء المنافقون كانوا يتفلتون واحداً وراء واحد بدون إذن، ولكنهم يتسللوا، كما قال الله: ﴿ لِوَاذًا ﴾ يعني خُفية واحداً وراء واحد.

أصحاب حضرة النبي الصادقين كان الواحد منهم لا يستطيع أن يتحرك هنا أو هناك إلا إذا استأذن من رسول الله، فيقول له أحدهم: لو أذنت لي سأذهب للبيت، أو لو أذنت لي سأذهب لأتوضأ، أو لو أذنت لي سأذهب لأباشر زرعي ... لا يتحرك أحدهم إلا بإذن من رسول الله.

حتى في الأمور المهمة التي لا غنىً لهم عنها، سيدنا رسول الله ﷺ كان خارجاً لغزوة بدر، وسيدنا عثمان بن عفان توفيت زوجته بنت حضرة النبي، فمن الذي يجهزها؟ زوجها، فهل يحتاج هذا إلى إذن؟ لا، لكن سيدنا عثمان ذهب إلى النبي ليستأذنه، وهذا هو الأدب العالي الذي تعلَّموه، فأذن له رسول الله ﷺ ... وسيدنا عمر بن الخطاب في احدى الغزوات كان مشغولاً بمصالح لا غنى له عنها، فاستأذن من رسول الله، فأذن له.

إذاً فمن المنافقين؟ هم الذين يمشون بدون إذن نهائياً، لكن المؤمن لا بد وأن يستأذن، وهكذا علَّمنا الإسلام، وعلَّمنا القرآن، وعلَّمنا نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ويجعل الله ﷻ صــفة الإيمان قرينة مع الأدب والاســتئذان لنعرف أهمية الأدب في الاســتئذان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وآمنوا يعني صــدَّقُوا بالله ورسوله، وما علامتهم؟ ﴿ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ هذه علامة صـــدق الإيمان، معه في أي أمر جامع إن كان اجتماع، أو في معركة حربية، أو في صلاة جمعة، أو في مجلس من مجالس الأُنس مع حضرة الله.

فعلامة صــدق الإيمان هنا أنه لا بد وأن يســتأذن، وماذا يعني أن يســتأذن؟ مثلاً كان سيدنا رسول الله عندما يكون يخطب على المنبر - والكلام أثناء الخطبة ممنوع - فكان بعضهم يقف ويُشير إلى رسول الله ﷺ، فيُشير له ﷺ، يعني معك الإذن، لكن لو كان في اجتماع فلا بد وأن يكون الإذن صريح بالعبارة.

إذن إذا كانوا معه في أمر جامع، والأمر الجامع كما قلنا إذا كان في معركة، أو كان في اجتماع، أو كان في قضية مهمة، أو في مناقشة أمر يخُص المؤمنين أجمعين، ... لم يذهبوا حتى يستأذنوا.

ثم بين الله ﷻ خطورة عدم الاستئذان، وهذا الأمر يشُقُّ قلوب المخلصين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الذين يستأذنوك هؤلاء فعلاً هم المؤمنون، لأن الذي لا يستأذن المنافقون، فأكد الله ﷻ أن علامة الإيمان الصادق هو الاستئذان من رسول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ ﴾.

وأعطاه الله ﷻ تفويضاً عاماً بأن له مُطلق الحرية في أن يأذن أو لا يأذن، فليس شرطاً أن يأذن لي: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾ من تأذن له يذهب، ومن لم تأذن له يكون الخير في جلوسه وبقائه، وربما لا يعلم، لكن حتماً إذا أجاب واستجاب فسيعلم، وحتى نعلم أن البقاء خير من الاستئذان، فقال الله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ لماذا تستغفر لهم الله؟ لأن هذا العمل ليس هو العمل الأكمل، ولا العمل الأصحِ، لكن العمل الأصحّ والأكمل هو البقاء معه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وآداب الإستئذان التي ذكرها الله في القرآن للنبي العدنان - كما قلتُ - تنسحب على أئمة المتقين، وكُمَّل المرشدين والصالحين في كل زمان ومكان، أن الإنسان إذا كان معهم في أمر جامعٍ فلا بد أن يتأدب معهم، كما قال الشيخ أبو مدين الغوث ﷺ:

فاصحبهمُ وتأدب في مجالسهم وخلِّ حظّك مهما قدموك ورا

اجعل حظك وراء ظهرك، وإياك أن تنظر لنفسك إذا قدموك فتغتَّر فتنضر، واجعل حظك وراءك، والزم الأدب في صُحبة هؤلاء الأقوام الذين أعطاهم الله فضلاً منه ومنةً، حُلة المصطفى ووراثته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وإياك في هذا الباب أن تجتهد بتأويل من نفسك، لأنه قرآن، وانظر إلى أصحاب النبي العدنان، وامشي على المنهاج، وإياك أن تبتكر لنفسك أو بنفسك فتخالف هؤلاء، وتظن أنك ذكيٌّ وألمعيٌّ، لأن الله ﷻ لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء.

ثم بين الله ﷻ لنا أجمعين أمر المنافقين: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ ولواذا: يعني يمشي كل واحد منهم خلف الآخر متخفين، يعني يكون جالساً في المجلس ويتصنَّع أنه ذاهب مثلاً لقضاء حاجته ثم ينصرف، فلماذا جئت أصلاً؟ كل اجتماعتنا الأمر فيها كما قال الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية).

أنت المراد، وأنت صــاحب البُغية، وأنت الذي يريد أن يســتزيد فقهاً في الدين، ويســتزيد في القلب نوراً ويقيناً، وتريد أن تتشــبَّه بالأئمة من العلماء العاملين، وتلحق بركب الأنبياء والمرسلين، فأنت من يبحث لنفسه ولا يبحث عنك أحد: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤القيامة).

أدب مناداة الرسول

ثم بيَّن الله ﷻ وانتقل إلى أدب آخر مع حبيب الله ومصـــطفاه صـــلوات ربي وتسـليماته عليه، وهو الأدب في التعامل مع حضـرته؛ كيف نناديه؟ وماذا نفعل عندما ينادينا؟ لكي نتحقق بكمال الأدب الذي اختاره لنا الله: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ لا تجعلوا دعاء حضـرة النبي مثل دعاؤكم، وفيها معاني كثيرة،

المعنى الأول: إذا نادينا على حضـــرة النبي ﷺ فلا يكون كدعائنا لبعضـــنا، فقد كان بعض العرب عندما يأتون إلى رســـول الله وينادون عليه، منهم من يقول: يا محمد، ومن هم من يقول له: يا ابن عبد الله، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك.

والله ﷻ بذاته لم يناديه إلا بـــــ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ (١الطلاق) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ (المائدة) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ (المزمل) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ (المدثر) ولم يذكره باســـمه إلا وقرنه بالرســـالة: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (٢٩الفتح) مع أنه نادي على الأنبياء الآخرين بأســـمائهم مثـل: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ۝٣٦ ﴾ (طـه) ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾ (٥٥آل عمران) ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾(٣٥البقرة) ﴿ يَٰنُوحُ ﴾ لكن عندما نادي على رسـول الله استـثناه الله ﷻ وكان يناديه بغاية الأدب .. فنحن يجب أن نقول: يا نبي الله، يا رسول الله، يا حبيب الله، يا صفيَّ الله .. لا نناديه إلا بالألقاب التي نحسب أنها مدحٌ في حضرته، وأنها هي التي تليق بمقام قُربه من ربه ﷻ.

وحضـــرة النبي لـه أكثر من ألف إســـم، جمعهـا العلمـاء الأجلاء والأقطـاب والصـــالحين، وكلها تبين حقيقة مقاماته، وما له عند الله ﷻ، فهل نترك هذه الأســـماء العظيمة ونناديه بما لا يليق؟!! لا، فليس نداؤه كندائنا، وحتى عندما نناديه أمرنا الله بأن نناديه أولاً بصـــوت خافت فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (٢الحجرات).

وعندما نزلت هذه ورد أن سـيدنا أبو بكر وسـيدنا عمر كانا لا يكلمان النبي إلا كأخي السرار، يعني بصوت خافت، حتى كان ﷺ يستوضحهما، فهو لا يريد أن يرفع صـوته حتى لا يحبط عمله، والآية أوضـحت ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٣الحجرات).

أما الآخرين فالآية تقول فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (٤الحجرات) هم ليسوا بعقلاء ولا حكماء، ومن هنا استنبط الصـالحون أن مجالس الصـالحين يجب أن يكون الحديث فيها خافتاً وهادئاً ورزيناً كما علَّم الله ﷻ المؤمنين في الحديث مع سيد الأنبياء والمرسـلين ﷺ ... هل يصِّح أن يحدث خلاف بين اثنين عند أحد الصـالحين، ويرتفع صـوتهما؟!! هذا خرق للأدب، لأن التنازع ممنوع، فقد قال ﷺ:

{ لا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ }[٢]

---

٢ البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ

نتنازع في الخارج، فإذا دخلنا عند الرجل الصالح نسلِّم له ونقول: سمعنا وأطعنا ولو على الرقاب، فهذا هو الأدب الذي علَّمه الله للمؤمنين، وكان عليه السلف الصالح أجمعين

وهذا معنى من المعاني، فيتكلم بصوت خافت، وإذا أحسن، وكان صاحب حظٍّ أفضل: ﴿ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً ﴾ (١٢المجادلة) فلا بد أن يقدم صدقة قبل أن يتكلم مع حضرة النبي، أو مع وارث حضرة النبي ﷺ، والله لم يقُل كلاماً ولكن مناجاة، ومناجاة يعني كلام خافت وبتضرع وبخشوع وبخضوع، فيكون فيها شيء من الذلة، وشيء من المسكنة، لأن هؤلاء محل نظر الله ﷻ في الأرض.

المعنى الثاني: إذا نادى الرسول علينا فلا يكون كأي إنسان ينادي علينا، فسيدنا رسول الله ﷺ كان عندما يرسل المنادي ينادي ويقول: هلموا إلى رسول الله، فكان كل واحد يترك ما في يده ويخرج، وأنتم تعرفون الرجل الذي كان في ليلة زواجه، ونام مع زوجته، وسمع المنادي ينادي للجهاد، فلم يغتسل وقام مسرعاً لإجابة المنادي، حتى لا يتأخر عن نداء رسول الله، وذهب إلى المعركة واستُشهد، فأراد ﷺ أن يبين منزلته، فقال:

{ إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ }[3]

كان ﷺ عندما ينادي عليه أي أحد من الأمة ســواء رجل أو امرأة يرد عليه ويقول: لبيك، أي إطاعة لك بعد إطاعة، لكن الآن لو نادى عليك أحد تقول له: ماذا تريد؟! وهل هذه أخلاق الإسـلام؟! وهل هذا ما علَّمه لنا نبي الإسـلام؟!.أهل الإسـلام أهل الذوق الرفيع، والأدب البديع، الذي أنزله الله على يد الحبيب الشفيع ﷺ، فكان ﷺ يقول: لبيك، وكان أصحابه أيضاً عندما ينادي رسول الله على أحدهم يُلبي على الفور، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ، قَالَ:

{ كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ)؟ }[4]

يعني من ينادي عليه النبي وهو في الصـلاة يجب أن يُسـلِّم ويخرج من الصـلاة لكي يُلبي نداء الرسـول، وقد استنبط منها العلماء العاملون أن الإنسـان لو كان يُصـلي في البيت ونادته أُمُّه أو أبوه، فإذا كانت نافلة يقطعها ويلبي ندائهما، لأنها سُـــنَّة وتلبيتهما فريضة، والفريضة مقدمة على السُنَّة، وإذا كانت صلاة فريضة يرفع صوته ليعرفا أنه يُصـلي، فإذا لم يسمعاه يُسـلِّم ويجيبهما، ثم يُعيد الصـلاة بعد ذلك، خوفاً من أن تتغير قلوبهما.

---

٣ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن الزبير ﷺ
٤ صحيح البخاري وسنن أبي داود

فأخطر ما يتعرض له المرء في هذه الحياة أن يتغير قلب الأب أو الأم نحوه، والقلب عندما يتغير من الجائز أن لا تشعر، لكن لا بد أن يكون للإنسان في قلبه دائماً خطاً حرارياً واصلاً بينه وبين قلب الأب، وواصل بينه وبين قلب الأم، فتستشعر دائماً مشاعرهم نحوك، هل هما راضين أم غاضبين عنك، فلا بد وأن تشعر بهذه المشاعر لقوله ﷺ:

{ رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ }[٥]

ولا يجوز أن أقطع أمراً مهمّاً في حياتي إلا بعد استئذانهم، أريد أن أتزوج، أو أريد السفر، أو أي أمر، فلا بد أن يكون بإذنهم، فقد ورد أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ له:

{ هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ، قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ: أَذِنَا لَكَ، قَالَ: لا، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلا فَبِرَّهُمَا }[٦]، وقال ﷺ: { جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ }[٧]

اجلس معهما وجاهد في طاعتهما، وشبابنا يحتاج إلى هذه الآداب الإسلامية العالية، والتي علَّمها لنا رسول الله ﷺ، والتي كان عليها السلف الصالح رضوان الله عنهم أجمعين.

---

٥ جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فنداء الرسـول لنا، ودعاؤنا الرسـول لنا ليس كدعاء أي إنسـان، وكذلك الأمر فدعاء مشايخ التربية، ودعاء الكُمَّل، عندما ينادي عليَّ لمصلحة فهي مصلحة لي أنا، فلا بد أن أسـتجيب فوراً ولا أجعله كدعاء أي أحد آخر، وخاصـة أن هؤلاء الأقوام خصَّـهم الله ﷻ بما لم يخُصَّ به غيرهم من الأنوار الكاشـفة، والعلوم الإلهية الوارفة، والأحوال النبوية العالية، وهناك أمورٌ يستطيع كشـفها لنا لأننا نتحملها، وأمورٌ يرمز لها لنا لأننا لا نسـتطيع أن نتحملها، ولو سـألناهم كشـفها ما كشـفوها لأننا لن نتحمَّل وقعها، مع أنها في الحقيقة في مصلحتنا وفي منفعتنا.

المعنى الثـالـث: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ دعـاء حضـرة النبي غير دعائنا، إذا دعا لأحد، أو دعا على أحد، فهل دعاؤه كدعائنا؟ لا، لأن دعاؤه مُجاب على الفور، فقد كان ﷺ إذا دعا فدعاؤه لا يُردُّ.

رجلٌ أنشد شعراً فأعجب النبي ﷺ، فقال له ﷺ:

{ أَحْسَنْتَ لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ }[8]

فعاش هذا الرجل حتى زاد عمره على المائة سـنة ولم ينكسـر له سـن، لأن حضرة النبي دعا له .. وطلبت السيدة أم سليم من حضرة النبي أن يدعوا لابنها أنس، فقال ﷺ:

---

8 **كشف الأستار ودلائل النبوة للبيهقي عن قيس بن سعد رضي الله عنه**

{ اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ }[9]

فعاش سـيدنا أنس بن مالك أكثر من مائة سـنة، وكان أولاده وأحفاده أكثر من مائة، لأنها دعوة حضـرة النبي، وكانت له حدائق في البصـرة تُثمر في العام مرتين، وهذا بفضل الله وبإكرام الله وبدعوة سيدنا رسول الله.

وهذا مجال واسع، فكم من دعوة استجابها الله لسيدنا رسول الله، وحتى الكفار أنفسـهم كانوا يعرفون أنه إذا دعا فإن دعوته لا تُردُّ، فقد أسـاءوا إليه ذات يوم فهمَّ أن يدعو عليهم، فمنهم من أسرع فاختبأ، ومنهم من لم يستطع فنام على الأرض، حتى لا يقع نظره عليه، وكان بينهم أبو جهل، فسألوه:

لم فعلت ذلك؟ فقال لهم: أنتم تعلمون أن دعوته لا تُردُّ.

فدعوة حضرة النبي إن كانت لنا، أو على أعدائنا لا تُرد، لأن دعاؤه ليس كدعاء أحدنا أبداً.

---

[9] صحيح البخاري ومسند أحمد عن أنس ﷺ

التحذير من مخالفة الرسول ﷺ

ثم بيَّن الله ﷻ عاقبة هؤلاء الذين يتسللون مختفين ولا يستأذنون ببيان تنشق له شُمُّ الجبال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ من الذي يُحذِّر؟ الله، وانتبهوا: ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

ولو فتشنا في المعاصرين والسابقين تجد كل هذا الأمر موجود ومشهود، والقصص في هذا كثير، فمن يفارق الجماعة لشهوة نفس، أو حب ظهور، أو رغبة في الشُهرة، أو رغبة في السُمعة، أو رغبة في جمع الأموال، أو رغبة في بعض الشهوات .. كل هؤلاء يصيبهم كما قال الله ﷻ: ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .. حذَّر الذين يخالفون من أمرين شديدين؛ الفتنة والعذاب الأليم، والفتنة تصيب الإنسان في نفسه أو في ماله وهذه هينة، لكن المصيبة الأعظم إذا كانت الفتنة في دينه، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين، خاصة ونحن في عصر الفتن التي قال لنا سيدنا رسول الله ﷺ فيها:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ }[10]

في هذا العصر كأن السماء تمطر فتناً، يعني فتنٌ بغير حساب، وما الذي يحمي الإنسان من هذه الفتن؟ الاستعصام والاستمساك بقوة بالصادقين الذين أثنى عليهم رب العالمين، وقال فيهم في قرآنه الكريم: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ (٢٣الأحزاب) وهؤلاء عُرضت لهم الدنيا فأبوها، وعُرضت عليهم المناصب فرفضوها، وعُرضت عليهم الشهوات فقاطعوها، لأنهم لا يريدون من الله إلا وجه الله ﷻ.

ونحن كل واحد منا معه بصيرة ولو قليلة، ويرى، فإذا كان هناك من يغُشك فلا تغُش نفسك، لأنك تصحب الصالحين، ومن يصحبهم يأمن من هذه الفتن: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام) وهذه شهادة رب العالمين ﷻ .. وحذَّرهم أيضاً من العذابٌ الأليم، ولا يوجد عذاب للمحبين، ولا للسالكين، ولا المريدين أشد من عذاب القطيعة عن الله، أو الحجاب عن مشاهدة أنوار الله، أو الصدود والاعراض عن ذكر الله وعن تلاوة كتاب الله، أو المخالفة للصالحين من عباد الله .. ولا يوجد عذابٌ أشد من هذا، فهو عين العذاب الأليم في الدنيا، وهذا عذابٌ ليس بهيِّن، ولكنه على أهله عذابٌ بيِّن، نسأل الله ﷻ أن يحفظنا منه أجمعين.

---

١٠ معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه

مراقبة الله

ثم ختم الله ﷻ هذه الآيات المباركات بأمر يجعل الإنسان المؤمن يراقب الله في الحركات والسكنات، والحروف والألفاظ والكلمات في كل الأوقات، وفي كل الجهات: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كل ما في السماء وما في الأرض وما تحتهما وما فوقهما وما بينهما .. كل هذا لله ﷻ يُصرِّفه كيف يشاء، ويفعل فيه ما يشاء، ولا يستطيع أحدٌ أن يُحرك شيئاً إلا بإذن الله جل في عُلاه، وأمره سبحانه وتعالى بين الكاف والنون: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس).

﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ فكل أحوالك يراها الله، وكل الخواطر التي تمر في صدرك يطَّلع عليها، وكل الحركات والسكنات التي تفعلها وأنت في تمام يقظتك أو في نومك أو في غفلتك يعلمها الله ﷻ ويسجلها، وكل حركة بلسانك ولو للفظ غير كامل يسمعه الله، لأنه ﷻ سيتولى حسابنا يوم لُقياه إذا عُرضنا عليه جل في علاه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق).

محاسبة العبد لنفسه

ونرجع في يوم: ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ إذا تذكَّر الإنسـان هذا اليوم، وعلم: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ (٨العلق) ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم) وسـيأتيه يومٌ سيحاسب على كل ما قاله أو فعله، سيضبط الإنسان نفسه، ويمشي على الجادة، ويستقيم على المنهج الإلهي.

ومن الذي مشى على هذا المنهاج؟ الصالحون وأتباع الصالحين من السالكين والمريدين والمحبين، ضابط نفسه على الدوام لأنه يعرف أن هناك حساب ولا يريد أن يطول حسـابه، ونحن كلنا نطمع يوم الدين أن ندخل في قول رب العالمين: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر).

فمهما كان الإنسان محسن في أعماله، وصالحاً في أحواله، تجد المتقين خائفين من العرض للحساب، لماذا؟ لأن حضرة النبي قال للسيدة عائشة:

{ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ }[11]

كونه تعرض للمساءلة والمناقشة فهذا نفسه فيه عذاب، لأنه لا يوجد في ديوان الإنسان أو السجل أو الملف مكان يخلو من شيء سيُساء بها إذا نظر إليها مولاه، سيتهدَّل وجهه من الحياء من الله إذا اطلع عليها في مواجهته الله، فنحن لا نريد الحساب، وماذا نريد؟ نريد أن ندخل الجنة بغير حساب، ومن يدخل الجنة بغير حساب ماذا يفعل؟ يُحاسب نفسه أولاً بأول، ويضبط أموره، ويُصلح نفسه وهذه دعوة الصالحين، يريدون أن يجمعوا الفريق الذي يدخل الجنة بغير حساب.

لكن الذين يمشون على هواهم، ويريدون أن يحققوا في الدنيا مناهم، فلا شأن لنا بهم، لأنهم لا يسمعون الكلام، ويمشون على حسب مراد النفس والهوى.

لكنهم يريدون الذين قال فيهم الله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ (النساء).

[11] البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

اللهم ارزقنا مراقبتك آناء الليل وأطراف النهار، وخذ بأيدينا وثبتنا على منهج الحبيب المختار، واجعلنا في الدنيا دائماً وأبداً نسعى إلى رضاك، ونتَّقي مساخطك وغضبك يا رحمن، ووفقنا دائماً وأبداً لسلوك طريق الأبرار، واجعلنا مع المتقين في دار القرار، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا هماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا كشفته، ولا حاجةً من حوائج الدنيا أو الآخرة هي لك رضا ولنا غنىً إلا وقضيتها ويسرتها بفضلك وجودك يا أرحم الراحمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا



يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٨﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الفرقان)

٦.عباد الرحمن[1]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أكرمنا وجعلنا من عباد الرحمن، ونسأله تبارك وتعالى أن يحفظنا بحفظه، ويصوننا بصيانته، ويجعلنا داخلين في قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر) والصــلاة والســلام على سـيدنا محمد بن عبد الله، الذي أعلى الله شـــأنه، ورفع قدره وتولاه ووالاه، وجعله في الدنيا إماماً للأنبياء والمرســلين، وفي الآخرة شــفيعاً للخلق أجمعين، صــلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين ... فتح الله ﷻ لنا في هذه الآيات كنوز العنايات، فإن الله ﷻ كتب لنا مقاماتنا عنده، ودرجاتنا عنده، بهذه الأحرف النورانية في هذه الآيات القرآنية! وإن شـــاء الله كلنا بلا اســتثناء لنا فيها نصــيب ولذا كلنا من عباد الرحمن المذكورين في آخر سورة الفرقان إن شاء الله.

فعباد الرحمن ليسوا صنفاً واحداً، ولكنهم أصنافاً ذكرهم الله بأوصافهم في هذه الآيات المباركات.

---

[1] طفنيس - إسنا – الأقصر ٢٩ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٧م

أهل القرب

ذكر في البداية الصـــنف الأعلى في المقام عنده، والذين بلغوا الدرجات العُظمى في القرب من حضـــرة الله، أهل محبته، وأهل مودته، وأهل القرب من حضـــرته، وهؤلاء بدأ بهم وبيَّن أوصـــافهم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا ﴾

وهوناً يعني برفق وتواضع ولين، لم يعد في نفوسهم داء الكبر اللعين الذي بسببه طُرد إبليس من الجنة، ولم يعد في نفوســـهم تعالي على عباد الله، ولا افتخار على أحد من خلق الله، لأنهم يعلمون أن الأمر عند الله بحســـب التقوى، والتقوى محلها القلوب، والقلوب لا يطلع عليها إلا علام الغيوب: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (١٣الحجرات)

من هو التقي؟

نسأل حضرة النبي، قال:

{ التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّات }[٢]

فالتقوى في القلب، ومن الذي يطلع على القلوب؟ ليس إلا حضرة علام الغيوب، ولذلك ترى هؤلاء القوم لا يرون لأنفسهم فضلاً على أحد، ولا يرون في أنفسهم أنهم زادوا في أمر من أمور الطاعات أو العبادات على أحد، وإنما يروا الفضل كله للواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ.

---

٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

فلو أن الأمر أمر العبادات، فمن منا قد ضـــمن القبول عند رفيع الدرجات؟!! فنحن نعبد الله، لكن ليس الشـأن شـأن العبادة، ولكن الشـأن شـأن القبول، والقبول لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

والذي لا يهتم بالقبول نعتبره في دنيا العلماء جهول، ولو حصَّـل علوم الفُحول، لأنه كيف لا يبحث عن القبول من الله ﷻ؟!! .

والعبادة لله، وشرطها الدقيق الذي وضعه الله للقبول شرطٌ صعبٌ: ﴿ لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ ﴾ (٥البينة) والإخلاص شـيء صـعب جداً، يحتاج من الإنسـان أن يكون ماشـياً على الصـراط المستقيم ليكون عمله خالصـاً لله، ليس فيه شـائبة من الحظ، ولا شـيء من الهوى، ولا رغبة في الظهور، ولا رغبة في الشُـــهرة، وإنما يعمل العمل لا يريد به إلا وجه الله.

كالأحباب الذين مدحهم الله في كتاب الله في سورة الكهف وأوصى حضرة النبي ﷺ أن يُصـــبِّر نفســـه معهم، لماذا؟ ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) لا يريدون إلا وجه الله تبارك وتعالى.

فإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة يمشي بين الناس باللين والمودة والمحبة واللطف والتلطف، فلا يكون في تعامله مع الخلق قسوة ولا غلظة ولا خشونة ولا شيء من هذا القبيل، وهؤلاء الفصيل الأول في القرب من الله ﷻ، لأنهم على منهج الحبيب ﷺ:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(١٥٩آلف عمران).

الجهاد في مكارم الاخلاق

عباد الرحمن المحبوبين لله ما عبادتهم؟ التخلق بأخلاق الله، والإنطباع على أخلاق حبيب الله ومصطفاه، وهذا الجهاد الأعظم الذي يجاهدون فيه أنفسهم في هذه الحياة، يقول فيهم ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ }[٣]

يبلغ بحسن الخُلُق مع الخلق في اتباعه لأخلاق سيد الخلق أن يكون عند الله كالصائم طوال الدهر ولا يفطر أبداً، وكالقائم طوال الليالي لا ينام أبداً في الأجر والثواب.

---

٣ معجم الطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه

والناس يظنون أن الأجر والثواب على القيام والركوع والســـجود فقط، لكن الله عندما مدح الحبيب ﷺ بماذا مدحه وأثنى عليه؟ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم) مدحه بالأخلاق الكريمة.

وهل يحتاج الله لعباداتنا؟!! لا، الســـماء مكتظَّة ومملوءة بملائكة لا يفترون عن طاعة الله وعبادته لحظة ولا أقل، لكنه يريد في الدنيا خُلفاء عن حضـرته: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة) يمشـــون في الأرض وينشـــرون أخلاق الله من الرحمة والحنان واللُّطف والعطف والشـــفقة والمودة .. هذه الأخلاق الإلهية هي التي خلَّق الله بها الأنبياء والمرسلين، وإمامهم سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك قال فيهم مرة ثانية: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ لا يردُّوا على الجاهل الإســاءة بالإساءة حتى لا يكونوا مثله، ولكنهم يتعالون عن ذلك، يقولون سلاما، يعني يا رب سلِّمنا من هذا ومن شره، لأننا لا يصح أن نتنزل ونُنزل من قدرنا ونعامله بمثل ما يعاملنا به.

فالإنسان إذا ردَّ على الجاهل يكون مِثله، وسيتعرض لأكثر مما تعرض له، لكن هؤلاء علَّمهم المعلم الأعظم ﷺ أنهم يترفَّعون عن الجـاهلين، وعن الحـانقين، وعن الحاســدين، وعن المُبغضــين، وعن كل من يحاول أن يســتهزئ بعباد الله الصـــالحين المخلصين، لأن الله أعلى شأنهم فلا يلتفتون إلى أمثال هؤلاء.

وهذه تحتاج لجهاد شديد، فمن السهل أن يقوم الإنسان الليل في طاعة الله، وسهل أن يصوم الأيام المتوالية المتعددة رغبة في رضاء الله، لكن لو أن أحداً من الجاهلين قابله في الطريق وتعدَّى عليه بالكلام وخاصةً أمام الأنام، فهل يصعب عليه أن يسكت أم يسهل عليه هذا الأمر؟!! هذا الذي يحتاج للجهاد، وهو جهاد النفس، أنه كيف يجاهد نفسه لكي لا يرد على هذا؟!.

سيدنا خالد بن الوليد ﵁ وأرضاه كان رجلاً شُجاعاً، ولم يكن رجلاً عادياً، شتمه أحدهم، فماذا كان ردُّه؟ قال: اكتب ما تريد أن تملأ به صحيفتك!!.

ما تقوله سيثبت في صحيفتك التي يحاسبك عليها ملك الملوك ﷻ، وهو خائف على صحيفته ويريد أن تكون بيضاء نقية حتى ينال رضا رب البرية ﷻ.

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ومَن خلفهم من كُمَّل الصالحين وأئمة المتقين، لا يخرج من ألسنتهم كلمة عيب، ولا كلمة تؤذي أحداً حاضراً أو بالغيب، لأنهم لا ينطقون إلا بما يُرضي الله جل في علاه.

ويربأ الإنسان منهم بنفسه أن تخرج منه كلمة يبغضها الله، ويشمئز عند مراجعة الصحيفة منها سيدنا رسول الله، أفلا تُعرض أعمالنا عليه ﷺ كل ليلة؟! كل ليلة نحن ننام والملائكة تأخذ أعمالنا وصحفنا وتعرضها على الحبيب المصطفى، ويراجعها، وقال لنا:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٤]

فالجهاد الأعظم في التخلق بالأخلاق الإلهية، والإنطباع في أخلاق سيد البرية ﷺ، إن كان في بيته مع زوجه، أو مع أولاده، أو مع جيرانه، أو مع أحبابه من المؤمنين، أو حتى مع أعدائه، فالمُثل الواردة عن سيد الأولين والآخرين نعلمها جيداً.

وكان وصفُه الذي ورد في كتب الأولين ورواه سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، فسُئل: بم وُصف ﷺ في التوراة والإنجيل؟ فقال رضي الله عنهما: سيدنا رسول الله كان من أوصافه التي نزلت في التوراة:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ }[٥]

لا يقابل السيئة بالسيئة أبداً، ولكن يعفو ويصفح، وهناك روايات في هذا الباب لا تُعد، نذكر منها روايةٌ واحدة ...

٤ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فالنبي ﷺ ذهب إليه رجلٌ من اليهود في المدينة وهو زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ كان قد أقرض النبي تمراً لأجل معين، يقول هذا الرجل:{ فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: { إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ } قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ،

فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَــعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلامَاتَ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْــبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِــدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا} [٦].

لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً، فكلما زاد الجاهل في جهله كلما زاد الحبيب في الحلم، ومشى على هذه الأوصاف الكريمة والنعوت العظيمة أصحاب هذا المقام العليّ.

سيدنا الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحُسين رضي الله عنهم أجمعين، أراد جماعة أن يســتفزّوه ليختبروه، لأنهم كانوا يعلمون أن صــاحب هذا المقام لا يســتطيع أحدٌ أن يستفزّه أو يُغضبه لنفسه، ومتى يغضب؟ كما قالت السيدة عائشة في حضرة النبي ﷺ:

{ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ } [٧]

كان لا يغضب لنفسه قط، ولا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ، والله كان يدافع عنه.

---

٦ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه
٧ الصحيحين البخاري ومسلم

فسلَّطت هذه الجماعة رجلاً علي سيدنا علي زين العابدين، وأثناء عودته لبيته أخذ يشتمه، وسيدنا علي زين العابدين ساكت ولا يلتفت ولا يرد، إلى أن اقترب من بيته فوقف وقال له: يا هذا إن كان عندك شيء فهاته، حتى لا يسمعك أحدٌ من أولادي فيؤذيك، فتعجَّب الرجل، وكذلك الذين أرسلوه، لأنهم كانوا يسيرون خلفه ليروا ماذا يحدث، فقالوا له: ما هذه الأخلاق؟ فقال ﷺ:

يخاطبني السفيه بكل قُبحٍ	فأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهة وأزيد حِلماً	كعود زاده الإحراق طيباً

كعود البخور كلما زادت النار، زادت الرائحة الطيبة، ولو فتشنا في دواوين الصالحين وسيرهم وحياتهم نجدها على هذه الشاكلة، فمن أراد أن يكون من الصف الأول في القرب من رب العالمين، فهذه هي البضاعة التي عرضها علينا الله ﷻ: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

أهل طاعة الله وعبادته

ومن لم يلحق بهذا الصنف وهم أهل محبة الله ومودته، فليذهب إلى صنف أهل طاعة الله وعبادته، وهذا صنفٌ آخر من عباد الرحمن الذين يحرصون على طاعة الله في كل وقت وآن، وأعظم الطاعات التي تُقرِّب إلى الله التي كلَّف بها حبيبه ومصطفاه.

فإن الله ﷻ عندما أراد أن يرفع الحبيب ويجعل له يوم القيامة المقام المهيب، ماذا قال له؟ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩الإسراء) لا بد أن يكون لك قيام في الليل إذا كنت تريد المقام المحمود، وفي هذه المرة سنَّ عليه قيام الليل، لكنه بعد ذلك فرضه عليه، فنحن الفرائض التي علينا خمسة، لكن سيدنا رسول الله فرائض الصلاة التي عليه ستة، لأن الله قال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ (المزمل) فأصبح قيام الليل فرضاً على رسول الله ﷺ.

ومن يُرد أن يكون معه، أو يكون في درجة عظيمة مقاربة لدرجة رسول الله، فالله ﷻ أعطاه نصيباً في الآية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠المزمل)

ليس كلهم، ولكن بعضهم يكون معك، فمن يُرد أن يكون مع رسول الله فلا بد أن يكون له قيامٌ في الليل ولو ركعتين، قال ﷺ تخفيفاً عن أمته:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[8]

ركعتين اثنتين فقط، هل ذلك صعب؟!! لا، ولكن نحتاج فقط إلى جُرعة توفيق من الموفق ﷻ، فالكثير يستيقظ قبل الفجر بساعة أو أكثر لأن الليل طويل، ويتقلب يميناً وشمالاً، ويبخل على نفسه بركعتين حتى لا يوضع في ديوان: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥الأحزاب).

فلا بد أن يكون للمؤمن نصيب من قيام الليل، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ لا بد أن يكون لهم قيام من الليل، وهؤلاء العُبَّاد الذين يريدون اللحاق بسيد العباد، ويكونون معه في الدرجة والمقام إن شاء الله، قال ﷺ:

---

[8] سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

{ بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[9]، وقال ﷺ:

{ يَا أَيُّهَا الناسُ ، أَفشوا السلامَ وأَطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ }[10]

فسيكونون من المشاهير الذين يباهي بهم الحبيب، والذين سيرفع الله شأنهم ويُعلي قدرهم بين الأنام.

السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها كانت تصلي كل ليلة ألف ركعة، فسُئلت: لماذا تصلي ألف ركعة؟ هل تريدين الجنة؟ قالت: لا أعبده خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، قالوا: فلماذا تصلي ألف ركعة كل ليلة؟ قالت: حتى يتباهى بي رسول الله ﷺ يوم القيامة ويقول للأنبياء والمرسلين: إن في أمتي امرأة فعلت ما لم يفعله رجالكم.

انظر إلى نيتها، تريد أن يتباهى بها رسول الله هناك ويقول للأنبياء كلهم أنا عندي امرأة أفضل من رجالكم في طاعة الله وعبادة الله جل في عُلاه.

وقت الفتوحات الذي يترقبه الصالحون، والذي فيه تنزلات وأنوار وأسرار وإلهامات ومكاشفات رب العالمين، يكون في وقت السحر، والذي يكون قبيل الفجر بساعة.

٩ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن بريدة بن الحصيب ﷺ
١٠ سنن الدارمي عن عبد الله بن سلام ﷺ

صحيح أن قيام الليل يبدأ بعد صلاة العشاء، يعني من لم يستطع أن يقوم في آخر الليل فلا مانع أن يصلي بعد صلاة العشاء أربع ركعات أو ركعتين، حتى يكون له نصيب في قيام الليل، لكن وقت التجلي يكون في وقت الأسحار الذي يقول فيه حضرة النبي:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ الله ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[11]

الغني هو الذي ينادي على الفقراء، في أوقات التجليات التي بيَّنها الله سبحانه وتعالى لنا، ومن يُريد أن يكون من هؤلاء الأقوام فلا بد أن يكون له نصيب من قيام الليل في جُنح الليل والناس نيام، ليلحق بالحبيب المصطفى ﷺ في هذا المقام.

الخائفون من جلال الله

فإذا لم يدرك المؤمن أن يكون مع العُبَّاد، عليه أن يدخل في الصنف الثالث من عباد الرحمن، وهم الخائفون من جلال الله، والخائفون من قهر الله، والخائفون من عذاب الله، لأنهم موقنون بأن الله جل في عُلاه فعَّالٌ لما يريد، فدائماً يدعوه وينادوه ويقولون:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ يقولون: يا رب أجِرنا من النار، والحبيب ﷺ يسَّر لنا هذا الأمر وأعطانا دعاءًا سهلاً وبسيطاً فقال:

11 مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ، كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَكَ جِوَارًا مِنَ النَّارِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تِلْكَ، كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَكَ جِوَارًا مِنَ النَّارِ} [12]

ولذلك سيدنا رسول الله أمرنا أن نحرص على هذا الدعاء في الصباح وفي المساء، وهو دعاءٌ سهل جداً، فيقول: (اللهم أجرنا من النار) سبع مرات، لأن جهنم لها سبعة أبواب ولكل بابٌ منهم جزءٌ مقسوم، فسبع مرات حتى لا يدخل من أي باب من هذه الأبواب، فتُسدُّ كلها أمام الإنسان.

وفي حديث آخر قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَ بِي مِنْ حَرِّكِ فَاشْهَدِي أَنِّي أَجَرْتُهُ، وَإِنْ كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ بَرْدَ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدِ اسْتَجَارَنِي مِنْ زَمْهَرِيرِكِ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ } [13]

---

١٢ مسند أحمد والطبراني عن مسلم بن الحارث ﵁

١٣ عمل اليوم والليلة لابن السني عن أبي سعيد الخدري ﵁

فعندما يسأل الله العبد الإجارة من النار، فإن الله سبحانه وتعالى -وهو مقلب القلوب، وبيده ألواح الغيوب - يوفق العبد للبعد عن المعاصي، ويحفظه من الفتن والمخالفات، ويقيمه في العبادات والطاعات لينال هذه الدرجة التي يرجوها عند رب البريات ﷻ.

وكلنا هل يستطيع أحدٌ منا أن يحفظ نفسه من المعاصي بنفسه؟ أبداً إلا إذا تفضل عليه المتفضل ﷻ، ولا أحد منا يستطيع أن يعبد الله إلا بمعونة الله، فلو تخلَّت عنا معونة الله طرفة عين، فمن منا يستطع أن يعبد الله ﷻ؟!!.

هل يستطيع أحدٌ أن يُحرك اللسان بذكر الرحمن إلا إذا أراد الله ﷻ له ذلك؟! لا، وإلا سينسى الذكر، ويصبح الذكر ثقيل عليه، ويدخل في الذين يقول فيهم الله: ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١٤٢النساء).

فهؤلاء القوم يسألون الله الإقالة من النار وعذاب النار، وعذاب النار كما قالوا في الآية: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ يعني: لزاماً، أي لا بد منه لمن يرتكب المعاصي ويخالف الله ﷻ.

ثم يســـتطردون فيقولون: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ لا تصـــلح أن أن يُقيم فيها المؤمن، إلا أن الله ﷻ قد يُنزلنا فيها قليلاً لنتجول فيها، والله وعدنا بذلك، فبعد أن ندخل الجنة يريد الله أن يُشـــهدنا النعيم الذي أكرمنا به، فيأخذنا إلى النار، ويأمر النار أن لا تصنع شيئاً في المؤمن يؤذيه، فعندما يسير المؤمن كما قال النبي ﷺ:

{ تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي }[١٤]

تقول النار للمؤمن: أســـرع يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، وهذا ما نريده، أن لا ندخل إلا بهذه الهيئة.

لكن - والحمد لله - نحن دائماً وأبداً ندعوا الله أن يجنبنا العثرات، وأن يحفظنا من المعاصي والمنكرات، وأن يُدخلنا الجنة، وأن يُجيرنا من النار أجمعين ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الانفاق والمنفقون

ومن كان خائفاً فلا بد أن يكون له عملاً آخر يلزمه لكي يكفِّر الله عنه الذنوب والأوزار، وهو:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

---

١٤ رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي

وهذه الآفة الخطيرة التي وقع فيها الناس في زماننا هذا:

- على أنفسهم يسرفوا في الإنفاق ..
- وعند الخير تجد التقطير والبُخل والشُح !!
- تقول له: هات يا فلان، يقول لك: ليس معي شـــيئاً، ويقول لك: ما يحتاجه البيت يُحرم على الجامع!!، من أين أتيت بهذه الكلمة الشيطانية؟!! أنت الذي تحتاج، والجامع غير محتاج!!.

ما الذي يكفِّر المعاصي والخطيئات؟

الإنفاق في ســبيل الله، والتصــدق على المحتاجين والفقراء من عباد الله جل في عُلاه، وأي إنسان يحتاج دوماً إلى تكفير الذنوب، لأنه لا يخلو إنسان من الذنوب ومن العيوب، وأحسن باب لذلك هو الإنفاق فيما يحبه حضرة علام الغيوب ﷻ.

والإسـراف هنا يعني الإنفاق في الشـر، فلو أنفق الإنسـان قرشـاً واحداً في الشـر فقد أسرف، ولو أنفق ماله كله في الخير لا يكون مسرفاً ولا مبذراً، فقد ورد في الأثر:

(لا خير في السرف ولا سرف في الخير)

دعا النبي الصحابة للتبرع فجاء سيدنا أبو بكر بكل ما يملك فقال ﷺ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ هَذَا مَالٌ كَثِيرٌ، فَمَا تَرَكْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[15]

لم يقُل له اترك لهم النصف أو الربع، ولم يقُل له هذا غير صحيح، لأن الله أخذ علينا العهد أجمعين في كتابه المبين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (١١١التوبة).

وكان ﷺ يبدأ بذاته، فقد ذبح ذبيحة، وأمر السيدة عائشة رضي الله عنها أن توزعها وخرج، وبعد أن عاد قال لها:

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلا كَتِفُهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا }[16]

الذي ذهب إلى خلق الله وعباد الله فهذا باقي عند الله، وما ادخرتيه لتأكليه فليس له نصيبٌ في البقاء.

فالإسراف هو إنفاق الأموال فيما لا يحب الله ﷻ ولا يرضاه، فمن يُنفق الأموال في المخدرات فهو يشتري جهنَّم - والعياذ بالله - بأمواله، ومن يُنفق الأموال في شراء الخمر فهو يشتري جهنَّم والعياذ بالله، ومن يُنفق الأموال في الألعاب التي فيها شيء من القمار فهذا يشتري جهنَّم ... فهذا لو صرف قرش واحد فقد أسرف، لأنه وضعه في غير محله.

١٥ فضائل الصحابة لابن حنبل، وتاريخ دمشق لابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
١٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

لكن من يُنفق ماله كله ويذهب ليحُج بيت الله فيا هناه لأنه أدَّى فريضة الله، وأنفق المال فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه.

وهكذا جماعة المؤمنين الإنفاق هو الفريضـــة الغائبة التي يبحث عنها المؤمنون في كل وقت وحين، لأنه الباب الأعظم لمحو الذنوب، وســـتر العيوب، وجلب محبة ورحمة حضرة علام الغيوب ﷻ.

التوبة النصوح

أما المؤمنون الذين خلطوا عملاً صـــالحاً وآخر سـيئاً، فهؤلاء أيضـــاً فتح الله ﷻ لهم الباب إذا تاب الرجل منهم وأناب، وجعلهم من عباد الرحمن:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾

لا يقعون في هذه الكبائر، وحفظوا أنفســـهم من هذه الكبائر، وظلوا على طاعة الله مديمين، وعلى سُـنَّة الحبيب ﷺ ســائرين، هؤلاء ضــمن الله ﷻ لهم أن يكون لهم نصيبٌ في أن يكونوا من عباد الله ﷻ.

ومن يقع في هذه الأمور: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ ليس إثماً واحداً ولكن آثاماً كثيرة في الدنيا والآخرة.

ففي الآخرة: ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ سـينال أضـعافاً مضـاعفة، لأن عذاب من يعلم ليس كعذاب من لا يعلم، فالرجل العالم إذا وقع في الذنب غير الجاهل، فالعالم عقابه مُضاعف لأنه عارف.

حتى نسـاء النبي لم يسـلمن من هذا الأمر لأنهن عارفات، قال لهن الله: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ (٣٠الأحزاب) من تقع منكن في ذنب يضـاعف لها العذاب ضـعفين، لماذا؟ لأنها عارفة، فمن عرف يكون عذابه أشد، ولهذا لا بد أن ينتبه.

والمصـيبة الأشـد أنه إذا لم يتُب قبل موته ربما يخلد في هذا العذاب، نسـأل الله الإقالة من ذلك أجمعين: ﴿ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحًا ﴾ وهذا الباب العظيم الذي فتحه حضرة التواب ﷻ، عن ابن عباس رضي الله عنهما:

{ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا، وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا، وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: " وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ "، وَنَزَلَ: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" }[17]

أنزل الله ﷻ هذه الآية لهؤلاء وأمثالهم؛ أن باب التوبة مفتوحٌ على الدوام، ولكن العاقل الذي يُعجِّل التوبة ولا يؤخِّرها ويقول: غداً، أو بعد غذ، أو في أول رمضان، لأنه لايعلم متى يُلبي نداء الله، فالمؤمن حريص على تعجيل التوبة ولا يُسوِّفها أبداً حتى يكون جاهزاً للقاء الله ﷻ.

إذا تاب وأناب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً، وهذه هي التوبة النصوح، والتوبة النصوح شرطها أنه يتوب أي يرجع عن العمل يعمله والذي يُغضب الله، ويعمل مكان الذنب عملاً صالحاً لله سبحانه وتعالى لإثبات حُسن توبته، وحُسن نيته، فإذا فعل ذلك فإنه يتوب إلى الله متاباً.

---

17 البخاري ومسلم

هؤلاء القوم وهم عباد الرحمن جاء بهم الله سبحانه وتعالى ليفتح الباب لأمة حبيبه ﷺ على الدوام:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ إذا واصل المؤمن التوبة وداوم على العمل الصالح ولم يرجع إلى الذنوب، فإن الله يجعل مكان كل ذنب حسنة، فضلاً من الله، وإكراماً من الله للعبد الذي تاب إلى الله جل في عُلاه.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده التائبين، الواقفين على بابه دائماً وأبداً آملين في فضله، طامعين في محض رحمته، وأن ينزِّل لنا الخيرات، ويقيمنا دوماً في الطاعات، وأن يجعلنا من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الفرقان)

٧.أنواع عباد الرحمن وصفاتهم[1]

سنتناول هذه الآيات الكريمة من آيات الله جل في عُلاه، بطريقة أُخرى غير التي تناولناها بها في الدرس السابق، فقد فصَّلنا أنواع عباد الرحمن الذين ذكرهم الله في هذه الآيات، وذكر أوصافهم ونعوتهم والأعمال المحببة التي ينبغي عليهم أن يقوموا بها لينالوا رضاء ربهم.

وقلنا أنهم أربعة أصناف: أهل محبة الله، وأهل الطاعة والعبادة لله، وأهل الرهبة والرغبة في جلال الله وإكرام الله، وأهل الإيمان العام الذين قد يتعرضون لسقطات النفس وهفواتها ففتح لهم باب التوبة الله جل في عُلاه.

ولا يوجد أحدٌ من المسلمين خارج هذه الأصناف الأربعة .. فكلنا داخلون في عباد الرحمن .... من يُريد أن يكون من عباد الرحمن بصدق ويقين، ويكون له الهناء العالي الذي ذكره الله في آخر هذه الآيات وخصَّ به المقربين، فإن الله جعل له طريقاً للسير إلى الوصول إلى ذلك، والطريق إجماله التخلي والتحلي، لا بد أن يتخلى عما لا يحبه مولاه، ويتجمَّل ويتحلَّى بما يحبه حضرة الله.

---

[1] طفنيس ـ إسنا ـ الأقصر ٢٩ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٧م

إشارات رحمانية

ومن عجب أن الآيات بدأت عكس ما نتوقع، فدائماً نطالب السالك أن يتخلى لكي يتحلَّى، ولكن رب العباد بدأ بأوصـــاف التحلي، لماذا؟ لأن العبد إذا أقبل على مولاه بشـــغف لا تخطر على قلبه الذنوب، ولا يُفكِّر في الوقوع في العيوب، فشـــدة شـــوقه لمولاه يُغطي على النفس الأمارة بالسوء، ويجعله يسارع إلى التجَّمل الذي يحبه مولاه جل في عُلاه ... فبدأ الله ﷻ بآيات التحلي: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ هينةً نفوســـهم، لينةً قلوبهم.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ العفو والسماح، وأهل السماح ملاح، فلا يطمع أحدٌ أن يكون من عباد الرحمن ومن أهل خصوصية الصالحين، ويحمل في قلبه أضـغاناً لغيره، لأنه مشـغول عن هذا الأمر، فمن يملأ القلب بالأضـغان فليس له شأن بالوصول إلى مقام عباد الرحمن.

فالقلب جعله خالصـاً لمولاه، وأخذ العهد على نفسـه أن لا يُدخل فيه شـيء سواه جل في عُلاه، فهذا العهد الذي بيننا وبين الله.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ ثم يقوم العبد بالعبادات لتهذيب النفس وتصــــفيتها، وترقية القلب والفؤاد، وهؤلاء يقول فيهم الصـــــالحون: (من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة) إذا كانت البداية شديدة، والعزيمة قوية، فلن يُفكِّر العبد في المعاصي، أو يلتفت لهذه الأمور، لأنه يريد بلوغ المراد سريعاً.

وإذا صنع الطاعات، فإنه يتلذذ بالخدمة، ويتذوق حلاوة الطاعة، قال ﷺ:

{ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولا }[٢]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ ﴾ جهنَّم بالنســـبة لهم هي القطيعة بينهم وبين حضـــرة الله، أو البُعد عن الطريق الذي يوصِّل إلى رضاه، أو الصدود عن ذكر الله، وعن تلاوة كتاب الله، يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

أنــا لا أخــاف وحــقــه مــن نــاره ... كــلا ولا أبـغـي الـجـنـان لـطـيـبـهـا
فــالـقـرب مـنــه جـنـتـي ومـحـاســـنـي ... والـبـعـد عـنــه نـاره ولـهـيـبـهـا

فهذه جنة الصـــالحين والعارفين، وهذه نار الصـــالحين والعارفين، والعذاب في الحب هو الغرام في المحبوب عز وجل:

٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

نار الغرام كم أذابت مهجتي وأخوا المحبة لا يميل لغيرها
قسماً بمن أنا فيه ميتٌ مغرمٌ لو فُتِّحت أبوابها لقفلتها

قيل لأحد العارفين: لو أُطفئت نار جهنَّم كيف يُوقدها الله ﷻ؟ فقال: يُسلِّط عليها شرارة من نار محبة أحبابه فتُؤجِّجها ... نار المحبة سعيرها يُفني الهوى، لا يوجد شيء يُفني الأهواء الموجودة بالداخل، وتُدمِّر الأغيار، وتجعل القلب مؤهلاً للأنوار والأسرار، إلا نار المحبة للحبيب المختار وللعزيز الغفار ﷻ.

قيمة الأنفاس

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ۝٦٧ ﴾ والذين إذا أنفقوا أوقاتهم وأعمارهم وأنفاسهم، فهذا أعظم الإنفاق، فلا يضيِّعوا الأنفاس فيما يباعد بينهم وبين رب الناس.

أغلى شيء تملكه في الدنيا ليس المال، ولكن الأنفاس التي تتنفسها، لأن المال يذهب ويجيء، ولكن النَفَس الذي يمر لا يرجع مرةً ثانية، فلا يوجد شيء أغلى من هذه الأنفاس، وأنفاسك هي نفائسك، ولذلك السالك في طريق الله لا يضيّع نَفَساً إلا في رضا مولاه جل في عُلاه، لأنك لن تستطيع أن تأتي به مرةأخرى.

المال الذي يضــيع اليوم قد تأتي بغيره غداً، لكن الأنفاس التي تمر لن تأتي بها مرة أخرى، ولذلك قال لنا الله: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٢٦الإسـراء) لا تبذر في عمرك وأنفاسك، وماذا في العمر؟ جلسة هنا، وجلسة هناك، ويوم هنا، ويوم هناك، فما يبقى من العمر؟!!.

فأنفاسـك نفائسـك، وهذه التي تحرص عليها، وإسـرافها يعني إنفاقها في الغفلة، وإنفاقها في جلسـات البعد عن الله، وإنفاقها في اللهو واللعب، وإنفاقها فيما لا يُرضـي الله جل في عُلاه .. كل هذا إضـاعة للأنفاس، ولا يسـتطيع أحدٌ أن يعوضـها، لكن الصالحين كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

فـي كـل نـفـسٍ لـهـم نـورٌ يـواجـهـهـم	من حضـرة الحق ترويحـاً وتيقينـاً
والـعـارف الـفـرد مـحـبـوبٌ لـخـالـقـه	فـات الـمـقـامـات تـحـقيقـاً وتـمكينـاً
يمشـي على الأرض في ذُلٍّ ومسـكنـةٍ	هـام الـمـلائـك شـوقـاً فيـه وحـنينـاً
مـعـنـاه غـيـبٌ ومـبـنـاه مشـاهـدةٌ	والـفرد معنى وليس الـفرد تكوينـا

يمشي في ذل لله، لكنه عزيزٌ على خلق الله، هذا الفرد من الذي يعرفه؟

لا يـعـرف الـفـرد إلا ذو مـواجـهـةٍ	صـفـا فصـوفي فـأحيـا النهج والـدين

هذه هي الجمالات التي يتحلى بها أهل القرب، وهؤلاء ينبغي أن لا يخطر على بالهم بالكلية الرذائل والمعاصـي التي ينبغي أن يتخلى عنها سـواهم، فأهل الإيمان ينبغي عليهم أن يتخلوا عن هذه البضاعة.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ لا بد وأن يصل إلى حقيقة التوحيد والتفريد للحميد المجيد ﷻ:

﴿ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ ليس لهم شأنٌ بطريق القتل، والقتل الذي هو بالحق، والذي قال فيه ﷺ:

{ لا يَحِلُّ قَتْلُ مُسْلِمٍ إلا فِي إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ: زَانٍ مُحْصَنٍ، فَيُرْجَمُ، وَرَجُلٌ يَقْتُلُ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا، فَيُقْتَلُ، وَرَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ الإِسْلامِ، فَيُحَارِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَيُقْتَلُ، أَوْ يُصْلَبُ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الأَرْضِ }[3]

هؤلاء هم الذين يُقتلون، وليس نحن من يقتلهم، ولكن يقتلهم الحاكم بعد حُكم القضاء، لكن ليس متاحاً لنا أن ننفذ الأحكام إلا على أنفسنا.

وما المتاح لنا في القتل؟ قتل النفس الإبليسية، والنفس الأمارة، والنفس الحيوانية، والنفس الشيطانية التي بداخلنا: ﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (٥٤البقرة) يعني امنعوا

٣ سنن النسائي والدار قطني عن عائشة رضي الله عنها

عنها سرَّ حياتها، فحياة النفس بالمعاصي والغفلات والبعد عن الله ﷻ:

كم حســنَّت لـذةً للمرء قـاتلـةً من حيـث لا يـدري أن السُـم في الـدسـم

وكيف أقتل النفس؟ أمنع عنها الشــهوات، وأمنع عنها الملذات والمســتحســنات التي فيها حياتها، والنفس هي شيء معنوي، وحياة النفس كما قيل:

والـنفس شـــهوة مطعم أو مشـــرب أو ملبس فـاحـذر بهـا الـداء الـدفين

فماذا أعطيها؟ ما أباحه الشرع:

إلا الضــــرورة فـالإبـاحـة إن دعـت فيهـا الضـــرورة فـأطلبنهـا من معين

إلا الإباحة فاطلبنها من معين، والمعين يعني الحلال، ما تريده أُعطيه لها وأقلل، فإذا جاعت، لا أُعطيها حتى تشبع، لأنها إذا شبعت تمردَّت، وستطلب المعاصي على الفور، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في الأثر الوارد عنها: (أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع، إن الناس لما شبعت بطونهم، جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا).

فالنفس تطلب الدنيا والشهوات والأهواء، لكنها تحتاج إلى المنهج النبوي:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[٤]

جهاد شــاق، لكن من يُريد الدكتوراه في معرفة الله يســتســهل المشــاق، لكن من يريد أن يسمن جسمه، فهو بذلك يُكثر الوليمة للدود في القبر، لكنك إذا أردت الدكتوراه في معرفة الله يجب أن تمشــي على منهج حبيب الله ومصــطفاه، لا تأكل حتى تجوع وإذا أكلت لا تشبع.

٤ زاد المعاد والبداية لابن كثير

فإذا فعلت ذلك تستريح جسدياً ولن يأتيك المرض، وتستريح قلبياً وروحانياً لأنك ستكون في حياة روحانية دائمة مع الله جل في عُلاه، ومع الحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ والزنا - نسأل الله ﷻ أجمعين الحفظ منه - هي الجريمة الكُبرى العُظمى التي جعل الله ﷻ فيها حُرمات لا تُعد ولا تُحد، ونحن ليس لنا شـأن بالزنا والحمد لله، ولكن نريد أن نسُدُّ بابه، والذي قال لنا فيه سيدنا رسول الله:

{ فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلانِ تزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ، وَالْفَمُ يَزْنِي، وَزِنَاهُ الْقُبَلُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ }[٥]

العينان زناهما النظر، وهي الجريمة التي يقع فيها الكثير، واليدان زناهما اللمس لإن كان في المواصـلات المزدحمة وغير ذلك، ليلمس بيده هذه أو تلك فهذه جريمة، وأنتم تعرفون أن سـيدنا عثمان عندما دخل عليه رجل كان قد نظر إلى امرأة كشـف الريح عن سـاقها، فعندما دخل عليه قال: أما يسـتحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا؟! فقال له الرجل: أوحيٌ بعد رسـول الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكنها فراسة المؤمن، قال رسول الله ﷺ:

٥ مسند أحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[6]

فمن يُريد أن يصـــل إلى مقام الفراســـة فلا بد له أن يحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ويتذكر الموت والبِلى، وكان الصالحون يقولون: ((متلفت لا يصل أبداً)) الذي يتلفت هنا وهناك، وينظر في المناظر هنا وهناك، فكيف يصل؟!!.

أليس لنا أُســـوةٌ في الحبيب؟ رأى الجمال الذي ليس بعده جمال، جمال الجنات، وجمال الملكوت، وجمال العرش، وجمال العوالم الرحمانية، والعوالم الإلهامية ... ومع ذلك لم يؤثر فيه شـــيئاً من هذا الجمال، ولم تطرف عينه، لأنه يريد الجمال الأعظم: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) وما النتيجة؟ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (١٨النجم) رأى لأنه حرس حواسه الظاهرة والباطنة.

فمن يُريد أن يصـــل إلى مقام الوراثة، وينال هذه الوراثة، أو مقام الكشـــف والعيان، لا بد أن يحفظ هذه الجوارح والأركان من النظرات التي نهى عنها حضـــرة الرحمن، أغض حواسي الخارجية لكي يفتح الله لي ما بداخلي.

---

[6] جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

فكما أن لك حواسٌ في الوجه، لك حواسٌ روحانية في القلب، فلك عينان ولكن تنظران في عالم الملكوت الأعلى وفي عالم الباطن الإلهي، ولك آذان ولكن تسمع تسبيح الكائنات، وكلام ملائكة السماوات، ولك لسان ولكن يخاطب هذه الحقائق، لكن طالما أنت مشغول بالحواس الخارجية فإن الحواس الداخلية في مخازنها حتى تصدأ، فماذا أفعل؟

غُض عين الحسِّ واشهد بالضمير تشهدن يا صبُّ أنوار القدير

لا يصلح الاثنين معاً، فالقلب بابه الملكوت، والجسم بابه المُلك، وأنت تريد أن تشاهد جمالات وأسرار الملكوت، فما الذي يشاهدها؟ ليس عين الحس، ولكن عين القلب، وعين الروح، وعين الفؤاد، وعين السر، وعين الخفا، وعين الأخفى .. عيون ترى بها هذه العوالم المكنونة من ملك الحي القيوم ﷻ:

بعين الروح لا عين العقول شهدتُ الغيب في حال الوصولِ

عين الغيب بداخلك، ولكن تحتاج أن تغُض عين الحس أولاً: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور) حتى تُفتح أبصار قلوبهم.

وبعد ذلك فتح الله ﷻ باب التوبة للمؤمنين أجمعين، والتوبة تصحب كل مقامات الإنسان في سيره وسلوكه إلى حضرة الرحمن، يتوب من الذنوب، فإذا تاب من الذنوب وأقبل على الأعمال الصالحة، يتوب من رؤية الصالحات والحسنات، لأنه هو الذي عملها ويرى فضل الله عليه في تنفيذها والقيام بها.

ثم يتوب من رؤيته هذه، ولا يشهد لنفسه حولاً ولا طولاً، ويعلم علم اليقين أن الحول والطول من رب العالمين، وأنه وحده ﷻ هو الذي يتولاه بولايته في كل وقت وحين، ولو تخلَّى عنه طرفة عين أو أقل ما زاد عن التراب أو الطين.

فنحن أصلنا ترابٌ أو طين، وكل ما زاد عن ذلك فهو جمال رب العالمين ﷻ، وماذا معي؟!! إذا أعطاني من فضله، فيكون معي كل شيء، وإذا تركني لنفسي، فماذا يكون معي؟! ليس معي غير المعاصي والغفلة وما شابه ذلك.

إذا مشى الإنسان على ذلك، وتاب الله ﷻ عليه التوبة النصوح: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ كيف يبدِّلها بحسنات؟ إما يمسح السيئة ويضع مكانها حسنة، وإما يوفق المرء لعملٍ صالح ويدخل في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (١١٤هود) وفي كلتا الأحوال فالله ﷻ هو الذي يتولى ذلك.

هؤلاء لا بد أن يحرصوا كل الحرص في حياتهم على التخلي بالكلية عما أشار إليه الله في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ المجالس التي فيها اللغو، والتي فيها اللهو، والتي فيها الغيبة، والتي فيها النميمة، والتي فيها الوقيعة ... فهي مجالس زور، فليس له شأنٌ بمجالس الزور أبداً، وهذه المجالس كلها يعاهد نفسه ويقول لها: الله قال لي: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

لأني لو لم أترك هذه المجالس فستصيبني العدوى من أهلها، ومن الجائز أن أرجع مرة ثانية والعياذ بالله ﷻ، ومن الجائز أن يحدث عندي تردد، وقد يحدث لي كبوة، وقد يحدث لي وقفة، والوقفة حجاب، فالإنسان لا يجلس مجالس الزور، ولا مجالس الفجور بالكلية أبداً مهما كان الأمر، ومهما كان الشأن.

فضلاً عن أنه يُعوِّد نفسه على أن كل كلمة ينطق بها في حق أحد أمانة، وشهادة يُحاسبه الله ﷻ عليها، فيرعوي وينهى نفسه عن قول ما لا يعلم.

فمصيبة المسلمين في هذا الزمان أن الكل يُفتي بغير علم في أي مجال، فتجد كثير من الناس خبير في السياسة، وناقد فني، وخبير اقتصادي، ويعرف الخطط الحربية .. ويُفتي في كل شيء بغير علم!! مع أن سلفنا الصالح لم يكونوا على هذه الشاكلة، والله وجَّهنا وقال لنا: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل).

هل يوجد أحد أعلم من أصحاب رسول الله ﷺ في دين الله؟ لا يوجد، ومع ذلك كانوا يحترمون التخصص، سيدنا عمر رضي الله عنه كان جمع الناس لصلاة التراويح، ومَن الذي معه دكتوراه في علم القراءات من رسول الله؟ سيدنا أُبيُّ بن كعب، فأمره سيدنا عمر أن يُصلي بالناس، مع أن سيدنا عمر يحفظ القرآن ومعه القراءات، ولكنه يحترم التخصصات، لأن النبي ﷺ قال فيه:

{ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ }[٧]

إنه ينطق بالحق، وكم من مرة ينطق وينزل القرآن بما قال!! لكن عندما تأتي فتوى يقول: أين علي بن أبي طالب؟

لأنه هو المفتي الذي عيَّنه الرسول ﷺ، احتراماً للتخصصات.

ويرسله سيدنا رسول الله إلى المعركة ومعه سيدنا أبو بكر، ومع أنهما وزراؤه إلا أنه أرسلهما جند، وقائد الجيش عمرو بن العاص، الذي سلَّمه سيدنا رسول الله ﷺ عصا القيادة!!.

كلهم كانوا سائرين على هذا المنوال، ونحن إلى عصر قريب كنا كذلك سائرين على هذا المنوال، فما الذي استجدَّ في هذا العصر؟ فتنة وقع فيها معظم المسلمين، ولم ينتبهوا لقول الحبيب ﷺ:

{ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ والْمُتَفَيْهِقُونَ }[٨]

والثرثارون هم الذين يتكلمون في كل شــيْ، والمتفيهقون أي الذي يجعل أحدهم نفسه فقيه في كل مجال .. فهؤلاء أبغض الناس لرسول الله ﷺ، فلماذا تجعل نفسك مع هؤلاء؟!!

---

٧ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما
٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن جابر ﷺ

فالمؤمن يجب أن ينتبه لكل كلمة يقولها على أي إنسان ولأي إنسان، فهي شهادة لك أو عليك، يحاسبك عليها الرحمن ﷻ، تتكلم مع أحدهم ويذكر لك فلان، فتقول: فلان هذا صفته كذا وكذا، هذا الأمر ليس سهلاً، فالحضرة الإلهية تُسجِّل، والأدلة والبراهين معك أنت، لأن جوارحك ستنطق وتشهد عليك!!.

فالمؤمن العاقل الحكيم هو من يلتزم بالصمت، ولا يتكلم إلا عن ضرورات تشبهاً بالنبي العدنان ﷺ.

فالعبادة التي كان سيدنا رسول الله يعطي أصحابه دورة تدريبية فيها هي عبادة الصمت، وكان يُحضر لهم وسائل إيضاح، فسيدنا أبو بكر كان يأتي بحصوة ويضعها تحت لسانه، حتى إذا تكلم فإن الحصوة تعاكس اللسان فلا يتكلم وبذلك يُقلل الكلام، فسألوه عن ذلك، فقال: هذا الذي أوردني الموارد، جعل له فرامل صغيرة ليوقفه.

فمَن في هذه الأمة الآن يجعل فرامل للسانه؟!! للأسف نسمع السب والشتم واللعن وإلى ما لا نهاية في كل الأمور، وهذا ليس منهج المؤمنين ولا منهج المسلمين.

إذا سألك أحد: ما رأيك في فلان؟ فرأيك الذي نطقت به شهادة يحاسبك عليها الله ﷻ، فلا بد أن تعرف ذلك جيداً وتُفكِّر وتُقدِّر قبل أن ينطق اللسان.

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ واللغو هو الكلام الذي لا ينفع ولا يضُر، كأن نتسامر مع بعضنا ونتكلم في أمور عامة لا تنفع أحداً ولا تضر أحداً، ليس فيها غيبة ولا نميمة ولا شيء من هذا القبيل.

لكن المؤمنون مشغولون عن هذه المواضيع، إما كلام يُفيد وإلا فالسكوت أفيد للعبد الذي يريد القرب من الحميد المجيد ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ (٣المؤمنون) ليس عندهم وقتٌ للغو، ولا للهو، لأني مسافر، ولا أعرف متى أصل، وأريد أن أذهب وأحجز لي بيتاً طيباً، ورصيد ينتظرني، لأن هناك لا يتصدق أحدٌ على أحد، ولا أحدٌ يُعطي أحد، فلن ينفعني إلا ما عملته وحولته إلى ملك الملوك ﷻ.

الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، حتى لا تندم على البضاعة، وتقول: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ (المؤمنون) رب ارجعون حتى أُصلح ما فات، أو أتدارك ما فات، لكن لا شيء من ذلك هناك، لذلك المؤمن يبعد بالكلية عن مجالس اللغو.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ۝٧٣ ﴾ إذا ذُكِّر بآيات الله يتذكر ويرجع إلى مولاه، لأن قلبه قريب من الله، ومليء بأنوار الله، ومشغول بذكر الله، فعندما يسمع آيات الله يتوقف ويسترجع، ويرجع سريعاً إلى مولاه ﷻ، ويكون واقفاً عند الآيات ينفذ ما فيها من توصيات وتوجيهات، لينال أعلى الدرجات بجوار المصطفى ﷺ وأحبابه الكرام.

هؤلاء القوم يتمنون الخير لأنفسهم، ولأزواجهم، ولأولادهم، ويريدون أن يكونوا معهم في المسيرة، فالمؤمن الذي يمشي وحده ويترك زوجته وأولاده يكون ظالماً لهؤلاء، فنحن نأكل ونشرب وننام معاً، أفلا نسير إلى الله معاً؟!! ولكن كيف آخذهم معي؟ باللطف واللين والرقة والمحبة.

فأول من مشى مع رسول الله إلى الله زوجته السيدة خديجة، وابن عمه الذي كان يربيه وهو سيدنا علي، والعبد الذي كان عنده وهو سيدنا زيد بن حارثة، لماذا؟ لأنه كان يعاملهم باللطف واللين والمحبة، حتى يكونون معه هناك، ويُلحقوا بالأخيار والأبرار والأطهار:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ومتى يكونوا قرة أعين؟ إذا كانوا سائرين على منهج الله، ويكونون في الآخرة بجوار حبيب الله ومصطفاه.

لكن المسلمين انقلبت أحوالهم في هذا الزمان، فأهم شيء عنده أن يُوفِّر لهم ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب ليسعدوا ويشكروه ويُثنوا عليه، وبعد ذلك لا يبحث عن طاعة الله، ولا رعاية الله، ولا حق الله!!.

وكثير من الآباء والأمهات في زماننا الآن في أيام الدراسة بسبب الدروس والإمتحانات لا يبحثون عن الصلاة والطاعة للأولاد، وأهم شيء يسألونه: هل ذهبت لدرس كذا وكذا؟ وفقط وينتهي الأمر!!

فلا يسأله أحدٌ عن الصلاة، وإذا قال له أبوه مثلاً: صلِّ أولاً ثم اذهب إلى الدرس، فتقول له الأم: اتركه حتى يلحق بالدرس!!.

الصلاة هي التي تجعله يفهم ويستوعب الدرس سريعاً، ولا ينساه، لأنها تجعل الإنسان أكثر فهماً وذكاءاً، لكن المسلمون تركوا كتاب الله ﷻ.

لذلك يجب أن ننتبه إذا أراد الآباء أن يكون أبناؤهم قُرة عين لهم، فلا بد أن يكونوا صالحين ومتقين، ويخشون أن يُغضبوا الله، ويخافون من الوقوع في الحرام، حتى يفوزوا برضوان الله، ويتحرُّوا الأرزاق الحلال، ويبتعدوا عما حرَّمه ذو الجلال والإكرام، كالصحابة الأولين، فكان الرجل يخرج في الصباح ليعمل بيده فتقول له ابنته: (يا أبتاه تحرَّى لنا مطعماً حلالاً فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار) فهذه قرةُ الأعين لهم.

ويطلبون لأنفسهم: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

فتح الله لنا الباب أنه لا مانع أن يُرشِّح أي واحد منا نفسه أن يكون إماماً للمتقين، ويكون مرشداً للسالكين، ويكون عارفاً للطالبين، لكي يقتدوا به، ويقتدوا بهُداه، ويكون له نصيباً من إرث سيدنا رسول الله ﷺ.

هؤلاء ما أجرهم؟ وما جزاءهم؟

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾

الغُرفة التي قال الله فيها: ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ (٢٠الزمر) الغُرف العلية في

دار الجنة، والتي سيكون ساكنيها لهم مذاقٌ خاص ومتعة فريدة وهي النظر إلى وجه الله ﷻ، وتلقِّي السلام من السلام، يُلقون فيها تحيةٌ من الملائكة، وتحيةٌ من إخوانهم وأشباههم وأمثالهم، وسلام من السلام ﷻ.

وأجمل الله الكلام لأن هذا مقام شهود، والكلام لا يفيد، وإنما بابه: ذق تعرف، نسأل الله أن نكون من أهل هذه الغرف أجمعين.

وحتى يطمئنوا طمأنهم الله فقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾:

لن يخرجوا منها أبداً: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ :

لا يوجد مكان، ولا مكانة، ولا مقام، ولا مُقامة أفضل من ساكني الغرف في الجنان، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾

ينبهنا الله أنه لولا أنكم تدعون الله، وتناجون الله، لَمَا نظر الله إلينا ولا اهتم بنا، ولا أعلى شأننا ... والآية إذا كانت للكافرين لولا دعوة الأنبياء لهؤلاء الكافرين، ما جعل الله ﷻ لهم اهتماماً، ولا اهتم بهم طرفة عين ولا أقل، وإنما ليقيم عليهم الحجة برسله وأنبيائه.

نســـــأل الله ﷻ أن يُحققنا بجمال هذه الآيات، وأن يكتب لنا هذه العنايات، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ ﴾ (العنكبوت)

٨.ابتلاء الله للمؤمنين (١)[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي جعلنا من أحبابه، وأوقفنا دائماً على بابه، وسقانا من القرآن الكريم صـافي شـرابه، والصـلاة والسـلام على النور الهادي، والسر الظاهر والبادي، سيدنا محمد وآله الحكماء، وأصحابه العلماء، وكل من اهتدى بهديهم، ومشـى على دربهم ما دامت الأرض والسماء، واجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم العرض والجزاء أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

القرآن الكريم يعالج القضـــايا الحياتية التي تتعرض لها الأمة وأفرادها في كل وقت وحين، ومن عظمة هذا الكلام أنه يصـف ما نحن فيه، مع أنه أُنزل على الحبيب المصـــطفى منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، لكنه يتحدث عن المشـــكلات التى تعترضنا ونتعرض لها كأنه يصف ما يحدث بيننا تماماً بتمام، وهذا دليل على إعجاز كلام الله جل في عُلاه.

والآيات التي معنا اليوم تتحدث عن قضية تُعتبر قضية العصر بالنسبة للمسلمين أجمعين، فالمسـلمون مرَّ عليهم في الفترات الماضـية سـنوات كثيرة تخلفوا فيها عن ركب الحضـــارة، وكانوا فيها مُقصِّـــرين في طلب العلم، وفي طلب المدنية والحداثة، فأصبحت الفجوة التي بيننا وبين الكافرين فجوة كبيرة جداً جداً إلى ما لانهاية.

---

١ الحميدات - إسنا – الأقصر ١ من جماد الأولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٩م

وعلى سـبيل المثال: أصـبح أهل أمريكا من كثرة الخيرات عندهم والتي تُنبتها بالجد والاجتهاد والعمل أرضـهم، والمخازن لا تسـع هذه المحاصـيل الزراعية، والتخزين سيُكلفهم الكثير، ولو عرضوا كل ما أنتجته حقولهم فإن السعر سينخفض، فبالمفهوم الاقتصـادي العلمي الحديث ماذا يصـنعون؟ بدلاً من أن يخزنوها ويدفعوا تكلفة التخزين من أجر مخازن، وكيماويات حتى لا تسوِّس الحبوب وتحتفظ بحيويتها وأجنتها حية فإذا زُرعت تُنتج، وغير ذلك، فإنهم يلقون بجزء كبير من الحاصـلات الزراعية في المحيط للأسـماك .... وهذا في كل عام، فيلقون بالذرة وبالقمح وغيرها من المحاصيل في المحيط،!! .... وكثير من الدول ليس عندها شيء!!.

وكذلك أهل أوروبا كهولندا والسـويد والنرويج والدنمارك وغيرهم عندهم منتجات حيوانية تكفي العالم كله، من اللحم والسـمن والألبان، والألبان وصـلوا فيها لسـر يريحهم، فينزعون المياه التي فيها ويجففوها فتعيش لمدة طويلة، وتُسـتخدم بعد ذلك في هذه الحالة، لكن الزبد أين يذهبوا بالفائض منه، فهي تحتاج إلى مبردات ضـخمة، وتحتاج إلى كهرباء، ولو عرضـوها سـينزل سـعرها، فيلقونها في البحر للأسماك!!.

هؤلاء أحسنوا استخدام أدوات الله ﷻ التي سخرها لهم فأحسنت الإنتاج لهم، فالأرض هي الأرض لا تنتج إنتاجاً للمؤمن وإنتاجاً للكافر، ولكن تُنتج لمن يعمل ويجتهد ويسـابق في العلم الحديث ويطبقه في هذه المجالات، إن كان في الحيوانات، أو وفي الدواجن، وفي كل الأمور.

المسلمون - هداهم الله - وقفوا عند نقطة معينة يرددوها ونسمعها في كل مكان: نحن مسلمون وموحدون ونصلي ونصوم ونحج، فلماذا جعل الله عند هؤلاء القوم وسعة في الأرزاق وتركنا فقراء؟! أرأيتم الحُجة العوجاء التي نقولها؟!! ويريدون بمجرد أن يقولوا نحن مؤمنين، يجعل الله لهم الأرض جنة، فيمد يده في الأرض ليأخذ ما يريده، ويمد يده في الشجر فيأخذ من الثمر ما يريد!!.

وهذا الأمر ليس في الدنيا، ولكن في الدار الآخرة، لأن الجنة ستكون هكذا، فتكون أشجار الجنة بجوارنا وفروع الشجرة نازلة على الإنسان، وكل ما تشتهيه نفسه ينزل في حجره بدون أن يطلب أو يتكلم، ومن نفس الشجرة يشتهي التفاح فينزل التفاح في حجره، يشتهي العنب فينزل العنب في حجره، وإذا اشتهى تفاحة أخرى يجد التفاحة الثانية غير الأولى في الطعم والشكل واللون والرائحة!!، إنها الجنة.

لكننا تعجلنا ونريد الجنة في الدنيا، وبدون تعب ولا عمل ولا عناء ولا شيء، وكأن الوحد منا يريد أن يقول لله ﷻ الغني عنا وعن طاعاتنا أجمعين: ما دمت صليت في المسجد فيجب أن تجعل لي كل ما أطلبه أمامي مباشرة بعد الصلاة.

فهذه القضية كما عالج فيها الله ﷻ أصحاب رسول الله ﷺ يعالجنا بها في نفس الآيات التي أنزلها عليهم، فأصحاب رسول الله ﷺ لَمَّا آمنوا ومشوا مع حضرة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه، كانوا حزينين، فكيف يؤذيهم الكفار؟! وكيف يضربه هذا؟! وكيف يطرده هذا؟! وكيف يشتمه هذا؟! وهو مؤمن، فيظن أنه طالما هو مؤمن فلا يجب أن يتعرض له أحد أبداً، فهو في حماية الله ورعاية الله على الدوام.

المؤمن وتحمل البلاء

فشكوا ذلك إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وقالوا له: يا رسول الله إلى متى سنظل هكذا؟ إلى متى نتعرض لهذا الضنك والتعب والشدة والإيذاء؟ فنزلت الآيات: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾

لماذا؟ الدنيا دار الامتحان، ودار الاختبار، ودار الابتلاء، فأسهل شيء أن ينطق اللسان بكلمة الإيمان، لكن الإيمان دعوة، والدليل على صدق الإيمان أنه يتحمَّل ما يطلبه منه الإيمان، وما يطالبه به حضرة الرحمن عزوجل.

هناك أُناس قالوا: نحن مؤمنون ولكن الله وصفهم في القرآن وصفاً قبيحاً، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ (١١الحج) ما مصيره؟

﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (١١الحج) .. هل يوجد منا من يرضى أن يكون في هذا الموقف المُخزي؟ حاشا لله ﷻ، نحن نريد أن نكون: ﴿ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ (٢٣الأحزاب) ... فلا بد أن نوطِّد أنفسنا من البداية على أننا ما دمنا آمنا وأسلمنا فلا بد من اختبار، ولا بد من امتحان، والدنيا خُلقت من أجل ذلك.

وانظروا إلى أصحاب رسول الله ﷺ الصادقين عندما كانوا يقولون لهم: قد جمع لكم الأعداء الجيوش، وأعدادهم مثلكم عشرات المرات، فماذا أنتم فاعلون؟ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (١٧٣آل عمران).

وعندما جمعت قُريش القبائل الكبيرة في الجزيرة العربية وذهبوا وحاصروا المدينة، وأهل المدينة مع حضرة النبي كانوا قليلين في العدد، فعندما نظروا إليهم وشاهدوهم، لم يخافوا ولم يرتعشوا ولم يفروا: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأحزاب).

زاد الإيمان، وزاد التسليم، لأن حضرة النبي علَّمهم ذلك، فمن جاءه ليؤمن كان حضرة النبي يخبره على أنه سيتعرض للبلاء ممن حوله، إن كان من العشيرة أو الأهل أو أهل بلده، وسيتعرض لتضييق في المعايش.

فالنبي ﷺ نفسه حاصره الكفار ثلاث سنوات هو وأصحابه في شِعب اسمه شعب أبي طالب، فلا يعطوهم طعام ولو حتى بالمال، فلا يبيعوا لهم، ولا يشتروا منهم، حتى وصل الواحد منهم من شدة الجوع عندما ينظر إلى الأرض فيجد قطعة جلد فيتهيأ له أنها خبزاً، فيأخذها ويأكلها من شدة الجوع الذي تعرضوا له!!، ولكنهم لم يزيدوا إلا إيماناً وتسليماً!!.فلا بد من الاختبار، وما بنود هذا الاختبار الذي نتعرض له في الدنيا؟

أعطانا الله البنود: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (١٥٥البقرة) أي نختبركم في خمس مواد، هل يوجد أحد يدخل الدنيا ويخرج منها بدون أن يُختبر في هذه الخمس؟ لا، وإلا كيف يأخذ هذه المنزلة؟!!.

وهذه المنزلة من الذي يأخذها؟ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ (٣٥فصلت) والحظ العظيم هو أن يكون معه توفيق العزيز الحكيم ﷻ.

وبلدنا مصر لأن الله ﷻ خصَّها وجعلها خِزانة للإسلام، فهي الحافظة لشرع الله وكتاب الله، وينتشـــر منها إلى كل فجاج الأرض، فمن يُريد أن يســـمع القرآن من المسلمين في أي مكان، يسمعه من قُرَّاء مصر، والذي يُريد أن يعرف دينه بحسب الوسطية التي اختارها لنا رب البرية، يعرفه من رجل من مصـر تخرَّج من الأزهر الذي حمل رسالة الإسلام الوسطي، وإن شاء الله سيظل ذلك إلى يوم الدين، فأراد النبي أن يُعرِّفنا هذه الأمور فقال:

{ إذَا فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ مِصْرَ؛ فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْدًا كَثِيراً؛ فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الأَرْضِ، فقال أبو بكر: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: لأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } [٢]

والجنود هنا ليسوا للقتال فحسب، ولكن جنود في ميدان القتال، وجنود في تبليغ رسالة العلم، وجنود في تلاوة القرآن .. جنود في كل المجالات الإلهية.

---

٢ رواهُ ابن عبدالحكم في «فتوح مصر»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه

ولو قال: فإنهم في جهادٍ إلى يوم القيامة، لكان جهاداً بالسيف والحرب فقط، لكن هم وأزواجهم، فيكون جهاد في المعيشــة كالذي نحن فيه الآن، جهاد الطعام والشـراب والحياة الإقتصـــادية التي نحن فيها الآن، وهي تحتاج منا جماعة المؤمنين أن نأخذ بالأســـاليب العلمية الحديثة، وننفذ قول رب العزة لنا أجمعين: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة).

اعمل وكفاك كســلاً وتقاعســاً، وكفاك بعداً عن العمل، هل نريد من الســماء أن تُنزل لنا، والأرض تُخرج لنا بدون عمل؟!! ســيدنا عمر ﷺ وجد شــباباً في مســجد رسول الله، فسألهم: من أنتم ؟ قال: متوكلون، قال: بل أنتم متواكلون، لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضــة، إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (١٠الجمعة) وعلاهم ضرباً بدرته، وأخرجهم من المسجد ليذهب كل واحد منهم ليُحرز قُوُتَه، ثم يعبد الحي الذي لا يموت ﷻ.

أسرار الابتلاء

الأمر لا ينته عند عبادة الله فقط، فالعبادة تكون خالصةً لله وتكون شكراً لله ﷻ على عطاياه سبحانه وتعالى.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ لأن الابتلاء هو الذي يُظهر حقيقة الإنسان، فإذا كان مع شخص بعض التبر، والتبر هو الذهب الذي به شوائب، ويريد أن يعرف الذهب من الشوائب فماذا يفعل؟ يُدخله النار، فتظهر سبيكة الذهب وتلمع، وتنفصل الشوائب.

فكذلك لا بد من البلاء ليظهر الصادق من الكاذب في الإيمان، وفي التعامل مع حضرة الرحمن ﷻ، وهي حكمة الله التي لا تتخلف ولا تتغير على مر الأزمان.

كل ما في الأمر أن الذي وعدنا به الله ﷻ إذا عملنا واشتغلنا واجتهدنا وأطعنا الله، أنه يُعطينا دعماً من عنده اسمه البركة، فتجعل القليل كثير، لكن لا بد من العمل لكي ينزل لنا الله سبحانه وتعالى البركات، فمن يترك أرضه بدون زراعة، فكيف تنزل البركة على الزرع؟!! لكن لا بد له من الزراعة، وبأحدث الأساليب العلمية، فلا توجد زراعة إسلامية وزراعة غير إسلامية، فالعلم للكل وليس علماً دينياً، فلا بد أن نستغله ونأخذ به، وبعد ذلك تنزل البركات من الله ﷻ نتيجة الطاعات، ويصبح القليل يكفي الكثير، وهذا فضل الله ﷻ على عباده المؤمنين الصادقين أجمعين.

ســـيدنا أنس بن مالك ﷺ كانت له حديقتان في البصـــرة في بلاد العراق، كان الشـجر فيهما يُنتج الثمر مرتين في السـنة، كما سـيحدث عندنا في محصـول القمح إن شاء الله، فالقمح سيتم زراعته مرتين في السنة، لأننا نحتاج للقمح، والدول تتلاعب بنا في توريده لنا، فاستفدنا بالعلم وزرعنا القمح مرتين في السـنة بدل المرة الواحدة، وقد أصاب وأجاب وأتى والحمد لله بإنتاج عظيم.

فكانت حدائق سـيدنا أنس تُنتج في السـنة مرتين، وذات مرة جاءه المكلَّف على المزرعة فقال له: يا صـحابي رسـول الله أوشـك الزرع على الهلاك، فلم يعد عندنا قطرة ماء واحدة، قال: ولِمَ لمْ تُخبرني من قبل؟!! أعندكم ماء يكفي وضـوء رجل واحد؟ قال: بلى، قال: ائتني به، فتوضـأ وصلى ركعتين، وكانت السماء صحوٌ وليس فيها سـحابة واحدة، وإذا بالسـحاب يملأ السـماء، وإذا بالمطر ينزل، وبعد أن انتهى المطر قال له: يا غلام انظر أين بلغ الماء؟ فذهب ثم عاد وقال له: يا سـيدي كأنه يعلم حدودنا، فقد نزل على أرضـنا فقط!! ما هذا؟ جاء المطر بخط سـير من ملك الملوك إغاثةً لهذا العبد الذي استغاث بمولاه، فأغاثه الله جل في عُلاه.

وهذا الأمر معنا كلنا، ويســتطيع أي واحد منا أن يفعله، فالنبي ﷺ علَّمنا كلنا صلاة اسمها صلاة الاستسقاء، إذا قلَّت عندي المياه، أطلب من الله فيأتني بالمياه، لكن لا بد أن أزرع، وأضـع النبات، وأعتني بالنبات، وأُخرج منه زكاة الزرع، أو زكاة الثمار، حتى يكون مباركاً من عند الله تبارك وتعالى، فهذا حال المؤمنين الذي ينبغي أن يكونوا عليه في كل وقت وحين.

لكن على سبيل المثال عندما نسمع أن الأمم المتحدة قامت بعمل احصائية عن أكسل شعوب الأرض، تجد رقم واحد واثنين وثلاثة من الدول العربية، وليست مصر منهم!!، وهل هذا من الإسلام؟!! وهل هذا ما أمرنا به الله؟!! فالله تعالى يقول لنا:

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ (١٥الملك) والمناكب يعني الجبال العالية، يعني أنظروا إلى الجبال العالية ومهّدوها وازرعوها، ولا تتركوا أرضاً بدون زراعة.

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ (١٥الملك) يعني ازرعوها وكلوا من رزق الله، لأن الرزق بيد الرزاق ﷻ، فنحن علينا أن نُصلح الأرض، ونضع فيها الحب ونرويه ونسمِّده ونعمل ما علينا، والباقي على من يقول للشيء كن فيكون.

لكن أجلس وأطلب من الله أن يضع الرزق في يدي!! لا يجوز هذا في جماعة المؤمنين، أو كما يحدث الآن فقد أصبح كثير من الناس يتسولون في الطرقات، ويتعرضون لهذا وذاك، ويمدون أيديهم، فهل هذه أمة العزة؟!! هل هذه الأمة التي قال فيها الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون)؟ فالمؤمن عزيز، لا يمد يده، ولا يسأل الناس ويتسوَّل، ولا ينبغي أن يكون ذلك في أمة الإسلام ... وخاصة أن الآخرين الذين يأتون بلادنا يصورون هذه الصور وينشرونها عندهم، ويقولون هذا هو الإسلام، عبارة عن مجموعة من المتسولين، وبذلك يشوهون صورة ديننا الحنيف.

عزة المؤمن

لكن الإســـلام دين العزة والكرامة، فلا بد للمؤمن أن يكون عزيزاً، ولا يمد يده إلا لمولاه، ولا يطلب إلا من حضــرة الله، ولا يرضـــى أن يكون ذليلاً إلا لمن يقول للشـــيء كن فيكون جل في عُلاه .... فهذا حال المؤمن على الدوام، وهذا كان حال أصحاب النبي الفقراء رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فنحتاج في هذه الفترة إلى نهضـــة لشـــبابنا، وكفانا كســـلاً وبطالة، ولنعمل، والأرض التي عندنا من أجود أنواع الأراضـــي الموجودة في الوجود، الفدان الذي نزرعه حالياً لو اعتنينا به فسيُنتج قدر سبع فدادين وأكثر من المحاصيل، ولكن يحتاج فقط للعناية والرعاية.

الشـباب عندما يذهب للمدرسـة يقول ليس لي شـأنٌ بالأرض ولا بالزراعة، فمن الذي ســـيزرعها؟!! ولذلك ليس عندنا عمالة زراعية حالياً، فماذا فيها لو ذهبت إلى حقلك وعملت فيه بنفسك؟! أنت تعمل في أرضك، وثمره سيكون لك.

فلا بد أن نغير مفاهيمنا، ونرجع للأصل الأول الذي تربى عليه أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة) والمؤمن عزيز يُعطي دائماً، ولا يمد يده.

الشيخ إبراهيم بن أدهم كان رجلاً من الصالحين:

وكان أصله ابن ملك من الملوك، وسيرث المُلك، وذات يوم ركب فرسه وذهب ليصطاد في غابة، فأنطق الله سرج الفرس وقال له: يا إبراهيم ألهذا خُلقتَ أم بهذا أُمرت؟ أي هل خُلقت للعب وللهو وللصيد وما شابه هذا الكلام؟!! فنزل من على فرسه، وكان بجواره راعي من رعاة أبيه، فأخذ ملابس الراعي ولبسها، ومشى يطلب الله، ويذكر الله، ويعبد الله.

ومع هذا كان لا يأكل إلا من عمل يده!!، مع أنه كان مرفهاً!!، فكان يشتغل في حصاد الزرع، أو في حراسة البساتين، ويأخذ أجرته ليأكل منها.

وكان حارساً أميناً، فذات مرة صاحب حديقة طلب منه رمانة حُلوة، فأتى له برمانة ففتحها فوجدها ليست حُلوة، فقال له: أريد رمانة حُلوة، فأتى له بواحدة وأخرى وكلها ليست حُلوة، فقال له: كيف تكون حارساً للرمان ولا تعرف الحُلو من المُر؟!! فقال له: كلفتني بحراسة الرمان ولم تأذن لي بالأكل من الرمان، فلا أعرف طعمه!!.

قابله رجل من الذين يقولون: نحن متوكلون على الله، وفي الحقيقة هم متواكلون وليسوا متوكلين، فقال له: كيف تعيش يا إبراهيم؟ فقال: مما يُرسله إليَّ الله من أرزاق، قال له: ولِمَ؟ قال: أنا توكلت على الله، فقال له: كيف توكلت على الله؟

قال: رأيتُ طائراً أعمى في عُشٍّ في أعلى شـجرة، وطائر آخر يأتي له بالطعام ويضع منقاره في منقاره ليُطعمه، ثم يذهب ويملأ فمه بالماء ويضع منقاره في منقاره ليسـقيه الماء، فقلتُ في نفسـي عندما رأيت هذا المشـهد: هل أنا عند الله ﷻ أهون من هذا الطائر!

أنا سأتوكل على الله!!

وانظر إلى ردِّ الرجل الحكيم فقال له:

ولِمَ رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى، ولم ترضى لنفسك أن تكون الطائر الذي يُطعمه ويُسقيه؟!! فالمؤمن العزيز هكذا، قال ﷺ:

{ الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى }[3]

مجتمعنا يحتاج إلى تغيير هذه المفاهيم، ونسارع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

سـيدنا أبو بكر أصـبح خليفة لرسـول الله، وكان يعمل تاجراً للقماش، فحمل بضـاعته وذهب إلى السـوق، فقابله سـيدنا عمر فسـأله: إلى أين أنت ذاهب يا خليفة رسول الله؟ فقال: ومن أين أُطعم أولادي؟!

[3] البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

فقال له: هذا شيئٌ لا بد منه، فجمع سيدنا عمر الصحابة وقال لهم: نجعل لأبي بكر نصيباً من بيت مال المسلمين ليتفرَّغ للخلافة وللحكم، ونعطيه في السنة ثوبين، ثوباً للصيف وثوباً للشتاء، ونُخرج له كل يوم خروفاً لأن ضيوفه كثير، ليأكل هو وضيوفه، ونجعل له عبداً ليخدمه ويقضي له مصالحه، وظل سيدنا أبو بكر ماشياً على هذا الحال حتى وافاه الأجل، فقال لابنته: يا عائشة إني حسبتُ ما أخذته من بيت مال المسلمين فوجدته كذا، رُدِّيه إلى بيت مال المسلمين من مالي حتى أخرج من الدنيا وليس عليَّ شيء!

فقال له سيدنا عمر: لقد أتعبتَ الخلفاء من بعدك يا خليفة رسول الله!!.

سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان ملكاً ونبياً:

وكان قد جعل لنفسه ثلاثة أيام، يوماً يتفرغ فيه بالكلية للحكم، ويوماً يتفرغ فيه لطلبات أهله وأولاده، ويوماً يتفرَّغ فيه لعبادة الله وطاعة الله، ويوم العبادة يدخل الخُلوة ويغلق على نفسه ولا أحد يدخل عليه!

وذات يوم دخل عليه جماعة من الجدار، فعرف أنهم ملائكة، فجلسوا معه وتكلموا معه، وكل فترة كانوا يودُّوه ويجالسوه، فقال لهم ذات يوم: أفيَّ عيب؟

وانظر للصادقين يريد أن يعرف عيوبه، فقالوا: ليس فيك إلا عيبٌ واحدٌ؛ أنك تأكل من بيت مال المسلمين، فنوى على الفور أن يعمل لكي يكون الحكم دون نظير أجرٍ ولا غيره، وإنما العمل يكون لله، ويأكل هو وأولاده من طعام يده، فماذا يعمل؟ ألهمه الله بمجرد ما صدق في النية صُنع الدروع.

فأول من اخترع الدروع سيدنا داود، والدرع شيء من حديد يضعه المحارب على صدره ليقيه ضربات السيوف والسهام والرماح، والحديد حتى يتم تصنيعه يحتاج إلى كور ومنفاخ ونار ليصهره ويليّنه، ولكن لأنه صدق النية مع الله ألان الله ﷻ في يده الحديد: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ ﴾ (سبأ).

ولذلك شبابنا الذين لا يعملون وينتظرون أن تأتي لهم معونة من هنا أو من هناك، ليوظفوهم، لأنه لا يريد أن يعمل مع أبيه أو مع أحد، أقول له: يا بني لو صدقت النية فإن الله ﷻ سيوجد لك عملاً في الحال، ويكفيك من سؤال الناس والحاجة لهم.

فهذا مبدأ الإسلام الذي علَّمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ:

وأنتم تعلمون أن سيدنا عبد الرحمن بن عوف عندما هاجر من مكة للمدينة، وسيدنا رسول الله كان يوآخي بين المهاجرين والأنصار، فآخى بينه وبين واحد من الأنصار يُعتبر من زعماء الأنصار ومن أغنى أغنيائهم، فقال له: أقسم مالي نصفين، والبيت أقسمه نصفين تختار ما تريد منه، وهل أنت متزوج؟ فقال له: لا، فقال له: أنا متزوج اثنين فانظر من تعجبك منهما أُطلقها وبعد انتهاء عدتها تتزوجها.

لكن النبي علمهم العفة، فقال له: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في بيتك، وبارك الله لك في زوجك، ولكن دُلني على السوق، ولم يكن معه شيء، ولكن لأنه رجلٌ عفوف النفس، وهي العفة التي حببنا فيها ورباهم عليها صلوات ربي وتسليماته عليه. قالوا: كان إذا تاجر في التراب يربح فيه ذهباً،

فظل يتاجر، وتزوج أربعة، وأنجب، وبعد انتقاله إلى الرفيق العلى قسَّموا التركة فوجدوا نصيب النساء الأربعة وهو الثُمن، لكل زوجة ثمانين قُفة من الذهب!! من أين ذلك؟ من العمل الحلال الذي قال فيه النبي ﷺ:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ } [٤]

ولماذ داود بالذات؟ ... لأنه كان ملكاً ونبياً وعابداً لله، ومع ذلك آلى على نفسه أن لا يأكل إلا مما تعبت فيه يداه، ولا يطلب من خلق الله، ولا يمد يده إلا إلى مولاه تبارك وتعالى.

هذه قضية نريد نشرها بين الشباب، ولكن باللطف واللين، شبابنا الذين أصبح ليلهم نهار، ونهارهم ليل، وطوال الليل مع تليفوناتهم، وطوال النهار نائمين وكسالى، لعدم وجود عمل أو غيره، حتى يعرفوا أن هذا مخالف لشرع الله، ومخالف لهدي رسول الله، وليس هذا الطريق الأمثل الذي ينبغي أن يتبعوه.

لكن ينظروا إلى طريق رسول الله، وطريق الصحابة الكرام، وطريق الصالحين الأماجد، فكان كل واحد منهم له مهنة، فهذا اسمه الحُصري لأنه كان يعمل في صناعة الحُصر، وهذا اسمه الخوَّاص لأنه كان يعمل في صناعة الخوص، وهذا الجزار لأنه كان يعمل في الجزارة .. فكل واحد منهم كانت له مهنة يأكل منها، وليس متفرغاً لطاعة الله، لكن يتفرَّغ لطاعة الله بعد أداء عمله واكتسابه الرزق الحلال، ويتصدق منه ليكون من المتصدقين عند ذي الجلال والإكرام ﷻ.

---

٤ صحيح البخاري والبيهقي عن المقدام بن معدي ﷺ

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾

الذين يكيدون للمؤمنين، ويحاولون نشـــر المفاهيم التي أشـــرنا إليها، والتي زعزعت شباب المسلمين، وهم يظنون أنهم سيسبقوا أي يفلتوا من رب العالمين ﷻ، لكن: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ (الفجر) وسـيغير الله الأمور، وسـيصـير أهل النور هم أهل الظهور في العالم كله، تطبيقاً لقول الله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (٣٣التوبة).

طالب الله

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ ﴾ من كـان يطمع في وجـه الله، وفي رضـــاء الله، وفي إكرام الله، وفي عطاء الله، يعلم علم اليقين أن هذا آت على التحقيق له، ما دام قد صدق في طلبه لمولاه، فإن الله ﷻ لا يمكر بطالبه.

ما دام الإنســـان قد صـــدق، فلا بد أن يجوز ويفوز: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣الزمر) الذي يريد ما عند الله يعاهد الله على الصـــدق في الأقوال، والصـدق في الأحوال، وقبل ذلك كله الصـدق في النوايا والطوايا، ولا يبغي بغير الله بديلاً، لا يرجُو غير الله.

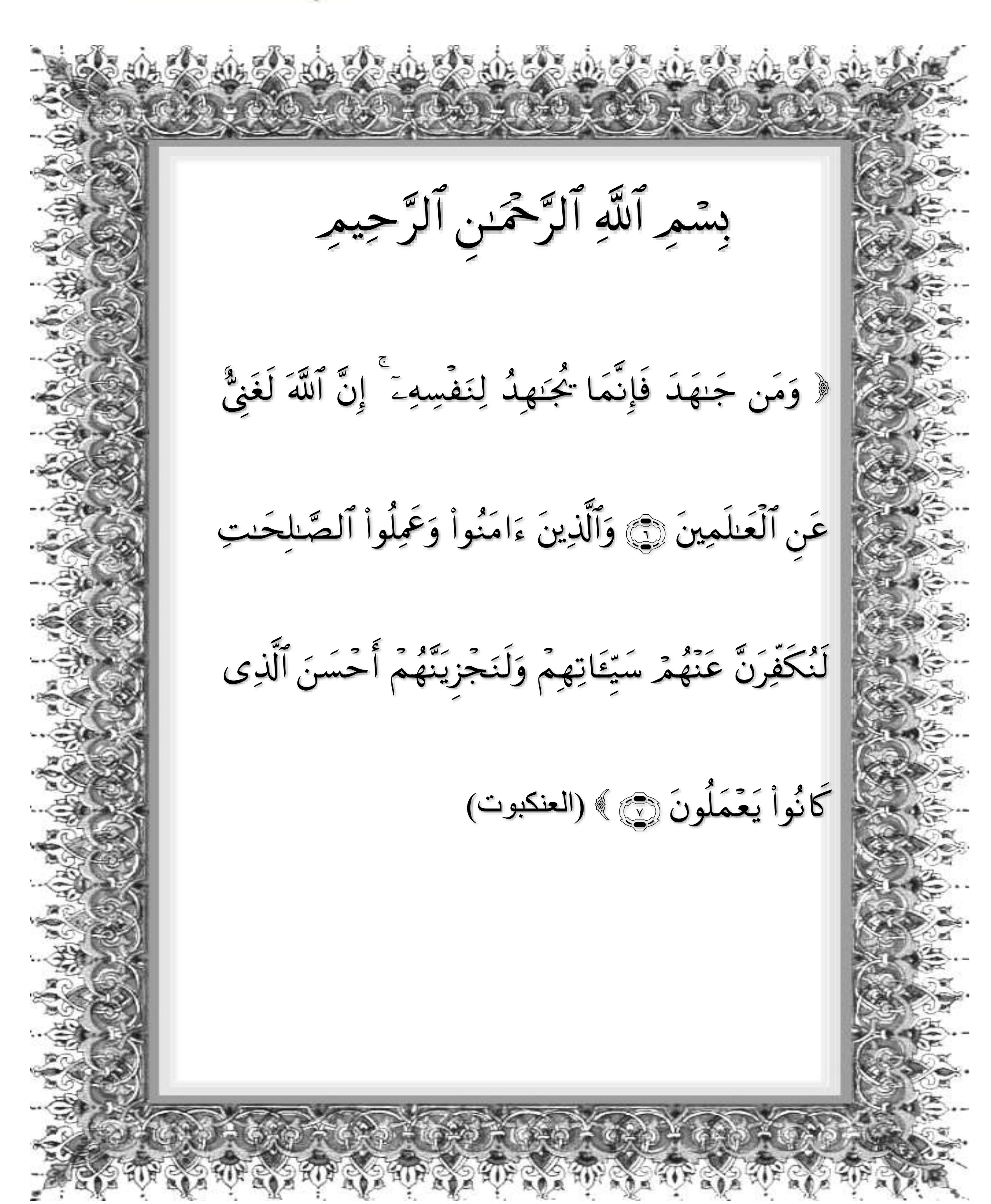
لا يرجو بعمل يُقدمه لمولاه دنيا دنية، ولا مآرب ظاهرة أو خفية، ولا علل نفسية، وإنما يرجو من وراء هذا العمل وجه الله، فينال رضاء الله ﷻ.

والله ﷻ أعلمنا علم اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين أنه سبحانه وتعالى كما قال في القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾ يســـمع وجيب صـــدورنا، ويســـمع حركات قلوبنا كما يســـمع كلمات ألســـنتنا، كما يســـمع ما يدور من خواطر في صـــدورنا، كما يســـمع ما يمر من الأفكار في عقولنا، لأنه يســـمع بســـمعٍ إلهي ليس له مثيلٌ في عالم الخلق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى).

ويعلم الله ﷻ عن الإنســـــان لأنه هو الذي خلقه، وعلمه تبارك وتعالى بما كان، كعلمه بما يكون، كعلمه بما هو كائن، فليس عند الله ﷻ زمانٌ ولا مكان، ولكن الله ﷻ يعلم بعلم إلهي كل شيء في الأكوان وغير الأكوان.

فإذا علم الإنسان أن الله ﷻ يسمعه، ويطَّلع عليه ويراه، ويعلم كل شيء عنه وما تقدِّمه يداه، صـــدق في إقباله على الله، فنال القرب والمودة وأصـــبح من أهل المناجاة لحضرة الله جل في عُلاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (العنكبوت)

٩.ابتلاء الله للمؤمنين(٢)[١]

قضـــية أُخرى تعالجها الآيات التي معنا، ولكنها تتعلق بالمجدِّين في العبادة لله، والمكثرين في الطاعات لله جل في عُلاه، فهناك أناسٌ كثيرين تقع في هذا المطب، يعينه الله ﷻ فيُحافظ على صـــلاة الفجر في وقتها، وما تيسَّـــر من النوافل قبلها، والفرائض بعد ذلك في أوقاتها، ويقرأ ما تيسَّر من كتاب الله، ويشغل وقته بالطاعات.

فإذا انتابه ابتلاء يبدأ كأنه يعاتب ربه، فيقول: يا رب لماذا أصـــبتني بهذا؟!! أنا أُصلي وأصوم، وأفعل كذا وكذا من الطاعات، وفلان الذي لا يصلي ولا يلتزم تُوسِّع له الأرزاق وتصـــنع له كذا وكذا!!، وهذا مرضٌ خطير، يعني يريد ثمن العبادة في الدنيا، والدنيا كلها من أولها إلى آخرها لا تساوي تسبيحة واحدة لله ﷻ!!.

والعبادات والطاعات كلها في الأصـل لنفسـك ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ ﴾

أنت تجاهد لنفســـك، فتُجهِّز لها ما به تنال فتح الله، وتُعد لها ما به تنال إكرامات الله، وتُجهِّز لها ما به تنال الدرجات الوهبية العلية عند حضـــرة الله، لكن الله ﷻ غنيٌّ عنا أجمعين وعن طاعاتنا وعن قرباتنا، فإن الله كما قال عن نفسه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وقال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي:

---

[١] الحميدات - إسنا – الأقصر ١ من جماد الأولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٩م

{ يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ }[٢]

أمر الأعمال لك أنت: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية).

الشرك الخفي

ومع هذه القضية قضية أُخرى تتبعها وتلحقها، فكثير أيضاً من الذين يوفقهم الله للاستقامة على طاعته، يطلب نظير ذلك من المسلمين والمؤمنين أن يعظموه ويكرموه ويكبروه، لماذا؟ لأنه رجلٌ مطيعٌ لله ﷻ، لكن هؤلاء ماذا معهم من الأجر ليُعطوه لك؟!! وهذا من ضعف النفس.

٢ صحيح مسلم والبيهقي عن أبي ذر ﷺ

وبعضـــهم إذا وفقه الله فتكلم في الناس، يطمع أن يجامله الناس، فإذا ذهب إلى السوق مثلاً يريد من التجار أن يجاملوه، فيُعطوه البضاعة بنصف الثمن، أو يُعطوها له بدون ثمن نهائياً، لماذا؟ لأنه رجل طائعٌ لله وعابدٌ لله، ويدعوا الناس!!، وكل هذا من بدوات النفس، وهذه لا ينبغي أن تعتري الكُمَّل من عباد الله الصالحين.

السيدة عائشة رضي الله عنها والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها كانتا إذا تصدقت بصدقة تشتري أولاً عِطر وتُعطِّر الصدقة، لأن المال كان إما فضةً أو ذهباً، فسُئلت السيدة عائشة عن ذلك، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدَّقِ عَلَيْهِ }[٣]

وما دامت تقع في يد الله فيجب أن أُطيبها وتكون رائحتها طيبة.

وكانت السيدة عائشة والسيدة أم سلمة تقولان للخادمة التي كُلفت بأخذ الصدقه واعطائها لمستحقها: احفظي ما يقول، لأنه عندما تُعطي للفقير صدقة فمن المعتاد أن يدعو فيقول: ربنا يكرمك، أو ربنا يبارك لك في أولادك، أو أي دعاء، فتقول لها: احفظي الدعاء، فترجع الخادمة فتسألها: ماذا قال السائل؟ تقول لها: قال: كذا: فتدعو له بنفس دعاؤه، فسُئلتا: لماذا تفعلان ذلك؟ قالتا: دعاءٌ بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا.

تخاف من أن يكون هذا الدعاء أجراً للصـــدقة، فكما دعا لنا ندعو له حتى تكون الصـــدقة خالصـــةً لوجه الله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩الإنسان).

---

٣ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها

نفرض أن أحداً يتكلم، وفتح الله له الباب بعض الشـــيء من علم الإلهام، وبعد الدرس من يقول له: أحسـنت اليوم، ومن يقول له: أنت أبدعت، ومن يقول له: فتح الله عليك اليوم .. ونفسه تفرح وتُسَّر ويسعد بهذا الكلام، فهذه أيضاً مصيبة من المصائب التي يُبتلى بها العبد، وتحجب عنه المناصـــب العالية، والدرجات الراقية عند من لا يغفل ولا ينام ﷻ، فكل ذلك دخل في كلمة: ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان) حتى كلمة شـكراً، أو استحسان، أو التحسين.

فالمؤمن إذا عمل عملاً يعلم أن هذا العمل لنفســـه فيجعله خالصـــاً لربه ﷻ، لا يبغي به ســمعة، ولا شُــهرة، ولا رياء، ولا حظ ظاهر، ولا حظ خفي، والحظ الخفي كالذي أشـرتُ له الآن، وهو أن الناس تُعظمه وتُكبره ويقولون له: أحسـنت، وأنت كذا وكذا، ويسارعون في قضاء حوائجه، ويسارعون في حمل نعله، ويسارعون في تلبية طلباته، فإذا كان يريد هذه الأمور في نفســه، وإن لم يشـعر فهذا مرض يحتاج للعلاج منه، وهذا ما نسميه بالشرك الخفي، الذي يقول فيه ﷺ:

{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ }[٤]

ويقول فيه الله ﷻ، وهذا ما يُقطِّع نياط قلوب العارفين الصـــادقين: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف) !!

٤ الحاكم في المستدرك وأبي نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها

أكثر المؤمنين مشــركين!!، وكيف ذلك؟ بهذا الشــرك الخفي، التابع لحب الظهور، وحب السماع، وحب كذا وكذا من مثل هذه الأشياء، فلا بد أن يُطهِّر أرجاء نفسه كلها من هذه الأفياء، ليكون العمل خالصاً لوجه الله ﷻ.

جزاء العمل الصالح

إذا فعل ذلك يدخل في قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ لهم شــيئين اثنين، الأمر الأول: ﴿ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ كما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (١١٤هود) وفي ذلك يقول الحبيب ﷺ لنا ناصحاً:

{ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا }[٥]

إذا هفوت ووقعت في ذنب أو سيئة، سارع على الفور بحسنة، فهذه الحسنة تُذهب السيئات على الفور، وكما قال ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }[٦]

---
٥ جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أبي ذر ﷺ
٦ مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس ﷺ

انظروا إلى رحمة الله وإكرام الله ﷻ بنا، تكون الحسنة كالممحاة تمسح لك السيئات حتى تجد حسنة تقف بجوارها!!، ما أكرم هذا الرب العظيم، الذي يقبل اليسير، ويُثيب عليه بالكثير، ويجعل عليه أجراً كبيراً تبارك وتعالى.

الأمر الثاني:

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

من إكرام الله ﷻ لم يكتف بذلك، بل سيعطيهم أيضاً أحسن الأجر والثواب والجزاء: ﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٨الحجرات).

ومن لُطف الله ﷻ جعل لهذه الأمة خصوصيات لنا نحن فقط وليس للآخرين، أن الأمم السابقة كان الرجل منهم إذا أذنب يُصبح فيجد الذنب مكتوباً على باب بيته، وكان هذا عند اليهود فضيحة لهم، فمن سرق يجد مكتوباً في الصباح على باب بيته: فلان سرق، أو فلان قتل، أو فلان زنا، لكن نحن سترنا الله ﷻ بستره الجميل.

الأمر الخاص الثاني والهام:

أن الله سيحاسب الأمم كلها علانية، وكل أهل الموقف يشهدون ويرون، ونحن معظم الأمة سيدخلون الجنة بغير حساب، كما قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر) ومَن منا لم يصبر؟

عظم الأمة يصـــبر إن كان على وفاة والده، أو على فراق أُمه، أو على تعب نفسه، أو على تعب ولد من أولاده، أو على مشقة في يوم حارٍّ، أو على مشقة في يوم بارد، فلا يوجد أحدٌ منا لم يصبر!!.

فما دام الإنســـان محافظاً على فرائض الله، ومجتنباً لمعاصـــي الله، فعلى الفور يُدخله الله في عداد الصابرين ويدخل الجنة بغير حساب إن شاء الله.

والذي سيُحاسب فسيكون حسابه فيما بينه وبين مولاه، لا يطلع عليه أحدٌ من أهل الموقف العظيم؛ ستراً من الله ﷻ على هذه الأمة؛ أمة حبيبه ومصطفاه، ويُشهده ذنوبه كما قال ﷺ، وهذا من فضل الله على هذه الأمة المجتباة:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَـــعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْـــتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِـــهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ}[٧]

والخصيصة الثالثة:

أنه من فضـــل الله ﷻ على هذه الأمة، أمة حبيب الله ومصـــطفاه أن الله ﷻ يتغاضى عن الصغائر التي نرتكبها، بالصلوات الخمس التي نقوم بآدائها لله ﷻ.

فالصلوات مثلها كمثل نهر جارٍ أمام بيت الواحد منا، ويستحم فيه خمس مرات، فهل يبقى عليه بعد ذلك تراب أو أوســـاخ أو شـــيء من هذا القبيل؟ لا، وهذا ما قاله سيدنا رسول الله ﷺ:

---

٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا }[8]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ:

{ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ }[9]

فالصلوات الخمس تُكفِّر الصغائر، والذنوب التي تحتاج إلى التوبة النصوح هي الكبائر، فلو اجتنب الكبائر فإن الله يُكفر عنه سيئاته، ويتقبل منه أحسن ما عمل، ويتغاضى الله عن هذه الصغائر، ويمحوها من صحيفته، ويمحوها من على جوارحه التي تشهد عليه يوم القيامة، ويمحوها من الموضع الذي فعلها عليها في الأرض، فيأتي يوم القيامة لا يرى أحدٌ ما عمله، لأن الله تغمده بستره وغطائه، قال ﷺ:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ أَنْسَى اللَّهُ الْحَفَظَةَ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ مِنَ الأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ }[10]

---

٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩ البخاري ومسلم.
١٠ تاريخ دمشق لابن عساكر عن أنس رضي الله عنه

هذا فضل الله على هذه الأمة، أمة رسول الله التي نحن منها أجمعين إن شاء الله، فيجب أن نشـــكر الله على هذه العطاءات، وعلى هذه الإكرامات، فنذكره ﷻ ذكر الشاكرين الحامدين الحاضرين على الدوام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (العنكبوت)

١٠. أهل الغُرف[1]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي جمعنا بتوفيقه على طاعته في بيته المبارك، وأثلج صدورنا بسماع كلام الله، وجعل جلستنا المباركة هذه نحاول فيها قدر وسعنا أن نطبق حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول لنا فيه:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[2]

فنسأل الله تعالى أن نكون أهلاً لذلك أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصـــطفاه مولاه وحباه ورقَّاه وأدناه، وخصَّــه بخير كتاب أنزله إلى خلق الله، وجعله نبينا وهو شـــفيعنا وحبيبنا يوم الدين ... صـــلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصــحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (جعلنا القرآن الكريم رسائل ربنا ﷻ إلينا، فكنا نقرأه ونتدبره بالليل، ثم نقوم عاملين به بالنهار) رسائل وخطابات أرسلها لنا الله على يد حبيبه ومصطفاه.

---

١ مسجد الخن - إسنا – الأقصر ١ من جماد الأولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٩م
٢ سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالله ﷻ أمرنا أن لا نقرأ القرآن قراءةً جوفاء، ولكن نتدبر ونتمعَّن ونتفكَّر في معاني هذا الكلام: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (٨٢النساء).ينعي الله على من يقرأ القرآن ولا يتمعن فيه، ولا يُفكر فيه، ولا يتدبر فيه، لأنه نزل للتدبر والتمعن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ (١٧القمر) لم يقُل للتلاوة، ولكن قال: (للذكر) والتذكر والتفكر، ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (١٧القمر) ولم يقُل أيضـــاً: فهل من تال، لأن العبرة بالتذكر والتدبر في كلام الله، لكي نعمل به فننال رضا الله ﷻ، ومتابعة حبيب الله ومصطفاه.

والله ﷻ يقول في مناجاة أنزلها على نبي الله داود وهي له ولأمته ولنا أجمعين، لقول الحبيب ﷺ:

{ حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمُ الأَعَاجِيبُ }[٣]

يقول الله تعالى في هذا الأثر لنبيه داود:

(عبدي يأتيك كتابٌ من حبيب لك وأنت في الطريق تمشي، فتجلس لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفا، وهذا كتابي أنزلته إليك، أفكنتُ أهون عليك من بعض أقربائك؟! عبدي يجلس إليك حبيبٌ أو صديقٌ يتحدث معك،

٣ فوائد تمام الرازي والزهد لأحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

فتُقبل على حديثه بكل وجهك، وتستمع إليه بكل سمعك، وها أنا ذا متحدثٌ معك، أفكنتُ عندك أهون من بعض جُلسائك؟!).

كلام الله يكفي فيه قول الله: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَـٰشِعًا ﴾ (٢١الحشر) لو نزل على جبلٍ فإن الجبل يخشع، من ماذا؟

﴿ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢١الحشر).

قال السادة العلماء: القلب الذي لا يخشع ولا يخضع ولا يتأثر بكلام الله عند سماعه فهو أقسى من الجبال، وأشد من الصخور الصماء، لأنها تخشع لكلام الله جل في عُلاه.

هذه الرسائل جعل الله ﷻ فيها رسائل للمؤمنين، ورسائل للناس أجمعين، ورسائل لخاصة المؤمنين الذين لهم منزلةً كريمة عند رب العالمين ﷻ.

فأرسل للمؤمنين ثنتان وثمانون رسالة، والتي تبدأ بقول الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " وماذا يريد صاحب الرسالة ﷻ لننفذ ما فيها؟ هذه الرسائل كلنا مطالبين بقراءتهم، أو يقرأهم لنا أحدٌ، ونفهم ما فيهم، وننفذ مراد الله ﷻ.

وهناك رسائل للناس وهي التي تبدأ بـ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ " وهي رسائل خصَّصها الله ﷻ لكل الخلق، مؤمنهم وغير مؤمنهم.

أهل مقام العبودية لله

لكن الرسائل لخاصة الخاصة، وأهل القرب، والذين لهم منزلة عند الله، كهذه الرسالة التي معنا اليوم: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾ عندما يسمع أهل القرب نداء الله: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾ يموتون عشقاً وغراماً وهُياماً في ذات ذي الجلال والإكرام، لأنه جعلنا في منزلة عُظمى، وهي منزلة عباد الله، ولا توجد منزلة أعلى من هذه المنزلة أبداً، فهي منزلة العبودية لله ﷻ.

وأضاف إلى العبودية الإيمان: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ لنعرف أن الأرض كلها لله ﷻ، وكل ما فيها من أشجار، ومن ثمار، ومن أطيار، ومن بحار، وكل ما في باطنها من معادن وغيرها .. الكل ملكٌ لله جل في عُلاه، والله ﷻ يوزّعه بما يشاء على عباده سبحانه وتعالى.

الأرزاق والتقوى

﴿ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ هذه الآية تعالج مشكلة ومعضلة موجودة في كل زمان ومكان، وزادت في زماننا، فالناس التي تتكاسل عن العبادات، وتتباطأ عن الطاعات، وأحياناً تتوقف بالكلية عن الفرائض المفترضة التي افترضها عليها رب البريات

، تســـأل أحدهم: لماذا تترك العبادة؟ يقول لك: وهل أترك الأرزاق وأجلس في المســجد؟! فمعي مصــالح ومعي معايش، وأريد أن أجلب طعاماً للأولاد، وأجلب لهم النفقات، وجعل الأولاد حُجة!!.

والله ﷻ في هذا الكلام المبارك أبطل هذه الحُجة، لأن الله ﷻ قسَـــم الأمر بيننا وبينه، فنحن علينا شي، وهو عليه شيء، السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها أشارت إلى ذلك حين غلت الأســـعار في زمانها، فقالوا لها: الأســـعار زادت عن الحد، أفلم تسـمعي بذلك؟ قالت: (وعزِّة ربي لو صــارت الحبة بدينار ما اهتممتُ، عليَّ أن أعبده كما أمرني، وعليه أن يرزقني كما وعدني).

كل واحد له تخصـــصــــه، فلماذا أدخل في تخصـــص الله؟ ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ (١٣٢طه) والرزق يا رب؟ قال لي: ﴿ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ ﴾ (١٣٢طه)

من الذي عليه الرزق؟ حضــرة الرزاق ﷻ، ولذلك ورد في الأثر، يقول الله: (إذا كنتُ أرزق من غفِل عني وعصاني، فكيف لا أرزق من أطاعني ودعاني؟!).

العاصـــي يرزقه الله، والغافل يرزقه الله، أفلا يرزق التقي النقي؟!! فالتقي النقي سيرزقه ومعه دعمٌ إلهيٌّ، أما الرزق للآخرين ليس معه معونة ولا مدد، وقال فيه الله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

هذه الجزئية التي كان يعيش فيها حضرة النبي وصحبه الكرام والصالحين إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، وهي الجزئية التي يغفل عنها كثير من الناس، فالناس يريدون العدد، ولكن الله يريد من المؤمن أن يطلب المدد من الواحد الأحد، والمدد لو نزل في الرزق القليل يقوم مقام الكثير، بل يفيض ويزيد ما دام بارك فيه الحميد المجيد ﷻ.

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى عندما تحدث عن تقوى القُرى، وعندما يجتمعون ويتقون الله، وتكون المجموعة كلها أتقياء، فما النتيجة؟: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف) لم يقُل فتحنا عليهم خيرات، فالخيرات كما هي، ولكنه سيضع فيها البركة، وهذا هو الدعم الإلهي النوراني للمؤمنين، الذي لو وصل للمؤمن لا يخشى إلا الله، لأنه سيكون في كفالة الله ورعاية الله على الدوام إن شاء الله.

وهي الحالة التي ورَّثها سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه البررة الكرام، ومشى عليها الصالحون على مدى الأيام، فكانوا يعتمدون على البركة التي تنزل من الله ﷻ إن كان في الزرع، أو في الضرع، أو في الجسم، أو في الأولاد، أو في البيت .. كل شيء تمسُّه البركة يزيد، والبركة يعني الزيادة، فيزيده الله وينميه،

ولا يعلم أحدٌ ما جعل الله فيه من خير ادخره الله سبحانه وتعالى لصاحبه الذي أعطاه له: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ لا تخافوا أبداً، كما ورد في الأثر عن رب العزة: (يا ابن آدم لا تخشى من ضيق الرزق و خزائني ملآنة، وخزائني لا تنفذ أبداً) وهل خزائن الله ينتهى مددها؟ حاشا لله ﷻ، فخزائن الله مملوءة ولكن تحتاج للوسيلة: ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٤١البقرة) نتحقق فقط بتقوى الله ﷻ.

المشاكل التي حدثت، والتي تحدث في المجتمع، والتي أذهبت الأرزاق، وأفسدت الأخلاق، وضيعت البركات، أن الناس ليس عندهم التقوى المطلوبة لله جل في عُلاه، وهو يرى أن الأرزاق لا تكفيه، فيغش في الكيل، ويغش في الوزن، أو يغش في السعر، أو يحتال، أو يكذب، وهذا ما ضيَّع البركة بين المؤمنين، وزادت المشاكل والخلافات بين المسلمين.

لكن لو أن المسلمين اتقوا الله، وراقبوا الله مراقبة من يعلم أنه يطلع عليه ويراه، فالقليل سيُغني عن الكثير بفضل البركة النازلة من عند العلى الكبير ﷻ.

الرجوع إلى الله

وحذَّر الله ﷻ الذين يصـــنعون ذلك في كل زمان ومكان، والذين جعلتهم الدنيا يتخلون عن تقوى الله، ومراقبة الله، وتستهويهم النفوس فيصـنعون ما لا يُرضـي الله مع عباد الله، فقال لهم: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ هل نسيتم أنكم ستموتون؟!! والإنسان لا يدري ما الوقت الذي سـيخرج فيه لتلبية نداء الله: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٣٤لقمان) والحبيب ﷺ حذرنا من هذه اللحظة، وقال لنا:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[٤]

البركة في حُسن الختام؛ أن يختم الله ﷻ له بالإسلام والإيمان، فأنبياء الله ورسل الله ماذا كانت كل طلباتهم؟ الوفاة على الإســلام، فأحدهم يقول: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (١٠١يوســف) وهذا نبيٌّ من أنبياء الله ﷻ، يريد أن يثبِّته الله على الإيمان حتى يلحق بالصالحين ويخرج في روح وريحان إلى رب راض عنه غير غضبان.

وهذه هي الحالة التي يجب أن يحرص عليها كل مسلم،

---

٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

فهي تعتبر السائق الذي يسوق النفس إلى طاعة الرحمن ﷻ، لكن إذا نسيها الإنسان، ونسي أنه سيموت، وهُيئ له أنه مُخلَّدٌ في الدنيا، فستُسيطر عليه النفس والحظ والهوى، ويمشي على هواه، وعند النفس الأخير عندما يرى ما جُهّز له، يطلب الرجعة، ولا يلبيه العلي الكبير!!، فيقول: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون).

فلماذا لم تُجهّز نفسك لهذه الساعة؟!! ولذلك ينبغي على المؤمن على الدوام أن يكون ذاكراً أنه إن آجلاً أو عاجلاً سيرحل من الدنيا للقاء مولاه، وأن محطة السفر الأخيرة هي قول الله: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ (٨العلق) ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (٤٢النجم)

فالمهم هذه اللحظة التي سيموت فيها، وقال فيها حضرة النبي:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[5]

---

5 صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وقد قيل:

ولـو أنـا إذا مـتـنـا تُـركـنـا	لـكـان الـمـوت غـايـة كـل حـيٍّ
ولـكـنـا إذا مـتـنـا بُـعـثـنـا	فـنُسـأل بـعـدهـا عـن كـل شـيء

فلو لم يكن هناك حسابٌ ولا سؤال بعد الموت لكان الأمر سهل، ولكنه سيُسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير، وكل أمر فعله، وكل لفظ نطقه .. سيُسائله الله ﷻ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فما يُعين الإنسان على دوام الاستقامة، وعلى العمل الصالح في الدنيا هو تذكر الموت والدار الآخرة والحساب والعرض على الله ﷻ، ويزيد في رغبته في ذلك أن يتذكر الأفراد الأفذاذ الذين تحدَّث عنهم الله وبيَّن منازلهم ومكانتهم.

فنحن كلنا سنخرج من الدنيا ولكن العاقل والكيِّس والفطن الذي يُحدد لنفسه منزلةً كريمة، فالذي يُريد أن يكون من المقربين، غير الذي يريد أن يكون من أصحاب اليمين، فهذه منزلة وتلك منزلة.

والذي يريد أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ويطمع أن يغفر له الله ويعفو عنه، فهل هذا مثل هذا؟! لا، فالإنسان العاقل هو الذي يختار المنزلة وهو في الدنيا، قال ﷺ:

{ إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ }[6]

اجعل دائماً عندك همة كبيرة في الطلبات التي تريدها في الآخرة، قال ﷺ:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[7]

فدائماً الإنســـان يحاول، فكما أن له في الدنيا تطلعات يجب أن يكون له تطلعات أعظم عند الله في الجنة وفي الآخرة لكي ينال ما يتمناه.

والله أعطانا نموذجاً في هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ودائماً في القرآن الإيمان مقرون بالعمل الصـــالح، فمن يدَّعي الإيمان ويترك العمل فهو كما قال الحســن البصــري رضي الله عنه: (وإن قوماً غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حســنة لهم، قالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)

فالإيمان دعوة، والدليل عليه العمل الصـــالح، والإيمان حجَّة، والبرهان على صـــدق الحجة العمل الصـــالح، ولذلك قرن الله الإيمان بالعمل الصـــالح في كل آيات القرآن التي تحدث فيها عن الإيمان.

---

٦ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

أهل الغرف

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ هذه الغرف منزلة عالية في أعلى الجنة، ذكر الله ﷻ في عباد الرحمن أن جزاءهم: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٧٥الفرقان) وهنا أيضاً جعل الله جزاء الغرف للذين صبروا، هذه الغرف هي:

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ﴾ (٢٠الزمر) وهؤلاء القوم بعد أن يدخلوا الجنة يقول الله تعالى لهم:

{ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[8]

---

[8] البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ينـالون رضـــوان الله ﷻ، وهـذه الغرف هي التي يُلقون فيهـا من الله التحيـة والسـلام: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ (٧٥الفرقان) من الله ﷻ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤الأحزاب) وحضـــرة النبي ﷺ بيَّن هذا الأمر أن أُناســاً يتمتعون في الجنة من أكل وشُـــرب وحور وقصـــور وغيرها، وأُناسٌ أكمل مُتعهم النظر إلى وجه الله ﷻ في الجنـة، فهذه هي المتعـة الأعظم، والنعيم الأكرم، والـذي يقول الله فيـه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة).

هذه هي النعمة الأعظم والأكرم التي ســيُكرم بها الله خاصـــة المباركين والثُّلَّة المباركة من المتقين؛ بأن يُبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم، قال ﷺ في حديثه الآخر:

{ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ }[9]

ما رأوا نعيماً ولا نعمة أبهى ولا أشــهى من النظر إلى وجه الله ﷻ، فالنظر إلى وجـه الله ﷻ هو بُغيـة المؤمنين، وبُغيـة المتقين على الـدوام، حتى أن الله ﷻ جعلهـا الأجر الكريم الأعظم للذين يصــومون في شــهر رمضـــان ابتغاء النظر إلى وجه الله، فالمهم أن تقدم طلباً على هذه البُغية، وعلى هذه النية، فالذي لا يريدها كيف يأخذها؟!! لذلك لا بد من تقديم طلب عليها، قال ﷺ:

٩ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ؓ

{ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه }[10]

نحن نعرف في الشريعة أن المقصود صوموا لرؤية الهلال، وأفطروا لرؤية الهلال، لكن الصالحين لهم إشارة في الحديث وهي: صوموا من أجل رؤيته، يعني اجعل النية لرؤية الله ﷻ، ومتى تُفطر؟ عند رؤيته ﷻ، ولذلك قال ﷺ:

{ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ }[11]

لأنه كان كل أمله وعشمه لقاء الله ﷻ، الشيخ ابن الفارض رضي الله عنه وأرضاه وهو يعالج سكرات الموت مثل المؤمنين الصادقين رأى منزلته في الجنة، يُبشره بها الله ليفرح بلقاء الله، فيفرح الله بلقائه، لكنه لما رأى منزلته في الجنة حزن وقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكموا ما قد رأيتُ فقد ضيعت أيامي

وماذا يريد؟ يُريد وجه الله ﷻ، فلم يعبد الله ﷻ من أجل جنته، وإنما من أجل النظر إلى وجه حضرته تبارك وتعالى.

فالذين يُؤهلهم الله للنظر إلى وجهه الكريم، هؤلاء سيكونوا في هذه الغُرف التي تجري من تحتها الأنهار، وطمأنهم الله بأنهم لن يخرجوا منها، فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ لو لم يقُل (خالدين فيها) لكانت مدة مُحددة ويخرجون منها، لكن هذا أمان واطمئنان من الله.

---

10 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
11 صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

حسن الخاتمة

ثم قال الله ﷻ مادحاً لهم ومُثنياً على أعمالهم لنسابق في اللحاق بهم:

﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾.

سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ وأرضاه في لحظات سكرات الموت حدَّق البصر وأطال، ثم قال: إني أرى حضـــرة ما هم بجن ولا إنس، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، وخرجت روحه للقاء الحق ﷻ، وهذه هي بركة حُسن الختام.

السيدة نفيسة - نفيسة العلوم رضي الله عنها :

حفرت قبرها في بيتها، وهو الذي دُفنت فيه، ومكثت خمس عشــرة ســنة تتعبد فيه، وتقرأ فيه القرآن، وتصوم النهار، وتقوم الليل، وجاء أجلها في رمضان فمرضت مرضاً شديداً، وأوصاها الأطباء أن تفطر لعدم قدرتها على الصيام، فقالت: أنا كنتُ أتمنى أن أرجع إلى الله وأنا صـــائمة، أأفطر اليوم؟!! لا والله لا يكون، ثم أخذت في تلاوة وردها من القرآن الكريم إلى أن وصلت في سورة الأنعام إلى قول الله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١٢٧الأنعام) وخرجت الروح للقاء الله ﷻ، وكانت الآية التي بعدها: ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٧الأنعام).

فهؤلاء القوم يجعل الله ﷻ لهم حُسن الختام هو الأجر العظيم، ويزيدهم فيجعلهم من ذوي النظر إلى وجه الله الكريم سبحانه وتعالى.

مقام الصبر

ما الأعمال التي مدحهم الله عليها وقال: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾؟ ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ لا بد من الصبر، فالله يقول لنا كلنا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠آل عمران) وأعظم الصبر في عصرنا هذا :

هو الصبر عن الحرام، وعن المطعم الحرام، لأن المطعم الحرام يجعل صاحبه لا يتقبل الله منه عملاً ولا دعاءاً ولا صلاة ولا صياماً، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }[١٢]

وقال لسيدنا سعد بن أبي وقاص وكان قد سأله أن يكون مُجاب الدعوة:

---

١٢ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }[13]

فالذي يأكل الحرام لا يُقبل منه صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا دعاء، ولا تلاوة للقرآن، ولا ذكر لله، ولا أي عمل، لأن بعض الناس يخدعون أنفسهم، فيتكسَّب من الحرام وفي النهاية يقول أبني مسجداً لله، لكن المسجد لا بد وأن يُؤسَّس على التقوى، ولا يجوز بناء مسجد من الحرام: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (108التوبة) أو يقول: أنا أحج بيت الله الحرام، لكن النبي ﷺ قال:

{ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَنَادَى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلالٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلالٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَنَادَى: لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ }[14]

---

13 معجم الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ
14 معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ

فلا يقبل الله تعالى منه عملاً قليلاً ولا كثيراً، فأعظم الصــــبر في عصــــرنا هذا جماعة المؤمنين الصبر على المطعم الحلال، والمطعم الحلال كما قال فيه سيدنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما: (اللقمة الحلال لها نورٌ في القلب يشد الأعضاء إلى طاعة الله ويجمدهم عن معصــية الله، واللقمة الحرام لها ظُلمة في القلب تجمِّد الجوارح عن طاعة الله، وتشدها إلى معاصي الله ﷻ).

فأساس حل المشاكل كلها المطعم الحلال، وهذا الذي يحتاج إلى الصبر الجميل في هذه الحياة الدنيا.

والله ﷻ وهو الرزاق قدَّر الأرزاق التي تكفي كل إنســـان مؤمنٍ إذا اتقى الله بما يتوالى عليه من البركة من عند مولاه جل في علاه، وإذا جاءته البركة فيكون أغنى الأغنياء، لأنه سيكون راض عن الله:

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ }[15]

---

١٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

يحتاج المؤمن بعد ذلك إلى الصبر على الطاعات، وخاصة في المشقَّات أيام الصيام في الأشهر الحارة، وصلاة الفجر في اليوم أو الليلة الباردة، ويحتاج الإنسان إلى الصبر الجميل عند التعرض للمصائب، أو للمرض، أو ما شابه ذلك، والمؤمن دائماً وأبداً يجعل الله ﷻ له في هذه الأشياء إما تكفيراً لخطيئة فعلها، أو غُفراناً لذنوب ارتكبها، أو يجعلها رفعة في الدرجات عند رفيع الدرجات ﷻ، قال ﷺ:

{ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلا هَمٍّ وَلا حَزَنٍ، وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ }[16]

وكما قال سيد الرسل والأنبياء ﷺ:

{ مَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ }[17]

فيكون طاهراً مُطهراً على الدوام، فإذا تطهر وجاء البلاء، يكون البلاء لينال درجة في الجنة يرجوها عند الله، وعمله لا يُبلِّغه إياها، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُبْتَلَى بِالْبَلاءِ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَيُبْتَلَى بِالْبَلاءِ حَتَّى يَنَالَ مِنْهُ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لا يَنَالُهَا دُونَ أَنْ يُبْتَلَى بِذَلِكَ، فَيُبْلِغُهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ }[18]

---

١٦ مسند أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٨ المطالب العالية لابن حجر، والطبقات الكبرى لابن سعد عن معيقب بن أبي فاطمة رضي الله عنه

لأنه لم يبلغها بعمله فيبتليه ليرفعه، وبعض الناس الذين لا يفقهون يجعل البلاء غضبٌ من الله ـ سبحان الله ـ أشد الناس بلاءً الأنبياء، فلو كان البلاء غضباً ما أنزله الله ﷻ على الأنبياء، ولكن البلاء كما قلت: إما كفارةٌ للذنوب، وإما رفعةٌ للدرجات، وإما يدفع الله به بلاءاً نازل من السـماء، يلتقي البلاء النازل من السـماء فيدفعه عن الإنسـان، فيكون الإنسـان دائماً وأبداً من عباد الرحمن الذين ليس للشـيطان عليهم سلطان.

حسن التوكل على الله

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ على ربهم يتوكلون في كل شـئونهم، وفي كل أحوالهم، وفي كل أمورهم، فإن المؤمن على الدوام لا يتوكل إلا على مولاه، حتى ولو كان المال في يده، فإنه أوثق فيما عند الله منه بما في يده، فما في يده ربما يضيع منه، لكن ما عند الله يأتيه على اليقين، ولذلك دائماً المؤمن ثقته في الله ﷻ وتوكله عليه لا يُعد ولا يُحد.

نسـأل الله ﷻ أن يُفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشـدنا، وأن يعيننا على العمل بما علمنا، وأن يعلّمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعلنا من عباده الصـابرين والمتوكلين، وأن يرزقنا الأرزاق الحلال المباركة الطيبة، وأن يحفظنا من المعاصـي والفتن ما ظهر منها وما بطن

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩العنكبوت)

١١.معية الله للمحسنين[١]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي منَّ علينا بهُداه، وتفضَّل علينا بأكبر نعمة وهي أننا من أمة حبيب الله ومصطفاه، وجعلنا بفضله وجوده وكرمه هُداة مهديين، وحفظنا بحفظه من الضلال والضالين، ونسأله ﷻ أن يُثبِّتنا على ذلك ويزيدنا منه نحن وأبناءنا وبناتنا وأحفادنا إلى يوم الدين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد كنز العناية الربانية، وباب الهداية الإلهية، وسرُّ كل المقامات الإحسانية واليقينية، صلى الله عليه وعلى آله أهل هذه المنازل العالية، وأصحابه الذين نالوا بفضله هذه الدرجات الراقية، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين في الدنيا ويوم الدين ... آمين يا رب العالمين.

لفت نظري أن آيات القرآن فيها توصيفٌ وتخصيصٌ لكل مراتب ومراقي أهل الإيمان، فكل رتبة لها آياتها، ولها خطابها، ولها أجرها وثوابها، أو درجاتها ومقاماتها وترقياتها.

---
١ ترعة ناصر - إسنا – الأقصر ١ من جماد الأول ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٩م

منزلة العُبَّاد

العُبَّاد الذين يجتهدون في العبادة، منهم من يجتهد في قيام الليل، أو في صـــيام النهار، أو في تلاوة القرآن، أو في ذكر الله ... رغبةً فيما أعدَّه الله ﷻ في الجنة العالية لمن فعل ذلك، وهؤلاء خصَّــهم الله بآياتٍ في ذلك، ووراء كل آية ذكر الجزاء والأجر والثواب الذي سيُجزون به يوم القيامة.

رتبة المُخلَصين

أما المخلِصين والمخلَصين فلا يبغون من الدنيا والآخرة غير وجه رب العالمين ﷻ، لا يعبدونه طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره، وإنما يعبدونه ﷻ لذاته لأنه أهلاً لهذه العبادة.

والإمام عليّ ﷺ وكرَّم الله وجهه كان يقول لنا ولأشـــباهنا وأمثالنا من المتعلقين بهم: (لا تعبدوا الله خوفاً من ناره، فتكونوا كالأجير السوء، لو لم يخف لم يعمل، ولا تعبدوا الله ﷻ طمعاً في جنته فتكونوا كالتجار، لو لم يأخذوا الأجر لم يعبدوا، ولكن اعبدوا الله عبادة الأحرار، لو لم يخلق جنة أو ناراً أفلم يكن يستحق العبادة لذاته؟!).

وهذه المقامات ذكرها القرآن، فهناك جماعة ذكرهم القرآن وقال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (١٦السجدة) إما خائفين من النار أو طامعين في الجنة.

وهناك جماعة آخرين، وهؤلاء الذين طلب الله من حضــرة النبي ﷺ أن يصــبر معهم، ويُصــبِّر نفســه معهم، وقال فيهم: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ (٢٨الكهف) ما الصــنف الذي يصـــبر معهم رســـول الله؟ ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) لا يريدون إلا وجه الله ﷻ.

وهل أنا أعبد الله ليُدخلني الجنة؟! والجنة طعام وشـــراب، وهل الجنة أعظم من الله لأطلبها وأريد أن يعطيها لي الله؟!! لكن نعبد الله لذاته.

أنا جئت لأزورك في بيتك، فقابلني الذين في البيت وقدموا لي أفخر الطعام، وأشهى الشراب، وقالوا: كُل لأن صاحب المنزل مشغول ولن يستطيع مقابلتك، فهل أتلذذ أنا بالطعام أو بالشـراب؟!! لا، لأني جئتُ لصــاحب البيت، وليس للخيرات التي في البيت.

والجنة أحببناها لأن فيها وجه الله، وفيها النظر إلى جمال حضرته، وفيها التَّملي بجمال طلعته، وفيها الحبيب ﷺ وصــحابته، وليس من أجل الحور ولا القصــور ولا غير ذلك، قيل لأحد العارفين: أتشـــتاق إلى الجنة؟ قال: نعم، قيل: ولِمَ؟ قال: لأن فيها رسول الله.

وليس من أجل الطعام والشراب والحور والقصور وهذه الأشياء، ولكن لأن فيها سيدنا رسول الله، فهؤلاء القوم هم خاصة الخاصة من عباد الله الصالحين.

وهؤلاء ليصـــلوا إلى هذا المقام لهم آيات ذكرها الله ﷻ في القرآن، ذكر فيها أوصافهم، وبيَّن فيها أعمالهم التي يعملونها، ثم ذكر ما لهم عنده ﷻ.

وأجمل ما عنده في قوله للجماعة الأولى أن لهم هذه الجنة: ﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣الأعراف) تفضلوا فالموائد ممدودة، والقصور مشهودة، والحور جاهزة، أما الآخرين: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦يونس) قال ﷺ في هذه الآية:

{ الْحَسَنَةُ الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ }[٢]

بعد أن يدخلوا الجنة يخاطبهم الحق ﷻ ويقول لهم كما أخبر النبي ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }[٣]

---

٢ حلية الأولياء لأي نعيم عن كعب بن عجرة ﷺ
٣ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢٢-٢٣القيامة) حتى النساء من الأمة طُلاب هذه المقامات كنَّ كذلك في هذه العنايات، فالسيدة رابعة العدوية رضي الله عنها كانت تقول: (إن كُنتُ أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني بنارك، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فلا تُدخلني جنتك، وإن كنت أعبدك لذاتك فلا تحرمني من ذاتك) عبادة خالصة لله جل في عُلاه.

جهاد المُخلَصين

هؤلاء القوم لا بد أن يكون لهم في الدنيا جهاد، جهاد شديد قال فيه الله: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) ولماذا هذا الجهاد؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ لم يقُل أجر وثواب، ولكن قال: ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ عاقبة الجهاد أن يكشف لهم الطُرق الموصلة إليه، والسُبل الهادية إلى عليِّ جنابه، ويكشف لهم الحُجب التي تمنع القلوب عن النظر إلى عليِّ جنابه.

فكلنا مجهزين ولكن نحتاج إلى جهاد بسيط نستعين فيه بالله، ونقتدي فيه برسول الله، ونأخذ فيه رُفقة من الصالحين من عباد الله - خذ الرفيق قبل الطريق - حتى نصل إلى فضل الله، وإكرام الله، وإنعام الله ﷻ.

وكلمة ﴿ جَٰهَدُوا فِينَا ﴾:

تركها لنا الله مفتوحة لتشمل كل أنواع الجهاد، ولكن المهم أن القصد من الجهاد هو وجه الله.

أيِّ جهاد، لكن المهم في النية، ماذا يبغي من وراء هذا الجهاد؟ لا يبغي من ورائه سُمعة، ولا شُهرة، ولا دنيا، ولا حتى جنة أو آخرة، وإنما يبغي به وجه الله ﷻ.

فمَن يجاهد في طلب العلم ويعمل به لينال رضـــاء الله، فإن الله يورثه العلم المكنون الذي يُزيل الحجب التي على قلبه، حتى يشهد نور مولاه جل في عُلاه.

ومَن يجاهد في ذكر الله طلباً لوجه الله جل في عُلاه، فيظل الذكر يجلو مرآة قلبه، حتى تكون مرآة القلب شفافة ناصعة يظهر فيها أنوار ملكوت الله، ويظهر فيها نعيم جنة الله، ثم يظهر فيها أسماء الله وصفات الله، ثم يتجلَّى فيها بحضرته وكمالاته الله جل في عُلاه.

أي جهاد، المهم أن يقصـــد به وجه الله، والمهم أن يُحدد النية، والنية يجعلها خالصة لوجه الله، لا يريد من الكونين سواه جل في عُلاه.

قواطع السالكين

ما الذي يُؤخر المحبين والســـالكين والمريدين؟ العلل التي تدخل على النية، والبواعث الدنيوية والشهوانية، والحظوظ الظاهرة والخفية التي تدخل على المريدين، يريد أن يكون شــيخاً ويجتمع حوله المريدين فهذه علِّة، ومادام فيه علة يكون القلب غير سليم، وشرط وجه الله ﷻ: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

فلو أن الإنســان أخلص لله نَفَســاً بقلب سـليم تُمحى عنه كل الحُجب والأسـتار، وتزول عنه كل الأغيار، ولا تقع عين بصيرته إلا على العزيز الغفار ﷻ، نفسٌ واحد فقط:

نفسٌ بقلب سـليم رفعـةٌ ورضـا وألف عام بلا قلب كلحظات

لن يصـل إلى هذه البُغية ولا هذه المُنية، وكما قلت أن هذه البُغية بُغية الكُمَّل من العارفين، وأهل الكمال من الصالحين، الذين يقول أحدهم:

وغاية بُغيتي يبدو حبيبي بعين الروح لا يبدو خفيّا

سيدنا عمر بن الفارض ﷺ كان في الجامع الأزهر، ووجد رجلاً يتوضـأ، وكان رجلاً مجذوباً، ولا يعرف ترتيب الوضـوء الصـحيح، فاختلط عليه الأمر فغير ترتيب الوضـوء، فقال له: يا هذا الوضـوء غير ذلك، فدفعه هذا الرجل دفعةً بيده فوجد نفسـه في صـحراء مكة، لأن هذا الرجل كان في هذا الوقت في مشــاهد غيبية إلهية، وملك الملوك ﷻ إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب، فكان في حال مع الله.

واستمرَّ ابن الفارض في صحراء مكة خمس عشرة سنة، في ذهابه وإيابه لا يصحب إلا الوحوش، ويشتغل بذكر الله ﷻ، وبعد خمس عشرة سنة، إذا بالرجل يقول له وهو في مصر: يا عمر إني سأموت اليوم وتعالى لتُصلي عليَّ صلاة الجنازة، وشدَّه وجذبه بيده فوجد نفسه في مصر!!.

نحن نسمع قصائده ونتمتع بها، وهو قالها وهو في حالة المناجاة لله وهو في صحراء مكة بين الوحوش، فلم يكن عنده غير الله، فكان هائماً على وجهه لا يدري بشيء حوله وهو مع الله جل في عُلاه، لماذا؟ لجلاء السريرة وإنارة البصيرة، لأنه لا بد من حالة الجلاء البصري.

والعادة أن الصالحين تُعرض عليهم منازلهم في الآخرة وهم في الحياة الدنيا إذا كانوا متمكنين، فيعرف ما له هناك، كما قال الله: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ (٦محمد)

حتى لا يَسأل هناك، فيخرج من الدنيا ويعرف قصوره التي في الجنة وماذا تحتوي؟ ويعرف كل ما له عند ملك الملوك ﷻ.

ومنهم من يرى منزلته في الجنة في اللحظات الأخيرة عند موته، وكل واحد على حسب مقامه: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ (١٦٤الصافات).

وســـيدنا عمر بن الفارض ﷺ وأرضـــاه في اللحظات الأخيرة عند موته رأى منزلته العظيمة التي في الجنة، فعندما رآها بكى وقال:

فـإن تـكُ منزلتي في الحـب عنـدكموا   مـا قـد رأيـتُ فقـد ضــيَّعـتُ أيـامـي

إذا كانت مكافأتي عندكم هذه المباني والحور والقصـور، فأكون قد ضـيعتُ هذه الأيام، وماذا تريد؟ أريد وجه الله:

أمـنـيــة ظـفـرت روحــي بــهـا زمـنــاً   والـيـوم أحســـبـهـا أضــــغـاث أحـلام

أنا أريد الأمنية التي كانت تنتابني على الدوام، فكُشـف له عن جمال وجه الله، ثم خرجت روحه لتحدث حالة جمع الجمع على الجامع جل في عُلاه.

الصدق في النية

فهؤلاء دائماً يركزون حتى مع المبتدئين ...

فأهم شـــيء في طريق الله ﷻ أن تحقق النية، وتجعلها لوجه رب البرية ﷻ في كل عمل، وفي كل حركة، وفي كل ســكنة، حتى ولو كان في الســعي على المعاش، حتى ولو كان في مداعبة الأولاد، حتى ولو كان في اللقاء مع النســاء، لا يريد من أي أمر يفعله ولا أي قول يقوله إلا وجه الله ﷻ.

إذا كانت الهمة عالية فإن الله يُنزلهم المنازل العالية، ويفتح لهم الآفاق، ويرفعهم من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وكما قال بعض الصالحين: أن تعبد الله كأنك تراه إذا قدرت على نفسك وأفنيت نفسك في ذات الله، وأَمَتَّ شهواتك وحظوظك وأهواءك رغبةً في وجه الله، وأصبحت وكأنك ميت بين يدي الله، ودخلت في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ (١٢٢الأنعام)

وهذه ليست في الآخرة لأنه قال له: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام)

... فيُعطيه نور الكشف، ونور الفِراسة، ونور الوراثة ....

يمشي به في الناس، لأنه لم يعد معه حظٌ ولا هوى ولا مجاملة ولا شيء من هذا القبيل، وإنما أصبح قائماً با لله لله جل في عُلاه.

فإن لم تكن - تراه، يعني إذا وقفت عند: (فإن لم تكن) فبعدها (تراه)، وهذه همسة أخرى ولمسة أُخرى، يأخذها العارفون من كلام سيد الأولين والآخرين ﷺ ..

لأن لهم في عبارات النبوة إشارات، وفي عبارات القرآن لمحات وإشارات، تستنير بها قلوبهم إلهاماً من رب البريات ﷻ.

معية الله للمحسنين

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ :

معهم بتأييده وحوله وطوله وتوفيقه ومعونته وقوته وكل شيء، فيمشون ومعهم رعاية الله وعناية الله على الدوام.

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهنَّ أمان

لأن معه وجه الله، قال ﷺ:

{ مَنْ خَافَ اللَّهَ خَوَّفَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ }[4]

ما دام ليس هناك أحد معه إلا الله، فتكون معه رعاية الله جل في عُلاه في كل الأحوال، فإذا تمَّ لهم ذلك تحققت الإشارة في الآية وفي العبارة.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾:

وهنا معني آخر وهو أنه لَمَّع المحسنين، أي يُلمِّعهم ويُظهرهم لكي يهتدي بهم الحائرين والسالكين والمحبين والطالبين لفضل رب العالمين ﷻ.

---

[4] مسند الشهاب عن واثلة بن الأسقع ﵁

من الذي يُلمِّعهم؟ الله، لكن الذي يُلمِّع نفسه يكون نوره خافتاً لا يراه أحد من أهل القلوب، ولن يُحيط به إلا كل معيوب، لأنه هو الذي أقام نفسه، لكن هؤلاء الذي لمَّعهم هو الله ﷻ، الشيخ أحمد أبو شرقاوي رضي الله عنه يقول:

قد رُمتُ نهجاً خفياً أستريح به ... ولكن رب العلى للخلق أبداني
فصرتُ لله مشكاةً ومأذنةً ... طوبى لمن باللقا والبشر يلقاني

هؤلاء هم الفحول الذين يقول فيهم سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه:

(إن لله رجالاً لا يقومون لدعوة الله إلا إذا هدَّدهم بالسلب)

لأنهم فرحين بالخلوة، لأن فيها أُنس، وفيها لُطف، وفيها إنعام، وفيها إكرام على الدوام من الله ﷻ، ومن الحبيب المصطفى، لكن مع الخلق يجدون المناكفات والمشاكسات وغير ذلك، هم يريدون الراحة، والله ﷻ يريد راحة المحبين والسالكين والطالبين، فلا بد أن يُقيم المنارات بذاته للصادقين لكي لا يتوه هؤلاء الصادقين المخلصين، فإن الله ﷻ لا يمكر بطالبه، فيُيسر الأمور لهؤلاء الرجال.

فكلمة: ﴿ لَمَعَ ﴾:

لها معنيان اثنان:

- فهم في مقام الإحسان.

- وإذا تجاوزوا مقام الإحســـان وذهبوا إلى مقام الإيقان، وفنوا بالكلية في حضـرة الواحد الأحد الفرد الصـمد، أحياهم الله ﷻ به حياةً شـهودية، وردَّهم إلى البشــرية فكانوا باطنياً في جمع الجمع على الله، وظاهرياً في جمعٍ على خلق الله، فلا الخلق يشــغلونهم عن الله، ولا الله ﷻ يمنعهم عن إمداد الخلق بما يحبه ويرضـــاه، وهذا هو العجب العُجاب ...، ولكن لا عجب إذا كان الذي أقامهم هو الله، والذي اظهرهم هو الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

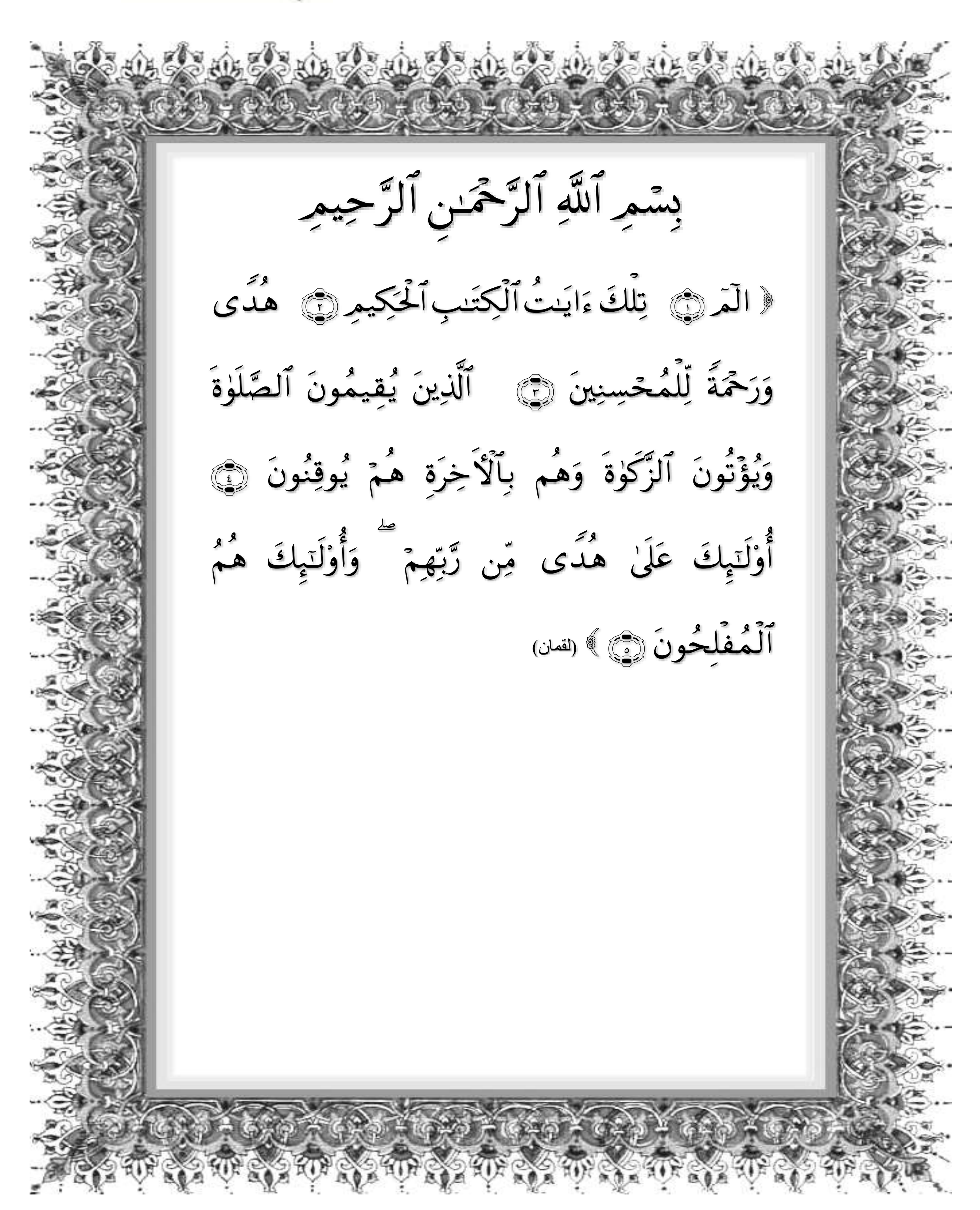
نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من رجال الله الصادقين ..

وأن يبلغنا مقام الكُمَّل من رجال الله العارفين ...

وأن يجعلنا دائماً وأبداً نتقلب في مراتب الإحســـان، وفي مقامات الإيقان .. ولا يكون في باطننا ولا في قلوبنا إلا وجه الله في كل وقت وآن، ولا نرجو منه في الآخرة إلا النظر إلى جمال حضرته ...

وأن نكون في الرضوان الأعلى في جنته للتملي على الدوام بشهود وجه عزته

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (لقمان)

١٢.أهل هداية الله[١]

بســم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي جمعنا في بيته على طاعته، ونســأله سبحانه وتعالى أن يُعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته، والصلاة والسلام على خيرته من بريته، صفوة الأنبياء والمرسلين، وإمام السعداء في الدنيا والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين، سيدنا محمد وآله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم بفضـــلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الآيات التي معنا تُبين أوصـاف فئة مباركة أعلى شـأنها الله، وبيَّن مقامها سـيدنا رسول الله ﷺ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال:

{ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا نَعْرِفُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ،

---

١ نجع العنانية بالقرايا - إسنا – الأقصر ٣ من جماد الأولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٣١م

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[٢]

جعل للدين مراتب ثلاثة، مرتبة الإســـلام، وهي المرتبة الأولى التي فيها كل المسلمين.

واختَصَّ الله من أهل هذه المرتبة طائفة من أهل القلوب الســـليمة والأعمال المستقيمة، والأحوال الكريمة، وهؤلاء جعلهم المؤمنين.

ثم اصطفى من المؤمنين رجال، وهم في المقام الأعلى، وجعلهم من المحسنين.

ويطول بنا الحديث لو استعرضنا حديث رسول الله ﷺ، لكني ذكرته لأُشير إلى مراتب الدين التي بيَّنها الله ﷻ على لسان جبريل، وعلى لسان الصادق الأمين ﷺ.

والآيات التي معنا تتحدث عن الطائفة الأعلى - نســـأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين – وهي طائفة المحسنين.

وبدأ الله ﷻ خطابه كما بدأ في تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم بالأحرف الهجائية، وهذا إعجاز من الله ﷻ لفصحاء العرب، وفطاحل العلماء، ومن جاء بعدهم من جهابذة العلم، إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها:

---

٢ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

﴿ الٓمٓ ﴾:

السادة المفسرين والمؤولين والعلماء والعارفين قالوا فيها ما لا نستطيع الإتيان به في هذا الوقت والحين، وكلٌ يتكلم على قدره بما شـرح الله ﷻ به صـدره، وكلهم مصيبون، لأنهم لا يتكلمون إلا عن فهم من الله، وإلهام منه تبارك وتعالى.

لكن الأولى في هذا الباب التسليم لله ﷻ في حروف كلماته، لأنها خصوصية من خصوصيات الله ﷻ، يبين بها إعجاز القرآن الكريم.

قال بعضهم: القرآن يتكون من الأحرف الهجائية كالألف واللام والميم إلى آخر الثمانية والعشـرين حرفاً: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هي مكونة من الأحرف الهجائية، ولكن الله تحدَّى فصحاء العرب أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا، أو أن يأتوا بعشر آيات، فعجزوا، أو أن يأتوا بآية واحدة، فعجزوا، لأنه كلام من يقول للشـيء كن فيكون.

وهذا كان أكبر دليل وبرهان على أنه كلام حضرة الرحمن ﷻ:

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

وعندما نتدبَّر في آيات القرآن نجد أن الله ﷻ تبارك اسمه وتعالى شأنه ولا إله غيره وصف القرآن في القرآن الكريم بأوصاف متعددة، فتارة يقول: ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ وتارةً يقول: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ (٥٢الشورى) وتارةً يقول: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ (٨٧الحجر) وتارةً يقول:﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ (٧٧الواقعة) وتعدد الأوصاف وتعدد الأسماء يدل على عظمة هذا الكلام، ولذلك نجد الله ﷻ تعددت أسماؤه وأوصافه لعظمته تبارك وتعالى، .... فسيدنا رسول الله ﷺ قال:

{ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ }[3]

وهناك رويات أخرى تذكر أكثر من ذلك، حتى يُعرِّفنا أنه ليس لها حصر، فعَنْ سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

---

[3] البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

{ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي اسْمَ اللَّهِ الْعَظِيمَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُومِي فَتَوَضَّئِي، ثُمَّ ادْعِي حَتَّى أَسْمَعَ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الأَعْظَمِ، وَبِاسْمِكَ الْكَبِيرِ الأَكْبَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَبْتِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ }[٤]

وأحياناً يقول ﷺ:

{ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ }[٥]

أربع أصـــنـاف لا يعلم مـا فيهم إلا من علّمـه الله ﷻ، ودخـل في قول الله: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف).

وكذلك نبينا ﷺ لعِظَم مكانته عند ربه، ورفعة درجته عند من يقول للشـــيء كن فيكون، تعددت أســـماؤه، حتى في كتاب الله، فمرة يذكره الله بالاســم الصـــريح: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (٢٩الفتح) ومرة يقول لـه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ (١المزمل) ومرة يقول لـه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ (١المدثر)

---

٤ الدعاء للطبراني عن أنس رضي الله عنه

٥ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ومرة يقول له: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (يس) ومرة يقول لـــــه: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ (طه)

ولذلك جمع الصالحون حوالي ألف اسم للنبي ﷺ من الأسماء الواردة في القرآن والسنة المباركة، وهذا على قدرهم، لكن قدر نبينا لا يعلمه إلا خالقه وباريه ﷻ!!.

فتعـدُّد الأســـمـاء، وتعـدد النعوت والأوصـــــاف، يـدل على عِظَم المكـانـة: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ ولو نظر الإنســـان إلى حكمة كلام الرحمن يجد العجب العُجـاب، الحرف الواحـد يُعطي معـاني لا يـدريهـا إلا الواحـد ﷻ، مثلاً يقول الله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ (٧٤الزمر) أمـا الكـافرين: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ (٧١الزمر)

الواو ليست موجودة في كلمة (فتحت)، وهذه الواو فيها معاني لا تُعد ولا تُحد، فالجنة مفتوحة ومُجهزَّة وُمهيأة ومُعدة لاســـتقبال الصـــالحين - نســأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين - وقبل أن يصــلوا إليها بمســيرة خمســمائة ســنة يشــمُّوا رائحتها الطيبة، ويشــاهدوا قصــور الجنة، ويشــاهدوا الحور وهنَّ واقفات في شــرفات الجنة يهنئونهم بسلامة الوصول، ويُغنين لهم:

{ نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلا نَبْؤُسُ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلا نَمُوتُ إِنَّا أَزْوَاجٌ كِرَامٌ لِكِرَامٍ طِبْنَا لَهُمْ وَطَابُوا لَنَا }[٦]

لكن جهنَّم لأنها للعذاب فإنها مغلَّقة الأبواب كالسـجن، لا تُفتح أبوابها إلا عندما يذهب فوجٌ ليدخلها، ثم تُغلق أبوابها مرة أخرى، حتى لا تؤذي بقية أهل الموقف بما فيها من نتن رائحتها، ومن مرارة شـراراتها، والشـرارة الواحدة التي فيها كالقصـر، ومن دُخَّانها الذي يُعمي الأبصـار ويُزكم الأنوف، فلا تُفتح إلا إذا جاءها الفوج، والزبانية يفتحونها ويدخلونهم ثم يُغلقوها مرةً ثانية.

فـالفرق بين هـاتين الآيتين حرفٌ واحـدٌ لنعرف حكمـة كلام الحكيم ﷻ، ولو اسـتطردنا في هذا المجال نجد أشـياءاً تُعجز الإنسـان، حتى يعلم الإنسـان أن كلام الرحمن ﷻ كله حكمٌ من كنوز الحكيم تبارك وتعالى.

الهدى والرحمة

هذا الكلام ماذا فيه لنا؟ ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ فيه هداية، وفيه رحمة لنا جماعة المحسنين، نحن اهتدينا لمعرفة الله، وآمنا بالله، وآمنا برسول الله، لكن الله قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (١٧محمد) نحتاج إلى زيادة الهداية من الله.

٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر ؓ

والذي يريد زيادة الهداية عليه بكتاب الله، فيقرأه ويتدبَّره، ويتمعَّن المعاني الإلهية التي فيه، فتتفجر عيون الهداية في قلبه، فيمتلئ بالهداية الإلهية العلية السرمدية، وكلما قرأ كلما زاد في الهداية، وكلما كان له شرف أن يكون من أهل الدرجات العُلى في سُلَّم العناية عند الله ﷻ.

وفيه رحمة، لأن الإنسان إذا عمل بما فيه يكون معه رحمة الله في الدنيا والآخرة، في الدنيا يرحمه الله من المشاكل والهم والغم والنصب والتعب، ويعيش في الدنيا في أفضل حال، وفي أريْح بال، لأن الله ﷻ يتولَّى أمره وسياسة شئونه على الدوام، ويدخل على الفور في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (٩٧النحل) ماذا له في الدنيا؟ ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل).

الحياة الطيبة

والحياة الطيبة ليست كما يفهم بعض الناس أنها العمارات والسيارات، فمعظم الذين عندهم هذه الأشياء لديهم هموم وغموم لا تنتهي، لكن الحياة الطيبة التي وصفها لنا حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا }[7]

الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن يبتليه في الدنيا ويُشدد عليه البلاء يُسلِّط عليه الهمَّ، ولو سلَّط الله على أحد الهمَّ فهل يتلذذ بطعام أو بشراب أو بنوم؟!! لا، فكون الله سبحانه وتعالى يحفظ الإنسان من الهموم، ويُيسِّر له ما لا بد له ولا غِناء له عنه في الحياة الدنيا، فهذا ما يحتاجه .. فلو كان عندي سبع قصور، فعلى أي شيئ أنام كل ليلة؟ على سرير واحد، أو حتى كنبة، أم هل سينام في شُقة كاملة؟!! ومهما وسَّع الله عليه الأرزاق والخيرات، فماذا يأكل؟ ما يكفي معدته، ولا يزيد عن ذلك، فعندما يُعطي الله الإنسان ما يكفيه فهذا دليل على عناية الله ﷻ به، ولذلك قال ﷺ:

{ ابْنَ آدَمَ، عِنْدِكَ مَا يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ؟ ابْنَ آدَمَ لا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ، وَلا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ؟ ابْنَ آدَمَ، إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافًى فِي جَسَدِكَ، آمِنًا فِي سِرْبِكَ، عِنْدِكَ قُوتُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ }[8]

وهي المصيبة التي حلَّت بالأمة في زماننا هذا، ونسينا وصية الحبيب ﷺ:

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ }[9]

---

٧ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخُطَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الترمذي،
٨ معجم الطبراني وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عمر بن الخطاب ﷺ
٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

أنا لا أريد إلا الضرورات، وبعبارة واضحة وصريحة: أنا أريد ستر الله إلى أن أخرج من هذه الحياة، لأننا مسـافرون وليسـت هذه دارنا، فدارنا عند الله ﷻ هناك، والتي دخلها سيدنا آدم وشاهدها ورآها وجهزها لنا الله لنخرج من هنا إلى هناك.

لذلك نريد هنا ستر الله الذي يكفينا حتى لا نمد أيدينا إلى خلق الله، ولا نمد أيدينا إلا إلى الله جل في عُلاه إلى أن نخرج من الدنيا، والزيادة ليس فيها مانع، ولكن مع توفيق من الموفق والتي قال فيها ﷺ:

{ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ }[10]

إذا زدتني فوفقني، حتى أنفق هذه الأمور فيما يُرضـيك يا ذا الجلال والإكرام، لكن إذا زادني وتركني فسيغرق الإنسان في الدنيا ويخرج من الدنيا ويقول: ﴿ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر).

فالإنسـان لو عمل بتعاليم القرآن، وتأسَّـى فيها بالنبي العدنان، فيكون قد رحم نفسـه في الدنيا، ورحم نفسـه في الآخرة، ودخل في قول الله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ﴾ (٦٣الفرقان) أصـبح من هذا الصـنف العظيم الذي مدحه الله في القرآن، ويكون من المحسنين.

---

١٠ صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص ؓ

كلنا نريد أن نكون من المحسنين، فماذا نفعل لكي نكون منهم ونصل إلى درجة الإحسان التي قال فيها حضرة النبي:

{ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[١١]

إقامة الصلاة

ماذا نفعل لنصل إلى هذه الدرجة؟ أتى لنا الله بالأوصاف التي توصلنا لها، فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ :

العمل الأساسي الذي يؤدي إلى مقام الإحسان ليس أداء الصلاة، ولكن إقامة الصلاة، فأداء الصلاة يعني يُصلي مسرعاً ثم يذهب إلى ما ينتظره في الخارج، ويُصلي وهو غافل، وأحياناً ينسى عدد الركعات التي صلَّاها، هل صلَّى أربع أو خمس ركعات!!، أو هل قرأ الفاتحة أم التشهد في الوقوف!!

لكن إقامة الصلاة يعني إحسان الوضوء، وإتمام الركوع والسجود، والتدبر في التلاوة، مع استحضار عظمة الله في القلب لكي يخشع الإنسان لله، ويكون حاضراً أثناء الصلاة مع مولاه جل في عُلاه.

---

١١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

من الذين يُحب الله صلاتهم؟ الإجابة في كتاب الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون) الذين يكون في صلاتهم خشوع، وخشوع يعني حضور القلب، ويقظة الإنسان عند أدائه للصلاة وهو بين يدي حضرة الرحمن عزوجل.

فلو أن الإنسان أدَّى الصلاة بهذه الكيفية، فلن تعترضه مشكلةٌ في الدنيا، لأنه عند أي مشكلة سيتوضأ ويُصلي ركعتين لله فيأتيه الحل فوراً في الوقت والحين من حضرة الله جل في عُلاه ... سيدنا رسول الله ﷺ كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزِبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ }[١٢]

فينتهي الأمر على الفور.

ومشى على هذا النهج الصحابة الكبار من الأبرار، وبعدهم العلماء الحكماء والصالحون إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها ...

وعلى سبيل المثال الإمام الشافعي ﷺ :

١٢ معجم الصحابة وجامع البيان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

كان إذا جاءه سائل يسأله مسألة واستغلق عليه فهمها، يقول للسائل: انتظر حتى أُصلي ركعتين لله، فيُصلي الركعتين، وبعد الصلاة يقول له: إجابتك كذا وكذا وكذا، فيسألوه: من أين أتيت بالإجابة؟ فيقول: ألهمني الله بها وأنا في الصلاة!!.

الشيخ أبو حامد الغزالي ﷺ يقول في كتابه إحياء علوم الدين نقلاً عن الصادقين في سيرة الصحابة الأولين:

أن سيدنا عمر ﷺ كان يأمر ولاته - يعني حكام الأقاليم - أن يجتمعوا في موسم الحج لكي يحاسبهم على ولايتهم وحكمهم في هذه السنة، فكان إذا جاءه الوالي منهم يقول له: انتظر حتى أُصلي ركعتين لله، وبعد أن يُصلي يقول له: حسابك كذا وكذا وكذا، فيقول له: من أين علمت يا أمير المؤمنين؟ يقول له: ألهمني الله به وأنا في الصلاة!!.

الاستخارة

هل يوجد أحد من المسلمين منذ عصر رسول الله ﷺ عَلِمَ وسلَّم، يحتار في أي أمر من الأمور؟!! لا، ولماذا يحتار؟!! لو تقدم لابنتي خطيبين، وتحيَّرتُ في الإختيار، فلماذا أحتار وأنا معي صلاة الإستخارة؟! فأُصلي ركعتين وأدعو الله بدعاء الاستخارة، فيشرح الله لي صدري لما يرى فيه الخير لي ولابنتي في الدنيا والآخرة.

ولذلك سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ كان يقول: (كان ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة كما يُعلمنا السورة من القرآن) علَّمهم دعاء الاستخارة حتى لا يحتاروا.

ولو أن ابني احتار في أي كلية يدخلها، عليه أن يستخير الله، فكما قيل: (لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار)

لو أن ابني جاءته فرصة للسفر للخارج، فهل يسافر أم لا؟ الاستخارة هي الحل، فالمؤمن لا يحتار ومعه صلاة الاستخارة التي علَّمها لنا النبي المختار ﷺ.

ولذلك عندما أسمع مؤمن يقول: أنا محتار ولا أعرف ماذا أفعل، ولماذا تحتار وها هو الطريق، تتوضأ وتُصلي ركعتين لله، وبعد الصلاة تدعو بدعاء الاستخارة، وليس شرطاً أن تحفظه، فمن الممكن أن تقرأه وبعد ذلك سيلهمك الله ما ينفعك إن شاء الله.

وليس شرطاً أن يرى رؤيا، لأن الحديث لم يذكر الرؤيا كما يعتقد البعض، كل ما في الأمر أن الله سيشرح صدرك لهذا الأمر.

وإذا قلَّت المياه عندنا قليلاً، ونحن والزرع والضرع معرضين للعطش، لماذا وقد أعطانا الله صلاة الاستسقاء؟!! فأُصلي صلاة الاستسقاء فتنزل المياه فوراً من عند الله ﷻ، ويجوز أن أُصليها بمفردي.

سيدنا أنس بن مالك ﷺ كان له حديقتين في البصرة، ووكل رجل برعايتهما، وذات يوم قال له: يا صحابي رسول الله أوشك الزرع على التلف، فقال له: ولِمَ؟ قال: لم يعد عندنا قطرة ماء واحدة، قال: ولِمَ لم تبلغني من قبل؟ لأن معه تليفون فيه حرارة الإيمان ويتحدث فيه فوراً مع حضرة الرحمن ﷻ، فقال له: أعندك ماء يكفي لوضوء رجلٍ واحد، قال: بلى، قال: ائتني به، فتوضأ وصلى ركعتين، والسماء كانت صحواً وليس فيها سحابة واحدة، وإذا بسحابة تظهر في السماء وتأتي فوقهم وتُنزل الماء، فروت الزرع وملأت الآبار التي كانوا يعتمدون عليها، والتي تعتبر كخزان مياه.

وبعد أن انتهى المطر قال له: اذهب فانظر أين بلغ الماء؟ ذهب الرجل حول حدود الأرض وقال له: كأن المياه تعلم أرضنا فلم تنزل قطرة واحدة على أرض جيراننا!!

هذه الصلاحية لهذه المهمة معك ومعي ومع كل مؤمن، ولكن تحتاج للخشوع والحضور مع الله ﷻ.

صلاة المؤمنين قال فيها الله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٤٥العنكبوت) لكن صلاة المحسنين قال فيها الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (١٤طه) هي صلاة عالية، فعندما يُصلي الإنسان بهذه الكيفية تتحقق له القاعدة الإلهية: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢البقرة) وكيف يذكرنا؟ لا يذكرنا باسمنا،

ولكن يذكرنا بقضاء الشيء الذي نحتاجه، إذا ذكرته وأنا مريض، فذكره لي أن يشفيني، وإذا ذكرته وأنا فقير إلى الماء، فذكره لي أن ينُزِّل لي الماء، وإذا ذكرته وأنا خائف، فذكره لي أن يؤمِّنني من الخوف ... كلما ذكرته في أي أمر، فذكره لي قضاء هذا الأمر وتنفيذ هذا المراد، فهذه صلاة المحسنين.

إيتاء الزكاة

﴿ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾:

والزكاة دائماً يقرنها الله بالصلاة، لأن الصلاة العبادة الجسمانية، والزكاة العبادة المالية التي كلَّفنا بها رب البرية، والتي تدل الإنسان على نفسه هل هي طهُرت وزكت، أم ما زالت نفسه شحيحة وبخيلة.

من الذي يُخرج الزكاة؟ الذي نفسه طهُرت وزكت، وعرف أن المال مال الله، والفقراء عيال الله، فلا يبخل بمال الله على فقراء الله جل في عُلاه.

أما إذا خاف الفقر، ولا يريد أن يُخرج شيئاً للفقراء، فيكون كما قال الله: ﴿ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ (٣٨محمد) لم يقُل (على نفسه) ولكن (عن نفسه) يعني هذه النفس لم تطهر بعد، ولم تتزكَّى، لأنها لو طهُرت ستسارع إلى انفاق مال الله على فقراء الله جل في عُلاه.

والزكاة هي الباب الأول بعد الصـــلاة لنزول البركة من عند الله على أرزاق المؤمنين، ما الذي جعل البركة قلَّت عندنا؟ لأن الناس يتحايلون على التشــريع الإلهي حتى لا يُخرجون الزكاة، ويُهيأ له أن الشـيء الذي سيخرج للزكاة رغماً عنه هو الذي سيُنقص رزقه وهو الذي يجعل معيشته غير موسَّعة.

في حين أن الأمر عكس ذلك: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٣٩سبأ) هؤلاء غير منتبهين أنهم يتعاملون مع ملك الملوك ﷻ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمنع حقاً فرضـــه الله، فلا بد أن يأخذ حقه، كيف يأخذ الله حقه والإنســـان لم يُخرج الزكاة؟ قال النبي ﷺ:

{ وَمَا مَنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْمَطَرَ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ}[١٣]

ما منع قومٌ الزكاة إلا وســلَّط الله عليه آفات الزراعة، كأن يُســلِّط عليهم الفئران والآفات المختلفة التي ظهرت الآن، هذا غير أن الإنسان سيكون مذنب وسيحاكم يوم لقاء الله، لأن الإنسان شحَّ وشحَّت نفسه، ولا يريد أن يُخرج الزكاة التي فرضها عليه مولاه جل في عُلاه للفقراء من عباد الله.

١٣ شعب الإيمان للبيهقي وسنن ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما

وغير ذلك انتشر في المجتمع - كما نرى - الحقد والحسد والغل والكُره، لماذا؟ لأن الفقير يرى أن الغني يحرمه حقه، لكن لو عرف أن هذا الزرع سيكون له نصيبٌ فيه وسيأخذه، فإنه سيحرص عليه، وسيحافظ عليه، وتكون العلاقات بينه وبين الغني طيبة، لأنه يعرف أنه سيأخذ منه حقه.

لكن الفقير يرى أن له حقٌ فرضه الله له في هذا الزرع، وصاحب الأمر يرفض أن يُعطي حق الله جل في عُلاه، فيأخذ الله هذا الحق بالأمراض والعياذ بالله ﷻ، لأنه لا توجد بركة، فتمرض الأجساد ويحتار عند الأطباء، وإذا كان عليه مثلاً زكاة مقدارها عشرة آلاف جنيه، فسيدفع في العلاج خمسين ألف جنيه، وهذا غير أن الجسم لن يكون كما كان أولاً!! فلماذا هذا من الأصل؟!! حصَّن نفسك، وحصَّن مالك، وحصَّن بيتك، وحصَّن عيالك بالزكاة، قال ﷺ:

{ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ }[١٤]

اليقين في الآخرة

الصفة الثالثة والهامة والتي نحتاج إليها في حياتنا ونحتاجها لتوصلنا إلى السعادة بعد لقاء الله: :

---

١٤ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن عبد الله بن مسعود ﷺ

﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾:

لو الإنسـان تذكَّر دائماً أنه مسـافر، وأنه لا يعرف ميعاد السفر!!!!، لذلك يجب أن يُجهِّز نفسه !!، ويكتب وصيته !!، والحقيبة التي أدخل بها على حضرة الله تكون جاهزة، وماذا في هذه الحقيبة؟

﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ (٤٦الكهف)

حتى يكون جاهزاً للقاء الله على الدوام.

كان أصـحاب رسـول الله ﷺ، ورضـوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، جاهزين على الدوام، كانوا عندما يأتي الموت يقولون: (مرحباً، حبيب جاء على فاقة) أنا منتظر هذا اليوم منذ زمن لأخرج من الهم ولحُزن والمشـاكل التي أنا فيها، فعندما يُخرج من هنا يقول كما قال الله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر).

هؤلاء القوم الذين فيهم هذه الصفات قال الله فيهم:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ شـهد الله لهم بالهداية ويكفي شـهادة الله ...

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الفائزون في الدنيا ويوم الدين.

نسأل الله ﷻ أن يُحققنا بهذه الآية ...

وأن يجعل لنا نصـيباً من هذه العناية ... وأن يرزقنا رعاية حضـرته في الدنيا، حتى نخرج ونحن في أبهى حُلل الشـوق إلى لقاء حضـرته، وأن يُعيننا على طاعته، وأن يجعلنا في الآخرة من أهل الدرجات العُلى في جنته، وأن يجمعنا على أحبته وعلى حبيبه ومصطفاه، وأن يرفع عنا الحُجب حتى نتمتع بجمال مُحيَّاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان)

١٣.شباب أهل الجنة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله كل ما نحتاج إليه في دنيانا، ليرتفع شـــأننا، ويعلو شـــأن أبناءنا، وتكون لنا العزة على جميع الأمم في أرض الله ﷻ، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، شمس الحق المشرقة بنور هداه، نوره ربيعٌ للمتقين، ووجهه حبيبٌ للعارفين، ولواؤه مرفوعٌ يوم الدين ينضـــوي تحته لواء أهل الشـفاعة، نســأل الله أن نكون منهم أجمعين، سـيدنا محمد إمام الهُدى، ومصباح الظلام وبدر التمام، الذي جعله الله ﷻ بما علَّمه أستاذاً لجميع الأنام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وعلى صحابته الهُداة الأعلام، وعلى كل من تبعه على هذا الهُدى والنور إلى يوم الزحام، وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يا رب العالمين.

برنامج التربية الإلهية

الآيات التي معنا اليوم هي عبارة عن برنامج التربية الإلهية المقرر من الله على شباب الأمة الإسلامية، والذي يتولى التدريس هو الأب، فمهمته التي كلَّفه بها الله هي تعليم أولاده وتربيتهم على منهج الله جل في عُلاه.

---

١ المسجد النموذجي - القرايا - إسنا – الأقصر ٢ من جماد الاولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٣٠م

وما كلَّف الآباء به أنفســـهم في هذا الزمان أمرٌ لم يطلبه منهم الرحمن، بل أمرٌ ضمنه لهم في كل وقت وآن فالدستور الإلهي بيننا وبين الله ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ (١٣٢طه) والأهل والزوجة والأولاد ورزقهم، فهذا عمل الرزاق سبحانه وتعالى: ﴿ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقًاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ (١٣٢طه).

الرزق على الله، فأنت تسعى سعياً حسيساً لتأخذ ما قدَّره لك الله جل في عُلاه، لكن ليس أنت من يجلب الرزق، ولا أنت من يأتي بالأرزاق، وإنما تتناولها من يمين الكريم الخلاق ﷻ.

هذا البرنامج الإلهي خرَّج أبرز الأفراد في الوجود كله، الفتية الذين ليس لهم مثيل في تاريخ البشرية كلها، الشباب الذين كانوا في ريعان الشباب ويقودوا الأمة كما يريد نبي الرحمة ﷺ، إلى أن عمَّ نور الإسلام كل الآفاق، بهؤلاء الشباب، والنماذج لا يسع الوقت لذكرها وعدَّها فضلاً عن أحوالها وأعمالها.

من الذي فتح بلاد الإسلام الممتدة؟ كلهم شباب، وأولهم أسامة بن زيد، فقد عقد له النبي لواء الدفاع عن المسلمين ضد الروم لما جهزِّوا مائتي ألف فارس ليقضوا على الإسلام والمسلمين، وكان عمره ثمانية أو تسعة عشر عاماً، وبمجرد تحركه من المدينة المنورة قذف الله في قلوب الأعداء الرعب، فانسحبوا من أماكنهم وتركوا معسكراتهم وظفر أسامة ومن معه بالنصر بدون قتال.

من الذي فتح بلاد الأندلس؟ أيضاً شابٌ عمره سبعة عشر سنة وهو طارق بن زياد البربرى، وقائد الجيش العام كان الوليد بن عبد الملك الخليفة الأُموي، رأى في المنام أن رجلاً أعرجاً يكنى عبد الرحمن من أهل الجنة وسيفتح الله عليه بلاد المغرب، وفي الصباح قصَّ الرؤيا لمن حوله من الوجهاء والأمراء، وإذا برجل أعرج يأتيه ويقول له: أنا عبد الرحمن موسى بن نصير وأنا الرجل الذي رأيتني في المنام، وسيتم على يديَّ إن شاء الله فتح جزيرة الأندلس، فأخرج له على الفور أمراً بقيادة الجيوش التي ستفتح بلاد المغرب والأندلس، وقد كان، وكان رجلاً أعرجاً وعمره خمس وستون عاماً،لكن الله ﷻ جعل على يديه الفتح!!.[٢]

عبد الله بن أم مكتوم كان رجل أعمى، ونزلت فيه آيات في كتاب الله في سورة عبس، وكان النبي ﷺ يُعطيه إمارة المدينة في حالة خروجه مع الجيش، هذا الرجل طلب من سيدنا عمر بن الخطاب أن لا يمنعه من الجهاد في فتح بلاد الفرس، وحضر موقعة القادسية، وهو ذهب ليرفع الروح المعنوية لا ليحارب بالسيف، شعر وهو في وسط الجيش أن الأعداء هجموا بشدة، والجيش كأنه يتراجع وينسحب، فنادى عليهم وقال: أوقفوني على صخرة وأعطوني اللواء، - واللواء يعني علم القيادة الذي يمسكه قائد الجيش - فأنا أعمى ولن أنسحب من مكاني حتى يثبت الجند ولا يفروا ويتم النصر، وقد كان.

٢ شذرات الذهب، والبرص والعرجان، ومرآة الجنان وعبرةاليقظان وفتوح البلدان والوافى بالوفيات.

بلاد الهند وباكستان وبنجلاديش وأفغانستان، هذه البلاد من الذي فتحها؟ أيضاً شاب في عصر الوليد بن عبد الملك كان عمره دون العشرين سنة، وكان اسمه محمد بن يوسف الثقفي.

هؤلاء الشباب أين الجامعة التي تعلموا فيها؟! وما النفقات التي دفعوها؟!

فالآباء الآن يتنافسون على تعليم أولادهم في الجامعات الأجنبية، إن كان في الجامعة الكندية، أو الجامعة الأمريكية، أو الجامعة الصينية، أو الجامعة الألمانية، أو الجامعة الروسية .. ويقولون أن التعليم في هذه الجامعات أفضل.

لكن الله ﷻ أنزل لنا منهجاً لكل مسلم عالم أو غير عالم، وهو المنهج الأساسي لتربية أولادنا، وهي التربية التي يُحبها الله، والتي يجب أن يكون عليها أتباع دين الله جل في عُلاه.

وبعد ذلك يتعلم فنون العلوم، فالعلوم العصرية هي عبارة عن فنون وصناعات، فيتعلم فن الطب، أو فن الهندسة، أو فن العلوم .. كل هذه عبارة عن فنون علمية، لكن الأساس كله هو النظام الإلهي الذي أنزله الله في كتابه سبحانه وتعالى.

لقمان الحكيم

هذا النظام ذكره الله على لســـان رجل من أهل الحكمة، علَّم ابنه بالحكمة التي ألهمه بها الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ ولقمان كان رجل يعمل راعي غنم في بني إسرائيل، وكان في عصر سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وكان ابن خالة سيدنا أيوب، وهما من أنبياء بني إسرائيل، لكن الله علَّمه الحكمة.

الرجل الذي كان يعمل عنده سيدنا لقمان قال له: يا لقمان أريد منك أن تذبح هذه الشاة وتأتني بأفضل شيء فيها، فذبح الشاة وأتاه بالقلب واللسان، وبعد بضعة أيام قال له: يا لقمان أريد منك أن تذبح هذه الشاة وتأتني بأخبث شيء فيها، فذبحها وأتاه بالقلب واللســان، فقال له: أقول لك ائتني بأطيب شــيء فتأتني بالقلب واللســان، وأطلب أخبث شيئ فتأتني بالقلب واللسان؟ قال له: لأنهما إذا طابا صارا أطيب شيء في الشاة، وإذا خبُثا صــارا أخبث شــيء فيها، وهذا ليس في الشــاة فقط ولكن في أي إنســان، فأطيب شيء فيه القلب واللسان.

إذا توجه القلب إلى الله، واشتغل اللسان بالكلام الذي يُحبه الله، فيا هناء صاحب هذا القلب، وصاحب هذا اللسان.

وإذا إمتلأ القلب بما لا يُحبه الله، واشـتغل اللسـان بما نهى عنه حضـرة الله، فصاحب هذا القلب وصاحب هذا اللسان له سوء العاقبة عند مولاه، لأن الله ﷻ كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٣]

اشـتهر لقمان بالحكمة، والحكمة يعني حُسن التصـرف في الأحوال، وحُسن التفوُّه بالكلام الذي ينفع ما يسـمعه من الرجال، كلامه نافع ورافع، وتصـرفاته كلها تؤدي إلى خير، وإلى عمل طيب ... ولنعرف كيف وصـل إلى الحكمة، قال له رجل: يا لقمان ألسـت الراعي الذي يعمل عند فلان؟ قال: نعم، قال له الرجل: فمن أين أتيت بالحكمة؟ قال له: الصدق والأمانة وترك ما لا يعنيني.

الإنسان الذي يريد أن يكون حكيماً ماذا يفعل؟ عليه أن يتمسك بثلاث صفات: الصـدق في القول والعمل، والأمانة في كل أحواله، وترك ما لا يعنيه، والحبيب جمع لنا هذا الأمر كله في قوله:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }[٤]

---

٣ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

شـــيء لا يخصـــني ليس لي شـــأن به، وضـــرب لنا لقمان المثل الأعظم في هذا الأمر، ذهب ليزور ســـيدنا داود، وكان ســـيدنا داود قد ألهمه الله بصـــناعة الدروع، والدرع شيء من حديد يضعه الفارس على صدره يقيه من ضربات السيوف والرماح في القتال، فنظر إليه وأراد أن يعرف ماذا يصـنع، ولكنه قال في نفســه: إذا كان هناك شيء يخصني فسيُحدثني به، وبعد أن انتهى سيدنا داود من صُنع الدرع لبسه وقال له: هذا درعٌ يقي من ضـــربات الســـيوف والســـهام، فقال: الحمد لله جاءت الإجابة بغير سؤال.

فهذه كانت أحوال الحكماء، غير أهل زماننا هذا، فتجد الرجل يســأل: لماذا يبني هذا الرجل؟! ولماذا يهدم هذا؟! ومن أين أتى بالمال؟! وبكم اشـــترى الحديد؟! وبكم اشترى الطوب؟! وبكم اشترى الأسمنت؟! ويجعل نفسه مسئولاً في الجهاز المركزي للمحاسـبات، ويحاسـب كل من حوله !! فلان كم تكلف زواج ابنته؟! وما الأثاث الذي اشــتراه لها؟! فما شــأننا وشــأن هذه الموضــوعات؟!! فالمؤمن مطالب بالعمل بقول حبيب الله ومصطفاه:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }[٥]

٥ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

أمر لا يعنيني لماذا أتدخل فيه؟! أتدخل لو أردت المساعدة، فيسأل الرجل: يا فلان أنت تجهز ابنتك للزواج فماذا تحتاج لأُساهم معك؟ فهذا لا مانع منه، لكننا شغلنا أنفسنا بمثل هذه الأمور، فتاهت الحكمة، وضاعت الحكمة من بين المسلمين، مع أن المسلمين الأولين كل واحد منهم كان حكيماً، لأن كل واحد منهم كان عالماً، وحضرة النبي وصفهم كلهم ولم يستثن أحداً منهم فقال فيهم:

{ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[٦] وفي رواية أخرى:

{ أُدَبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلاءُ فُقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[٧]

لماذا؟ لأنهم مشوا على هذا المنهج الإلهي الذي أنزله الله، والذي نفذه وأشرف على تنفيذه سيدنا رسول الله ﷺ.

الشكر باب المزيد

آتاه الله الحكمة وأمره بأمر جامع للعبادات كلها، فأهم عبادة يطلبها منا الله أجمعين: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ العبادة المطلوبة منا كلنا أن نشكر الله، ونحن نظن أن من يشكر الله هو الذي معه مالٌ كثير فقط!!، لكن أفلا يجب أن نشكره على نعمة الصحة؟! أفلا نشكره على نعمة الدين والإيمان؟! أفلا نشكره على نعمة النبي العدنان والقرآن؟! نِعمٌ لا تُعد ولا تُحصى نحتاج أن نفكر فيها لنشكر الله عليها، لأن الشكر هو باب المزيد: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

---

٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن سويد بن الحارث رضي الله عنه
٧ أحاديث منتقاه لأبي بكر الأنصاري عن سويد بن الحارث رضي الله عنه

البلاء الذي نزل على الأمة الآن أن النعم أصبحت بغير حساب، ولا يرضى أحدٌ بها، ولا يريد أن يشكر الله ﷻ على عطاء الله، ولا على نعم الله جل في عُلاه، فمعظم الناس يشتكي ويبُث شكواه، وكأنه يشتكي الله جل في عُلاه، مع أن الله ﷻ غمرنا بِنِعَم، الواحدة منها لا نستطيع أن نعُد فضل الله علينا فيها: .... ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (٣٤إبراهيم) لم يقُل (نِعَم الله) لأنه لا يستطيع أحدٌ أن يعُد نعم الله، ولكن نعمة واحدة فقط من نعم الله لا نستطيع أن نُحصي ما فيها من فضل الله ﷻ علينا.

ذهب رجل لأحد الصالحين يشتكي معيشته، وأن الله تركه وليس معه شيء ..

فقال له الرجل الصالح: تعالَ نحسب النعم التي معك:

أليس معك عينٌ تُبصر؟ قال: نعم، قال له: هل ترضى أن يأخذ أحدٌ هذه العين منك بعشرة آلاف دولار؟ قال له: لا، قال له: إذاً فأنتَ معك عشرة آلاف دولار، قال له: ألا تسمع؟ قال له: نعم، قال: هل ترضى أن يأخذ أحدٌ منك السمع ويعطيك عشرة آلاف دولار؟ قال: لا، قال: إذاً معك عشرون ألف دولار،

قال له: أليس معك العقل الذي تميز به بين الأشـــياء؟ قال: نعم، قال له: هل ترضـى أن يأخذ أحدٌ منك العقل ويعطيك عشـرة آلاف دولار؟ قال: لا، قال: إذاً فأنت معك ثلاثين ألف دولار، قال له: أليس معك اليدين، ومعك الرجلين، قال له: نعم، قال: إذاً معك خمســين ألف دولار لهذه النعم فقط، وأنت تدَّعي الفقر وأن الله تركك ولم يُعطك شيئاً!!.

الشـيخ أبو اليزيد ﷺ وأرضـاه، كان كل صـباح يتلمَّس عينيه وأذنيه وأعضـائه، فســألوه عن ذلك، فقال: أخشـى أن يحاسـبني الله بذنوبي فأُصـبح ولا أجد شـيئاً من جوارحي!! ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (٦١النحل) فكوني أُصـبح وأجد هذه النعم كلها موجودة فهذا فضل من الله، وإكرام من الله لا يُعد ولا يُحد.

لذلك نحتاج أن نشكر الله لاستمرار هذه النعم، ونحن كلنا نرى من أصيب بشيء في عينيه، لا يتأخر في أن يدفع كل ما يملك ليرى فقط بعينيه وتعود ســليمة، لكن إذا كانت سليمة أفلا تحتاج إلى شكر الله ليحافظ لك الله على سلامتها؟!!

فنحتاج دائماً لعبادة الشـــكر لله ﷻ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم) ومن أين تأتي الزيادة؟ إذا شـكرنا الله ﷻ على نعمه، والشـكر ليس كلمة (الحمد لله) فقط، ولكن الشكر هو أن أستخدم نِعَم الله في ما يُحبه الله ويرضاه

فشكر نعمة البصر:

أن أنظر بها في الآفاق لكي أهتدي بهذه المخلوقات إلى الكريم الخلاق: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(١٠١يونس) انظر إلى نعم الله في السـماوات وفي الأرض لأشـكر الله ﷻ عليها، ولا أسـتخدمها فيما نهى عنه الله، فقد قال لي: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَـٰرِهِمۡ ﴾ (٣٠النور) فلا بد أن أُنفذ هذا الأمر الإلهي بأن أغُضَّ بصري، ومن يغض بصره سيمتلئ قلبه بالنور، قال ﷺ:

{ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }[8]

لماذا؟

لأنه نفَّذ كلام الله، وغضَّ بصره عما نهى عنه مولاه في كتاب الله جل في عُلاه.

وأتفقَّد بهذه العين أحوال إخواني المؤمنين الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين، لكي أقضي لهم من بعض ما تفضَّل به عليَّ رب العالمين، وأنظُر في كلام الله، وأقرأ كتاب الله، لكي أتلذذ بخير كلامٍ أنزله الله ﷻ على عباده.

[8] الحاكم في المستدرك ومسند الشهاب عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

وهكذا شكر الجوارح، والموضوع يطول لو استرسلنا فيه، ولكننا لا نريد أن نخرج عن الإطار فنوجز في العبارة حتى نحاول أن نحيط بمنهج الله بقدر ما نستطيع إن شاء الله.

﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾:

فالله ليس محتاجاً لهذا الشكر، فهو ﷻ لا يحتاج لطاعاتنا، ولا تضره معصيتنا، ولكن من يشكر يشكر ليستزيد من فضل الله ﷻ، ومن ترك الشكر يكون قد جحد بنعم الله: ..

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أي جحد بأنعم الله.

العقيدة الصحيحة

منهج سيدنا لقمان الذي عرضه علينا الله في القرآن، هو المنهج الإلهي لتربية الأبناء والبنات، فما أول شيء نعلمه لأولادنا؟ العقيدة الصحيحة، بأن تكون عندهم مَلَكة المراقبة لله، ويعلموا علم اليقين أنهم تحت بصر الله جل في عُلاه، وأنه لا يخفى عليه خافية في صدورهم ولا في قلوبهم، ولا في عقولهم، ولا في أعمالهم، ولا في كل أحوالهم.

ولذلك قال الله لنا: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ كيف أكلم ابني؟ باللطف واللين والعبارات التي تستدر عطفه وتُرقق قلبه، فلا أنهره ولا أزجُره، ولكن أقول له: يا بنيَّ، وهي كلمة تستدِّر بها عطف الولد وتجعله يستمع إلى أبيه:... ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ والحقيقة أن الوقف القرآني يُعطي معاني عظيمة، فمن الممكن أن نقول: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ ﴾ وبعد الوقف: ﴿ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ يُقسم أن الشرك ظُلْمٌ عظيم.

ومن الممكن أن نقول: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ وبعد الوقف: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ ﴾ وإن للتأكيد، ﴿ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ ظلم للإنسان، فمن يُشرك فقد ظلم نفسه: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ (١الطلاق) لم يظلم أحداً آخر، ولكنه ظلم نفسه، لأن الله واحد أحد فردٌ صمد، لا في شيء، ولا من شيء، ولا على شيء، ولا مفتقراً إلى شيء، ولا محمولاً على شيء: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى) لا يحتاج لي، ولكن أنا المحتاج إليه.

مراقبة الله

إذاً فأول درس يحتاجه أولادنا مراقبة الله، وهذا الدرس لن يأخذوه في المدارس ولا في الكتاتيب ولا في الجامعات، ولكن الأب والأم هما من يعلمان هذا الدرس لهم، وهو أول درس نجح فيه أصحاب رسول الله ﷺ.

سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان ماشياً في الصحراء ومعه نفر، ونفد طعامهم، فوجد ولداً شاباً يرعى غنم، فنادى عليه وقال له: يا بنيَّ بِعني شاة من هذه، فقال الغلام: إنها ليست لي، وإنما لسيدي وأنا أعمل عنده بالأجر، قال له: قل له إن الذئب أكلها، قال الغلام: إذا قلت هذا لسيدي الصغير هنا، فماذا أقول لسيدي الكبير هناك؟!!.

إنه يعمل راعي، وليس معه شهادة، فهو ليس مهندساً ولا طبيباً ولا محاسباً ولا مسئولاً، لكن هذا الدرس ألا يحتاجه كل المسئولين عندنا؟!! ولكن متى يتعلموه؟!! كان من الواجب أن يدرسوه في الصغر، لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ويأخذوه من الوالدين، قال ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[9]

من تكون رعيِّتك؟ .... زوجتك وأولادك وبناتك، ...... وأنت الذي تعطيهم هذا الدرس بنفسك.

---

[9] البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

سيدنا عمر كان يمر في المدينة في الليل ليتفقد أحوال الرعية، فسمع حواراً دار بين بنت وأمها، فالأم تقول لها: يا بنية ضـــعي الماء على اللبن، قالت: يا أماه إن أمير المؤمنين نهى عن غش اللبن بالماء، قالت: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ قالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن الله ﷻ يرانا، فعلَّم ســيدنا عمر البيت بحجر لأن الطريق كان مظلماً، وذهب لبيته وجمع أولاده وقال لهم: من يتزوج هذه البنت وأنا أجهِّزه؟ ولو كنتُ ما زلت شباباً وفيَّ قوة لتزوجتها، فقال له ابنه عاصم: أنا أتزوجها ...

فتزوجها وولدت له بنتاً، هذه البنت ولدت ســيدنا عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الورع، لماذا؟

لأن حضرة النبي قال لهم:

{ تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ }[10] .. وفي رواية أخرى:: { وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ }[11]

أنظر أين تضـــع النطفة؟ كما قال الله: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ (٣٢النور) انظر للمرأة الصالحة التي تراقب الله، وتخشى الله ﷻ.

١٠ سنن ابن ماجة والحاكم عن عائشة رضي الله عنها
١١ مسند الشهاب ومعجم ابن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما

فأول درس مطالبون بأن نلقنه لأولادنا هو مراقبة الله؛ ونجعل عندهم في شغاف القلب شيء من الخوف من الله، والخوف من معصية الله.

الأمهات في زماننا - هداهم الله – أحياناً يخيفوا أولادهم لكي يسكتوا بأمور غير مستحبة، تقول له: اسكت وإلا سأحضر لك كذا!! لكن المفروض دائماً أن نربي فيهم ملكة الخوف من الله ﷻ من الصغر.

الإمام محمد بن سهل ﷺ وأرضاه، كان الذي رباه خاله، وكان عنده ثلاثة أعوام، وكان خاله يأخذه بجواره وهو يقوم الليل، والولد سريع التقليد، وهذا مبدأ علمي موجود في علم النفس، أن الأولاد يتعلمون بالمحاكاة، فيحاكي من أمامه، فكان يراه ركعاً فيركع مثله، فإذا سجد يسجد مثله، وهو لا يعلم ما يعمله، ولكنها مطلوبة في دين الله ﷻ، فالولد كان يعمل مثل خاله وهو ابن ثلاث سنوات!!.

فلما رآه خاله هكذا قال له: أريد أن أعلمك شيئاً، قل كل ليلة: (الله معي، الله ناظرٌ إليَّ، الله شاهدٌ عليَّ) وتكررها كل ليلة ثلاث مرات، وهو يريد أن يدربه على مراقبة الله، وأن الله يراه ويشاهدُه، وأنه مطلعٌ عليه، فمشى على ذلك، وبعد أسبوع قال له: زدها فاجعلها إحدى عشرة مرة، وبعد أن داوم عليها قال له: (من كان معه الله فلا يخشى أحداً سواه، ومن كان الله ناظرٌ إليه فلا ينبغي أن يعصاه، ومن كان الله شاهدٌ عليه فينبغي أن يُحسن العمل لأنه يطلع عليه مولاه)

وأمره أن يحافظ على هذا الورد في كل حياته، ومشى عليه على الدوام ... فهذا كان منهج السلف الصالح مع أولادهم، فأنت المسئول عن مثل هذه الأمور، لكن أنت تجهزه ليُصبح مثلاً مهندساً من الجامعة الأمريكية، ويتخرج ويتوظف حتى يكون رئيس مجلس إدارة شركة، أو وزير، أو محافظ، فماذا أنت آخذ منه؟ لن تأخذ منه إلا كما قال حضرة النبي:

{ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ }[12]

إذا كان صالحاً فهذا ما ينفعني، لأنه سيدعو لي، وأنا أحتاج لدعوته، ولذلك ذهب شاب إلى رجل من الصالحين وقال له: كيف أعرف أن الله يُحبني؟ فقال له: هل تدعو لأبيك وأمك كل يوم؟ قال: نعم، قال له: إذا كنتَ تدعو لأبيك وأُمك كل يوم فأنت من الصالحين، لأن النبي ذكر أن من يدعو لهما فهو ولدٌ صالح، ومن ينساهم ولا يتذكرهم ولا يدعو لهم، فهل يدخل في الحديث؟ لا، فلكي تضمن أن تكون من الصالحين لا بد أن تواظب على الدعاء لأبيك وأمك كل يوم وكل ليلة.

إذاً أول درس نحن مطالبون به مع أولادنا تعليمهم مراقبة الله، وهذا يحتاج منا أن نتقرب منهم، ونتكلم معهم، ونقول له: أتعرف يا بني لماذا نجحت؟ لأن الله وفقك، فاشكر الله على هذا الأمر، أتعرف يا بني لماذا أكرمنا الله في محصول هذه السنة؟ لأن الله يُحبنا، وهكذا، فأجعل علاقة الولد دائماً مع الله، ولا أجعل علاقته مقطوعة مع مولاه.

١٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

الشرك الظاهر والخفي

﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ نحن والحمد لله كلنا ليس عندنا شـــرك لأننا كلنا مسلمين، ولكن ما خوَّفنا منه حضرة النبي شـيء اسمه الشرك الخفي، وما الشرك الخفيُّ؟ أن يعمل الإنســـان أي عمل يريد أن يراه الناس ويمدحوه عليه، ويُثنوا عليه، ويودّ الشـهرة والسُـمعة والرياء، فإذا كان عمله بهذه الكيفية حبط عمله، لأنه لم يعمله لله، ولأن الله اشـــترط علينا في قبول الأعمال: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ (٣الزمر) خالص لله، ويأتي يوم القيامة متكوب على باب المحكمة الإلهية:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ} [١٣]

ولمن نعمل العمل؟

لله، خالصـاً لله، لا نرجوا ثواباً ولا جزاء ولا شكراً إلا من حضرة الله، حتى إذا أطعمنا أحداً أو ســقيناه يكون: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩الإنسان) ...

---

١٣ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

فالإنسان المؤمن أحرص ما يحرص عليه عدم الوقوع في الشرك الخفي، والذي يقول فيه الله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف) كيف يكونوا مشركين؟! يعملون العمل ظاهره لله، وباطنه يريد منه الشهرة أو الأجر والثواب والثناء من الناس، وهذا يُحبط العمل ولا يقبله رب الناس تبارك وتعالى.

الوصية بالوالدين

ولأن المعلم هو الأب، فقبل أن يسترسل في الدروس العلمية والعملية التي يعطيها لابنه، تدَّخل الله سبحانه وتعالى وعلَّمنا قيمة المعلم الأول وهو الأب أو الأم ليحترم الإنسان معلمه، فيكون قد شكر لله، ويمشي على منهج الله ﷻ:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾.

من الذي أوصى بالوالدين؟ الله ﷻ، والحقيقة أن الحلق فيه غُصَّة مما يحدث في هذا الزمان من الشباب مع الوالدين، فقد نشأنا كلنا ولعلنا نعلم كيف كنا نُحب الوالدين؟! وكيف كنا نحترم الوالدين؟! وكيف كنا نُبجِّلهما؟! وهذا العمل الذي أمرنا به الله، والذي أوصانا به رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة في هذا الباب، واحد منهم فقط يقول فيه:

{ رِضَا اللَّهِ مِنْ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ مِنْ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ } [١٤]

وكما تعلمون أن الجنة تحت أقدام الأمهات ...!!

فالجنة دخولها يحتاج إلى رضا الوالدين، والذنب الوحيد الذي تُعجل عقوبته في الدنيا هو عقوق الوالدين، ولذلك المؤمنون لا بد أن يُظهروا لأنفسهم ولإخوانهم عبادة بر الوالدين، والبر يعني طاعة للوالدين، ولكن في المعروف.

الوفاء للأم

وخصَّ الله الأم بسبب الآلام التي تتحملها: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ضعفاً على ضعف، فالجنين في بطن الأم يتربَّى ويتغذى من أُمه، والأمهات في هذا الزمن معظمهن يشتكين من وجع الأرجل، ووضح ذلك العلماء وقالوا: إن الجنين عندما يحتاج إلى الكالسيوم الذي تتكون منه العظام يأخذه من طعام الأم، فإذا لم يكفيه فإنه يأخذ الكالسيوم من عظامها، ولذلك قد تُصاب الأم بهشاشة العظام، والتي انتشرت في هذه الأيام، فالجنين يتغذى من أعصابها ومن عروقها ومن ضلوعها ومن كل شيء فيها، لذلك سبب ضعفها الحمل والولادة.

---

١٤ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيۡنِ ﴾ :

يعني انتهاء مدة الرضاعة بعد عامين، والعامين هنا عامين هجريين.

ثم عقَّب الله بقول بليغ لكل إنســـان حكيم: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِى وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَىَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

قرن شكر الله بشكر الوالدين، فشكر الله مع شكر الوالدين واحد، لكي نعرف قيمة شكر الوالدين، وشـــكر الوالدين يعني برهما وطاعتهما والوفاء لهما بما أوجبه الله، وبيَّنه سيدنا رسول الله ﷺ لهما، وقد ورد:

{ أَنَّ رَجُلا كَانَ فِي الطَّوَافِ حَامِلاً أُمَّهُ يَطُوفُ بِهَا، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا ؟ قَالَ: لا، وَلا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ } [١٥]

لأنه قد يفعل معها ذلك ويتمنى موتها، ولكنها كانت تفعل معه أكثر من ذلك وتتمنى حياته، فنريد أن نعيد مرة ثانية بر الوالدين.

أهل الغرب ليس عندهم هذه الأعمال، لذلك من الأمور التي تحببهم في الإســلام عندما يشـاهدوا بر المؤمنين بآبائهم وأمهاتهم، ومنذ عدة سـنوات مضـت كان المركز الإســلامي في باريس يقيم احتفالاً، فجاءت امرأة فرنســية ومعها ابنها وقالت لهم: أنا أريد أن تدخلوا ابني في الإسلام، فقالوا لها: هل أنت مسلمة؟

---

١٥ مسند البزار واتحاف المهرة لابن حجر عن بريدة بن الحصيب ﷺ

قالت: لا، قالوا: ولِمَ تريدين أن يدخل ابنك في الإسلام؟ قالت: لأني أريده عندما أكبر في السن يفعل معي كما يفعل أولاد المسلمين بأمهاتهم، ولا يفعل كما يفعل معي كما يفعل أولاد الفرنسيين!!.

لأنه هناك عندما يكبر الابن فليس له شأنٌ بأبيه ولا أمه، ويذهب لحال سبيله، حتى لا توجد زيارات بينهم، ولا مودة، غاية ما في الأمر إذا مات أبوه أو أمه، ويخبروه بذلك يتصل بوكالة دفن الموتى ويقول لهم: مات فلان، أو ماتت فلانة في مكان كذا، فيذهبوا ليدفنوها!!.فما الذي يشُدَّهم للإسلام؟ هذه القيم الإسلامية النبيلة التي غرسها فينا سيدنا رسول الله ﷺ مع كتاب الله ﷻ.

نفرض أن الأم والأب يأمراني بأمر يخالف هدي الله، فهنا نقف، وكما قال ﷺ:

{ لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ } [16]

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾:

١٦ مسند الشهاب ومسند أحمد بصيغة (لا طاعة في معصية الله) عن عمران بن حصين ﷺ

لا أطيعهما في هذه الجزئية، ولماذا أتى الله بهذه الآية؟ لأن الله أباح للمؤمنين أن يتزوجوا من أهل الكتاب، فنفرض أن الأب تزوج امرأة انجليزية أو فرنسية أو ألمانية، وهي تمسَّكت بدينها، وتريد أن تجعل الولد على دينها، فيجب عدم طاعتها في هذا الباب، ويظل متمسك بالإسلام، ومنهج الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

الرفقة الصالحة

كيف أتعامل مع هذه الظروف؟ ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أراقب الذين رجعوا إلى الله، وأولهم سيدنا رسول الله وأصحابه الكرام، ومن بعدهم من الصالحين والعلماء العاملين والحكماء الربانيين، فهذه وصية من الله لنا أن نصحب في حياتنا هؤلاء الصالحين، لكي لا نميل إلى الجهات الأُخرى التي لا يحبها الله ولا يرضاها.

كان لقمان يُعلِّم ابنه التوحيد، فقال له الابن: يا أبتِ لو عملتُ شيئاً ولم يرني أحد فهل يراني ربي؟ فقال له:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ (١٦لقمان).

هل يوجد أحدٌ من أبنائنا لا يحتاج إلى هذا الدرس؟! كلهم يحتاجون لهذا الدرس، ولكن بلطف وبمودة، والمسلم إذا جلس مع أولاده يُثبِّت ويغرس فيهم هذه العقيدة؛ عقيدة الله ﷻ، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

فقال له سيدنا لقمان: يا بُنيَّ لو كانت حبة خردل في صخرة، وليس لها باب ولا كُوَّة- شبابيك - فإن الله ﷻ يعلمها، لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومثقال حبة يعني بعض حبة، والخردل هو نبات وحبته صغيرة، فلو كان جزء من هذه الحبة ووضعناها في صخرة، والصخرة ليس لها فتحات، ووضعناها في السماء أو في الأرض، فإن الله يأت بها، لأنه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ الله سبحانه لطيف، لأن الولد قد يقول لأبيه: أريد أن أرى الله،

فيقول له: يا بني إن الله لطيف، من اللطف، أفلا تشعر بالهواء؟ فيقول له: نعم، فيقول: له: وهل تستطيع أن ترى الهواء؟ يقول: لا، ولماذا؟ لأنه لطيف، ويا بني ألا تتمتع بالكهرباء؟ فيقول: نعم، فيقول له: وهل تستطيع أن ترى الكهرباء؟ فيقول:لا، لماذا؟ لأنها لطيفة.

فيُعطيه هذه الأمثال ليكون عنده يقين في رب العالمين، وأن الله ﷻ لا يُحيَّز في زمان، ولا يُدرك في مكان، لأنه خلق الزمان والمكان، وهو ﷻ تعالى عن أي زمان وعن أي مكان: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد).

﴿ خَبِيرٌ ﴾ يعلم كل شيء يفعله الإنسان، كلماته وحركاته وسكناته وأفعاله .. كل ما يحدث من الإنسان يعلمه الله ﷻ، ويحاسب الإنسان عليه بلطفه وكرمه تبارك وتعالى.

حكمة الصلاة

بعد العقيدة الصحيحة تبدأ العبادة: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فأريد أن أعلِّمه الصلاة لله، لذلك لا بد أن يعرف الله في البداية، لكي يعرف لمن يُصلي، ويعرف النبي ﷺ ليعرف كمن يُصلي ويقتدي به، فيعرف أنه يُصلي لله ﷻ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة) لا بد أن يعرف الله ﷻ معرفةً يقينية.

والحقيقة من الأمور العصرية المستحبة في زماننا والتي تُرسِّخ العقيدة في قلوب أولادنا وبناتنا ما جاءنا من العلم الحديث في كتاب الله، ومن الإعجاز في سُنَّة حبيب الله ومصطفاه، فلو دخلت على الانترنت على بعض مواطن الإعجاز في القرآن الكريم، وهي لها مواقع خاصة في هذا الباب، وأشرحها لأولادي على قدري، فهذا يزيدهم إيماناً، ويزيدهم يقيناً ويزيدهم توحيداً لرب العالمين ﷻ.

ومن ضمن هذه المواقع التي على الانترنت، مواقع تعرض الإعجاز العلمي في آيات القرآن ولكن بشــكل مصــور، يعني يأتي بالآية القرآنية ويأتي بالإعجاز العلمي فيها بالصورة، وبتعليق لطيف من أحد المختصين من العلماء العاملين ... فهذا أسلوب عصري، وكلنا نحتاج له، ويا ليته ينتشر في كتاتيبنا، وينتشر في بيوتنا، حتى إذا كان أولادنا يريدون التســلية في أوقات الفراغ، نعرض عليهم هذه الأفلام العلمية، إن كان الذي يُثبت أهمية الصــلاة، الفيلم العلمي الذي يثبت إعجاز الله في الفلَك، أو إعجاز الله في طبقات الأرض، أو إعجاز الله في البحار، أو إعجاز الله في النباتات .. كل هذه الإعجازات موجودة، ويسَّـرها الله لنا لكي نلقن أولادنا التوحيد الخالص للحميد المجيد ﷻ.

بعد التوحيد، ســتجده هو الذي يبحث عن الصـــلاة، وهو الذي يتعلم الصـــلاة، ويحاول أن يؤدي الصلاة، لأنه عنده يقين كامل في الله جل في عُلاه.

لكن أنا قد أُعلِّمه الصــلاة، وقد أضــربه على عدم أدائها، وطالما أنا موجود فهو يُصـلي، وإذا غبت عنه يترك الصــلاة!!، إذاً هو يُصـلي لي أنا وليس لله ﷻ، ولكن أنا أريد أن أربطه بالله، فتكون البداية هي توحيد الله عزوجل.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لم يقُل له: أدِّ الصــــلاة، ولكن قال له: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فإقامتها يكون بإحسان الوضوء، وإحسان أداء الأركان، مع خشوع القلب وحضوره بين يدي حضرة الرحمن ﷻ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ يبدأ بنفســـه، أُعلِّمه كيف يُحكِّم نفســـه بنفســـه؟

فأقول له: هذا حلال وهذا حرام، وهذا يُرضـــي الله، وهذا لا يُرضـــي الله، وبعد ذلك أقول له: احكم أنت بنفســـك، هل هذا العمل الذي قمتَ به أنت راض عنه أم غير راضٍ؟.

إذا وصـــلنا لهذه المرحلة، والتي نحتاجها كلنا فتكون قد أيقظتُ الأُمة، ويكشــف الله ﷻ الغُمة، ويجعلنا الله في خير حال.

فمن يظلم إخوته ويريد أن يأخذ الحظ الأكبر في الميراث، فلو حكَّم نفسه هل هو راض عن هذا العمل أم غير راضٍ؟ لانتهى الأمر، لأنه لو رضـــي عن هذا العمل فمعناه أنه بعيد عن الله ﷻ بالكلية، أو أنه جاهل في دين الله تبارك وتعالى، وإذا كان غير راض فلا بد أن يُغير نفسه.

ولو رأيتُ أن زوجتي أغضبت أُمي، وأنا لا أريد أن أُغضب زوجتي، ولا أنصر أُمي عليها، فهل أنا مستريح أم غير مستريح؟! فالأمور تُقاس بهذه الشاكلة، أن المؤمن دائماً يُحكِّم القلب المليء بالهدى والنور والإيمان في أعماله.

إياك أن تفعل شـــيئاً وأنت غير راض عنه، لأنك لو كنت غير راض عنه فهو عمل غير صحيح، وغير مقبول عند من يقول للشيء كن فيكون.

إذا فعلت شيء وأنت متضرر، أو تفعله وأنت متلصِّص، ولا تريد أن يراك أحدٌ، فهذا معناه أنك غير راض عن هذا العمل، لكن الذي يفعل الشـــيء الصـــحيح فلو أن الناس كلهم رأوه ســـيفتخر به، وهذا دليلٌ على أنه يفعل هذا العمل الصـــحيح الذي يُرضي الله ﷻ، فالإنسان منا

يبـدأ بنفســـه في الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، ثم أهلـك، ثم الأقرب فالأقرب.

ابـدأ بـنـفســـك فـانـهـهـا عـن غـيـهـا	فـإذا انـتـهـت عـنـه فـأنـت حـكـيـم
فـهـنـاك يُـســـمـع مـا تـقـول ويُـشـــتـفـى	بـالـقـول مـنـك ويـنـفـع الـتـعـلـيـم
لا تـنـهـى عـن خُـلـقٍ وتـأتـي مـثـلـه	عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـم
تصـــفُ الدواء لذي الســـقام وذي الضـــنا	كـيـمـا يصِـّـــح بـه وأنـت ســـقـيـم

فلا بد للإنسان أن يبدأ بنفسه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا بدأتُ بنفســـي أبدأ بالذين ولأّني عليهم الله، وهم زوجتي وبناتي وأولادي، وهي البداية التي أمرنا الله بها جماعة المؤمنين، فإذا بدأ كل واحدٍ بنفسه فسينتشر الخير، ويزول الشر، ونكون خير أمة أُخرجت للناس، كما قال رب الناس تبارك وتعالى.

حقيقة الصبر

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ لا بد من الصبر، فلا يوجد أحدٌ يستطيع أن يفوز ويجوز من الدنيا ويخرج منها وينال سعادة الآخرة إلا إذا عوَّد نفسه على الصبر، فقد ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: (وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لا رَأْسَ لَهُ)[١٧].

القوم الذين مدحهم الله، والذين سينالون الدرجات العلا عند الله في الجنة،بماذا؟ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ (٣٥فصلت) سينال هذه الدرجة العظيمة من صبر في الدنيا عن البعد عن معاصي الله، وصبر على القيام بطاعة الله، وصبر على نوائب الدهر التي انتابته ورضي وسلَّم لمراد وأمر الله جل في عُلاه.

فالصبر ثلاث أنواع: صبر عن المعاصي حتى لا أقع فيها، لأن المعاصي تشتهيها النفس، فكوني أُصبِّر نفسي وأبعد عنها، فأكون قد نجوت ونجحت إن شاء الله.

وصبر على الطاعة، لأن الطاعات تحتاج إلى صبر، فمن يُصلي الفجر في بيت الله يحتاج إلى صبر، لأن النفس تُفضِّل النوم في هذه الساعة، فكونه يجاهد نفسه ويقوم ويتوضأ ويذهب ليُصلي فقدأصبح من الصابرين الذين يقول فيهم رب العالمين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ (٢٤السجدة).

---

١٧ الإلماع إلى علم أصول الرواية للقاضي عياض

والصبر الأعظم في هذا الزمان هو الصبر على تحرِّي الرزق الحلال، فمن يحاول أن يتحرى الرزق الحلال، ويبعد عن الحرام فهذا يحتاج إلى صبر عظيم، لأن الأمور اختلطت، والإنسان الورع قال فيه حضرة النبي:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[18]

الإنسان الورع هو الذي يبعد بالكلية عن الحرام في الأرزاق، ويتحرى أحلَّ الحلال الذي يُرضي ذي الجلال والإكرام ﷻ.

فمن تحلى بهذه الصفات فكما قال الله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ فقد أخذ بالعزيمة التي مدحها الله وأثنى عليها، فهذه صفات يجب أن يتجمَّل بها الشباب، وأن يتكملوا بها، وأن يتحلُّوا بها.

النهي عن الكِبْر

ثم بيَّن الله ﷻ آفةً خطيرة انتشرت في مجتمعنا الآن، وينبغي للشباب أن يتخلوا عنها، هذه الصفة هي صفة الكبر، فكثير من الشباب إذا كان معه مال، أو في وظيفة طيبة، فيمشي كالطاووس يختال بنفسه، ولا يريد حتى أن يُلقي السلام على غيره، وإذا نطق بالسلام فيكون من طرف اللسان، ولا يريد أن يشعر أنه مثل الناس، ولكنه شي آخر!!.

١٨ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

وهذه آفة نفسية، ودعوة إبليسية حذَّر منها الله، وبيَّن خطورتها سيدنا رسول الله ﷺ، ويكفي فيها قول رسول الله ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[19]

الذي في قلبه بعض ذرة من الكبر لا يدخل الجنة كما أخبر سيدنا رسول الله، وكذلك من كان عنده بعض ذرة من الكبر، فليس له في فتح الله ﷻ نصيب، مهما عمل من أوراد، ومهما اجتهد في العبادات والطاعات، لأن الله كما قال في قرآنه: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ (٢٣النحل).

وماذا يريد الله ﷻ منا؟ التواضع، ولين الجناح، والإخبات، وأن الإنسان يرى الخير في نفسه، ويرى الخير في غيره، وقال الإمام أبو العزائم ﷺ مبيناً خطورة هذا الأمر: (كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه ويرى الشر في إخوانه).

وضرب سيدي أبو العباس المرسي لتلاميذه مثلاً عظيماً في ذلك فقال رضوان الله تبارك وتعالى عليه: إذا نزل المطر من السماء هل يقف على رءوس الجبال أم في الأودية؟ قالوا: في الأودية، قال: كذلك فتح الله ﷻ إذا نزل على القلوب لا ينزل على القلوب التي فيها كبر، ولكن التي تواضعت لله، وأخبتت لله، وخفضت الجناح لخلق الله أجمعين.

---

١٩ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وهذه هي وصية الله لنا، والتي قال فيها:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ :

وتصعير الخد يعني إمالته، وإمالته على سبيل الكِبر؛ أنه يكلم الناس من طرف اللسان، ولا يريد حتى أن يلتفت إليهم أو ينظر إليهم تكبَّراً عليهم واعتزازاً بنفسه وإعجاباً بها وإجلالاً عليهم!!، وهذا لا يجوز بالنسبة لمن يريد إكرام الله وفتح الله ﷻ.

وبيَّن الله ﷻ للمسلم ـ وهذا أمرٌ عجيب في كتاب الله ـ حتى طريقة المشي، حتى نعرف أن القرآن لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كيف نمشي:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾

لا تمش في الأرض باختيال واعتزاز زائد بالنفس، وتظن أنك خيرٌ ممن تمر عليهم، لكن الإنسان دائماً يمشي على الأرض كما قال الله في عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٦٣الفرقان) هيِّنين لينين، قال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ }[٢٠]

٢٠ مسند الشهاب والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

وقال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنْ اسْتُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ }[21]

والآنف يعني المطيع، وهذه أحوال المؤمنين، وهذه الأحوال كانت تُذلل الصعاب، وتُيسِّر الأمور، وكان الناس عندما يسعون في الصُلح بين المتخاصمين يجدون سهولة من هذا، ويُسر من هذا، فيتصالحون بسرعة.

لكن في زماننا هذا تجد هذا مصمماً على رأيه ومتكبر ....، والآخر مصمماً على رأيه ومتكبر، فكيف يتصالحوا؟!! .... لأنه لم تعد الأخلاق القرآنية التي أراد الله ﷻ أن نكون عليها وذكَّرنا بها.

خطورة الزَّهو

وأخبر الله ﷻ بخبر يجعل الإنسان المؤمن يذوب في نفسه خوفاً من الله، وحياءاً من مولاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ومختال يعني مزهو بنفسه، ومعجب بها، وفخور يعني يفتخر بنفسه، وينسب الصفات الطيبة التي جعلها فيه ربه لنفسه فقط، وكأنه صاحب الفضل، مع أننا كما قال لنا الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣النحل).

٢١ مكارم الأخلاق للطبراني عن العرباض بن سارية ﷺ

متى ينال المؤمن فتح الله؟ إذا لم ينسب الخير إلا لحضرة الله جل في عُلاه، تقول له: كيف فعلت هذا الأمر؟ يقول: بفضل الله، وبتوفيق الله، وبمعونة الله ... فينسب الفضل لله جل في عُلاه، أو كيف ستفعل كذا؟ يقول: إذا أعانني الله، وإذا قواني الله، وإذا تولاني الله بولايته ... فدائماً راكن ظهره على الله، ويعتمد بالكلية على الله، فيدخل في قول الله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) وحسبه يعني كافيه، فيكفيه الله كل طلبات الدنيا والآخرة.

القصد في كل الأحوال

ورجع الله مرة ثانية وذكر المشي، ولكن المشي هنا في المنهج، فقال:

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾

يعني لا تمش مسرعاً، ولا تمش بطيئاً، ولكن بين بين في كل أحوالك، فتمشي بالوسطية الإسلامية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣البقرة).

سيدنا رسول الله ﷺ كان لا يُحب المشي السريع من أصحابه، ويكره لهم ذلك، لأن فيه عجلة، والعجلة دائماً تكون من الشيطان، فكان يطلب منهم التأني والتمهل في المشي والحركات والسكنات، وكل الأعمال التي يزاولها في حياته الدنيا فيمشي بتُؤدة، وهذه هي الحكمة العالية.

ونحن نرى دائماً أن أي إنسـان يتسَّـرع في أي أمر فنادراً ما يُصـيب، ولا بد أن يندم، ويقول: أنا تسرعت وفعلت كذا، أو أنا تعجلتُ وفعلت كذا، فلماذا تتعجَّل وقد قال لنا الله: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧الأنبياء) المؤمن دائماً يتروَّى ويتأنَّى.

سـيدنا رسـول الله ﷺ أتاه وفد من قبيلة عبد القيس يُعلنون الدخول في الإسـلام، فعندما وصـلوا إلى المدينة ربطوا دوابهم وأسـرعوا ليدخلوا على رسـول الله ﷺ، إلا واحداً منهم اسـمه المنذر الاشـج، ذهب فاغتسـل أولاً وتعطر ولبس ثوبين كان قد جهزهما للقاء رسول الله، فلما رآه سيدنا رسول الله ﷺ قال له:

{ إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ }[٢٢]

فكأن النبي ﷺ يدعونا جميعاً إلى التخلق بهذه الأخلاق، أن الإنسان يتأنَّى في كل أموره، ويتروَّى في كل أحواله، ولا يتعجَّل، ولا يتسـرَّع، ليمشـي على النهج الحكيم والذي قال لنا الله فيه: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾.

[٢٢] سنن أبي داود والبيهقي عن زارع بن عامر ﷺ

كان العرب في الجاهلية يتباهون برفع الأصـــوات، فيكلمون بعضـــهم دائماً بأصوات عالية، وينادون على بعضهم بأصوات عالية، لكن حضرة النبي ﷺ غيَّر كل هذه العادات، فكان ﷺ يتكلم بهدوء، وصـــوت غير عال، على قدر ما يُســـمع الحاضرين، لأن الله سبحانه وتعالى أخبره بذلك وقال لنا كلنا: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ﴾.

هدوء صوت المؤمن

لذلك يجب دائماً أن يكون صـوت المؤمن هادئ، فنحن أُمة الإسـلام نحتاج لهذا المنهج العظيم، إذا تكلمنا في الشـــارع وهناك شـــخص مريض نائم في بيته، فلماذا نزعجه بالصـــوت العالي؟!! أو طالب يذاكر، لماذا نزعجه بالصـــوت العالي؟!! وأنا أعجب عندما أرى بعض الشـــباب يقفون على ناصـــية أو في شـــارع، وهم يمزحون ويصـيحون بأصـوات تُفزع من حولهم!!، والإسـلام غير ذلك، هل نحن أهل الإسـلام صـــدَّرنا هذا الخُلُق إلى الغربيين وأخذنا أخلاقهم؛ أخلاق الغجر التي كانت في أوروبا؟!! فإذا ذهبت إلى أي مكان هنا إن كان في ســـوق أو في محطة أو في أي مكان، تجد الأصوات والصياح والصوت العالي.

وإذا ذهبت إلى أي مكان في أوروبا فلا تسمع شيئاً، وبعض الدول الأوربية مثل سويسرا سنُّوا تشريعاً عندهم يمنع استخدام سيفون الحمام بعد الساعة الحادية عشر مســـاءاً، لماذا؟ حتى لا يُزعج جيرانه من فوقه أو من أســـفل منه .... ويحكيها رجل مصـــري كان هناك ولم ينتبه لذلك، فاســـتخدم الســـيفون، فوجد من يطرق بابه من الشرطة، فسألهم عن السبب؟ فقالوا: لقد استخدمت السيفون بعد الساعة الحادية عشرة فأزعجت جيرانك من فوقك ومن تحتك ... فما بالنا بالراديوهات، والســـمَّاعات التي تعمل طوال الليل، والأفراح التي تدوِّي في آذان الناس فتفســـدها، وتوقظ الأطفال الرُضَّع، وتجعل الناس لا ينامون!! هذه السماعات صنعها الغرب لنا نحن فقط، لكن ليس عندهم هذا الأمر، وأفراحهم ليس فيها هذه السماعات ...

رجال الإسلام يوصفون بالهدوء، وبالصوت الخافت، وهذا السلوك الحسن الذي علَّمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ، وكان ذلك تصديقاً لمنهج الله ﷻ.

فنحن كلنا في حاجة أن نعلِّم أولادنا من البداية، فأقول لابني: تكلم بصـــوت هاديء، ولا ترفع صـــوتك لأن لنا جيران، لا نريد إزعاجهم، أو إخوة نائمين، أو أنا أريد أن أنام قليلاً، فتُعلِّمهم الكلام الحســـن ... وما يحدث الآن ســـببه أننا تنازلنا عن أخلاق الإسلام التي اختارها لنا الله، وكان عليها سيدنا رسول الله ﷺ.

وسيدنا رسول الله لم يكن جهوري الصوت، وكان عنده بحَّة في صوته، ومع أن صـــوته كان هادئاً إلا أنه كان يبلغ الجميع، فكان إذا خطب على منبره الشـــريف في المدينة وصل صوته إلى كل البيوت المحيطة بمسجده المبارك، فتسمعه النساء وهن في بيوتهن!!.

فعندما كان ﷺ في حجَّة الوداع وخطب الناس في مِنى، ومِنى عبارة عن جبلين مرتفعين، لكن صوته وصل الجميع، قال عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه:

{ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا }[23]

فكل من في الخيام ســـمعوا صـــوت رســـول الله ﷺ، ولم يُتعب الحنجرة، ولا الأحبال الصوتية، ولا أي شيء من ذلك، فهو يتكلم بهدوء، والله عز وجل عليه البلاغ.

وعندما جاء الأعراب ونادوا على حضرة النبي بصوت عال وقالوا: يا محمد يا محمـد، فعـاب عليهم الله وقـال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤الحجرات) ,,

---

٢٣ سنن أبي داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه

هؤلاء غير ثابتين في عقولهم، لكن الذين فازوا وجازوا في الإمتحان قال فيهم الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٣الحجرات) ... سيدنا عمر كان جهوري الصوت، لكنه كان إذا تحدَّث مع سيدنا رسول الله لا يكاد يستبين كلامه، حتى كان رسول الله يستوضحه!!.

فالمؤمنون يحتاجون إلى تغيير هذا السلوك بالكلية:

تريد أن تتكلم مع أحد فاجلس معه ثم تتكلم، ولكن لا تتكلم بصوت عال وبينك وبينه مسافة، حتى لا تسبب ازعاجاً لمن حولك !

أو تريد أن تتكلم مع ابنك في البيت، فكلمه بصوت منخفض، لأن بعض الناس عقيدتهم أن الصوت العالي والصياح هو الذي يُهذب الولد ويؤدبه!!، لكن هذا ليس من الإسلام في قليل ولا كثير ...

والإسلام يحتاج إلى العقلاء والحكماء الذين يكون صوتهم ندي وطري وهادئ، يكاد يُسمع من يريد ان يُسمعه، لأن هذا هو الأدب الإلهي في الكلام ... والله ﷻ حذَّرنا من علوِّ الصوت تحذيراً شديداً يجعل كل مؤمن يراجع نفسه مرات ومرات، قبل أن يرفع الصوت، فرفع الصوت مستحب في حالات محدودة فقط كالآذان، وذلك حتى يُسمع الناس، وكان ذلك قبل مكبرات الصوت، وعندما جاءت مكبرات الصوت لم نعد في حاجة لرفع الصوت،

هذا التحذير الشــديد قال الله فيه: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ ولماذا الحمار تحديداً؟ قال العلماء: لأن أصــوات باقي المخلوقات تســبّح الله، أما الحمار فقال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا }[٢٤]

فعندما يرى شـيطان يُنبه بصـوته العالي، لكن باقي المخلوقات تُسـبِّح الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ (٤٤الإسراء).

ونحن عندما نقوم لصـلاة الفجر نسـمع أصـواتاً جميلة لبعض العصـافير وبعض الطيور الجميلة، هذه الطيور تســبّح الله ﷻ، ولذلك يكون الصــوت لطيفاً وجميلاً كالموسيقى الشجية الإلهية التي يشجى لها قلب الإنسان.

لكن الحمار يرفع صوته عندما يرى شيطان، لذلك الإنسان المؤمن يحرص كل الحرص - إن كان في حديثه مع غيره، أو حديثه مع أهله، أو حديثه مع زوجه، أو حديثه من جيرانه، أو حديثه مع أي أحد - على الصــوت الهادئ، ويعمل كما قالت السيدة عائشة:

---

٢٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ }

كان يعُد الكلام ...

يتكلم وينصت، ليفهم الجميع ...

ومع ذلك كان يعيد الكلمة ثلاث مرات، حتى من لا يفهم من المرة الأولى يفهم من الثانية، أو يفهم من الثالثة ...

ولكنه تعوَّد على عدم السرعة في الكلام، وعدم رفع الصوت في الكلام.

لذلك نحتاج إلى التأنِّي في الكلام، وبصوت هادئ ورزين !!

فهذه صفات نرجوا الله ﷻ أن نتحقق بها أجمعين، وأن نتخلق بها في كل أحوالنا في الدنيا، حتى نكون من الفائزين يوم الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٧) أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ (١٨) أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٩) ﴾ (السجدة)

١٤.أهل قُرَّة العين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي خصَّنا بهذا التنزيل، وجعلنا أهلاً لهذا الكتاب الجليل، كتاب فُصلت آياته من لدن حكيمٍ خبير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعله مولاه محلاً لتنزل كتاب الله، فأهَّله لنزول هذا الكلام، وزاده من فيض فضله من نوره تبارك وتعالى ليكون كما قال الله ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء) صلوات الله وسلامه على هذا النبي، وآله الأتقياء، وصحابته الأنقياء، وكل من تبعه على هذا النور إلى يوم العرض والجزاء، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

حول سجود التلاوة

في بداية حديثنا عن هذه الآيات، لا بد أن نذكر أمراً تشريعياً لا غنى لنا عنه أجمعين، هذه الآيات من سورة السجدة، وورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ هذه السورة كلها في الركعة الأولى في صلاة الصُبح ليلة الجمعة، وإذا وصل إلى آية السجدة سجد سجدة واحدة، وهي سجدة التلاوة، ثم يقوم من هذه السجدة ويُكمل التلاوة حتى ينتهي من السورة، وفي الركعة الثانية كان يقرأ على أصَّح الأقوال سورة الدهر: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ (١الإنسان).

---

[1] المساوية - إسنا – الأقصر ٣ من جماد الأولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٣١م

الإمام الشــافعي ﷺ أخذ بما صــحَّ لديه من الحديث الوارد في هذا الأمر، فجعل قراءة هذه الآيات وسجدة التلاوة في صلاة الصُبح ليلة الجمعة واجباً عنده في مذهبه المبارك، يعني لا بد للإنسان أن يعمله، والمذهب الشافعي منتشر في الوجه البحري، أما المذهب المالكي لا يأخذ بهذا، وهو منتشر في الوجه القبلي:

وكلــهـم مـن رســـول الله مـلـتـمـسٌ رشــفـا من البحر أو غرفـاً من الـديم

أقول هذا الكلام لأنه لو ذهب أحدٌ من الوجه القبلي للقاهرة وصــلَّي الصــبح ليلة الجمعة في أحد المساجد الكبرى، وهم شافعية، فسيجدهم يسجدون فلا يستغرب ولا يتعجب، ويكون عارفاً بالحُكم الشرعي، ويُصلي معهم بهذه الكيفية.

لأن أئمة المذاهب الفقهاء الأربعة الأكابر كانوا علماء وأولياء، فالإمام الشــافعي ﷺ كان في بغداد، وكان يذهب آنات لزيارة الإمام أبي حنيفة في روضـته في مسـجده لأنه كان قد انتقل إلى جوار الله، وصنعوا له ضريحاً في مسجده، ومسجده يصلون فيه على مذهب الإمام أبو حنيفة.

الإمام الشــافعي عنده القنوت في صــلاة الفجر واجب بعد قيام الإمام من الركوع في الركعة الثانية، والقنوت يعني الدعاء، ويكون جماعة، فالإمام يدعو والمأمومين يؤَمنوا عليه.

والإمام أبو حنيفة القنوت عنده في صلاة الوتر وليس في صلاة الصبح، والإمام مالك ﷺ عنده القنوت في صـــلاة الصـــبح بعد قراءة الســـورة أو الآيات القرآنية في الركعة الثانية قبل الركوع، وليس واجب، ويكون فردياً، فكل واحد يدعو وحده، فإذا قنتنا فبها ونعمت، وإذ لم نقنت فليس فيها شيء.

وكلهم جاءوا بهذا من سُنَّة رسول الله، لأن رسول الله فعل هذا، وفعل هذا، وفعل هذا، وسعة للأمة، فلم يجعلهم على منهج واحد، ولكن وسعةً لهم ليأخذ كل واحد منا ما يروق له وما يحلو له من منهج الله وسُنَّة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فالإمام الشـافعي عندما كان يصلِّي الفجر في مسجد الإمام أبي حنيفة كان يترك القنوت، مع أنه واجب عنده، فسُـئل: لِمَ تترك القنوت؟ قال: تأدباً مع صــاحب المذهب في مسجده.

أنا في مسجد الإمام أبي حنيفة فالواجب أن أُصلي على النسق الذي اختاره الإمام أبو حنيفة من شرع الله ﷻ.

كما نفعل معكم هنا، فأنا شـــافعي، ولكن إذا صـــليتُ معكم أُصـــلي مالكي، لأن الناس هنا مالكية، حتى لا يحدث قلق بالنسـبة للبسـطاء أو القاصـرين في العلم، وهي الحكمة التي علَّمها لنا هؤلاء الأكابر رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فالسجدة التى تُقرأ في صلاة الصبح ليلة الجمعة هي التي في سورة السجدة، لأنها الواردة في السنة، وأنا أقول هذا الكلام لأني وجدتُ بعض الناس - هداهم الله – يقرأون أي آية فيها سجدة، لكن السُنَّة قراءة سورة السجدة، أو إذا لم يستطع يأخذ بعض آيات من سورة السجدة.

والإمام الشافعي ﵁ والذي جعل السجدة واجبة عنده في صلاة الصبح ليلة الجمعة كان رجلاً ميُسراً، قال: لو قرأ الإمام آية فيها سجدة في غير فجر الجمعة فعليه أمرين: إما أنه يُنبِّه على المصلين قبل الصلاة بأنه سيقرأ آيات سجدة حتى لايحدث خلاف، وعندما يسجد يسجدوا معه، لأنه لو لم يُنبه ربما من كان خلفه بعضهم يسجد، وبعضهم لا يسجد، فيحدث خلافٌ بين المصلين.

أو ينوي السجود في ركوعه إذا لم ينبه عليهم، ولا يسجد هذه السجدة، لأن أهم شيء هو الحفاظ على سلامة المصلين، وعدم حدوث بلبلة بينهم، وهذا الذي كان يُشدد عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

نفرض أننا لسنا في الصلاة ولكننا في المسجد، أو في عزاء، والقاريء قرأ آية فيها سجدة، فماذا نفعل؟ المتوضيء يتوجه إلى القبلة وينوي سجود التلاوة ويُكبر ويسلم، الإمام الشافعي قال: يسلم كتسليم الصلاة، والأئمة الآخرين قالوا: ليس مهماً أن يسلم فيُكبر وينتهي الأمر.

نفرض أن المكان غير مهيأ للسجود، فيسجد وهو على هيئة القعود، أي ينحني قليلاً وينطق بالألفاظ الواردة في السجود ثم يرفع رأسه.

أما إذا كان غير متوضيء فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ومن يقرأ القرآن يجب أن يكون مُتجهاً إلى القبلة، وعلى وضوء، وعندما يصل إلى آية سجدة يسجد، لأنه جاهز لهذا العمل، سواء قرأ القرآن في مسجد، أو في بيته، أو في أي مكان، أو حتى في وسيلة مواصلات، فإذا لم يستطع أن يسجد كما ينبغي يتجه إلى القبلة ويُكبر ويسجد حيث وضعه وهو جالس، ولكن المهم عند التكبير يتجه بصدره إلى القبلة ... وهذا حُكمٌ شرعيٌّ كان لا بد منه لكي نعرف أحكام ديننا، لأن الشريعة هي البداية، والصفاء والصوفية هي النهاية بعد العمل بما شرع الله ﷻ لنا.

الآيات التي عندنا اليوم من سورة السجدة تتكلم عن صنف من المؤمنين نسأل الله عزوجل أن نكون منهم أجمعين، هؤلاء القوم بعد أن ذكر الله أوصافهم ذكر جزاءهم، والجزاء لايستطيع أحدٌ من أهل البسيطة أن يعيه أو يعقله لأنه جزاء عالي، قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ عند نزول آية الجزاء:

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾:

{ قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: " فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ " }[٢]

٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فما جزاؤهم؟ يكون قُرة العين: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ :

تقرُّ أعينهم بما يطلبون وبما يريدون من الله ﷻ، إذا كان الواحد منهم غاية منتهى أمله الجنة ونعيمها فإن الله يُعطيه الجنة ونعيمها، وإذا كان الواحد منهم أمله أن يكون بجوار رسول الله، فإن الله يُعطيه ما يريد فيكون بجوار رسول الله، وإذا كان الواحد منهم أمله أن يحظى بالنظر إلى وجه الله، فإن الله يُعطيه ما يريد وهو النظر إلى وجه الله، فيُعطي كل واحدٍ ما يتمناه، ولذلك قال ﷺ:

{ إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ }[3]

اجعل دائماً رغبتك فيما تطلبه من الله ﷻ عظيمة، فاطلب شيئاً ثميناً وعظيماً ليُعطيه لك الله، فإذا سألنا الجنة فماذا نسأل؟ قال ﷺ:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[4]

عندما تسأل الله لا تسأل الجنة، ولكن قُل: اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى، فاللهم إنا نسألك أجمعين الفردوس الأعلى، لأن هذا الفردوس هو الموضع الذي يحظي فيه داخلوه بالنظر إلى وجه الله ﷻ، والجنة مائة درجة، قال ﷺ:

---

٣ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٤ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }[٥]

الدرجة الواحدة يدخلها الأولون والآخرون وتسعهم جميعاً ...

كل الناس من أول آدم إلى قيام الساعة لا يملأون درجة من درجات الجنة، والدرجات، هذه الدرجات أعلاها وأرقاها وأبهاها الفردوس الأعلى، التي طلب منا سيدنا رسول الله ﷺ أن نطلبه لنحظى فيه بالنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

الذين سيأخذون ما يتمنون، وفوق ما يتمنون في الجنة، هؤلاء ما مواصفاتهم؟

وما الأعمال التي وصفها الله لهم، وإذا عملوا بها استحقوا هذه المنزلة؟

ذكر الله ﷻ هذه الأعمال بالترتيب:

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا ﴾ :

ذُكروا بها يعني وُعظوا بها، فعندما يُوعظون بهذه الآيات يخرِّوا ساجدين لله ﷻ من عظمة تأثيرها في قلوبهم وخشوعهم وخضوعهم لله تبارك وتعالى.

٥ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

واستكمالاً للجزء التشريعي: إذا كرر القارئ آية السجدة أكثر من مرة، لأنه من عادة القراء تكرار الآية، فنسجد مرة واحدة فقط، ولا يُستحسن من القارئ أن يُكررها.

وذكر الله ﷻ السجود لأن السجود قال فيه الله ﷻ:﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ (١٩العلق) ..

لم يقُل الله (واسجد تقترب) وإلا كان سجوداً واحداً، ولكن قال: (واسجد واقترب) يعني كلما سجدتَ كلما زدتَ قُرباً من الله، وكلما سجدت كلما زدت في التواصل الباطني والقلبي مع حضرة الله ﷻ ولذلك حبيب الله ﷺ حببنا في السجود وقال لنا:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }[٦]

وأمرنا أن ندعوا الله في السجود إذا كان هناك أمرٌ يهمنا ونريد تلبيته، فقال ﷺ:

{ إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }[٧]

(قمن) يعني جديرٌ أن يستجيب لكم، فالسجود بالحالة التي يحبها الله ﷻ من عباده، لأن المؤمن لا يسجد إلا لله ﷻ، لا يسجد لبشر،ولا يسجد لحجر، ولا يسجد إلا لخالق القوى والقُدر وهو الله تبارك وتعالى، وكان ﷺ يُطيل السجود، ويقول في السجود أدعيةٌ وكلماتٌ كثيرة من جملتها:

---

٦ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
٧ سنن النسائي وابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ }[8]

وفي رواية أخرى كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا سَجَدَ، قَالَ:

{ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَكَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ إِذَا سَجَدَ، قَالَ: عَفَّرْتُ وَجْهِيَ فِي التُّرَابِ لِخَالِقِي وَحُقَّ لَهُ }[9]

وكان مسجد سيدنا رسول الله ليس فيه فرشٌ كأيامنا هذه، فكانوا يسجدون على التراب ليُعفروا وجوههم بالتراب تذللاً وتضرعاً لله ﷻ.

ولما أراد أصحابه الأجلاء أن يصنعوا صنيعاً حسناً يفرشوا به المسجد، فاستشاروا رسول الله ﷺ فأشار عليهم أن يأتوا بالحصباء (الحصى الصغير) من وادي العقيق وقال لهم:

{ الْعَقِيقُ وَادٍ مُبَارَكٌ }[10]

ففرشوا مسجد رسول الله ﷺ بهذا الحصى الصغير، وكان هذا فرش المسجد الذي يصلون عليه والذي ينامون عليه.

---

٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
٩ الجامع في تفسير القرآن لابن وهب ومصنف ابن أبي شيبة
١٠ تاريخ المدينة لابن شية عن عمر بن الخطاب ﷺ

ولما جاء الخليفة الزاهد العابد عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، وكان أميراً على المدينة، وكان هو الذي يُصلي بالناس الفرائض، وهو الذي يخطب فيهم الجمعة والعيد فأصرَّ رضي الله تبارك وتعالى عنه أن يُزيل هذا الفرش من موضع سجوده حتى لا يكون بين جبهته وبين التراب حائلاً وهو ساجدٌ لله ﷻ، وهذا من زهده وورعه.

فرفع الفرش من موضع السجود، ليسجد على التراب دائماً لله تبارك وتعالى، واقتداءاً وتأسياً بسيدنا رسول الله ﷺ.

فأول صفة من صفات هؤلاء القوم:

أنهم إذا وُعظوا بآيات كتاب الله انفعلت قلوبهم، واقشعرَّت أبدانهم فذكروا الله ﷻ بألسنتهم، وخروا لله سبحانه وتعالى - يعني سقطوا - سُجدّاً بأعضائهم، مسَلِّمين ومستسلمين لله ﷻ.

وماذا يفعلون في السجود؟ ﴿ وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يسبحوا بحمد الله ﷻ في السجود، والتسبيحات علَّمها لنا رسول الله، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:

{ لَمَّا نَزَلَتْ: "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: " سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى " قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ }[١١]

١١ سنن أبي داود وابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

لكن إذا أردت أن تزيد فباب المزيد مفتوح ....، فمن أراد أن يستزيد من التسبيح والتحميد لله ﷻ في الركوع والسجود... فلا حرج، ولا حجر على فضل الله تبارك وتعالى، والذي يريد أن يكتفي بما ورد فلا مانع، .. وكما قلنا أن سيدنا رسول الله نفسه قد زاد، كما قال:

{ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ }[١٢]

هذه كلمات كان يستزيد بها سيدنا رسول الله ﷺ، وكان أحياناً يقول في ركوعه وسجوده:

{ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ }[١٣]

كل هذا وارد،.... فما دام الإنسان يُسبح الله .... فالباب مفتوحٌ لفضل الله وإكرام الله جل في عُلاه.

وقت السَحَر

متى يكون أفضل السجود؟ في الأوقات التي يتنزَّل فيها الله بفضله وخيره وبركته إلى العُبَّاد من عباد الله، هذا الوقت قال فيه ﷺ:

---

١٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
١٣ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها

{ يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ }[١٤]

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ الله ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[١٥]

وكلمة يتنزَّل يجب أن ننتبه لها، فليس لنا شأنٌ بالمُجسِّمين، فهي تعني أنه يتنزَّل بخيره، ويتنزَّل ببره، ويتنزَّل بفضله، ويتنزَّل بعطاءاته، ويتنزَّل بهباته، ويتنزَّل بتجلياته، ويتنزَّل بأسراره، ويتنزَّل بأنواره، ويتنزَّل بما لا يُعد ولا يُحد من فضله وإكرامه وعطاءه.

والثُلث الأخير من الليل هو وقت السحر، والذي كان أصحاب رسول الله حريصون عليه، وكذلك الصالحون في كل زمان ومكان، لأن هذا الوقت هو الذي اختاره الله للمناجاة معه، ينام الغافل، ويبقى الذين يريدون وجه الذي لا يغفل ولا ينام تبارك وتعالى، والذي يقول فيهم الله لسيدنا داود عليه السلام في الأثر الوارد:

---

١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٥ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إن لي عباداً من عبادي أُحبهم ويحبوني، وأشـــتاق إليهم ويشـــتاقون إليَّ، وأذكرهم ويذكروني، من ســـلك طريقهم أحببته، ومن عدل عنهم مقته، قالت الملائكة: يا ربنا وما علامتهم؟ قال: هم عبادٌ من عبادي يُراعون الظلال بالنهار - يعني الأجســـام - كما يُراعي الراعي الشفيق غنمه، فإذا جنَّهم الليل، واختلط الظلام، وافترشت الفُرش، ونُصبت الأَسرَّة، وخلا كل حبيب بحبيبه، افترشوا إليَّ وجوههم - وهذا هو السجود - ونصبوا إليَّ أقدامهم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إليَّ بإنعامي، فمِن صـــارخ وباك، ومن متأوِّهٍ وشـــاك، ومن قائم وقاعد، ومن راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي، أول مـا أُعطيهم ثلاث: أقذف في قلوبهم من نوري فيُخبرون عني كما أُخبر عنهم، ولو أن السماوات والأراضين في موازينهم لاستقللتها لهم، وأُقبل عليهم بوجهي، أرأيت من أقبلتُ عليه بوجهي أيعلم ما أُريد أن أُعطيه؟!!}

هؤلاء هم العباد الذين يخصُّـــهم رب العباد بالمقامات الهنية، والدرجات الوهبية العلية، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

قيام الليل

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يُوصي الخاصة من أصحابه، بأن تكون له قومة في آخر الليل ...

رأى سيدنا عبد الله بن عمر وكان من المجدين في طاعة الله، فقال له:

{ نِعْمَ، الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ، فَكَانَ بَعْدُ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلا }[16]

من كان له قومةٌ في جوف الليل الآخر فيا هناه، قال ﷺ:

{ بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[17]

فهؤلاء أصحاب النور، وأصحاب العرض على حضرة العزيز الغفور يوم الدين، لأنهم كانوا سُجداً وقياماً لله، والآخرين الغافلين نائمين.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾:

تتجافى يعني تتباعد، كلما أراد النوم يتذكَّر أنه يريد أن يناجي الله، فلا يتلذذ بالمنام، لأن تلذُّذه في مناجاة الذي لا يغفل ولا ينام، فيقوم ليناجي الله وحتى يدخل في معية حبيب الله ومصطفاه ...

---

١٦ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٧ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن بريدة بن الحصيب ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ يريد المقام المحمود، فأمره الله بالتهجد، وقال له الله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ (٧٩الإسراء) ولا يوجد في القرآن حروف ترجِّي، مثل (لعل) و(عسى)، لكنها في القرآن تكون تأكيد، يعني ليبعثك ربك مقاماً محمودا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣البقرة) (لعل) هنا للتأكيد، أي لتصلوا إلى مقام التقوى.

وعاد الله مرة أُخرى ففرض على رسول الله فريضة سادسة، فالفرائض بالنسبة لنا خمسة؛ الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ولكن سيدنا رسول الله فرض الله عليه فريضة سادسة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ﴾ (المزمل).

فكان سيدنا رسول الله يقوم الليل على قدم واحدة، حتى تتورم قدمه، زيادة في التذلل والتضرع لله جل في عُلاه، إلى أن أنزل الله سبحانه وتعالى عليه على حسب القراءة الأُخرى: ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ (طه) وطأها يعني أنزلها وهي قراءة من ضمن القراءات الأُخرى في هذه الآية الكريمة، والسيدة عائشة تقول له:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا }[18]

ما دام قد غفر الله لي، وفتح لي، وأعطاني كذا وكذا، أفلا أشكره على هذه النعم؟!! فكان ﷺ يُحيي الليل إلا قليلا، لكن في الأيام المباركة في رمضان كان يُحيي الليل كله، وبعد رمضان أو قبله يحييه إلا قليلاً لكي لا يشق على أمته، يريد لأمته التيسير في عبادة وطاعة العلي الكبير ﷻ.

والذي يريد أن يكون معه فتح الله له الباب: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠المزمل) فالذي يريد أن يكون مع رسول الله لا بد أن يكون له قيام من الليل، ولكنه ليس فرضاً عليه، ولكنه يُلزم نفسه بشيء من القيام لكي يكون في معية الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

١٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

وقيام الليل يبدأ منذ صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، لكن أفضل الأوقات - كما قلنا - في وقت السحر، وقيام الليل ليس شرطه الصلاة فقط، فيجوز للإنسان أن يقوم الليل تالياً لكتاب الله، أو أن يقوم الليل ذاكراً لله، أو أن يقوم الليل مستغفراً بين يدي الله.

والصحابة الكرام أحيوا وقت السحر كما قال الله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات) كانوا يحيون وقت السحر بالإستغفار بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ.

ويجوز أن يُحي الليل إذا كان أقامه الله لتعليم العلم النافع والعمل الرافع، فالإمام الشافعي رضي الله عنه كان يزور سيدنا أحمد بن حنبل، وسيدنا أحمد بن حنبل كان كعادة الكرام في هذا الزمان إذا زاره أحدٌ يضع له ابريقاً وطستاً، حتى إذا استيقظ في الليل يقوم ويتوضأ، لأنهم كانوا كلهم لهم قيام.

فالإمام الشافعي صلَّى العشاء واستلقى على ظهره ولم يقُم لصلاة القيام، والإمام أحمد بن حنبل كانت له ابنة، وكانت من العابدات، فأرادت أن تعرف ماذا يفعل الشافعي فراقبته لتتشبه به، لأنهم كانوا يحبون التشبه بالصالحين.

وفي الصباح سألها أبوها: ما رأيك في الشافعي؟، قالت: رأيت فيه ثلاث خصال ليست في الصالحين، لم يقُم في الليل للصلاة، وقام وصلَّى الفجر بدون وضوء، وعندما قدمنا له الطعام أكل وملأ بطنه، ومن عادة الصالحين أنهم لا يملأون بطونهم من الطعام فأراد الإمام أحمد وكعادة الصالحين أن يتثبت من الكلام أولاً، وليتنا نمشي على هذا المنهج، فقال لها: نسأل الشافعي، فقال له: ابنتي تقول كذا وكذا، فقال في الأولى: حللتُ في هذه الليلة مائة مسألة فقهية كلها تهم المسلمين، وهذا كان قيامه، قيام ليله يجتهد في حلِّ المسائل الفقهية التي تشغل بال المسلمين، فهل هذا أفضل أم من يشتغل بالصلاة والعبادة؟!! الصلاة والعبادة لنفسك، ولكن هذه المسائل لكل المسلمين، ودائماً العمل الصالح الذي يتعدَّى إلى الغير أفضل عند أكرم الأكرمين ورب العالمين ﷻ، ... قال له: والثانية؟ قال: وأنا منذ صلاة العشاء على وضوئي حتى صلاة الفجر، فأنا لم أنم.

قال له: والثالثة؟ قال: علمتُ أن زادك حلال فملأتُ بطني لأني سمعتُ في أقوال السابقين: (من ملأ بطنه من زاد الصالحين، ملأ الله قلبه إيماناً وحكمة)!!.

هذا حتى لا نقف عند أمورٌ معينة، فقيام الليل للطبيب في مداواة المرضى وعلاجهم أفضل من ألف ركعة في هذه الليلة، وقيام الليل للجندي الذي يحرس الحدود أو يحرس البلاد أفضل من ألف ركعة من غيره، حتى لا نُقصر القيام على الركعات فقط.

فقيام الليل المهم فيه أن يكون في عملٍ نافع لنفســـه ولمن حوله من عباد الله، ويقصد بهذا العمل وجه المولى تبارك وتعالى.

وسيدنا رسول الله ﷺ سهَّل لنا هذا الأمر بعمل بسيط، وله أجر عظيم، قال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[19]

فيجب أن لا نحرم أنفسنا على الأقل من ركعتين، تستيقظ قبل الفجر بقليل وصلِّ ركعتين، حتى تُكتب من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

عبادة الدعاء

ثم بعد ذلك: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾:

دائماً المؤمن ليس له إلا مولاه، يعرض عليه حوائجه، ويرفع إليه طلباته، وكما قلنا:

{ إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ الله ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[20]

---
١٩ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢٠ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

هو الذي يطلب منا أن ندعوه، لأن الدعاء تحقيقٌ للإنسان بمقام العبودية؛ أنه يحتاج لله، وهذا ما يريده الله منا، يريد منك دوماً أنك تحتاج إليه، وأنك تمُدُّ يديك له، وأنك دائماً تريد منه كل طلباتك الدنيوية وكل أمنياتك ورغباتك الأُخروية، فكلها ترفعها إلى حضرة من يقول للشيء فيكون، والدعاء قال فيه ﷺ:

{ الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ }[21]

لماذا؟ لأن الله يريد منا أن نكون دائماً واقفين على بابه نناديه، ونستغيث به، ونطلب منه تبارك وتعالى، فهذا دليلٌ على أن العبد مُجملٌ بآداب العبودية التي يُحبها الله ﷻ.

باب الانفاق

آخر صفة من هذه الأوصاف: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ لا بد للإنسان أن يجعل لنفسه باباً للإنفاق من كل النعم التي شمله بها الكريم الخلاق، فإذا تفضَّل عليه بمال يجعل من هذا المال جزءاً للفقراء والمساكين، وإذا تفضَّل عليه بالعلم يجعل نصيباً من هذا العلم للجهلاء والراغبين في تعليم أصول الدين وحيثياته وسننه وتشريعاته لوجه الله، فلا يطلب على ذلك أجراً ولا جزاءاً، ولا حتى كلمة شكر، حتى يجعله خالصاً لوجه الله ﷻ.

---

21 جامع الترمذي والطبراني عن أنس ﷺ

وإذا جعله الله في منصبٍ كريم، فيجعل من هذا المنصب نصيباً لقضاء حوائج الفقراء والمساكين الذين لا سند لهم ولا جاه لهم ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

وإذا حباه الله بالقوة يجعل هذه القوة فيها نصيب أيضاً للمحتاجين، ومساعدة الضعفاء والفقراء والمساكين، مثلاً يأخذ بيد أعمى ليمشي في الطريق، قال ﷺ:

{ مَنْ قَادَ أَعْمَى أَرْبَعِينَ خُطْوَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ }[22]

أو يبحث عن الفقراء والمساكين الذين لا زائر لهم!! ولا أنيس لهم ..!!، لكي يزورهم في الله، ولكي يُؤنسهم طلباً لمرضاة الله، ولكي يقضي لهم حوائجهم طمعاً في مرضاة الله جل في عُلاه، قال ﷺ:

{ مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ }[23]

وقال ﷺ:

{ مَنْ سَعَى لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ }[24]

---

٢٢ جامع الطبراني والبيهقي عن ابن عمر ﷺ

٢٣ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٤ فوائد ابن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولما كان المســــلمون الأولون يمشـــون على هذا المنهاج، كانت المجتمعات الإسـلامية كلها مجتمعات تقية نقية، ليس فيها إثم ولا بغي ولا شـهادة زور ولا سـرقة ولا قتل ولا كذب ولا غيبة ولا نميمة، لأنهم كانوا كلهم كما قال نبينا ﷺ:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى } [٢٥]

هؤلاء ماذا لهم؟

ما قلنا في البداية: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

دفاع الله عن المؤمنين

حدث نقاشٌ بين سيدنا عليِّ بن طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه، وبين الوليد بن عُقبة، وكان هذا في مكة، والوليد بن عُقبة كان على الشـرك والكُفر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضـي الله عنهما:

٢٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ

{ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: أَنَا أَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدُ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَجْلَى لِلْكَتِيبَةِ مِنْكَ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَإِنَّكَ فَاسِقٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ }[٢٦].

فكان هذا سبب نزول هذه الآية، لنعرف أن الله دائماً يُحكِّم القاعدة القرآنية:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج)

المؤمنون لا يدافعوا عن أنفسهم، لأن الذي يدافع عنهم رب العالمين ﷻ، وكانت هذه تربية رســـول الله لأصـــحابه الأجلاء دوماً، كان يربيهم أن كل واحد منهم يعتمد على حضرة الله، ويتوكل على مولاه، ويُلقي بحموله على الله، والله يتولاه: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف) ولا يحمل همَّ أي شيء بعد ذلك أبداً.

فعندما جاء رجلٌ وتطاول على ســـيدنا أبي بكر في مجلس رســـول الله، وهذا الرجل كان منافقاً، لأن الذي يتطاول في مجلس رســـول الله لا يكون مؤمناً صـــادق الإيمان، ففي مجلس رســـول الله لا بد من الأدب التام: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (٢الحجرات).

---

٢٦ الشريعة للآجري عن ابن عباس رضي الله عنهما

وســيدنا أبو بكر ظل ســاكتاً ولم يرد عليه تأدباً مع الحبيب ﷺ، فلما زاد الرجل عن الحد، همَّ سـيدنا أبو بكر بالدفاع عن نفســه، فقام سـيدنا رسـول الله من المجلس، فخرج أبو بكر مسرعاً خلف رسول الله وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟! قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ }[٢٧]

عندما يتشـاجر اثنان من المؤمنين، ويسـبان بعضـهما، ..... وصـفهما حضـرة النبي وقال فيهما:

{ الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ }[٢٨]

لأنه في هذا الوقت كأنهما شيطانان، لذلك يردان على بعضهما.

فالله ﷻ هو الذي دافع عن سيدنا الإمام علي، وانظر لكلام الله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾

٢٧ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة ﷺ
٢٨ مسند أحمد وابن حبان عن عياض بن حِمار ﷺ

وكان ســـيدنا النبي ﷺ دائماً عندما يقرأ هذه الآية يقف في هذا الموقف، ثم يعود فيقول: ﴿ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾ فالوقف هنا سُنِّي وارد عن سيدنا رسول الله ﷺ:

﴿ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾:

لا يستوي هذا مع ذاك أبداً، والإمام أبو العزائم ﷺ يقول في هذا المجال: (قلاَّمة ظُفر المؤمن خيرٌ عند الله من ملء الأرض كفاراً) بما فيهم رؤســـاء أهل الشـــرك الذين يخاف منهم الناس وغيرهم، فالمؤمن له منزلة كريمة عند الله لا أحدٌ من الأولين ولا الآخرين يستطيع معرفتها إلا إذا عرَّفه الله بذاته شأنها.

ثواب المؤمنين الصالحين

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾:

وكما قلنا قبل ذلك أن الإيمان دائماً يكون مقترناً بالعمل الصالح.

وهؤلاء ماذا لهم؟

﴿ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾:

المؤمنون ربنا جهَّز لهم جنة اسمها جنة المأوى، تأوي إليها الأرواح بعد مفارقة الأشباح، أرواح المؤمنين والمتقين التي تخرج من هنا تأوي إلى جنة المأوى، حضرة النبي ﷺ قال في الشهداء:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ }[٢٩]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَرْعَى فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ مَأْوَاهَا إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ }[٣٠]

عندما تصعد روح الشهيد تدخل في جوف طير أخضر ويذهب بها إلى الجنة، يتنقل من شجرة إلى شجرة، ومن فرع إلى فرع، لأنهم أحياء لا يموتون:

﴿ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ (١٦٩آل عمران) فهناك أيضاً أرزاق، ولكنها ليست كالأرزاق الدنيوية، ولكنها أرزاق إلهية من أنوار وأسرار ومشاهدات وتجليات وإكرامات ... أرزاق من هذا الباب.

٢٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن كعب بن مالك رضي الله عنه
٣٠ الزهد لهناد ابن السري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وإذا كان من الصـــالحين المتمكنين في المقام عند رب العالمين، يُشـــكِّل الله ﷻ روحه على هيئته وعلى صـورته وتذهب كيف شـاءت، وتمضـي حيث تريد، وتكون لها الحرية المطلقة في كل عوالم الله جل في عُلاه، لأنها خرجت من هذا القفص الذي حُبست فيه في الحياة الدنيا، ولذلك الإمام الغزالي ﷺ لحظة الخروج من الحياة الدنيا، تلاميذه وقفوا حوله وأخذوا يبكون فقال:

قـل لإخـوانٍ يـروني مـيـتـاً	لـيـس والله بـالـمـيـت أنـا
أنـا عُصـفـورٌ وهـذا قـفـصـي	طـرتُ مـنـه إلـى دار الـهـنـا
لا تـظـنـوا الـمـوت مـوتـاً إنـه	لـحـيـاةٌ وهـو غـايـات الـمـنـى
لا تـغـرنـكـم روعـة الـمـوت فـمـا	هـي إلا نـقـلـةٌ مـن هـاهـنـا

ينتقل من دار إلى دار، ويكون هناك في جنة المأوى ..

﴿ نُزُلاً ﴾ :

والنُزُل هو منزله ومقامه الذي يستقر فيه إلى يوم الدين ويوم العرض والجزاء.

ولماذا هذا كله؟

﴿ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعمال الطيبة، والنوايا الصـادقة التي وفقهم الله ﷻ لها في حياتهم الدنيا.

نسـأل الله عزوجل أن يُحققنا بهذه الأوصـاف، وأن يخصـنا بهذه الألطاف، وأن يجعلنا من أهل هذه العنايات، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا (٢١) وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا (٢٢) مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا (٢٣) لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٢٤)

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأحزاب)

١٥.أهل الصدق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم - نستفتح كنوز الفضل الإلهي ببسم الله، ونسأله عز شأنه أن يفتح لنا كنوز فضله وخيره وبره وعطاياه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر الهُدى والنور، والجالب للمؤمنين في الدنيا والآخرة الهنا والسرور، ودافعٌ عنهم كل الأذى والشرور، صلى الله عليه وعلى آله بدور الهُدى، وأصحابه مصابيح الظلام، وكل من تابعهم على هذا الهدي الكريم إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنِّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

نحاول ونحن وإياكم أن نعمل بالحديث الوارد عن حبيب الله ومصطفاه ﷺ عسى الله ﷻ أن يعمنا بعطاياه، فقد قال ﷺ في مثل هذه المجالس:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[2]

وكل مكان تسجد فيه لله صار بيتاً لله، فهنيئاً لنا أجمعين بهذه العطاءات من رب العالمين، التي بشَّرنا بها الصادق الوعد الأمين؛ سيدنا محمد ﷺ.

---

[1] سرابيوم – الإسماعيلية ١٦ من رجب ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/٤/١٣م
[2] سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

فتن آخر الزمان

وقد اخترنا هذه الآيات من سورة الأحزاب بالذات لأن النبي ﷺ نبَّأ بما سيحدث في أزماننا هذه وقال فيها:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ }[3]

وأشنع هذه الفتن وأشرَّها فتن الأفكار البعيدة عن الوسطية الإسلامية ومنهج خير البرية ﷺ، وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ سَتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: ((إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا))، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[4]

فآيات القرآن فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان ..

---

[3] معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله ﷺ

[4] سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

إذا غابت المعلومات في عالم الأكوان، فالمعلومات مبثوثة في كتاب مكون الأكوان ﷻ، وقد كان الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه يقول: (لو ضـــاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله) لا يحتاج إلى التنبيه عليه والبحث عنه، وإنما يقرأ كتاب الله فيهديه إلى ما ضاع منه.

وكان كثير من الصالحين يُسألون: كيف تعرفون أخبار الخلق وأنتم لا تتحدثون ولا تجالسون من يتحدثون فيها؟! فيقولون: نقرأ كتاب الله فنعلم كل ما يدور في الكون بإذن الله جل في عُلاه!!!.

والآيات التي معنا في الحقيقة تصف الحال الذي نحن فيه الآن جماعة المسلمين، وإن شاء الله كما حدث مع الأولين سيحدث مع الآخرين من نصر رب العالمين ﷻ.

هذه الآيات نزلت بعد غزوة، وكلمة غزوة يعني حضرها النبي ﷺ، فأي معركة حضرها النبي تُسمَّى غزوة.

وسميت هذه الغزوة بالخندق، لأن النبي ﷺ وصحبه بناءاً على إشارة من سيدنا سلمان الفارسي ﷺ حفروا خندقاً حول جزء من المدينة، وتحصَّنوا خلفه من الأعداء.

وتُسمى ايضاً باسم السورة؛ غزوة الأحزاب:

لأن اليهود وكما فعلوا في البداية يفعلون الآن مع المسـلمين في النهاية، فألبُّوا العرب جميعاً، وذهبوا إلى أهل مكة، وقال لهم أهل مكة: يا معشـر يهود أنتم أهل كتاب، ما رأيكم فيما جاء به محمد؟ أهو الذي على الحق،؟ أم نحن الذين على الحق؟ فمن بُهتهم وضلالهم وتزويرهم كعادتهم قالوا: أنتم الذين على الحق، ومحمد ومن معه على الباطل.

هي قضـيتهم: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾

(٨٢المائدة) هذا كلام رب العالمين، فهل هذا الكلام يتغير أو يتقلب أو يتحوَّل؟ لا، لأن اليهود هم اليهود.

فجمع العرب جموعهم وجاءت القبائل العربية تتزعمها قريش بما لا قِبَل للمسـلمين به كما يحدث الآن، لا بالسـلاح، ولا بالعتاد، وبالمئونة، ولا بعدد الأفراد المقاتلين من الجيوش، وهو نفس السيناريو يتكرر في هذه الأيام.

وقبل مجيئهم إلى المدينة استشفَّ الرسول ﷺ ببصيرته الإلهية الأمر، وأخبر صحبه أنهم سيأتون بعد عشرة أيام، وبالفعل بعد عشرة أيام وصلت كل هذه القبائل العربية، وأحاطوا بالمدينة ....

ومع النبي نفرٌ قليل لا يستطيع أن يواجه بهم هؤلاء، إلى أن جاء نصر الله.

الأحزاب في عصرنا

ذكَّرنا الله في القرآن حتى نقتدي في عصـــرنا وفي أحوالنا مع أعدائنا بقول الله ﷻ لنا:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ :

فكما أخبرهم بقدوم الأحزاب بعد عشرة أيام، قال لنا:

{ يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ }[٥]

فكما قال لهم، قال لنا، وهل تحقق قول النبي لنا أم لم يتحقق بعد؟!! تحقق، اجتمعوا على المسلمين، ومن الذي جمعهم؟ اليهود، لأنهم هم الذين بيدهم زمام الأمور في أمريكا، وأهل الغرب كلهم ذيول تابعةٌ لأمريكا، فكلهم تجمعوا على المســـلمين، وزعموا - وكذبوا - أنهم وصـــلوا إلى المســـتوى الأعلى في الصـــدق والأمانة، أين أمانتهم فيما حدث في العراق؟!! كيف دخلوا العراق؟ ألم يختلقوا أخباراً وصوراً على أن العراق فيه أســـلحةٌ ذرية؟!! ثم بعد ذلك هم الذين اعترفوا بأن العراق لم يكن فيه شيئ!!.

٥ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان ﷺ

وبعد ذلك اتجهوا إلى ليبيا، ثم اتجهوا إلى سوريا، ويريدون قاصمة الظهر لسوريا بعد أن أخذوا كل الأسلحة الكيماوية منهم، وسلمتها لهم الحكومة السورية راضيةً مرضية، لكنهم اخترعوا أن هناك سلاح كيماوي ليضربوا ويقسموا سوريا إلى أقسام، كما قسموا ليبيا والعراق إلى أقسام، وكل هذه الأمور سببها اليهود.

فأراد الله ﷻ أن يُعلمنا في قرآنه بما حدث، وما يحدث لنا على نهج نبينا، وطالبنا من البداية أن نقتدي ونهتدي ونتأسى برسول الله ﷺ في كل أحواله.

فرسول الله ﷺ في هذه الغزوة لما أشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق في المدينة شاركهم في الحفر، وشاركهم في حمل التراب، بل كانت الصخرة التي تستعصي عليهم ولا يستطيعون تفتيتها يلجأون إلى حضرة النبي ﷺ، قابلتهم صخرةٌ شديدة الصلابة فذهبوا إلى حضرة النبي ﷺ، فطلب منهم أن يأتوه بماء، فأمسكه وحرَّك فاه، وتلى عليه ودعا الله ﷻ فيه، ثم رشه على الصخرة، فإذا بالصخرة تتفتت من قِبَل نفسها.

ومرةً أخرى أراد أن يُبشرهم - مع ما هم فيه - بالمستقبل العظيم الذي يُجهزه لهم المولى الكريم، فقابلتهم صخرة شديدة الصلابة، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَقَالَ:

{ بِسْـمِ اللَّهِ، فَضَـرَبَ ضَـرْبَةً، فَكَسَـرَ ثُلُثَ الصَّـخْرَةِ، وقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى، وَقَالَ: بِسْـمِ اللَّهِ، وَكَسَـرَ ثُلُثًا آخَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِـرُ قَصْرَ الْمَدَائِنَ الأَبْيَضَ الآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَالِثَةً، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ، وقال: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ }[٦]

أين هم وأين هذا الكلام؟!! حتى أن بعض المنافقين الذين ليس لهم إلا عالم الدنيا والطين، ولا يستشعرون من ميراث النبوة شيئاً لأن قلوبهم غُلفٌ، قال بعضهم: إن أحدنا لا يأمن على نفسه أن يقضي حاجته، ومحمد يُبشرنا أنه ستُفتح بلاد الشام وبلاد فارس؟!! وهذا أسلوب المنافقين، لكن المؤمنين أهل يقين، يعلمون علم اليقين قول رب العالمين: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ (النجم).

فأمرنا الله ﷻ، وقال للمسلمين أجمعين منذ بعثته إلى يوم الدين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾

كلمة (لكم) لمن كان معاصراً له، ولمن بعده، ولنا، ولمن بعدنا، إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فكلنا مطالبون بهذه الآية لنفوز بهذه العناية.

---

٦ سنن النسائي ومسند أحمد عن البراء بن عازب ﷺ

ولم يقُل: (لقد كان لكم في محمد) لأن محمد له أجلٌ محدودٌ، لكن الرسالة إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فلا نبي بعده.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ يعني قدوة طيبة في كل أحواله، إن كان في تعامله مع الله، أو كان في تعامله مع أهل منزله، أو كان في تعامله مع المؤمنين، أو كان في تعامله مع الجيران والأقارب، أو حتى في تعامله مع الأعداء، فالميزان الذي نزن به كل أمورنا لنُرضي الله أن نزن أعمالنا كلها بأحوال حبيب الله ومصطفاه.

وهذا الميزان الذي لو جعله المؤمنون أجمعون ميزاناً لهم ما حدث اختلافٌ أبداً بين مسلم ومسلم، لماذا نختلف ما دمنا كلنا نزن بميزان واحد، وهو ميزان رسول الله ﷺ.

فهذا يزن بهواه، وهذا يزن بفكره، وهذا يزن باطلاعه، وهذا يزن بما وصلت إليه اجتهاداته، فيحدث خلافات كما يحدث في هذا الزمان، نسأل الله ﷻ أن يُزيلها، وأن يجمع المؤمنين أجمعين على كلمة سواء.

ثم بيَّن الله ﷻ لنا لنرغب في هذا الأمر، أن الذي يتأسَّى برسول الله هو الذي يفوز بهذين المقامين أو بأحدهما: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ الذي يريد رضاء الله عليه أن يتابع رسول الله، والذي يريد النجاة في الدار الآخرة ويرجو هذه النجاة فعليه بوزن أحواله كلها بأحوال رسول الله، ولا يكتفي بذلك بل عليه دائماً وأبداً أن يذكر الله ولا يتخلى عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل: ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

لذلك يُخبرنا الله عن أحوال المؤمنين الصـــادقين لنحاول أن نكون منهم أجمعين إن شاء الله، فالمؤمنين الصادقين لم يحدث عندهم هلعٌ، ولا فزعٌ ولا جزعٌ عندما رأوا الأعداء وهم قادمون. .. وأيضـــاً المؤمنون الصـــادقون في زماننا لو اجتمعت أمم الأرض كأمريكا ومن حولها، بل ولو أُضـيف إليهم روسـيا ومن معها، فإن كلمة الله هي العُليا، لأن لله ﷻ أسـلحة إلهية تعجز عن مقاومتها والوقوف أمامها كل الاختراعات والمعدات والتسـليحات البشـرية، إن كانت نووية أو هيدروجينية أو غيرها، لا يقف أي شيء أمام قدرة من يقول للشيء كن فيكون.

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴾ فالنبي أخبرهم أنهم يأتون بعد عشـرة أيام، وبعد عشرة أيام وجدوهم قادمين، فكان ردُّ فعلهم: ﴿ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ لأن الله وعد المؤمنين في الدنيا أن يكون لهم فيها نصيبٌ من البلاء أو الابتلاء، لماذا؟ لتحسن عاقبتهم، ويرتفع شأنهم ومقامهم يوم العرض والجزاء: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (العنكبوت).

لا بد من الاختبار، ولا بد من الامتحان، ولا بد من البلاء للمؤمنين في هذه الدار، ليكشف عن قوة الإيمان، وعن اليقين الذي امتلأ به قلوب أهل الإيمان.

الإيمان إذا كان سطحي فسيسارعوا للصياح والشائعات، وتتبع هذه الشائعات ولو كانت مُغرضة، ويبدأوا يفتّوا في عضد إخوانهم المؤمنين، لكن إذا كان الإيمان قد وصل إلى مقام اليقين، فيكون المؤمن واثق تمام الثقة أن الله كما نصر النبي ومن معه في غزوة الأحزاب بغير قتال، فإن شاء الله النصر قادم لنا في المعارك القادمة، وأيضاً بغير قتال:﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ ﴾ (٢٥الأحزاب).

الأعداء كانوا أكثر من عشرة آلاف، والمصيبة العُظمى أن اليهود الذين كانوا مع النبي في المدينة وكانوا حوالي ثمانمائة مقاتل، وكان قد اتفق معهم على الجهاد معه إذا جاء عدوٌّ إلى المدينة، فخانوه وكشفوا ظهره، وأصبح العدو من الخارج، والعدو من الداخل، وهذا ما يحدث الآن، فهو نفس الأمر، فالسيناريو يُعاد مرةً أخرى.

مسرحية يُعيدها الله ﷻ للأمة المحمدية مع اختلاف الحجم والقوى، فإذا كانوا قبل ذلك عشرة آلاف، فالآن هم ملايين، وإذا كانت الأسلحة قبل ذلك أسلحة بدائية، فالأسلحة الآن أسلحة كونية جهزوها ليجعل الله ﷻ بها فناؤهم والقضاء عليهم إن شاء الله ربُ العالمين، والإمام أبو العزائم ﵁ وأرضاه كان يقول في ذلك عن أسلحة الغرب:

كـل مـا بهـا من آلـة أو صـــنعـة　　　　فـهـي لـلإســـلام وهـو بـهـا يُـعـان

كل ما يصنعونه سيكون غنيمة لنا، كما غنم حضرة النبي اليهود وما معهم، فهو نفس الأمر، ولكن الناس ليس عندهم الصـــبر الجميل الذي أمرنا به الله في كتابه العزيز، يقول لكـل المؤمنين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٢٠٠آل عمران) فنحتاج أن نعمل بهذه الآية.

فسيدنا رسول الله شاركهم في كل شيء، حتى في الجوع كان مثلهم، ولم يُفضِّل نفســه عليهم، وهي الأُسـوة الطيبة التي ينبغي على كل مسـلم أن يتأسَّـى بها في أيامنا هذه.

نصر الله لأوليائه

وهم بما شـــاهدوه من حضـــرته عندما شـــاهدوا الأعداء مدحهم الله وقال فيهم: ﴿ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسۡلِيمًا ﴾ لما شاهدوا الأعداء قد كثُرت أعدادهم زاد الإيمان، لأن النبي بشرهم بهذا، وهم يعلمون أن الله ﷻ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ (٢١المجادلة).

وماذا عنا يا رب؟ ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥١غافر)

فلنا نصيبٌ في النصر إن شاء الله، حتى لا يقول أحد: أن النصر لحضرة النبي فقط، لا، فنحن أمة النبي، فينصـــرنا الله من أجل حضـــرة النبي: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥١غافر) وهل ذلك في الآخرة؟ قال: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ (٥١غافر).

لا بد أن يكون النصر هنا حتى نفرح بنصر الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم).

فحضـــرة النبي ﷺ بعد أن حفر الخندق، وجاء الأعداء، دعا الله ﷻ، فلم تحدث معركة في غزوة الأحزاب، فأثناء مُكثهم حول المدينة، نصـــبوا خيامهم، وفي الليل أوقدوا النيران ليجهزوا الطعام، أرســـل الله عليهم ريحاً قلبت قدور الطعام، وأطفأت النيران، وخلعت الخيام من شـــدتها، وظن كل طائفة منهم أن المســـلمين قد هجموا عليهم، فأخذ يضـرب بعضـهم بعضـا ولا يشـعرون!!، ثم رجعوا مهزومين كما أخبر رب العالمين ﷻ.

هزمهم الله بأن سلَّط عليهم الريح، ونحن نرى أحيانا بعض المناورات الصغيرة في الليل، فنجد بعض السُحب المحملة بالبرق، فنجد الخوف، ونظل بالبيوت، مع أنها مناورة صغيرة جداً!!، فماذا لو كانت فعلية؟! تذر الديار بلاقعا، وهذه أسلحة القدرة الإلهية.

سيدنا رسول الله نصره الله بمدد من عنده، وجند من عنده، وهذا الأمر مستمر مع الصادقين من المؤمنين إلى يوم الدين، فمرة ينصرهم بالريح، ومرةً ينصرهم بالرعب يلقيه في قلوب الكافرين والمشركين.

وبعد المعركة، وبعد أن رجع الكفار، ذهب سيدنا رسول الله ﷺ إلى بيته وخلع لباس الحرب، فجاءه سيدنا جبريل وقال له:

{ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ }[٧]

فقال ﷺ لصحبه:

{ لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ}[٨]

---

٧ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٨ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

فأعطى الأمر، وعرَّفنا بالأمور التي تُوجد الخلافات بين المسلمين حتى لا نقف عندها، فبعض الصحابة فهموا من أمر النبي أنهم يصلون العصر ثم يذهبون إلى بني قُريظة، وآخرين فهموا من الأمر أنهم لا يصلون العصر إلا إذا ذهبوا إلى بني قُريظة، فذكروا ذلك لحضـرة النبي حتى لا يختلفوا، فلم يُعلِّق وأقرَّ الاثنين، فليست هذه الخلافات التي تُفرّق المسلمين.

فمن أجاب النداء وصلى العصر وذهب فهو على خير، ومن أصرَّ أن لا يؤدي الصلاة إلا بعد ذهابه إلى هناك، فهذا على خير، والإثنان مجتهدان.

وذهب رسول الله ﷺ وصحبه وحاصروا بني قُريظة، وطلب منهم أن يُسلِّموا فرفضوا، فأشار عليهم أن يوافقوا على ما يحكم به فرفضوا، وكان سيدنا سعد بن مُعاذ ؓ صاحباً لهم في الجاهلية، وسيدنا سعد بن معاذ كان قد جُرح في الحرب، وحضرة النبي لأنه يُحبه صنع له خيمة في المسجد النبوي ليباشره في مرضه باستمرار، وانظر إلى الرجال الذين يتكلم الله عنهم، فقال: اللهم إن كنتَ متوفيني فلا تتوفاني حتى تُقرَّ عيني في بني قُريظة، فبمجرد أن دعا هذه الدعوة فتوقف نزيف الدم في الحال، فالتأجيل من عند العلي الكبير لتقرَّ عينه في بني قُريظة، وطلب يهود بني قُريظة وقالوا: لا نرضى إلا بحُكم سعد بن مُعاذ.

فأمر به ﷺ مع مرضه أن يحملوه، فحملوه على حمار، وانظر إلى الأدب النبوي عندما جاء سعد بن مُعاذ وكان زعيم الأنصار، قال لمن حوله:

{ قُومُوا إِلَى خَيْرِكُمْ أَوْ سَيِّدِكُمْ }[9]

ليعُلمنا الأدب النبوي، فالقيم النبوية نحن في أمَّس الحاجة إليها الآن،

فقال: يا سعد إنهم يرضون لحكمك ــ وكان سيدنا سعد شديد الأدب ــ فنظر إلى اليهود وقال لهم: أترضون بحُكمي؟ قالوا: نعم، فخاطب النبي ومن معه ولم ينظر إليه أدباً مع رسول الله، وقال: أترضون بحُكمي؟ واستحى أن ينظر نحو رسول الله، قال:

{ فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ، فقال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّه }[10]

وبعدها عاد الجرح فنزف ومات سعد بن معاذ، فَأَتَى جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ:

{ مَنْ هَذَا الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ؟ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ }[11]

وفي رواية أخرى: أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل من السماء فقال:

{ يَا مُحَمَّدُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَدِ اسْتَبْشَرَ بِمَوْتِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَقَالَ ﷺ:لا أَعْلَمُهُ إِلا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَدْ أَمْسَى دَنِفًا، مَا فَعَلَ سَعْدٌ؟ فَقَالُوا:قُبِضَ يَا رَسُولَ اللَّه }[12]

---

٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
١٠ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
١١ الحاكم في المستدرك وفضائل الصحابة لابن حنبل
١٢ مسند إسحاق ومصنف ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: { لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ }[١٣]

نهاية اليهود

.. (راجعوا كتابنا: بنوإسرائيل ووعد الآخرة)

فأمر رســـول الله ﷺ بإنزال اليهود، وكما ذكرتَ كانوا حوالي ثمانمائة مقاتل أشـــداء، ووقف ســـيدنا الإمام علي وســـيدنا الزبير بن العوام ويتقدم اليهود ليقطعوا رقابهم، حتى انتهوا من قتل الثمانمائة رجل، لنعرف أنهم قومٌ جبناء، فنفس المصـــير الذي حدث للأولين سيحدث أيضاً إن شاء الله للآخرين، وكما أرسل الله الريح سيُرسل جنوداً من عنده:﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣١المدثر).

والأمر أصـــبح الآن في أيدي المســـلمين في منتهى الســـهولة، فبعد التعقيدات الالكترونية أصـــبح التغلب على هذه الجيوش اليهودية في منتهى الســـهولة، كيف؟ لو اخترقنا شبكة الانترنت التي تشتغل بها كل الأجهزة المدنية والعسكرية عندهم، فلن تستطيع أي طائرة عندهم أن تطير!! ولن يخرج أي صـاروخ من مكانه؟! ولن توجد كهرباء، فالحياة كلها ستتوقف.

---

١٣ جامع الترمذي والحاكم في المستدرك

وهذا سـيناريو حرب الختام الذي بدأنا فيه والحمد لله، وسـبحان الله فكما كان رجالٌ صـدقوا ما عاهدوا الله عليه في عصـر حضـرة النبي، يُوجد في عصـرنا مثل هؤلاء الرجـال، فمن الأمور العجيبـة الموجودة الآن وجود مجموعـة من القوات المسلحة أُحيلوا إلى المعاش، وكانوا يجيدون العمل على الكمبيوتر، فاتفقوا مع بعضهم وعملوا جيشـاً وأسـموه (الجيش المصـري الإلكتروني) وهم الذين يأتون بكل أسـرار داعش وشركائهم عن طريق الإختراقات الألكترونية.

وحاولت جهات كثيرة أن تسـاعدهم بالمال فرفضـوا، فقالوا: نحن نعمل للوطن ولله، وقاموا بعمل تجربة منذ عدة شهور، أوقفوا فيها حركة اسرائيل تماماً، واخترقوا حتى وزارة الدفاع الإسرائيلية، وعطلوا حركة البنوك تماماً، وهذه عناية الله:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

فسيحدث إن شاء الله ولكن مع الرجال الصادقين الذين وصفهم الله بأنهم يرجون الله واليوم الآخر، ومواظبين على ذكر الله وطاعة الله طلباً لرضاه على الدوام.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ وليس كل المؤمنين، فهؤلاء المؤمنون الصـادقون وصـفهم الله بأنهم رجال، يجاهدون في سـبيل الله ولا يخافون لومة لائم، وعندهم يقين تام بأن ما ذكره الله في كتابه، والحبيب في أحاديثه، سـتصـدقها الأيام، وقد قال الله ﷻ عن هؤلاء الأقوام:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (١٠٤الإسـراء) جمـاعـات غرَّهم الإمهال ليتجمعوا في فلسطين،

لتكون مقبرتهم، لأنهم مُفتتون في كل العالم، وهم موطن الشـر في كل الوجود، فإذا بحثت عن الشر في أي مكان في العالم تجد وراءه اليهود، في أي مكانٍ أو زمان، وبيَّن النبي ﷺ ما يحدث معنا ومعهم فقال:

{ تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ } [14]

إذاً لا بد من القتال، وهذا القتال سـيكون فيه معنا كل القوى الإلهية، الأرضـية والسـماوية، فالحجر سـيسـاعدك ويعاونك على قتل هؤلاء الأقوام لأنهم منبع الشـر، وأساس الفساد في كل العوالم التي نراها في أي زمان ومكان.

فلا بد من المعركة، والمعركة شـهدنا بشـائرها: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدًا مَّفۡعُولاً ﴾ (٥الإسـراء)

بعثنا عليكم عباداً لنا وهم الموجودون الآن في جيشنا في مصر، وهم أُولي بأس شديد، وأنتم تروهم الآن والحمد لله، تسليحهم وبطولتهم ورجولتهم، هؤلاء لا بد أن يجوسوا خلال الديار، ولا بد أن يدخلوا حتى يُحرروا بيت المقدس وأرض فلسطين، ويقضوا على اليهود الأفَّاقين.

١٤ صحيح البخاري وسنن البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

وفي هذا الوقت سـيُقضـى معهم على المنافقين الذين يتعاونون معهم والذين يناصرونهم، والذين يدلونهم على أماكننا الحيوية ... كل هؤلاء أيضاً سيكونون معهم لأن هذا وعد الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧الروم) متى تأتي هذه الأيام؟

هذه الأيام كما قال ﷺ:

{ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِي لا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلادِهَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا }[١٥]

نحن في هذه الأيام مثل المرأة الحامل التي على وشك الوضع، قد يقول البعض: نحن غير جاهزين!!، لكن نحن معنا رب العالمين، فكيف تقول: أننا غير جاهزين!! كل ما في الأمر حتي يتجمعوا: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (٤٥القلم).

فهم يظنون الآن أنهم مطمئنين لأن سـوريا تدمَّرت، والعراق تدمَّرت، وليبيا تدمَّرت، والآخرين في جيوبهم، فظنوا أنهم في أمان، لكن:

١٥ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يبدل الله من حالٍ إلى حال

وصنعوا لنا معركة في سيناء أشد من حرب ١٩٧٣م، من الذي يخوض هذه المعركة ضدنا؟ هم، ويعاونهم المنافقون من كل مكان، لكنهم هم الأساس في هذا الأمر، وكل هذا لأنه لا يقف ضدهم إلا الجيش المصري الذي وصَّى به حضرة النبي ﷺ وقال في شأنه:

{ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ أَسْلَمُ النَّاسِ فِيهَا، أَوْ قَالَ: لَخَيْرُ النَّاسِ فِيهَا: الْجُنْدُ الْغَرْبِيُّ }[16]

والجندي الغربي هو الجيش المصري الذي جعله الله ﷻ مؤيداً بتأييد الله، وقائم بالله لله جل في عُلاه.

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ المفسرين بارك الله فيهم تكلموا في هذه الآية على أصحاب رسول الله فقط، فقالوا: من قضى نحبه كحمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النضر، وغيرهم، ومنهم من ينتظر، لكن المنتظرين هل يوجد منهم أحدٌ باق إلى الآن؟! لا، إذاً الآية لكل زمان ومكان.

---

١٦ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عمرو بن الحمق ﷺ

فزماننا هذا فيه رجال صـــدقوا ما عاهدوا الله عليه، منهم من قضـــى نحبه، مثل الرجل الذي احتضن المجرم الإرهابي ومات هو ومن حوله من رجال الشرطة، أليس هذا من هؤلاء الرجال؟!! وكذلك من فدى كتيبته في سـيناء، وغيره وغيره، لو سـجل التاريخ هذه البطولات ستحتاج إلى كتب كثيرة، ولا تكفي بطولات الأمجاد من رجالنا الذين منهم من قضـــى نحبه، ومنهم من ينتظر دوره لكي يؤدي واجبه نحو الله، ونحو الوطن الذي نحن فيه الآن.

﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴾ وهذه الآيـة تُخرج كل الإرهـابيين من هذا الصـــنف، لأن الإرهابيين بدَّلوا دين الله، وبدَّلوا شـرع الله، وبدَّلوا الوسطية التي جاء بها الله، وجعلوا أنفسـهم القضـاة وليس الدعاة، نحن دعاة ولكن هل فينا من عيَّنه الله قاضـياً يحكم على الناس بأن هذا مسلم وهذا كافر؟!! وهل يوجد أحد فينا يستطيع أن يحكم على نفسه؟!! فنبي الله يوســف كان يقول: ﴿ تَوَفَّنِى مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٠١يوســف) يطلب من الله أن يتوفاه مســلماً، فكيف أُبيح لنفســي بأن أحكم على هذا بأنه مســلم وهذا كافر؟! وكيف أحكم على هذا بأن يُقتل؟! وأن هذا يُعذَّب؟! ومن أعطاني هذا؟!!.

هذا ليُعرفنا الله أن هؤلاء حادوا عن الســبيل، وبعدوا عن منهج النبي الأســـتاذ النبيل، وقد تنبأ بهم ﷺ في أكثر من حديث، من جملتها قوله ﷺ:

{ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، فَيَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٧]

حُداث الأسنان يعني صغار في السن ..

وسُفهاء الأحلام يعني عقولهم ليست موزونة، غير طبيعية !!!

فيقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، وهذا ما يحدث الآن!!.

هذا حديث الرسول ﷺ الذي بيَّن السفهاء الذين ظهروا في هذا الزمان، والذين ليس لهم شأنٌ بما تحدَّث الله عنه عن الصادقين في القرآن: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ وكيف يكون عذاب المنافقين؟ أن يُنزع منهم الإيمان عند لقائهم لحضرة الديان، ولا يوجد عذاب أشد من ذلك، فليس العذاب بمنع الأكل والشراب، فهذا سهل، وليس العذاب بوضعه في السجن فهذا سهل، هذا ربما يكون تكفيراً للذنوب، لكن العذاب الأعظم أن لا يُختم للإنسان بالإيمان، فهل يوجد عذاب أشد من ذلك؟!! ومن الذي قال ذلك؟ الله في سورة التوبة: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ ﴾ (٧٧التوبة).

---

١٧ السنن الواردة في الفتن للداني عن علي بن ابي طالب ﷺ

إذا وصل النفاق إلى القلب فسيموت الإنسان على غير الإسلام، ولا يستطيع أن ينطق بالشهادتين، ولا أن يثبت قلبه على منهج الله، ومنهج حبيب الله ومصطفاه.

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ﴾ وهذا يحدث الآن، وسيحدث أكثر منه في المستقبل، فالحمد لله أن أهل الغيظ من الإسلام الذين كانوا يريدون القضاء عليه قضاءاً تاماً، وأمرهم كان سيتم - حاشا لله - لو تمكنوا من مصر، لكن بفضل الله وببركة رسول الله حفظ الله الإسلام بمصر وأهلها، وهي التي أبطلت مخططهم، وهي التي أحبطت مؤامرتهم، وأصبحوا مع شدة غيظهم لم ينالوا خيراً.

الرجل الذي حكم أمريكا ثماني سنوات، كل ما غاظه في الثمان سنوات أنه لم يستطع أن يفعل مع مصر ما كان يريد فعله، فمخططه الذي أوقفه مصر، لماذا؟ لأن الذي يردُّ هو الله: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ﴾.

وبعدها يُبشرنا الله ويقول لنا: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ القتال القادم إن شاء الله سيكون بأسلحة إلهية، وجنودٌ ربانية لا تستطيع أي قوى كُفرية أن تقف أمامهم إن شاء الله، وهذه ستكون الختام، كما فعل سيدنا رسول الله بعد غزوة الأحزاب وقف وقال:

{ الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلا يَغْزُونَا }[18]

إن شـاء الله بعد المرحلة القادمة سيكون للإسلام اليد الطولى، وهو الذي سيمُدُّ جناحه في العالم كله، قال ﷺ في آخر الزمان:

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، وَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا لِلإِسْلامِ}[19]

وقال ﷺ فيما سيحدث بعد هلاك اليهود:

{ وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُـرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلأُ الإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلا يُعْبَدُ إِلا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ }[20]

السموم الموجودة في الحيات والعقارب ستُنزع، لأنها كانت موجودة من أجل الكافرين والجاحدين ويجتمع النفر على قُطف العنب فلا يستطيعون أكله من شدة البركة التي ستأتي، والتي بشرنا بها الله ﷻ، وبشَّرنا بها رسول الله ﷺ.

---

١٨ صحيح البخاري ومسند أحمد عن سليمان بن صرد ﷺ
١٩ مسند الروياني عن أبي إمامة ﷺ
٢٠ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي إمامة ﷺ

وأين يذهبون؟

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ ﴾

وصياصيهم يعني الحصون التي صنعوها الآن، وكما قال الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه: من إعجاز القرآن أن الله ﷻ يقول عن اليهود: ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ (١٤الحشر) فهم لو أرادوا أن يُثبتوا أن هذا القرآن ليس بكلام الله فلا يبنون هذه القرى، ولكن سياستهم الآن هي بناء المستعمرات، وهي القرى المحصنة، ويبنوها مع أنهم يعلمون أنها موجودة في القرآن، وهذا إعجازاً لكتاب الله ﷻ.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ من أهل أمريكا وأوربا وغيرهم: ﴿ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ كما حدث في الأول سيحدث في الآخر: ﴿ فَرِيقًا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقًا ﴾.

وماذا أيضاً؟ ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ أرضاً لم تدخلوها قبل ذلك، الأرض التي لم يطئوها في عصر حضرة النبي كانت أرض الروم في بلاد الشام، وأرض الفُرس، لكن الأرض التي لم نطأها في زماننا ستكون أرض أمريكا، وأرض أوروبا، لأن المسلمين سيكون لهم الطَّول، ولهم الصولجان في هذه الأماكن، بفضل رب العالمين سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾.

اللهم مُنزل الكتاب، ومُجري السحاب، اهزم اليهود والأحزاب، وفرِّحنا بالنصر المبين، وبشرنا بصلاة في بيت المقدس أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢١-٢٤الأحزاب)

١٦.إشارات العارفين في آيات أهل الصدق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وأجلسنا على بساط وده وقربه، ونشر علينا خالص رحمته، والصلاة والسلام على خازن الحكمة الإلهية، والمُنزل عليه لاختصاصة الشريعة الربانية؛ سيدنا محمد صاحب الحوض المورود، والكوثر المشهود، والقلب الممدود، سراج قلوب المؤمنين، ونعيم أرواح المجتبين، وسر اجتباء واصطفاء المصطفين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

تجدد معاني القرآن

تحدثنا قبل ذلك في الآيات التي في سورة الأحزاب، وألهمنا الله بربطها بما يحدث في عصرنا الحديث، لأنه هكذا القرآن، فهو خطاب لأهل كل زمان، وأهل كل مكان، بما يناسب كل زمان وكل مكان، ولا ينافي معنى معنى، لان كل المعاني تتنزل من حضرة الرحمن عز وجل، يقول الله في هذا: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء).

[1] سرابيوم – الإسماعيلية ١٦ من رجب ١٤٣٨هـ ١٣/٤/٢٠١٧م

لكن أليس القرآن نزل وانتهى تنزيله؟! نعم، إذاً لماذا يقول الله: "وننزل"؟ ننزل من معاني القرآن، ومن أســـرار القرآن في كل زمان ومكان ما به يعرف المؤمنون أهل القرآن فضل الله عليهم وإكرام الله تبارك وتعالى لهم في كل زمان ومكان.

فمعاني القرآن دائماً متجددة، ولذلك من الأشـــياء العجيبة والغريبة أن بعض المسلمين المعاصرين يسأل عن تفسير آية، فإذا فسرتها له بما يناسب العصر، تجده يقول: في أي كتاب هذا التفسير؟! هل في تفسير ابن كثير أم غيره؟! تفسير ابن كثير كان لأهل عصره، فإذا قلت له إن هذا التفسير جديد، فيقول لك لا يجوز!! لأنه لا يريد إلا تفسير قديم وارد عن السادة القدماء!!.

وابن كثير أو القرطبي أو الطبري وغيرهم من أين جاءوا بهذا التفســـير؟ إلهام من الله، هل هو قول فصل؟! هل هو قول نبوي لا بد أن نُصدق به؟! لا، فهذا تفسير، وكان خطابه مناســباً لعصــره وزمانه، ولكل عصــر دولة ورجال، وهذا من إعجاز القرآن وبيان القرآن لله عز وجل.

ولذلك عندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين ويفسر القرآن لم يوافقه الله عز وجل على ذلك وقال له: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة) نحن سـنبينه على حســب كل عصــر، لأن حضــرة النبي لو فســره لما جاز لأحد من الأولين ولا الآخرين أن يفســره، لكن حضــرة النبي تركه حتى يكون التفســير الملائم لكل عصــر وكل زمان يُلهمه الله عز وجل

كما قال في القرآن ومعاني القرآن: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (٤٩العنكبوت) فالقرآن هنا آيات مبينة – مفسرة – في صدور الرجال الذين ألهمهم الله سر قول الله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة).

ولذلك وجدنا في زماننا الشيخ الشعراوي له تفسير، ولما سُئل عن تفسيره قال: هذا ليس بتفسير، ولكنها خواطر خطرت لي من الله عن القرآن الكريم، وكل إنسان له خواطر، ولذلك سموها خواطر الشيخ الشعراوي.

هل هذه الخواطر للشعراوي فقط؟ لا، لأنه في نفس الوقت قام الشيخ محمد سيد طنطاوي بعمل تفسير للقرآن، والدكتور عبد الله شحاته كان له تفسير، والشيخ الطاهر بن عاشور في تونس كان له تفسير، وفي العصر الحالي الدكتور محمد راتب النابلسي له تفسير ... فكل هذه خواطر تأتي من عند الله بما يلائم العصر الذي هو فيه.

فالشيخ الشعراوي رحمة الله عليه لو أمدَّ الله في عمره إلى أيامنا هذه لغيَّر هذه الخواطر، لأن هذه الخواطر قالها في الوقت المناسبة له، لكن في هذه الأيام قد تكون هناك خواطر غيرها مناسبة لهذه العصر.

أيضـــاً كل مؤمن يقرأ كتاب الله بتدبر يلهمه الله عز وجل الخواطر في نفســـه ولنفســـه في كتاب الله، وليس مطالب بأن يُعلِّمها غيره، لكنه هو مطالب بها، لأن كل مؤمن له نصـــيب في ميراث كتاب الله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

(٣٢فاطر) من الذي سيرث الكتاب؟ المسلمون، فكل مسلم له نصيب في ميراث معاني القرآن الكريم، لكن عندما يتلوه ويتدبر في معانيه، فيفيض الله عز وجل عليه من ميراثه الخاص به قبساً من معاني القرآن الكريم.

المعنى العام والمعنى الخاص

والسالك في طريق الله ﷻ يكون مشغولاً بجهاد نفسه في ذات الله، ليصل إلى الصفاء والنقاء فيجتبيه مولاه، ويفتح عليه كما فتح على الصالحين والعارفين من عباد الله، فعندما يقرأ القرآن لا يأتيه معنى عام، ولكن يأتيه معنى خاص وهو المشغول به.

فالمعنى العام يأتي للمفســر والمُئول الذي يفســر للناس، إن كان في مســجد أو جامعة أو نادي، على مستوى الناس، لكن أنا أقرأ القرآن لنفسي، فيأتينى معنى خاص لي أنا فقط، أستعين به على جهاد نفسي، وعلى تصفية قلبي، وعلى الوصول إلى فتح الله ﷻ.

هذا نسـميه معنى خاص، أو إشـارة، إشـارات يرسـلها الله عز وجل للسـالكين الصادقين، هذه الإشارات لا تتعارض مع المعنى العام، ولكنها لي أنا فقط لأعمل بها، ولذلك لا يجب أن ألزم بها غيري، أو أقول أنها التفسير الوحيد للقرآن، لأنه تفسير لي أنا فقط، ولو ترقيت في المقامات سـأجد إشـارات أعلى، ولو صـدقت أكثر سـتأتيني إشارات أرقى.

فالإنسـان عندما يقرأ القرآن يقرأه على أنه هو بنفسـه مملكة وليس واحد، فأنا معي ناس ظاهرين وهم الجوارح كالعين والأذن واللسـان والأنف واليد والرجل والبطن والفرج، ومعي معاني باطنة كالقلب والفؤاد والسـر والخفا والأخفى وروح القدس والعقل، ومعي بداخل المملكة النفس والشـيطان، وهؤلاء هم الاعداء المتربصـين بي في الجهاد، ويريدون أن يقطعوني عن طريق القرب من رب العباد عز وجل، فإذا انشـغل الإنسـان في الحياة بأمور الدنيا والتنافس في الفاني والملاهي فيصدأ القلب، والنفس والهوى والشيطان يلعبون بهذا الإنسان.

فماذا يفعل الإنسـان عند قراءة القرآن؟ يخاطب الحقائق التي فيه كلها، ويقول لهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ إياك أن تنظر لفلان أو غيره، ولا الاشياء الدانية والفانية، لأن هذه نظرة تؤجج نار الأحقاد والأحساد في قلوب العباد.

الذي سـينظر للناس، فلان أعطاه الله كذا من الأرض، وأصـبح عنده كذا من المال، أو أصـبح عنده كذا وكذا من الولد، أو لديه وظيفة صـفتها كذا وكذا، بالله عليكم لو الإنسان شغل باله بمثل هذه الأشياء هل يسلم القلب؟! لا، لا بد أن يتحرك القلب

حتى أن بعض الناس - وهؤلاء نلومهم ونقول لهم هذا لا يجوز مع رب الناس – يقولون يا رب لماذا لم تعطيني كذا وأعطيت فلان كذا وكذا؟!! ما هذا؟!! ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء) هذه طامة كبرى ومصيبة عظمى، أن تحاسب الله ﷻ.

حسن التأسي برسول الله

سلامة القلب تحتاج من الإنسان أن لا ينشغل بمن حوله من الناس بالحواس، بل يغض الحواس وينشغل بالتأسي بسيد الناس صلى الله عليه وسلم.

لكنه لو زعم أنه يتأسى برسول الله، ولم يغض الحواس، ودائماً ينظر للناس، فهذا لم يتأسى، لأن الذي يتأسى برسول الله فإن جميع الحواس لا تنظر إلا إلى حضرته، فيتأسى به في زهده، وفي ورعه، وفي وجده، وفي حبه، وفي حسن توكله على الله، وفي عبادته لله، وفي إقباله على مولاه ... وهذه الأشياء لا تصلح إن كان معها النظر إلى الناس، فلا بد كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

غض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير

فيُكلم الحقائق التي بداخله، والتي أعطاها لنا الله وجعل بها القرب من حضرته؛ القلب والفواد والسر والروح، هذه الحقائق يقول لها: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

وعندما يقول الله في القرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (٤الصف) يقول الإنسان لحقائقه: لا تخذلوني، فلا يصح أن أكون في الصلاة أمام الله بالجسم والعقل سارح في مكان آخر، والقلب سارح في واد آخر، وإلا سيكون الصف غير مستقيم، فكما ورد في الأثر: (إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج).

وهذا معنى الاعوجاج، أن تكون كل حقيقة في مكان آخر، لكن يجب أن يكونوا كلهم في صف واحد مع حضرة الواحد عز وجل، فيُقبل الإنسان على الله بكله، ظاهره وباطنه، القلب مع الله، والعقل يتفكر في خلق الله، واللسان ينطق بما يحبه الله، واليد والرجل والأعضاء كلها في العبادة والطاعة والخدمة لله ... كل الإنسان بكل حقائقه الظاهرة والباطنة مع مولاه جل في علاه.

الذكر الكثير

ويطلب من حقائقه أن لا تكون وجهتهم الدنيا ولا الحظوظ ولا الأهواء ولا المناصب الفانية ولا الأشياء الدانية ... بل تكون وجهتهم الله والدار الآخرة:

﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ :

فهذه هي همتكم، وهي المطلب بالأسمى الذي تريدونه، ولذلك:

﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ والذكر الكثير لا بد أن يكون بكل حقائق الإنسان.

فلو ذكر الإنسان باللسان والقلب غافل فهذا ليس بالذكر الكثير، أو ذكر باللسان والعين تنظر هنا وهناك فهذا ليس بالذكر الكثير، أو ذكر باللسان والأذن تسمع القيل والقال والأحاديث الجانبية فهذا ليس بالذكر الكثير، ولكن الذكر الكثير أو تلاوة القرآن أن كل أعضاء الإنسان تذكر الرحمن عز وجل، اللسان ينطق، والقلب يوافق معه، والأذن تسمع، والكيان كله مشغول بإرضاء حضرة الرحمن عز وجل.

أعداء المؤمن

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ :

مَنْ الأحزاب الذين يريدون أن يدمرونا؟

النفس والشيطان والهوى، وهذه هي الحرب: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٦فاطر) هذا كلام الله، والنفس؟

﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٥٣يوسف) النفس لا تكف عن الأمر بالمعاصي، ولذلك هؤلاء هم الأحزاب الذين بداخلك، والذين يريدون أن يُبعدوك عن مولاك، ويجعلوك في الدنيا في مقام إذا خرجت منها تتحسر على ما فاتك من القرب من الله عز وجل، وكذلك الهوى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ (النازعات).

الأحزاب المجتمعون عليك بداخلك هم النفس والشيطان والهوى!!

وقد يضاف لهم أحزاب أخرى: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾ (١١٢الأنعام) وشيطان الإنس هو الجليس السوء، الذي ليس عنده غير القيل والقال والغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن والمكر للمؤمنين، والحيل نحو المسلمين، فهذا من ضمن الأحزاب المجتمعين حول الإنسان.

فعلى الإنسان أن يأخذ حرصه من المعركة التي تدور بداخله، فبداخلك معركة للسيطرة على ساحة القلب،

والقلب لا ينبغي أن يكون إلا لله جل في علاه: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

لذلك يجب أن تحرص جيداً من حيل النفس، حتى تُحبط دسائسها، ومن وساوس الشيطان وخدعه، ومن الهوى الذي يجعلك تخرج من شرع الله جل في علاه، وتبوء بالخزي، وتخرج من الدنيا متحسراً على ما فاتك من فضل الله وإكرام الله جل في علاه.

وتحرص أيضاً من قرناء السوء، وتعمل بقول رب العزة: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

وهناك حزب خامس وهم الحاقدون والحاسدون، فلا يخلو أحد في الدنيا من حاقد أو حاسد عليه!! قال صلى الله عليه وسلم:

{ كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ }[٢]

قد ترى أنت النعمة بسيطة، لكن قد يكون جار لك أو قريب أو غيرهم يراها نعمة كبيرة ويحسدك عليها: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٥الفلق).

---

٢ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

فأنت تحارب في خمس جبهات، النفس والشـيطان والهوى وشـياطين الإنس والحسود إن كان حاقد أو حاسد، فهؤلاء حول الإنسان يحاولون أن يدمروا سلوكه مع الله.

وحتى الأنبياء قال الله في حقهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣١الفرقان) لا يخلو نبي من الأعداء، حتى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه أعظمهم وأكرمهم قال كما ورد في بعض الأثر: { فرعوني أشـد على من فرعون أخي موسى عليه }

يقصد أبو جهل، فوصفه بأنه أشد من فرعون موسى، لأن فرعون موسى كان ملك، ولذلك قد يكون مهذبا بعض الشـيء، لكن أبو جهل لم يكن مهذباً، وكان يحاول بكل الوسائل كيف يدمر الحضرة المحمدية، ويقضي على الديانة الإسلامية.

المؤمنون يتوقعون هذه الحروب ويعرفونها، لذلك يقولون عندما يرونها:

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ :

فلا بد من الجهاد، وجهاد الأفراد غير جهاد الناس العاديين: ﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) يحتاج إلى الجهاد الحق لينال مقام: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ (٨٧الحج)

مقام الاجتباء.﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ :التسليم لحضرة النبي: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء) لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مقام الرجال

الذي يفعل ذلك له عند الله ما في هذه الآية الكريمة:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ نَّحْبَهُۥ ﴾ :ومقام الرجال مقام عالي عند الله عز وجل، وشهد الله بأنه صدق معه:﴿ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ :

صدق في اتباع الشريعة، والتأسي بالحبيب، والعمل المصيب الذي له أجر غريب وعجيب عند الله ﷻ.﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ :يعني أمات نفسه وحظه وهواه وشهوات دنياه وهو في الدنيا، كان سول الله ﷺ ينظر إلى سيدنا طلحة الخير بن عبد الله ويقول:

{ طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ }[3]

هو يعيش في الدنيا لكنه لم تعد عنده شــهوات ولا أهواء ولا دنيا فانية، ولكن كل همه في الدار الباقية والمنازل الراقية، وقال صلى الله عليه وسلم فيه:

{ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ }[4]

وورد في الأثر:

{ من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر }

وميت يعني:

لا غيبة، ولا نميمة، ولا كلمة جافية، ولا نابية، ولا سب، ولا شتم، ولا لعن، ولا نظرة إلى امرأة تُغضب الله عز وجل، ولا يمد يده إلى ما لا يحبه الله، وإنما كله لله جل في علاه: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام).

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ :

أي ما زال يجاهد للوصول إلى هذا المقام:

٣ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاوية بن أبي سفيان ﵁

٤ معجم الطبراني عن طلحة بن عبيد الله ﵁

فهما صنفان:

- إما جاهد وانتهى من الجهاد وماتت نفسه وهواه، وأصبح من أهل الفتح الإلهي عند الله.
- وإما ما زال يجاهد.

إذا كان لا يجاهد، ولم يجاهد فلا شأن له برجال الله، ولا شأن له بفتح الله جل في علاه، وهذا ليس له في هذا الباب طريق أبداً ما دام على هذا الحال.

﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾ :

لم يبدلوا الأصول التي جاءت في كتاب الله، والتي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهوائهم وحظوظهم وشهواتهم.

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾:

يجزيهم بالفتح الإلهي، والنور الرباني، والكشف القدسي، والمؤانسات، والملاطفات، والأسرار الراقيات، وأشياء لا نستطيع ذكرها في هذه الآنات، وإنما غاية ما يقال فيها للسالكين الصادقين: (ذق تعرف).

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ :

الذين يندثون في وسـط هؤلاء الرجال ويدَّعون أنهم منهم وهم ليسوا منهم، يعذبهم بالحرمان من القرب من حضـرته، وبالصد عن طاعته، وبالبعد عن القلوب النيِّرة.

هذه إشارات تأتي للسالكين الصادقين إذا تلوا كتاب الله وتدبروا فيه، وكانوا مجموعين بالكلية على حضرة الله عز وجل:

وكما قلت:

هذه الإشارات لا تتعارض مع المعنى الظاهر العام، فالمعنى العام لجميع الأنام، لكن المعنى الخاص لي أنا فقط، لأني أجاهد نفسي في ذات الله ﷻ، وكما قال حضـرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[٥]

هذا هو الجهاد الأكبر ...

---

[٥] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر رضي الله عنه

الذي يحتاج من الإنسان أن يكون دائماً في صراع مع نفسه وهواه، حتى تستسلم النفس، وينتهي الهوى، ويكون إنساناً راقياً من هؤلاء الرجال الصادقين، نسأل الله عز وجل أن نكون منهم أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٣٢-٣٤الأحزاب)

١٧.صفات النساء المطهرات في القرآن[1]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، وأكرمنا وجعلنا من أمة خير نبيٍّ أخرجه لبني الإنسان، سيدنا محمد؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الزكيِّ الذي علَّمه الله ﷻ ما لم يكن يعلم، وأنزل عليه التشريعات الإلهية، والتعاليم الربانية، الصالحة إلى يوم يجمع الله الناس ليومٍ لا ريب فيه.

النساء جعل الله ﷻ لهنَّ مثل ما للرجال في الفضل والإكرام والمنازل العالية في الجنة والنعيم المقيم في جوار الله ﷻ، فَقِه نساء المسلمين هذه الحكمة، فكنَّ يتنافسن في عمل البر والمعروف والخير، حتى أن امرأة ذهبت إلى النبي ﷺ وقالت يا رسول الله:

{ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ، وَاعْلَمْ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ أَمَا إِنَّهُ مَا مِنِ امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرْقٍ وَلا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إلا وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، أَنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ، وَحَامِلاتُ أَوْلادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ،

---

[1] مركز شباب العوامية – الاقصر ٧ من صفر ١٤٣٨هـ ٢٠١٦/١١/٧

وَأَفْضَـــلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًـا حَفِظْنَـا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَـا لَكُمْ أَثْوَابًـا، وَرَبَّيْنَـا لَكُمْ أَوْلادَكُمْ، فَمَـا نُشَـارِكُكُمْ فِي الأَجْرِ يَا رَسُـولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْـحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ سَـمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَـنَ مِنْ مَسْـأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْصَـرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَـاءِ أَنَّ حُسْـنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَـــاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا}[٢]

إذا قامت بالحقوق الواجبة عليها لزوجها فازت بكل هذا الفضـــل العظيم الذي خصَّ الله ﷻ به الرجال.

وبيَّن الله ﷻ للنســاء اللاتي تريد أن تكون في الدرجات العالية عند الله الصـفات التي تعملها وتلتزم بها لتنال هذه الدرجات العالية، وجعل الخطاب من الله لنساء النبي، والخطاب لنســـاء النبي خطاب للمؤمنات التقيات اللاتي يرن أن يكن في المنزلة مع زوجات النبي ﷺ، فقال لهن: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٣٢الأحزاب).

٢ شعب الإيمان للبيهقي وابن عساكر عن أسماء بنت يزيد ﵂

فالتي تريد أن تكون في الدرجات العالية عند الله، وفي الدرجات العالية من الجنة، فلا تقيس نفسها بباقي النساء لأن هذا سيُحبط عزيمتها ولن تتفوق في طريق الله.

ووضع النبي ﷺ ميزاناً للمؤمنين والمؤمنات:ط

ربما الناس في زماننا قلبوا في زماننا هذا الميزان، لكن نحن إن شاء الله نسير عليه ونجعله كما بيَّنه رسول الله، هذا الميزان قال فيه ﷺ:

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ }[٣]

الإنسان ينظر لمن هو أعلى منه في طاعة الله والقرب من الله ليُقلده ويتشبَّه به فينال ما ناله من فضل الله ورضوان الله، وينظر إلى من هو دونه في متع الدنيا والأموال والطعام والفراش والسكن وما شابه ذلك، فيستريح الإنسان ويعرف أنه في نعمة يحمد الله ويشكر الله سبحانه وتعالى عليها.

ما الذي غيَّر الناس الآن؟ ينظر إلى من فوقه في الدنيا، وإلى من هو دونه في الدين، تقول له : يا فلان نريد أن نصوم بعض الأيام الفاضلة، فيرد: أنا أصوم شهر رمضان وأحافظ على الصلاة، وانظر إلى فلان وفلان لا يصلي ولا يصوم!! فأنا افضل منه!! ما شأني أنا بفلان وفلانة؟!!

٣ معجم الطبراني والأمالي الخميسية للشجري عن أبي ذر ﷺ

وما سبب معظم المشاكل في البيوت؟ تريد الزوجة أن تكون مثل فلانة، تقول أنا رأيتُ في بيتها من الداخل كذا وكذا وكذا، وهل أنا أقل منها؟! أنا أريد أن يكون لي مثلها!! وهذا ما يأتي بالمشاكل.

ونفرض أن الزوج ليس عنده امكانيات، ولكن مع الإلحاح ربما يلجأ إلى الطرق المحظورات، ويحاول أن يكتسب من طريق حرَّمه الله، كأخذ رشوة، أو عن طريق غش، أو عن طريق خداع، ليُرضي زوجته وأولاده، وهؤلاء حذَّر منهم النبي ﷺ وقال:

{ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إلا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ كَالثَّعْلَبِ الَّذِي يَرُوغُ، قَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَمْ تُنَلِ الْمَعِيشَةُ إلا بِمَعَاصِي اللَّهِ ﷻ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُزُوبَةُ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ أَمَرْتَنَا بِالتَّزَوُّجِ؟ قَالَ: لأَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيْ أَبَوَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلا وَلَدٌ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمَعِيشَةِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ } [٤]

---

٤ العزلة للخطابي، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي عن عبد الله بن مسعود ؓ

يحملونـه مـا لا يطيق، فلا يســتطيع أن يوفر لهم الحلال، فيتجشَّــم الحرام ليُرضيهم، ويدخل به النار!! لكن الميزان النبوي أن أنظر إلى من هو دوني في الدنيا

فنريد من نسائنا أن تكون مع أمهات المؤمنين، وفي المنزلة الكريمة مع: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) فماذا نفعل؟

أعطانا في الآيات التي معنا صفاتاً إلهية قرآنية، وهذه الصفات إذا مشينا عليها سنبلغ هذه المنزلة، والنساء مطالبات بقراءة آيات النساء الموجودة في سورة النور وفهمها جيداً، سيدنا عمر ﷺ كان يُرسل إلى الأقاليم ويقول لهم: (علموا نساءكم سورة النور) لا يقرأوها فقط بل يقرأوا تفسيرها، ليعرفوا الأحكام التي فيها.

أحكام النساء التي في سورة النور، ومعها الأحكام التي في سورة الأحزاب، والأحكام التي في سورة الحجرات، إذا درسناهم وعرفناهم وعملنا بهم فسننال هذه المنازل الكريمة عند الله إن شاء الله.

تقوى الله

والآيات التي معنا من سورة الأحزاب فيها صفات يطالب الله بها النساء:

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ :

لكُنَّ منزلة خاصة، متى؟

الصفة الأولى:

﴿ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ :

إذا كانت الواحدة مجملة بتقوى الله، والتقوى بعبارة بسيطة هي الخوف من الله ومراقبته ﷻ، تخاف أن تعمل أي شيء يُغضب الله، لأنها تعلم أن الله يطلع عليها ويراها، حتى ولو كانت بمفردها، لأن الله لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء.

وكان على هذه الشاكلة الصحابة الأولين، والصحابيات، وحتى البنات اللاتي لم يذهبن إلى مدارس ولا جامعات ...

وأنتم تعرفون عندما كان سيدنا عمر يمر في الليل يتفقد الرعية فوجد امرأة تتكلم مع ابنتها، فقالت لها: يا بُنية ضعي على اللبن ماء حتى يزيد حجمه ونكسب أكثر، فقالت البنت: يا أُماه أما علمت أن أمير المؤمنين نهى عن غش اللبن بالماء؟ فقالت لها أمها: وهل يرانا أمير المؤمنين الآن؟ فقالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن الله ﷻ يرانا.

سمع سيدنا عمر هذا الحوار فعرف أن هذه البنت عندها تقوى لله، فعلَّم البيت بحجر لأن الطريق مظلم، وذهب وجمع أولاده الذكور وقال لهم: لو كنتُ شاباً لتزوجتُ هذه البنت فمن منكم يتزوجها وأنا كفيلٌ بكل طلباتها؟ أحد أولاده

وكان اسـمه عاصـم قال له: أنا أتزوجها، فتزوجت هذه البنت بعاصـم وأنجبت بنتاً، وهذه البنت أنجبت عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشـــدين، لأنها كانت تقية نقية.

فأول شـــرط لمن تريد أن تلحق بالدرجات العُلى هي تقوى الله، والتقوى - كما قلتُ - أن تراقب الله، وتعلم أن الله يطلع عليها في كل حركاتها وســـكناتها، وهو أول من يســـمع أقوالها، وينظر إلى أعمالها وأفعالها، فإذا كانت تســـتطيع أن تتخفَّى من زوجها فالحي القيوم يطلع عليها ويراها، و لاتخفى عليه خافية.

وإذا كانت تريد أن تعمل عملاً ولا يعرف به زوجها، كبعض النســـاء التي تريد أن تدخر جزءاً من المال لتُعطيه لأهلها أو غير ذلك، وأين الله؟!! فالله ﷻ يطلع عليها ويراها.

أدب الحديث مع الرجال

الصفة الثانية:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾:

إذا اتصــل بها أحد بالتليفون، أو يكلمها رجل في العمل، أو يكلمها في أي زمان ومكان، فالإســـلام أمر المســـلمة عند الحديث مع الرجل، والرجل كذلك، لا تقع العين على العين، إما أن تنظر عن اليمين أو عن الشمال أو إلى أسفل، لأن النظر بالعين قد يُحرك الغرائز الساكنة في الداخل.

وإذا كان رجلاً غريباً فلا بد وأن يكون الكلام كلاماً معروفاً، البعض يقول: سيقولون عليها أنها غير متحضرة ومتخلفة، دعهم يقولون لأننا نعمل الحضارة في كلام الله الذي أتى به لنا سيدنا رسول الله ﷺ.

ما السبب؟ هناك في المجتمع أُناسٌ مرضى، وليسوا مرضى بالأجسام، ولكنهم مصابون بمرض النفاق، وهو أخطر داء يُصاب به الإنسان في الدنيا، فهؤلاء عندهم داء النفاق، فعندما تكلمه امرأة بكلام لطيف يظن أنها تميل إليه وتريده، وإذا تبسَّمَت له من باب اللُّطف والأدب يظن أنها تحبه!!.

والله ﷻ - وهو الحكيم العليم - يريد أن يحمينا من هؤلاء الأوباش، ومن هؤلاء الأصناف، فأمر الله النساء بأن تتكلم بالكلام المألوف المعروف، في العمل، أو في الكلية، إن كان في محاضرة، أو في درس، أو في شيء من العمل، لكن لا نتطرق إلى الأحاديث الخاصة، كأن يقول لها: ماذا تفعلي مع زوجك؟ أو زوجك ماذا يفعل معك؟ أو ماذا تفعلي مع أهل زوجك؟ هذه أمور خاصة ليس لأحد شأن بها، ولا أسمح لأحد أن يتدخل فيها، فهذه ما نهى عنها الله ﷻ، وبيَّنها رسول الله ﷺ.

التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي

وفي أي شيء نتكلم؟

كما قال الله: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ :

في الأشياء المعروفة بيننا، لكن الأمور الأُخرى لا نتكلم فيها.

هناك آفة ظهرت في هذه الأيام وهي آفة خطيرة، مع أنها مفيدة للإنسان، وهي مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك، فالكل له صفحة على الفيس بوك، وهناك من له أكثر من صفحة، ويدخل عليها كثير من الناس من كل مكان، لا مانع من عمل هذه الصفحات، ولكن للإستفادة والإفادة، إما أن أستفيد أو أُفيد، ولكن ليس لإضاعة الوقت، ولا شغل النفس، ولا لتحريك السواكن، فهذا لا يجوز.

فأجد عندما أنظر إلى الفيس بوك أحوال غريبة، فالأشياء التي لا تستطيع البنت أن تعملها أمام أهلها تعملها في الفيس بوك، فتنشر لنفسها صوراً غير لائقة، يطلع عليها كل العالم، كالصور وهي في غرفة بمفردها، وتلبس ملابس غير لائقة وغير محجبة، لماذا؟!! هذه أشياء نهى عنها الله، ونهى عنها كتاب الله ﷻ.

حتى ولو أعطت صداقة لأحد على الفيس، فتكون الصداقة في حدود، كما قلت أستفيد أو أُفيد، يعني أستفيد منه معلومات في أي مجال من المجالات، مثل معلومات طبية، أو معلومات في الطهي في المنزل، أو معلومات في مجال العمل، أو معلومات في المشاكل الاجتماعية .. كل هذا لا مانع منه.

أو أُفيد غيري بما يُفيض الله عليَّ به، فأنشر حكمة، أو أنشر معنى حديث، أو أنشر قول لأحد من الحكماء أو الصالحين، فأكون قد أفدتُ من اطلع على صفحتى، وأنا أيضاً أستفيد من صفحات الآخرين.

لكن - كما هو في المجتمع – الفيس بوك مليء بالمرضى والمنافقين، وأنت لكي الخيار، وهذه ميزة، فليس هناك مانع في حذف أي إنســـان لا يعجبني أمره في أي وقت، وينتهي الأمر، وقد أحظره، فلا يســـتطيع أن يدخل مرة ثانية ولو حاول المستحيل، والفيس بوك يساعدني على ذلك.

إذاً ســـواء في الحياة العملية، أو في الحياة الفيس بوكية، فنحن نلتزم بالآداب الشرعية: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ :

وفي أي شيء نتكلم؟

﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾:

الكلام المتعارف في شـــئون العمل إذا كنا نعمل معاً، أو في شـــئون نحتاجها إن كانت طبية أو نفسية أو غيره، لكن الأمور الشخصية لا يطلع عليها أحدٌ إلا إذا كان ذا ثقة ومن المحارم ... وليس كل المحارم ذو ثقة، إذا كان ذا ثقة من المحارم فهذا الذي أحكي له إذا كانت هناك مشكلة شخصية أو عائلية أو ماشابهها، فهذا المبدأ الإسلامي.

أدب الخروج من المنزل

الصفة الثالثة:

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾:

وقرن يعني الزمنَ، فهل لا نخرج؟ لا، بل نخرج، فالمرأة إذا كانت متزوجة لا تخرج إلا بإذن زوجها، ولا تُدخل بيتها أحداً إلا بإذن زوجها.

وإذا كانت بنتاً لا تخرج إلا بإذن وليِّ أمرها، إذا كان الأب أو الأخ الأكبر ..

فالولاية دائماً تكون مع الرجل إما الأب أو الأخ فهذه الولاية الشرعية، لكن الأم دائماً متعاطفة مع البنت.

ولماذا تخرج؟ إذا كان للعمل فلا مانع، أو إذا كان لقضاء مصالح المنزل فتذهب للسوق لتقضي طلبات المنزل فلا مانع، وإذا خرجت لصلة رحم فلا مانع، وإذا خرجت لعمل برٍّ أو خير فلا مانع، ولكن كل هذه الأمور يكون معها موافقة ولو موافقة عامة مسبقة.

وإذا كانت المرأة موظفة، والزوج تزوجها وهي موظفة، ويعرف أنها موظفة فهي معها إذن من البداية أن تخرج للوظيفة.

وكل هذه الخروجات كيف تخرج فيها؟ ملتزمة بالزيِّ الشرعي الذي حدَّده الله، وبيَّنه النبي ﷺ، حتى تدخل في قول الله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (٣١النور)

لا يظهر منها وهي خارجة إلا الوجه والكفين.

والوجه لا ينبغي أن تُغير فيه إذا كانت خارجة، بوضع أصباغ، أو ترقق الحاجبين وغير ذلك، كل ذلك يكون للزوج في المنزل فقط، لكن إذا خرجت لا تفعل شيئاً في وجهها التزاماً بشرع الله وهدي رسول الله ﷺ.

وبعد ذلك إذا كان ليس لها مصلحة فلا داعي للخروج من المنزل، فأساس المرأة البقاء في المنزل، ولا تخرج إلا لضرورة شرعية، أو لمصلحة شرعية، ولذلك جِئْنَ نسَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِالْفَضْلِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا لَنَا عَمَلٌ نُدْرِكُ بِهِ عَمَلَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَعَدَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، مِنْكُنَّ فِي بَيْتِهَا فَإِنَّهَا تُدْرِكُ عَمَلَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[٥]

من تبقى في البيت وتصبر على هذا الأمر، أصبحت كأنها مجاهدة في سبيل الله ﷻ.

الصفة الرابعة:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ :

فالجاهلية الأولى قبل الإســــلام، والجاهلية الثانية والتي فيها أمم الغرب، فتنظر للأوروبيين أو الأمريكان وغيرهم وتريد أن تتشـبَّه بهم، فهؤلاء في جاهلية ولا ينبغي أن نقلدهم في شيء، لأنهم لا يتبعون ديننا، ولا يخضعون لهدي قرآننا، ولا لسُنَّة نبينا ... لكننا نمشي بأمر الله، ولا نخرج إلا بعد كمال الاحتشام، والزي الشرعي - كما قلنا - لا يظهر منه إلا الوجه والكفين، وتكون الملابس فضــفاضـــة واســـعة، ولا تُظهر ملامح وتقاطيع الجسم، وتكون غير رقيقة وغير شفافة، والألوان غير لافتةٌ للنظر.

٥ مسند البزار ومعجم الطبراني بلفظ{ مِهْنَةُ إِحْدَاكُنَّ فِي بَيْتِهَا تُدْرِكُ بِهِ عَمَلَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} عن أنس ﷺ

ما هيئته؟ الإســـلام ترك لنا هذا الأمر حتى لا يضـــيِّق علينا، فتلبس عباءة فلا مانع، تلبس بنطلون وفوقه بلوزة ولكن تحت الركبتين فلا مانع، لكن بنطلون وبلوزة إلى الوسط فتدخل في قول رسول الله ﷺ:

{ لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ }[٦]

فسـمح الله ﷻ لنا في الزي أن يطابق الوصـف الشـرعي، ونتنوّع في هذا الأمر كما نريد، ولكن بشـــرط أن يكون في النهاية يطابق الزيِّ الشـــرعي وأوصـــافه التي ذكرناها.

إقامة الصلاة

الصفة الخامسة:

﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾:

وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة، فأقمنَ الصلاة يعني حاولنَ أن تحضر قلوبكنَّ ويكون فيها خشوع لله وأنتن تؤدين الصلاة لله ﷻ.

كيف يكون ذلك؟ لا يجوز أن تكون المرأة في عمل وتذهب تؤدي الصلاة سريعاً وعقلها وقلبها مع المشـاغل أو مع الأولاد، فالصـلاة تحتاج إلى الإسـتعداد ولو لدقائق قبل الصلاة، أتوضأ وقبل الصلاة ولو خمس دقائق أستغفر الله،

٦ مسند احمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وأصلي على رسول الله، أو أقرأ ما تيسر من كتاب الله، فبهذا أكون قد جهزّت نفسي للدخول إلى الصلاة، فإذا دخلتُ في الصلاة أكون قد حضرتُ، ويأتني الخشوع من الله ﷻ.

وأضرب لكم مثلاً بسيطاً: الذين يلعبون كرة القدم هل يوجد فريقٌ منهم ينزل الملعب بدون تسخين؟ لا، فاللاعب الذي يلعب بدون تسخين يأتيه شدٌّ عضلي، أو تأتيه أي مشكلة، ولن يستطيع أن يُكمل.

كذلك الصلاة، فنحن نحتاج قبل الصلاة أن نُسخِّن أنفسنا، ونجهّز قلوبنا، ونجهّز أرواحنا، حتى إذا ناجينا الله تحضر الروح، والقلب يكون فيه حضور وخشوع، لأن الله عندما مدح المؤمنين قال: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون) من كان في قلبه خشوع لله وهم يؤدون الصلاة.

وآفة السيدات والبنات التي تحدث دوماً أنها تأتيها الدورة الشهرية، وبعد انتهاء الدورة الشهرية تستريح يومين أو ثلاثة أوأكثر بدون صلاة، وهذا الأمر قد يجعلها تستريح إلى الدورة الثانية، وهذا ما يجعل كثير من النساء يتركنَ الصلاة.

لكن هي مطالبة فور انتهاء الدورة أن تؤدي ما عليها لله، وقبل الدورة هي تعرف ميعادها.

في الأوقات العادية الإسلام أباح للمرأة نظراً لظروفها أن تؤخر الظهر إلى ما قبل العصر، ولكن تصليه حاضراً قبل العصر بنصف أو ثلث ساعة وتظل على وضوئها إلى أن تصلي العصر، وكذا المغرب والعشاء.

أتى الله بهذه الآيات وهذه الأوصاف للنساء:

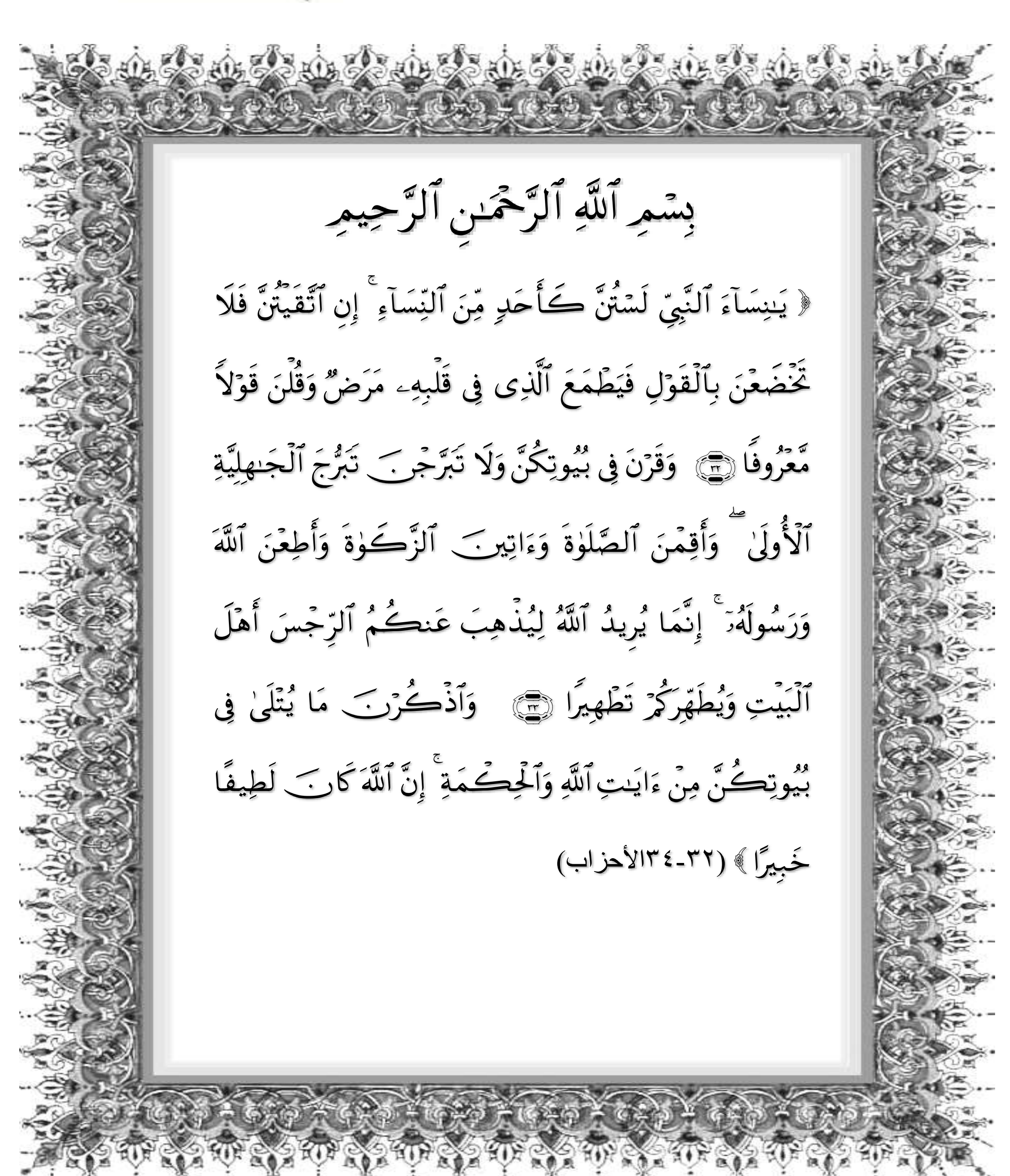
حتى يضعنها أمام أعينهن، ومن تطبقها فيا هناها، فستكون مع نساء النبي في الدار الآخرة في الدرجات العالية، وتدخل في قول الله:

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ

وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

أسأل الله ﷻ أن يفقهكنَّ في الدين، وأن يزيدكنَّ في العلم، وأن يعينكنَّ على العمل بهذا العلم، وأن يبلغكنَّ القصد والمراد

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٣٢-٣٤الأحزاب)

١٨.آداب المؤمنات القانتات[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أدَّب نســـاء الأمة بخير الآداب التي يُحبها ويرضـاها جل في عُلاه، وبدأ بنسـاء حضـرة النبي ﷺ، والخطاب لهنَّ ولجميع نساء الأمة.

فما الآداب التي ينبغي على المسلمة أن تتأدب بها، والتي يُحبها الله ﷻ بسـببها، ويجعل لها عنده منزلـة عظيمـة، وأجراً كريمـاً، ويُدخلها الجنـة؟ وفي الحقيقـة من حرص الله ﷻ على نسـاء المؤمنين، جاء بهذه الآداب الكريمة التي ينبغي أن لا نفرط فيها قط، ولا نحاول أن نخرج عنها، ونحاول أن نطبقها بحذافيرها، كما كان نســـاء سلفنا الصالح.

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ :

لا شـــأنٌ لكن بغيركن من النســـاء، وأنتم كذلك، الأمريكان عملوا بحثاً وقالوا في نتيجته: أن أطهر امرأة في الأرض المرأة المســـلمة، فأنتن لســـتن كأحد، لســـتن كالأمريكيات ولا الإنجليزيات ولا غيرهن، نحن أطهر نســـاء الوجود لأننا نؤمن بالله ﷻ ورسوله، والإسلام ديننا، والقرآن كتابنا.

١ درس للنساء - طفنيس – الأقصر ٣٠ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/١/٢٨م

مراقبة الله

ما أول شي نحرص عليه؟

﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾:

وتقوى الله يعني مراقبة الله، ولو تحققت التقوى اســـتراح الكل، فمن تُراقب الله ستعرف أن أي كلمة تنطق بها أول من يسمعها هو الله، وأي عمل تعمله أول من يراه هو الله، والله ﷻ قـال لنـا: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ لمـاذا؟﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥التوبة).

لو كل واحدة علمت أن الله ﷻ يطلع عليها ويراها، هل ســتعمل شــيئاً يُغضــب الله؟! لا، هل ســتقع في محذور حرَّمه كتاب الله؟!، لا، هل ســتخالف سُــنَّة واردة عن رسول الله؟! لا، لماذ؟ لأنها تعلم علم اليقين أن الله يطلع عليها ويراها.

فتقوى الله هي أول صفة تتصف بها المؤمنات لكي ينلن رضا الله ﷻ، وما دامت التقوى موجودة فكل مؤمنة تحكِّم نفســها في الأعمال والأقوال التي تصــدر عنها، فلا يحتجن حكماً من غيرهن، فأي عمل تعمله إذا كانت راضـــية عنه فيكون هذا العمل خيراً وليس فيه ضررٌ في العاجل أو في الآجل ..

وإذا كانت غير راضية عن هذا العمل وتعلم أنه غير منضبط، وتحتار كيف تخرج منه، فهذا دليلٌ على أن هذا العمل غير سديد وغير موفق.

فلو حكمَّنا قلوبنا بعد تقوى الله في أعمالنا سننجح وسنكون من الفائزين يوم لقاء رب العالمين ﷻ.

وعلى سبيل المثال: البنت التي تُرسل لزميل لها أو صديق لها رسالة في الخفاء، ما الذي يجعلها تعمل ذلك في الخفاء، وتحرص أن لا يراها أحد؟ لأنها تعرف أن هذا العمل غير صحيح، فلو حكَّمت نفسها من البداية واقتنعت بأن هذا العمل غير صحيح، لن تفعله، لأنه لو كان صحيحاً ستعمله أمام الجميع، ولا تخاف من أحد.

ولذلك ديننا يُلزمنا أننا نحكِّم قلوبنا وإيماننا بعد تقوى الله في أي عملٍ نعمله حتى ننال رضا الله ﷻ، والمؤمنة لها منزلة عظيمة عند الله، والله ﷻ شارك المسلمات مع المسلمين في كل الأعمال التي طالبنا بها الله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥الأحزاب)

كلهم مع بعضهم في هذه الطاعات، فالنساء كُلِّفن بما كُلِّف به الرجال من طاعة لله ﷻ.

أدب الكلام مع الجنس الآخر

ربما يحدث بين النساء والرجال كلمات، فعلَّمنا الله أدب الكلام مع الجنس الآخر:

مع زميل في المدرسة، أو زميل في الكلية، أو زميل في العمل:

كيف تتكلم النساء مع الرجال؟

قال الله: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾:

كيف لا تخضع بالقول؟

يعني تتكلم مع الرجال أو مع الشـــباب الكلام الذي ليس فيه خلاعة، وليس فيه إظهار مودة ولا محبة، ويكون الكلام الذي نســميه ـ الدُغري ـ لماذا؟ لأنه لو كلَّم ولد في المدرسة بنتاً وضحكت، فيُخيَّل إليه أنها تُحبه، فيبني على ذلك أشياء كثيرة، لذلك الإسلام يريد أن يتحاشى كل هذه الفتنة، فتُكلمه بالكلام المعروف.

كيف يكون الكلام بين الرجل والمرأة؟

الإســلام يقول لنا العين لا تقع على العين، فلو تكلمت المرأة مع شـخص إما أن تنظر في الأرض، أو تنظر على اليمين، أو تنظر على اليسـار، بحيث أن عين الرجل لا تقع على عين الأُنثى، لماذا؟ لأن التقاء العينين يُحرك المشاعر الداخلية، لذلك يجب أن يكون الكلام بالكيفية التي وصفها لنا الله، ووضَّحها لنا سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو اسـترسـلت معه في الكلام، يكون الكلام في حدود الضـرورات، مثلاً جاء رجل يسـأل: هل فلان موجود؟ فتجيبه مثلاً: هو غير موجود، لكن إن اسـترسـل في الحديث، ما اسمك؟ وكم سنِّك؟ وفي أي عام دراسي؟ وغير ذلك نُغلق عليه هذا الباب بالكلية، لأنه لم يأت لهذه الموضـوعات، ولكنه جاء للرجل الذي في البيت، فإذا وجده يجلس معه ويتكلم كما يريد.

ولو اتصـــل رجل بالتليفون: تقول له: ماذا تريد؟ يقول: أُريد فلاناً، فإذا كان موجوداً نعطيه له، وإن كان غير موجود تقول له هو غير موجود، وتغلق التليفون على الفور، قبل أن يسترسل في الحديث.

الانترنت

الآفة العُظمى التي ظهرت في هذا الزمان:

ونسأل الله الحفظ والصيانة لشباب وبنات الإسلام - هو الإنترنت،

وهو ليس بلاء إذا استخدمناه كما ينبغي، وسيصبح منفعة.

لكن كثير من شبابنا يستخدمه فيما لا يفيد، يستخدمونه في تبادل الحوارات والمحادثات، وزادت الآن المصيبة الكُبرى أن كل تليفون أصبح فيه كاميرا، فهو يتكلم وهي تتكلم ويرون بعضهما، وهذه هي المصائب الكُبرى التي تحتاج لحرص شديد من بنات الإسلام في هذا الزمان.

صُنع الإنترنت لنستفيد منه بالمعلومات الجديدة، ونحصل منه على أخبار جديدة أولاً بأول، لكن التعارف والتآلف لا يكون للبنت المسلمة إلا لمن يتقدم رسمياً إلى بيتها وإلى أهلها ليطلب يدها، فهنا مسموح لها بالتعارف معه.

لكن لنُكوِّن صداقات بين البنين والبنات، فهذا غير مسموح، وقد يقول البعض هذا غير عصري وهذا تخلف!!، فلا شأن لنا بهذا الكلام، فذلك هو الدين، فكم من مآسي وكوارث تحدث نتيجة الاسترسال في المحادثات، والاسترسال في العلاقات!! فهذه تُفسد الحياة، وتُفسد الأمور، فلا بد أن يكون التعامل بالمعروف كما علَّمنا الله ﷻ

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ لماذا؟

﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ وما أكثر المرضى في هذا الزمان؟!!.

فالإنسان غير المريض هو التقي، والأتقياء الأنقياء قلة قليلة في هذا الزمان، فمعظم الشباب تحللوا من التعاليم الدينية، وتركوا العمل بالأوامر الشرعية، فكيف لمؤمنة أن تثق في واحد منهم؟

ولكي لا يطمع فيها أحد فيكون -كما قلنا - التعامل في الضرورات، وبمقتضى الضرورات، كما علَّمنا الله، والكلام يكون كما قال الله: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ أي يكون الكلام في المعروف.

مثلاً: أنت تحتاجين لمحاضرة، فتبحثي أولاً عن زميلات لك، فإذا لم تجدي إلا زميل، وأنت تحتاجين هذه المحاضرة، فلا مانع أن تطلبيها منه، لكن لا داعي للاسترسال في الحديث معه، كأن يسألك: من أين أنت؟ وأنت تسأليه: وأنت من أين؟ وماذا عن أهلك؟ وغير ذلك، فهذا الذي يزيد المشاكل، ويأتي بما لا يُحمد عُقباه بالنسبة لأُسرنا، وبالنسبة لفتياتنا وشبابنا، فيكون: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾.

أدب الخروج من المنزل

الأمر الثالث في الآداب:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ :

وقرن يعني اسكنَّ، فالمرأة لا تخرج من المنزل إلا لضرورة شرعية، وضرورة شرعية يعني تُبيحها لها الشريعة، وتخرج على هيئة شرعية، فإذا خرجت لطلب العلم فلا مانع لأنها أصــبحت ضــرورة، وطلب العلم فريضـــة، لكن تخرج على الهيئة الشــرعية، فتســتر جميع جسـمها ما عدا الوجه والكفين، وهذا ما أباحه معظم العلماء الأجلاء.

ولا تضع على وجهها ولا على يديها شيئاً من المساحيق وأدوات التجميل، لأن هذا في عُرف الشـــريعة لا ينبغي إلا للزوج، وفي حجرة الزوجية إذا كان المنزل فيه شركاء، يعني معه أخوة آخرين، فهذا للزوج فقط.

فإذا كانت خارجة فلا بد أن تلتزم بالهيئة الشـــرعية، والملابس الشـــرعية كما قلت، فتُغطي جميع الجسم ما عدا الوجه والكفين، ولا تظهر خُصلة من الشعر، وتكون الملابس واسعة حتى لا تبين تقاطيع الجسم، وغير شفافة، نفرض أنها لبست عباءة طويلة وفي وسطها لبست حزام، فهذا يُظهر تقاطيع الجسم، فالحزام جعل الزيَّ غير شرعي، أو تلبس بنطلون فلا مانع، ولكن بشرط أن يكون ما فوق البنطلون يكون إلى أسفل الركبتين حتى لا تكون متشبهة بالرجال، لكن بنطلون وبلوزة قصيرة فهذا زي غير شرعي.

لماذا تخرج المرأة؟ تخرج لطلب العلم، أو تخرج للعلاج، أو تخرج للتســوق إذا كان لا يوجد من يتســوق لها بالآداب الإســلامية المرعية، أو تخرج لزيارة ذوي الأرحام، إذا كانوا من الدرجة الأولى كالجد والجدة والعمة والعم والخال والخالة، وغير ذلك فيجب أن يكون معها محرم كأبيها أو أخيها أو أختها أو أمها لتكون ملتزمة بالحدود الشرعية التي أباحها لنا الله ﷻ.

تذهب للطبيبة المسلمة، فإذا لم يكن هناك طبيبة مسلمة لا مانع أن تذهب للطبيب ولكن بشــرط أن يكون معها محرم، ولا تختلي بالطبيب بمفردها في حجرة الكشــف، فلا بد أن يكون معها المحرم في حجرة الكشــف، والطبيب يكشــف من فوق ملاءة أو غطاء ولا يضع يده مباشرة على جسمها.

فهذه قواعد الخروج الشـرعية التي أباحها لنا الله ﷻ، وغير ذلك ما دام لم يُطلب منها أي أمرٌ من هذه الأمور فتسكن في بيتها كما قال الله:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ :

أصــبح في زماننا الموضــات التي جاءتنا من الغرب، والملابس التي جاءت من أوروبا أشد لعنة من الجاهلية الأولى، لأنها تخالف بالكلية صريح الآيات القرآنية، لكن هيئة المرأة المســلمة في اللباس عند الخروج من المنزل يجب أن تكون شــرعية كما ذكرنا.

إقامة الصلاة

وماذا عليها بعد ذلك؟

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ﴾ :

المحافظة على إقامة الصلاة في وقتها حاضراً، وغير مسموح للمرأة أن تجمع بين الفرائض كما يظن البعض، فبعض النساء تفتي بنفسها وتقول: أنا طوال اليوم مشغولة فأُصلي آخر النهار، وتُصلي الظهر مع العصر مع المغرب مع العشاء، فمن أين أتيتِ بهذا الكلام؟!! كلام الله يقول:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء).

فنُصلي في الوقت الذي حدَّده الله لنا في الصلاة:

- ومسموح لنا فقط أن نُؤدي الصلاة في آخر الوقت، يعني مسموح لنا أن نُصلي الظهر إلى قبل العصر بلحظات، لكن العصر أذَّن ولم تُصلِّ الظهر فهذه جريمة يحاسبها الله ﷻ عليها، إلا إذا كانت في السفر، وقانون السفر خاص بذاته.
- وتُصلي المغرب في وقته، ووقت المغرب يمتد إلى قبل أذان العشاء، والنساء لتواجدهن في البيوت وانشغالهن سمحت لهن الشريعة أن تُؤجل صلاة الظهر إلى قبل العصر بثُلث ساعة فتتوضأ وتُصلي الظهر وتظل على وضوئها حتى يؤذن العصر وتُصلي العصر، ولكن بشرط أن لا تسهو ولا تنسى حتى يؤذن العصر وتؤدي صلاة الظهر قضاءاً، لأنه ليس لها عُذرٌ عند الله في ذلك.

- فتحافظ على الصلاة في وقتها ما عدا الأيام التي تأتيها فيها الدورة الشهرية، فليس عليها فيها قضـــاء، وأثناء الدورة تكون ممنوعة من الصـــلاة، ومن الصيام إذا كانت في شـهر رمضـان، ومن تلاوة المصـحف، ومن الإمسـاك به، ومن الطواف بالبيت الحرام إذا كانت في الأماكن المقدسة.

لكن من رحمة الله بنســاء الأُمة أوجب عليها أن تُعيد ما عليها من أيام أفطرت فيها في رمضـــان، ولم يُوجب عليها أن تُعيد الصـــلاة، رحمة من الله ﷻ بنســاء هذه الأمة.

لكن يجب أن تلاحظ ما يلي، وهذه أمور في غاية الأهمية:

- فكل امرأة أو فتاة تعلم علماً يقينياً ميعاد الدورة، وهي تعرف أن الدورة تأتي في يوم محدد، وهى تكون بحسـب الأشـهر القمرية، وليس بحسـاب الأشـهر الميلادية، فالأيام التي تتوقع فيها الدورة تؤدي الفريضـــة في وقتها، ولا تؤجلها كما قلنا إلى قبل الفريضـــة الأُخرى، لماذا؟ نفرض أن الظهر أذَّن وجاءتها الدورة بعد الظهر بنصـف سـاعة، وهي لم تُصـلّ الظُهر، فأصـبح عليها دينٌ لله بصـــلاة الظهر، فإذا انتهت الدورة وتطهرت قد تنســى بطبيعة البشر أن عليها ظهر لله ﷻ.

ولذلك فالشـــارع الحكيم نبهها أن الأيام التي تتوقع فيها الدورة تحافظ فيها على الصلاة في وقتها حتى تكون جاهزة لأمر الله، وليس عليها ديونٌ يطالبها بها الله ﷻ.

الأمر الثاني: كذلك اليوم الذي تطهر فيه تُلاحظ ما يلي: إذا طهُرت في النهار ولو قبل المغرب بلحظات فيكون عليها صـــلاة الظهر والعصـــر لهذا اليوم، وليس العصـــر فقط، وإذا طهُرت ولو قبل الفجر بلحظات فيكون عليها صـــلاة المغرب والعشاء، يعني إذا طهُرت في النهار يكون عليها صلاة النهار، وإذا طهُرت في الليل يكون عليها صـلاة الليل، فهذا الحكم الشـرعي الذي ننتبه إليه، لأن أي تقصـير في أي صلاة يكون دَين يحاسب الله عليه العبد يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

إخراج الزكاة

ومع الصلاة لا بد من إخراج الزكاة:

﴿ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ :

إذا كان عندها ممتلكات، يعني عندها أرض وتزرعها فتُخرج زكاة الزرع، وإذا كانت تتاجر فيكون عليها زكاة التجارة، وإذا كان معها مبلغاً من المال يســـاوي ثمن خمسة وثمانين جرام ذهب بحسب السعر الحاضر، ومرَّ عليهم سنة هجرية، فواجب عليها إخراج الزكاة، والزكاه تكون اثنين ونصـــف في المائة من جملة هذا المبلغ في كل عام.

متى تُخرجها؟ ليس لنا شـــأنٌ بالأعوام الميلادية، حســـاب الشـــرع كله بالأعوام الهجرية، فتختار لنفسـها شـهراً كشـهر رمضـان أو شـعبان أو أي شـهر عربي، وبعد مرور سنة عربية تُخرج الزكاة.

ولم نجعله سنة ميلادية لأن السنة الميلادية أكثر من السنة الهجرية بإحدى عشر يوماً، فلو أخرجت على الميلادي فبعد فترة ينكسر عليها سنة لم تُخرج زكاتها ويُحاسبها الله ﷻ عليها، فيكون حساب الزكاة بحسب الشهور الهجرية.

وبالنسبة للذهب، إذا كان الذهب تلبسه للزينة فليس عليها زكاة بشرط أن يكون كالمعتاد كمثيلاتها في المجتمع، وإذا كان الذهب تدخره بدلاً من المال، فمثلاً: امرأة زوجها يعمل بالخارج وتريد أن تدخر لنفسها شيئاً، فكلما نزل أجازة يشتري لها قطعة من الذهب، وتأخذ الذهب ليس للزينة ولكن للادخار، إذا كان الذهب بهذه الكيفية كرأس مال لها، وبلغ مقداره خمسة وثمانين جراماً ذهباً، فتُخرج عنه زكاته بحسب السعر الحالي، فتُخرج اثنين ونصف في المائة.

فمن امتنع عن أداء الزكاة يقول فيه الله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (فصلت) جعلهم الله كالمشركين تماماً، لأنهم امتنعوا عن إخراج حق الله ﷻ، وأنتم تعلمون أن سيدنا أبو بكر ﵁ حارب المرتدين الذين امتنعوا عن إخراج الزكاة التي فرضها عليهم الله جل في عُلاه.

﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ :

الله اكتفى بهما لأنهما الأهم، فالصلاة هي العبادة الجسمانية التي نقوم بها لله، والزكاة هي العبادة المالية التي أمرنا الله أن نقوم بها للفقراء من خلق الله.

طاعة الله ورسوله

وبعد ذلك عليها:

﴿ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾:

فتُحاول أن تطيع الله ورسوله في كل أمر، فأي أمر تُقبل عليه تنظر فيه أمر الله في هذا الشيء، ووصية النبي ﷺ فيه.

مثلاً: بنت مُقبلة على الزواج فلا بد أن تستشير كتاب الله وسُنَّة رسول الله في كل حركاتها وسكناتها، فخطيبها يريد أن يجلس معها في البيت، فتسأل الشريعة ماذا قررت؟ لكي تُنفذ، هل يجوز لهما أن يجلسا معاً في غُرفة ويغلقا عليهما الباب ولم يعقدا العقد بعد؟ الشريعة تقول: لا، فيجب أن تطيع الله ورسوله.

وهل يجوز لهما أن يخرجا معاً للنزهة ولم يتم عقد القران؟ لا، فتمتثل لأمر الله، وتطيع الله ورسوله ﷺ، هل يجوز لها أن تجالس خطيبها قبل عقد القران وهي كاشفةٌ لشعرها أو رجليها، حتى لو كانت جالسة مع أهلها؟ الشريعة تقول لها: لا، فيجب أن تلتزم بطاعة الله ورسوله ﷺ.

فطاعة الله ورسوله هي مصلحة للفتاة المسلمة، لأنها تجعلها دائماً وأبداً في صيانة الله، وفي رعاية الله، وفي عناية الله جل في عُلاه.

إذا تزوجت فلا بد أن تعرف قبل الزواج حق الرجل على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وحق الحما والحماة إن كانت أم الزوج، أو أب الزوج، وحق ذوي الأرحام كإخوته وأعمامه وأولاد أعمامه، فتعرف هذه الحقوق حتى تقوم بالحقوق المرعية بحسب الشريعة الإلهية، طاعةً لله ﷻ.

تعرف حقوقه الشـــرعية حتى إذا أمرها بأمر يخالف تقول له: لا، لان النبي ﷺ قال:

{ لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ }[2]

مثلاً في رمضان:

قال لها: افطري، تقول له: لا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

هناك احصائية عالمية عن نسبة الطلاق في دول العالم، وكانت الصدمة العُظمى أن أول دولة في العالم فيها أكبر نسبة طلاق هي مصر، بلد العلم، وبلد الأزهر، وبلد الإسلام!!، وحلَّلوا ذلك فوجدوا أن خمسين في المائة من المطلقات مطلقين في السنة الأولى من الزواج!!، منهم من طُلق بعد شهرين، ومنهم بعد ثلاثة، ومنهم بعد أربعة، لماذا؟ لأنهما لم يعرفا الحقوق الشرعية التي تجب للطرفين على بعضهما.

- فلو عرف الزوج حق الزوجة على الزوج.
- وهي عرفت حق الزوج على الزوجة ..
- ومشوا على شرع الله:

[2] مسند الشهاب ومسند أحمد بصيغة (لا طاعة في معصية الله) عن عمران بن حصين ﷺ

فلن يأتي خلافٌ أبداً.

لكنهما كل انشـــغالهما في فترة الخطوبة في النزهات والمرح، والبحث عن القاعة، والبحث عن الجهاز، ولم يكلف أحدهما خاطره أن ينظر إلى الآداب الإسلامية للزواج الإسلامي السعيد، وكذلك الاهل نفس الأمر.

ما أصـــل الحنَّة، وهي اليوم الذي يســبق الزواج؟ أن الأُم والأخوات والقريبات كانوا يجلســـون مع البنت ليفهموها الواجب عليها نحو الزوج ونحو أهل الزوج، هل يحدث هذا الكلام الآن؟ لا، لا أحد يقول شــيئاً، ولذلك ظهرت موجة غريبة عن بلادنا وعن إسلامنا، أن البنت تريد الزوج ولا تريد أحداً من أهله نهائياً، تقول له: أريد شقة بعيدة عن أهلك.

وقد دخلتُ في أكثر من موضـــوع، أهل الزوج معهم عمارة وكل ولد له شُـــقة، فتقول له: ما دامت الشـــقة مع أبيك وأمك وإخوتك، فهذه الشــقة لا أُريدها، وهذا معناه أنها لا تريد أهله كلهم.

لماذا؟!!

أنت حريصـــة على أن تنالي رضـــا أبيك وأُمك لكي تدخلي الجنة، لذلك يجب أن تحرصـــي أن يدخل زوجك الجنة مثلك، وأنت تعرفي أن زوجك لن يدخل الجنة نهائياً إلا برضاء الأب والأُم.

ويُحكي أنه كان في زمن النبي ﷺ شـــاب يســـمى علقمة، كان كثير الاجتهاد في طاعة الله، في الصلاة، والصوم، والصدقة، فمرض واشتدَّ مرضه:

{ فأرســلت امرأته إلى رســول الله ﷺ: إن زوجي علقمة في النَّزع، فأردت أن أُعلمك يا رسول الله، بحاله، فأرسل النبي ﷺ عمَّارًا، وصُهيبًا، وبلالًا، وقال: امضوا إليه ولقِّنوه الشـــهادة، فمضـــوا إليه، ودخلوا عليه، فوجدوه في النزع الأخير، فجعلوا يلقِّنونه لا إله إلا الله، ولســانه لا ينطق بها، فأرسـلوا إلى رســول الله ﷺ يخبرونه أنَّ لسانه لا ينطق بالشهادة، فقال النبي ﷺ: هل من أبويه أحد حيٌّ؟ قيل: يا رسول الله، له أم كبيرة الســنِّ، فأرســل إليها رســول الله ﷺ وقال للرســول: قل لها: إن قدرتِ على المســير إلى رســول الله، وإلَّا فقرِّي في المنزل حتى يأتيك، قال: فجاء إليها الرســول فأخبرها بقول رســـول الله ﷺ، فقالت: نفســـي لنفســـه فداء، أنا أحقُّ بإتيانه، فتوكأت وقامت على عصـــا، وأتت رســول الله ﷺ، فســلَّمت، فردَّ عليها الســلام، وقال: يا أمَّ علقمة، اصدقيني وإن كذبتيني جاء الوحي من الله تعالى: كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله، كثير الصلاة، كثير الصيام، كثير الصدقة، قال رسول الله ﷺ: فما حالك؟ قالت: يا رسول الله، أنا عليه ساخطة، قال ولِمَ؟

قالت: يا رسول الله، كان يؤثِر عليَّ زوجته، ويعصيني، فقال: رسول الله ﷺ: إنَّ سُخط أمِّ علقمة حجَب لسان علقمة عن الشهادة، ثم قال: يا بلال، انطلق واجمع لي حطبًا كثيرًا، قالت: يا رسول الله، وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك، قالت: يا رسول الله، لا يحتمل قلبي أن تحرق ولدي بالنار بين يدي، قال: يا أمَّ علقمة، عذاب الله أشدُّ وأبقى، فإنْ سرَّك أن يغفر الله له، فارضي عنه؛ فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته، ولا بصيامه، ولا بصدقته ما دمتِ عليه ساخطة، فقالت: يا رسول الله، إني أشهد الله تعالى، وملائكته، ومَن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة، فقال رسولُ الله ﷺ: انطلق يا بلال، إليه انظر هل يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً مني، فانطلق بلال، فسمع علقمة من داخل الدار يقول: لا إله إلا الله، فدخل بلال وقال: يا هؤلاء، إنَّ سُخط أمِّ علقمة حجَب لسانه عن الشهادة، وإنَّ رضاها أطلق لسانه }[٣].

فكل فتاة وكل امرأة يجب أن تعلم هذه الحقيقة ...

فكما تريد ارضاء أُمها وأبيها لتدخل الجنة، تحاول أيضاً مع زوجها ليُرضي أباه ويُرضي أُمه ليدخل الجنة.

---

٣ أوردها بعض العلماء كالإمام أحمد والبيهقي وإن كان فيها ضعف

لكن هذه ظاهرة جديدة ظهرت من عدم العلم بشـــريعة الله، وعدم العلم بالآداب التي جاء بها سـيدنا رسـول الله ﷺ، فطاعة الله ورسـوله أننا لا نعمل أي عمل إلا إذا بحثنا عن حكم الإسلام فيه.

فإذا أكرمها الله ﷻ بالإنجاب فكيف تُربي الأولاد؟ تبحث عن الطريقة الإسلامية في تربية الأولاد، وتنفذ الأحكام الإســلامية، والآداب الإســلامية لكي ينشــأوا بررة وأتقياء وأنقياء ... فنعلمهم العلوم الحديثة لكن لا بد معها من علوم الشريعة، لأن الولد لو تخرَّج وأصــبح وزيراً أو رئيس جمهورية، لن ينفعني من ذلك شــيء، إلا كما قال حضرة النبي:

{ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ }[٤]

ما يهمني هو الولد الصــالح الذي يدعو لي، وإذا كان معه أموال قارون، فماذا آخذ منها؟ أو هو في وظيفة مرموقة، فماذا أفعل بها؟ لا أحتاج من ابني غير دعوة صالحة يدعوها لي على الدوام.

فنحرص من البداية أن نؤدبهم بالآداب الإسلامية، ونعلمهم ونربيهم على التربية الإسلامية.

٤ تاريخ الإسلام الذهبي، وفي رواية مسلم والترمذي بصيغة: {إذا مات الإنسان} عن أبي هريرة ﷺ

﴿ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ :

فيكون الأمر الهام في طاعة الله ورسـوله يا نسـاء المؤمنين أن الواحدة منكن لا تعمل عملاً إلا إذا علمت حُكم الشـــرع الشـــريف فيه، فإذا لم تدري ولم تســـمع بذلك فتســـأل، والله قال لنا: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) .. فأي أمر تريد عمله لا بد أن تسأل فيه، فلو أن زميلة لها قالت: يا فلانة إن الرجال ليس لهم أمان، فلا بد أن تدخري لنفسك شيئاً من المال، فهل تسمع لكلامها، أم تسأل العالم الذي يقول لها هذه حلال أم حرام؟ تسـأل العالم ليُخبرها هل هو حلال أما حرام، العالم يقول لها: قال النبي ﷺ:

{ لا تُعْطِي مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ لَهُ الأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ }[٥]

فما دام هذا ماله فلا يصِّــح أن أُخرجه بدون علمه، لأن هذه خيانة، وتُذهب الثقة بين الزوجين.

إذاً لا بد في كل أمورنا أن نتحرَّى الأحكام الشـرعية، ونسـأل فيما لا علم لنا فيه حتى نكون على نور من كتاب الله.

رغبة الله في تطهيرنا

لماذا جاءنا الله بهذه الأحكام؟

٥ السنن الكبرى للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾:

يريد الله أن يُذهب عنا الذنوب والمعاصي والآثام وهذه الأرجاس كلها ...

ويطهرنا من المعاصي والسيئات ...

ونكون دائماً وأبداً في الطاعات والعبادات لله ﷻ.

حديث التذكرة

آخر صفة من هذه الصفات:

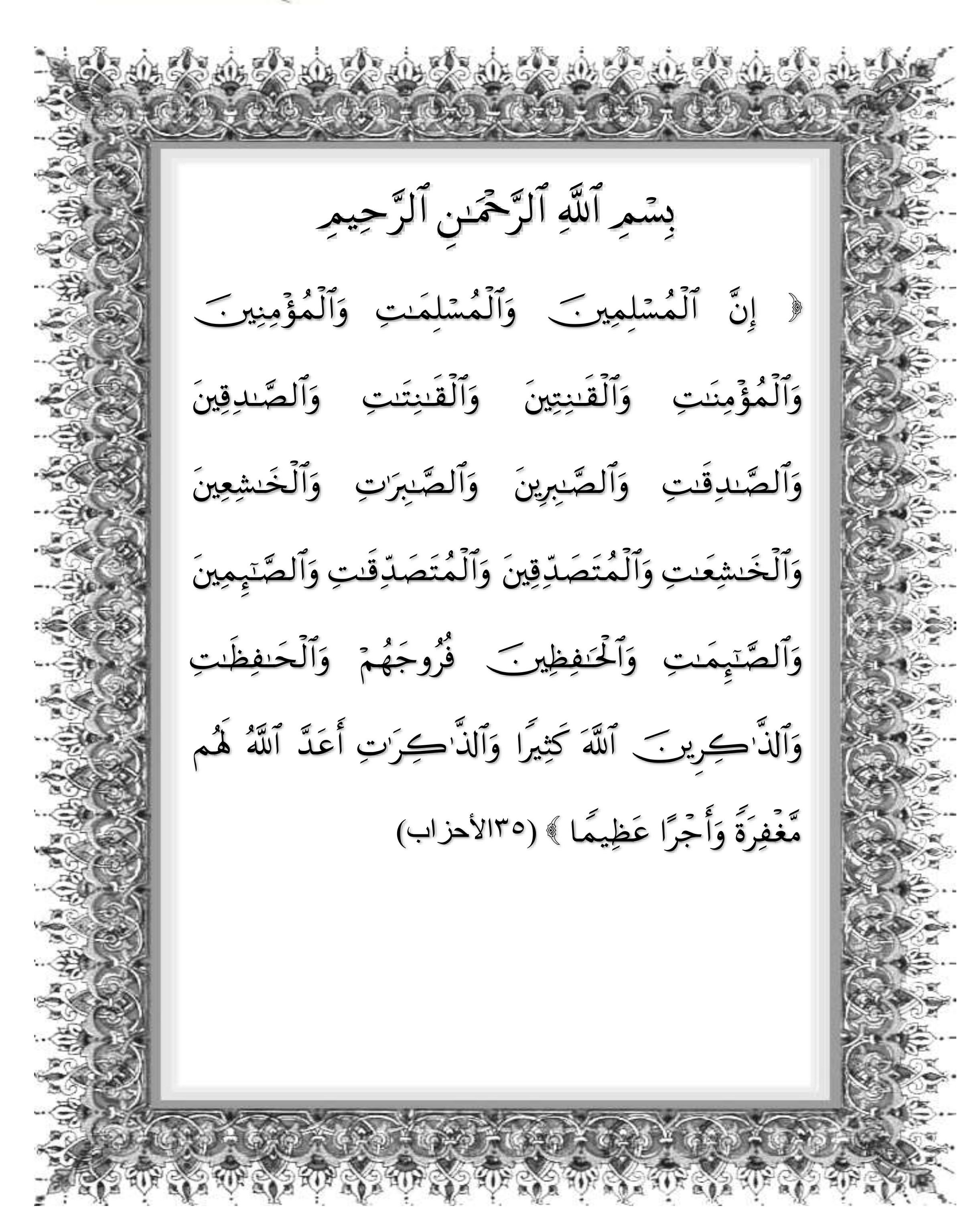
- أن المؤمنة ينبغي عليها أن يكون حديثها مع غيرها إن كانت الجارة، أو الزميلة في العمل، أو في زيارة لقريبة، فيكون الحديث دائماً في تذكرة في أمرٍ من أمور الدين، لتكون قد أخذت أجراً وثواباً عند رب العالمين ﷻ، كأن تجلس مع جارة فتقول لها: أنا سمعتُ اليوم حديثاً طيباً عن كذا وكذا.
- نريد أن نلغي أحاديث القيل والقال، والغيبة، والنميمة لأن هذه الأحاديث هي التي تُفسد الناس، وتُفسد فيما بين الناس في الأرض، ونتكلم كما قال الله ﷻ:

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ :

إما أن نتكلم في آية قرآنية وتفسيرها، أو حكمها، أو حكمة، والحكمة يعني السُـنَّة التي وردت عن رسول الله ﷺ.

نسأل الله أن يُفقهنا في ديننا، وأن يرزقنا العلم بلا تعلم، وأن يُعيننا على العمل به

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٣٥الأحزاب)

١٩.مراتب ومقامات المسلمين والمسلمات[1]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أكرمنا وبيَّن لنا في كتاب الله منازل القرب من حضـرة الله جل في عُلاه، والصـلاة والسـلام على إمام المقربين، والأُسـوة الطيبة لجميع المؤمنين، والسراج المنير لقلوب الأتقياء والأنقياء والمحسنين، والبهجة الإلهية والروح السرمدية للموقنين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، واجعلنا معهم ومنهم في الدنيا ويوم الدين .. آمين آمين يا رب العالمين.

حقوق النساء في دين الله

الإســـلام دين الكمال، ودين التمام، ودين الوســـعة الإلهية، ودين التســـاوي في العطاءات الربانية، ودين التيســـير لا التعســـير، فقد أكرم الله عز وجل المســـلمين والمســلمات وجعلهم إخوة في جميع المقامات، ويرتفعون ســوياً إلى أعلى الدرجات، حتى قال صلى الله عليه وسلَّم:

{ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ }[2]

---

[1] المنشأة - سوهاج ١٥ من شعبان ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/٥/١٢م
[2] البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ

وفي رواية أخرى:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ }[3]

فالنساء لا يفترقن على الرجال في طريق الله، إلا في أنهن ينبغي أن يتخفين ولا يظهرن كما يظهر الرجال في الأعمال التي كلَّفنا بها الله عز وجل، وكم من نساءٍ كمُلت في طريق الله فبلغن مبلغ الرجال، واسمع إلى الله وهو يقول: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (١٢التحريم) ثم ذكر الله أحوالها، وفي الختام قال: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾ (١٢التحريم) لم يقُل (من القانتات) مع أنها أُنثى!! ليُعلمنا أنها بلغت مبلغ الرجال في طاعة ذي الجلال والإكرام ﷻ.

وكان النسوة في عهد النبوة يطالبن بحقوقهن لأن النبي صلى الله عليه وسلَّم عوَّدهن على ذلك، ومدحهن على ذلك، وكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ نِعْمَ النِّسَاءُ، نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ }[4]

---

٣ جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن أبي موسى الأشعري ﷺ

٤ صحيح مسلم وسنن أبي داود

لأن طلب العلم فريضة للنساء، وورد أنه جاءت بعض النسوة إلى زوجات النبي وقلن: ذكرتم في القرآن ولم نُذكر، يطالبن بحقوقهن عند من يقول للشيء كن فيكون!! فأنزل الله عز وجل هذه الآية الكريم إجابة للجميع.

وبيَّن أن طريق الله ﷻ الموصل إلى رضاه يمر بدرجات أو مقامات، يرتفع فيها الطالبين والطالبات لرضوان الله تبارك وتعالى في هذه المقامات، لأن المسلم دائماً يطمع فيما عند الله.

أهل (لا حول ولا قوة إلا بالله)

صحيح أن المسلمين في زماننا أغلبهم انشغل بمُتع الدنيا، فأصبح يبتغي بسعيه مُتع الدنيا الفانية ونعيمها الزائل، ويكتفي بالقليل الذي يتوجه به إلى مولاه، ومع ذلك تجده يجادل معك في الحديث إذا تحدثت معه، لأن الله قال في وصف الإنسان: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾ (٥٤الكهف).

تجده متفوقاً في الجدل، فيقول لك على سبيل المثال:

إن رحمة الله واسعة، وكلنا سندخل فيها، وإن فضل الله كبير وسيُعمنا جميعاً، وأمثال هذه الأقوال التي لا تقارنها أفعال ولا أحوال، والله ﷻ يكافئنا على الأفعال والأحوال، ولا يقف عند الأقوال تبارك

وتعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف) لم يقُل (أحسن قولا)، ولم يقُل: (إنا لا نضيع أجر من عمل) ... ولكن من أحسن العمل لنزيد في الإحسان.

لأن العمل يحتاج أولاً إلى العلم بالكيفية الشرعية لهذا العمل، وبالإخلاص في أدائه لله، وبالتبرِّي من الحول والطول والقوة أثناء العمل لله، وينسب الحول والطول والقوة لسيده ومولاه تبارك وتعالى.

ماذا يكون حالنا لو سلب الله منا قوته وحوله وطوله؟!!

وكيف نعمل؟!! ... ولذلك كان النبي ﷺ يخُصُّ أصحابه بأذكار، فخصَّ أبو هريرة ؓ بذكر يبين هذا المقام الكريم، فقال له:

{ أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ }[٥]

ولذلك (لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم) ذِكْر الأفراد الذين عَلُوا في المقامات وارتقوا في الدرجات عند رفيع الدرجات ﷻ، لأنهم لا يقولونها باللسان، وإنما يُظهرونها في الحال والفعال، واللسان يُترجم عما في القلب وفي الجنان لله رب العالمين.

فلا يرى أحدهم لنفسه حولاً ولا طولاً، وإنما يرى مدد الله، ومعونة الله، وتوفيق الله، ورعاية الله هي التي تُسيِّره في كل شأنٍ من شئون هذه الحياة.

---

٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ؓ

فبيَّن الله ﷻ للمؤمنين المقامات والدرجات حتى لا يقف المسلم عند مقام ويستسلم لنفسه في الدنيا، ويقول هذا يكفيني، أو هذا المقام يُغنيني، ولكن دائماً يطلب المزيد من الحميد المجيد ﷻ:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦يونس)

فدائماً يطلب الزيادة.

كما أن الإنسان المنشغل بالأكوان يطلب الزيادة في مُتع الدنيا:

كذلك الإنسان المنشغل بالرحمن يطلب الزيادة في القرب من مولاه، وفي التمتع بحلاوة المناجاة، وأن يزيد في كل نفسٍ قُرباً من مولاه، وأن ترتفع عنه كل الحُجب حتى لا يبقى على قلبه حجابٌ يمنعه من نور الله جل في عُلاه، فيطلب المزيد.

الإسلام والإيمان

وبيَّن الله ﷻ لأهل المزيد هذه الدرجات النورانية، ففي البداية كلنا مسلمون:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾:

والإســلام يختصُّ بعمل الظواهر التي تعملها الأجســام والحواس الظاهرة كل شيء نعمله بالظاهر نسميه الإسلام!

والإيمان يختصَّ بعمل القلوب والبواطن التي في باطن الإنسان.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾:

هل يجوز أن يكتفي الإنسان بالإسلام ولا يدخل إلى رحاب الإيمان؟ لا، فلا بد أن يتجاوز الإسلام إلى الإيمان، ولا يكتفي بمرتبة الإسلام، وإنما يطلب الله عز وجل ويأمر حقائقه الظاهرة والباطنة أن تعاونه حتى يبلغ مقام الإيمان، ومقام الإيمان هو عمل القلب وما يتبعه بإخلاص وصدق لله تبارك وتعالى.

وسأشرح باختصار شديد كيف يجتمعان وأنا في الصلاة؟ فالجسم وهو ظاهر الإنسان يقف بين يدي الله، واللسان ينطق بما وجَّهنا إليه رسول الله، والجسم يركع ويسجد ويجلس بين يدي مولاه، لكن لا بد أن يصحب هذا في باطنه بالخشوع والحضور والإخلاص والصدق والصفاء، حتى يكون هذا العمل كاملاً مقبولاً عند خالق الأرض والسماء ﷻ.

فلو صلَّى الإنسان بظاهره وباطنه مشغولٌ بالدنيا الدنية، ولم يحضر مع الظاهر حتى في النية، فهل تُقبل هذه الصلاة؟ لا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون) أين هذا الخشوع؟ هل في الظاهر أم في القلب؟ في القلب، لأنه لله، ولو كان في الظاهر لكان لخلق الله.

ولذلك عندما رأى ســـيدنا عمر ﷺ رجلاً يقف وقد حنى رقبته وأظهر هيئة التواضـــع، فقال له: (يا صـــاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشـــوع في الرقاب، إنما الخشـــوع في القلوب) اجعل هذا في قلبك وأظهر العزة بين خلق الله لله على ظاهرك وجسمك.

الله لا يريد الخشــوع في الهيئة الظاهرة، وإنما يريد الخشــوع في القلب لله ﷻ، والرجل الذي صلَّى صلاته الظاهرة حضرة النبي ردَّه ثلاث مرات وفي كل مرة يقول له:

{ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ }[٦]

يقول قائل: أنا أصـوم رمضـان إن شـاء الله، وكلنا سـنصـوم بتوفيق الله، والأجر والثواب على النية، فكلنا سـنصـوم من مطلع الفجر إلى غروب الشـمس، ونمتنع عن الطعام والشراب والنكاح، لكن هل كلنا سيستوفي الأجر؟ لا، فالأجر على قدر النية

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[٧]

والنية محلها القلب، فهناك من يصـوم شـهر رمضـان ونيته من هذا الصـيام أن يحظى بوجه الله، ويأخذ الحكمة من حديث رسول الله:

٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٧ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

{ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه }[8]

أي صوموا لرؤيته سبحانه وتعالى، وأفطروا لرؤيته عز وجل، يعني صوموا من أجل رؤيته، ومتى يُفطر؟ إذا تمت الرؤيا، فإذا لم تتم الرؤيا عليك أن تعاود الصيام لأنك مريض، وتحتاج إلى شفاء النفس والقلب حتى تحظى بوجه الله، قال صلى الله عليه وسلم:

{ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ }[9]

للصائم الذي تقبَّله الله فرحتان:

فرحة عند فطره وفرحةٌ عند لقاء ربه، فهذه درجة، ومن صام ليغفر الله له ما تقدم من ذنبه، فهذا أجره وهي درجة، ومن صام رغبةً في العتق من النيران،..... فهذه درجة وسيأخذ على قدر نيته، ...... ومن صام حتى لا يعطش يوم القيامة، .... فهذه درجة وسيأخذ على قدر نيته.

إذاً فالأجر على قدر النية، مع أن العمل كله واحد، والنية محلها القلب، وهذا عمل الإيمان الذي أشار إليه الرحمن، ووضَّحه النبي العدنان ﷺ.

---

٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٩ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

القانتون

بعد أن يرتقي الإنسان إلى درجة الإيمان، ويُصبح عمل ظاهره يصحبه عمل قلبه في الخشوع والحضور والإخلاص والصدق لحضرة الرحمن، فعليه بعد ذلك أن يزيد من التبتل والتعبد بين يدي الله، حتى يرتفع إلى درجة ...

﴿ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ ﴾:

والقانت يعني المطيع شديد الطاعة لله ﷻ، في البداية كان يُطيع الله ﷻ فيما كلَّفه به الله، وبعدها ارتفع درجة يطيع الله في كل أنفاسه رغبةً في القُرب من حضرة الله جل في عُلاه، ففي كل أحواله وفي كل أنفاسه يُراعي أن يكون كل عمله لله ﷻ.

كيف يكون هذا؟

قد يصل المرء منا إلى درجة يجعل الله كل أعماله حتى أكله وشُربه ونومه ولهوه ولعبه ونكاحه طاعات وعبادات لله ﷻ، وهذه الدرجة الأعلى !!!، كيف؟ بالنيـَّة.

فلو نوى الإنسان في كل عمل يعمله في دنياه وجه الله، والمتابعة في هذا العمل عند أدائه لحبيب الله ومصطفاه، فهذا العمل يكون له فيه أجرٌ عظيمٌ عند الله ﷻ.

فإذا نام، ينام على هيئة نوم الحبيب، فيتوضـــأ وينام على جنبه الأيمن ويذكر الأذكار الواردة عن رسول الله، ويستغفر الله، ويذكر الله حتى يقبض الله نفسه، قال في هذا ﷺ:

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْبِيحٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ يُبْعَثُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَامَ عَلَى غَفْلَةٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمُ الذِّكْرَ عِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ }[10]

فكونه اتبع الحبيب، ونام كما كان ينام الحبيب، ونام على ذكر الله، فنومه هذا عبارة عن عبادة لله ﷻ، ولذلك قال ﷺ في الصائم:

{ نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَسُكُوتُهُ تَسْبِيحٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُتَقَبَّلٌ }[11]

فإذا نام ليستعين بالنوم على السحور، أو على صلاة الفجر، أو على قيام الليل، فنومه هذا عبارة عن عبادة، حتى لا يخوض مع الخائضين ولو على غير ذكر، فيُكتب عند الله من المسبحين، وقال ﷺ:

{ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ }[12]

---

١٠ الثاني من الفوائد المنتقاه لأبي القاسم الأزجي عن الحكم بن عمير ﷺ
١١ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ
١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي ذر ﷺ

وهذه درجة القانتين الطائعين الذين يجعلون عملهم كله آناء الليل وأطراف النهار حتى السعي على المعاش عبادة، حتى لهوه مع ولده عبادة ومداعبته لزوجته عبادة، قال ﷺ:

{ وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ }[13]

أي يداعبها ويُطعمها، فهي أيضاً عبادة لله مادام قصده وجه الله، ويتابع حبيب الله ومصطفاه ... إذاً القانتون هم الذين لا يغفلون عن الله طرفة عين ولا أقل، ويوجهون النوايا الصادقة لله ﷻ.

الصادقون

فإذا أدام في هذا المقام وواصل هذا الحال على الدوام، اختاره الله عز وجل من أحبته، وجعله في جُملة الذين يقول فيهم في كتابه لبريته: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) فيرتفع إلى درجة ...

﴿ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ ﴾:

---

١٣ البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

والصـــــادقون الذين صـــدقوا ما عاهدوا الله عليه في الأزل القديم، بأن يجعلوا حياتهم وأنفاســـهم كلها لله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام) فيكون من الصـــــادقين الـذين: ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣الأحزاب).

الصبر الجميل

ودوام الحال من المحال، ولكي يســـتديم الإنســـان على هذه الأحوال، ويدوم له الإقبال من الواحد المتعال يلزمه الصبر الجميل على أداء هذه الأعمال ...

﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾:

ومن ظنَّ أنه يصبر بنفسه لم يستطع الصبر على مدى الأوقات، لكن علَّمنا الله أن نقتدي بحبيبه، فنطلب من الله أن يُعيننا أن نصـــبر به على الأعمال التي نرفعها لحضرة الله: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (١٢٧النحل).

وعلى غيرنا من المسلمين والمؤمنين والأقارب والمحيطين: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨يوسف) لأنه لا تستوي الحسنة ولا السيئة، فلا يجوز أن أقابل الشر بالشر، ولا السوء بالسوء، لأن الله قال في قرآنه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (٤٠الشورى) فالإثنان متساويان، وماذا نفعل؟ ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤فصلت).

ولذلك لا يوجد بيننا أو في أحبابنا، أو فيمن ينتسب إلينا من يدفع السيئة بالسيئة، وإنما نحن أهل العفو والصفح لكل من حولنا، بل إن السادة الصالحين الكُمَّل كانوا يتجاوزون ذلك، فقد سُئل سيدي محي الدين بن العربي رضي الله عنه وأرضاه في الفتوة، فقيل له: ما الفتوة؟ قال: (الفتوة أن أشفع عند الله في كل من آذاني أو سبني أو حسدني في الدنيا يوم القيامة) ...لن يصفح فقط!!، ولكن سيشفع لهم!!، وهي الدرجة الأعظم والدرجة الأكمل، والتي هي درجة الحبيب ﷺ:

{ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ }[١٤]

١٤ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر ﷺ

الخاشعون

فإذا جمَّل الإنسان نفسه بالصبر الجميل، وطلب من الله أن يمدُّه برتب الصبر العلية، بدأت تتنزل عليه العطاءات الإلهية التي لا تَعمُّل فيها للإنسان، من منَّا يستطيع أن يجلب لنفسه الخشوع؟! ومن منَّا يستطيع أن يأتي لنفسه بالحضور؟! ومن منَّا يستطيع أن يُذيق قلبه حلاوة الإيمان؟! ومن منَّا يستطيع أن يُلذِّذ نفسه في طاعة حضرة الرحمن؟! فهذه الأمور منحٌ إلهية، وعطاءات ربانية يُفيضها الله ﷻ على أهل الخصوصية، فينقله الله فضلاً منه ووهباً منه إلى مقام:...

﴿ وَٱلۡخَـٰشِعِينَ وَٱلۡخَـٰشِعَـٰتِ ﴾:

فيجعل الجوارح كلها، والنفس وما حولها تخشع للقلب، ولا تتحرك إلا بإذنه، والقلب يكون تحت هيمنة الرب، يتنزل له بالإلهام مباشرة، أو عن طريق ملك الإلهام، فيكون هذا العبد داخلاً على الدوام في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٌ ﴾ (٤٢الحجر) ... فلا يستطيع الشيطان أن يوسوس له، أو تُسوِّل له نفسه، لأنه أصبح في حصن مكين من عناية الرب تبارك وتعالى، ونظرات الرءوف الرحيم ﷺ.

المنفقون

فيشكر الله على عطاء الله، ويتصدق من كل صنف أعطاه له الله على المحتاجين لهذا العطاء من خلق الله، فينتقل إلى مقام الشكر ويدخل في قول الله ..

﴿ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾:

فيُنفق من المال الذي أعطاه له الله ولو القليل، فكان سـيدي أحمد بن عطاء الله السـكندري رضي الله عنه يقول: (تصـدق كل يومٍ ولو بنصـف تمرة تُكتب في ديوان المتصـدقين، وصلِّ في الليل ولو ركعتين تُكتب في ديوان القائمين،... وأكثر من ذكر الله لتُكتب في ديوان الذاكرين).

لا يوجد أحدٌ له عُذرٌ في التصـدق حتى ولو كان أفقر الفقراء، لأن الله عندما طلب الصـدقات أمرنا أن نسـارع إليها: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣آل عمران) وأول صـفة من صـفاتهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (١٣٤آل عمران)

فهل هناك عُذرٌ بعد ذلك؟ لا عُذر لأنه قال: (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّـرَّاءِ) وطالما قال في السراء والضراء فليس هناك عُذرٌ في الإنفاق لأي أحد من المسلمين، ولأن الله لم يقيد نصاباً للإنفاق، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[١٥]

فهل هناك من يعجز عن إنفاق نصف تمرة؟!! لا، وفي زماننا يتصدق ولو بربع جنيه، فمن الذي لا يستطيع أن ينفق ربع جنيه في كل يومٍ لمسكين او فقير أو محتاج؟!! لا يوجد، ولكنها تحتاج إلى:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[١٦]

لا نريد أن نكون موسميين، بل نريد أن نكون مستديمين في طاعاتنا عند رب العالمين، الصدقة يقول فيها ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ }[١٧]

وقال أيضاً:

{ تَصَدَّقُوا وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الأَعْرَاضِ وَالأَمْرَاضِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي أَعْمَالِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ }[١٨]

---

١٥ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ
١٦ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها
١٧ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﷺ
١٨ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

سبعين باباً تدفعهم الصدقة أقلهم الهم، والهم مصيبة المصائب، إذا أراد الله ﷻ أن يُظهر غضبه على إنسان سلَّط عليه الهم، فالهم جُندٌ من جند الله، يُسلطه على من يشاء من عباده، فإذا سلَّطه على عبد فلن يستطيع النوم، ولن يتلذذ بطعام، وسيهده الفكر، وتنتابه الأمراض، وما الذي يدفع الهم وأمثاله؟ الصدقة.

ولذلك باب الصدقة هو الباب السريع الذي يدخل منه أهل القُرب إلى حضرة الله تبارك وتعالى، لأنه الدليل على زكاة النفس، فقيام الليل يستطيعه البخيل، وصيام النهار يستطيعه الشحيح، لكن البخيل أو الشحيح لن يستطع أن يقوم بهذه العبادة لله ﷻ:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر).

فالعبادة التي تُظهر الإنسان عند حضرة الرحمن بأنه أصبح ذا نفس زكية أو نفس تقية هي الإنفاق، ولذلك كانت عبادة الحبيب صلى الله عليه وسلَّم والأنبياء والمرسلين والصالحين من خلق الله أجمعين الإنفاق.

تعوَّد بسط الكف حتى لو أنه طواها لقبضٍ لم تُطعه أنامله

كان صلى الله عليه وسلم دائماً يده مبسوطة بالعطاء، لماذا؟ لأن هذا الباب السريع الذي يقول فيه الله:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ }[19]

إذا أنفقت على عباد الله يُنفق عليك الله من جواهر علمه، ومن مكنون حكمه، ومن إلهاماته العلية، ومن علومه الوهبية، وغيرها من أحوال أهل الخصوصية، إذا تجملت بهذه المزية شُكراً لرب البرية عز وجل، فيكون باب الشكر باب المزيد: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

فإذا تجمَّل الإنسان بالشكر لله، ومدَّ يده بالعطاء لخلق الله، فإذا كان عنده علمٌ يمد الناس المحتاجين لهذا العلم، وهذا إنفاق، وإذا كان صاحب جاه يقضي للفقراء حاجاتهم طلباً لمرضاة الله، وهذا أيضاً إنفاق، وإذا كان صاحب كلمة مسموعة، يحل المشاكل، ويعقد مجالس الصُلح بين عباد الله، وعبادته هذه من أفضل العبادات وأفضل النوافل والقربات: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ (٧الطلاق).

فليس الإنفاق من المال فقط، بل كل شيء يعطيه له الله يُنفق منه على عباد الله، فإذا أعطاه الله ﷻ نوراً يُعطي هذا النور ويوزِّع من هذا النور لعباد الله الذين يطلبون القرب من حضرة الله، وهذه تكون النظرات النورانية التي ينظر بها الصالحون لأهل الخصوصية، ويقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

---

١٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

من نظرةٍ يرتقي المطلوب مرتفعاً إلى قدس الجلالة في حال المناجاة

وقال ﷺ:

وإن نظرتُ بعيني للعبد قد صار مولى وإن فتحتُ كنوزي أغنيتُ قولاً وفعلا

الحسد عبارة عن نظرة من العين من قلب مملوء بالحقد على الآخرين، هذه النظرة هل تؤثر أم لا تؤثر؟ تؤثر فوراً، فإذا كان القلب مملوء بالنور والهُدى واليقين، فإذا نظر بحنان وعطف إلى المريدين فإن النظرة تحوِّل المريدين إلى مقامات أعلى عند رب العالمين عز وجل، وهي النظرات التي نطلبها من الصالحين، والتي أمرنا الله أن نطلبها من سيد الأولين والآخرين ﷺ: ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ (١٠٤البقرة) انظر لنا يا رسول الله نظرة .. وعرَّفنا الله أنه عندما كان في رحلة الإسراء، كان الكل يطلب نظرةً من حضرته، قال ﷺ:

{ بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ، فَلَمْ أُجِبْهُ، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهِ، قَالَ جبريل: ذَاكَ دَاعِي الْيَهُودِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ أَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ، قَالَ: وَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: ذَاكَ دَاعِي النَّصَارَى،

أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّـرَتْ أُمَّتُكَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ حَاسِـرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ، تَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْـأَلْكَ، فَلَمْ أُجِبْهَا، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهَا، قَالَ: تِلْكَ الدُّنْيَا أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهَا لاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ }[20]

حتى ذكرت بعض الروايات أن إبليس كان واقفاً يطلب نظرة، فالكل كانوا واقفين يقولون انظرنا يا رسول الله:

لو نظرةً منه لإبليس انمحت عنه الشقاوة بالعطا المدرار

لو نظر له نظرة لانتهت شقاوة إبليس، فنظرات الصالحين هي عطاءات، وصدقة جارية يجرونها على الطالبين الصادقين والمخلصين فضلاً من عند رب العالمين عز وجل.

الصائمون

إذا تجمَّل الإنسان بمقام الصدقة، ومقام الإنفاق، وأنفق من كل وسعته من وقت ومن مال ومن حال ومن علم ومن غيره، جمَّله الله عز وجل بجمال عباده الصائمين ..

﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾:

20 دلائل النبوة للبيهقي والشريعة للآجري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

الذين صـــامت جوارحهم عن المعاصـــي .. وصـــامت أجســـامهم عن الغفلة .. وصامت قلوبهم عما سوى الله، وصامت أرواحهم عن النظر إلى مُتع الدنيا الفانية: ... فأصبحوا بالكلية لله جل في عُلاه، لأنهم أصبحوا خاشعين بالكلية لحضرة الله ﷻ .. فالصيام هنا ليس صيام الجسم فقط، ولكن صيام الحقائق كلها، وأعلاه صيام القلب عن كل ما سوى الله:

وما صـــام إلا عن ســوى ما يُحبه كـذلك عبد الذات في القرب طامع

أن يصـوم ويتجرد عن كل ما سـوى الله عز وجل، فيحفظه الله بحفظه، ويجعله من أوليائه، والأولياء لهم مقام الحفظ، والأنبياء لهم مقام العصـمة .. ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا ﴾ (٦٤يوسف) وهذا مقام الأولياء: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف).

دائرة الحفظ الإلهي

﴿ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾:

فيحفظه الله بحفظه ... ويحفظ جميع فروجه - أي فتحاته - فيحفظ العين، ويحفظ الأُذن، ويحفظ اللسان، ويحفظ البطن، ويحفظ اليد، ويحفظ الرجل، ويحفظ جميع فُرج الإنسان عن معصية الله طرفة عين، ويكون في حفظ الرحمن على الدوام.

الذكر الأكبر

ثم يتجلى الله عز وجل عليه فيجعل الله عز وجل منه على بال، فلا يغفل مع الغافلين، ولا يسهو مع الساهين، ولا ينسى مع الناسين، بل يكون حاضراً دوماً بقلبه وروحه مع رب العالمين، ويذكره في كل وقت وحين، فيدخل في أعلى مقامات القرب ..

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾:

هذا أعلى مقام.

وذِكر الله الكثير لا يكون إلا إذا ذكر الإنســـان الله بكل حقائقه، لأنه إذا ذكر باللســـان فهذا ذكرٌ قليل، لكن ذكر الله الكثير يكون باللســـان وبالقلب وبالعين وبالأُذن، وبكل الحقائق يذكر مولاه حتى يكون من الذاكرين الله كثيراً،...

قال صلى الله عليه وسلَّم لصحبه يوماً:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ }[21]

[21] صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }[22]

ولذلك جعل الصالحون الذكر الكثير دليل على أن الإنسان كتب في الملأ الأعلى من أولياء حضـــرة الرحمن، فقالوا: إن الله عز وجل يصـــطفي على الدوام، وتتنزل المنشـــورات بمن اصـــطفاهم الله: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٧٥الحج):

(يصـطفي) بصـيغة المضــارع، فالإصـطفاء مسـتمر إلى يوم القيامة، وعلامة الاصــطفاء أن يلهمه الله ذكره، فلا يكل ولا يمل ولا يغفل عن ذكر الله ﷻ طرفة عين ولا أقل.

كل الذي ذكرناه ســابقاً وسـيلة إلى ذكر الله، والغاية العُظمى أن يذكر الإنســان مولاه فيذكره الله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة).

نسـأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشـاكرين الفاكرين الحاضـرين بين يديه في كل وقت وحين ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٢ جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾

(الأحزاب)

٢٠.ذكر القلب[١]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي جمعنا على أصفيائه وخاصة أوليائه في هذه الحياة، ونسأله ﷻ أن يُديم علينا هذا الفضل الإلهي، وهذا الكرم الرباني ويزيدنا من فضله، فيجمعنا ظاهراً وباطناً على حبيبه ومصطفاه، والصلاة والسلام على نور الله الدال بالله على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هُداه، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

فضائل ذكر الله

إن أعظم طاعة يرجوها الله ﷻ منا ويرفع بها شأننا ويُعلي بها قدرنا ويُبلغنا بها مُرادنا هي المداومة على ذكر الله تبارك وتعالى.

ولذلك كان جُلُّ اهتمام الصالحين أجمعين وخاصة منهم الصادقين الإشتغال بذكر الله تبارك وتعالى في كل وقتٍ وحين، لأن الله ﷻ كرَّر هذا الأمر مراراً وتكراراً في كتاب الله، ولم يترك هيئة يكون عليها المرء إلا وذكرها مقترنةً بذكر الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران) وهذه تشمل كل أحوال الإنسان في كل وقت وآن.

---

١ المعادي ٢٥ من شوال ١٤٣٨هـ ١٩/٧/٢٠١٧م

وكلما ذكر الإنسان ربه كلما دنا من حضرته، وأصبح من ذوي القُربى في منازل قُربه وعزته، يكفي في ذلك قوله ﷺ:

{ أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى }[٢]

وقد قال بعض الصالحين مُعللاً ذلك: (إن ذكر الله تبارك وتعالى يحطم الذنوب حطماً) لا يخلُوا الإنسان من ذنوب، لكن أعظم طاعة تُزيل هذه الذنوب هي ذكر حضرة علام الغيوب ﷻ، ولقد قال في ذلك ﷺ مُوضحاً هذه الحقيقة:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }[٣]

ولعل لأهل الإشارة رموزٌ في هذه العبارة، فقد قال بعضهم: لا إله إلا الله عدد حروفها اثنى عشر حرفاً، ومحمدٌ رسول الله عدد حروفها اثنى عشر حرفاً، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، محا الله بها ذنوب اليوم والليلة، وعدد ساعاتهم أربعة وعشرون ساعة.

٢ جامع الترمذي وسنن ابن ماجة عن أبي الدرداء ﷺ
٣ مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس ﷺ

فذِكر الله ﷻ يمحو الذنوب، وذكر الله تبارك يجعل الإنســـان يعلو ذكره عند حضرة علام الغيوب، لقوله سبحانه وتعالى:

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ }[٤]

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة) فإذا ذكر الإنســـان ربه في أي موضـــع ذكره الله تعالى في ملأه الأعلى في قدس أقداس مناجاته، بين عُظماء الملائكة ووُجهائهم، وهذا يا هناه لذكر الله ﷻ له بهذه الهيئة وهذه الكيفية عند هؤلاء الملائكة المحظوظين بالقرب من الله تبارك وتعالى.

وذِكر الله ﷻ هو الذي يُهيئ القلوب لتُشـــرق فيها معالم الغيوب، فإن الإنســـان جعل الله ﷻ قلبه هو المركز الذي يظهر فيه نور العرفان، وأنوار ملكوت حضـــرة الرحمن، وهو الذي يُكاشف بنور النبي العدنان ﷺ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٦الحج).

---

٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

وعماها، أو عدم رؤياها يرجع لرمض في السـريرة، أو عمى في البصـيرة، والعمى في البصـيرة حفظنا الله ﷻ منه، لأنه للكافرين والمشـركين الذين كُتب عليهم الكفر إلى أن يخرجوا من الدنيا لعنة الله عليهم أجمعين.

أما المسلم والمؤمن فقد يُصاب برمد بسبب الذنوب، أو بصدأ بسبب الهوى، وهو أبو العيوب التي تحجبه عن مطالعة الغيوب، وفيه يقول ﷺ:

{ لولا أنَّ الشَيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوب بَنِي آدَمِ لنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَمَاء }[٥]

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ فَلَمَّا نَزَلْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيا، نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّي، فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِبَ }[٦]

جلاء القلب

ما الذي يُجلي الفؤاد ويرقيه ويصـفيه ويُعلي شـأنه حتى يُشـرف على ملكوت خالقه وباريه؟ قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[٧]

---

٥ ورد في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي
٦ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٧ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

وقلت أن الصدأ سببه الهوى، والصدأ الذي يصيب الحديد أو أي معدن سببه الهواء، وأيضاً الصدأ الذي يُصيب القلوب اتباع الهوى، ولذلك أهل الهوى الذين تعالجوا من هذا الداء ولا يحتاجون إلى دواء يقول فيهم ﷺ:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٨]

فبالله عليكم لو صرنا جميعاً على هذه الشاكلة هل يحدث بيننا خلاف؟! وهل يحدث بيننا خصومة؟! وهل يحدث بيننا لومٌ أو عتاب؟! أبداً، لأننا سنكون كلنا كالأجهزة التي توصِّل الإذاعات أو التليفزيونات، التليفزيون الذي هنا، كالتليفزيون الذي في أقصى الصعيد، كالتليفزيون الذي في أمريكا، كالتليفزيون الذي في اليابان، ما يُعرض فيه هنا كالذي يُعرض فيه هناك، مادام جهاز الإستقبال سليم، وجهاز الإرسال يوصِّل التيار بحال مستقيم، فالذي هنا هو نفسه الذي هناك، فلِمَ نَختلف؟!!.

الخلاف يحدث إذا كان الإرسال مقطوعاً، وكل واحد يُخمِّن، وكل واحد يحكي على حسب هواه، أو على حسب مناه، وهذا الذي جعل أصحاب رسول الله ﷺ المباركين، ومَن بعدهم من أتباع الصالحين الصادقين ليس بينهم خلافٌ ولا خصومة في نَفَسٍ ولا أقل في أي يوم من أيام الدنيا، لأنهم على الله مجتمعون، وبالحبيب ﷺ متأسُّون، ولا يفعلون قليلاً ولا كثيراً، صغيراً ولا كبيراً إلا عن أمرٍ من الله، وعن إمداد من رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٨ معجم السقروشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

هذا الأمر لمن أراد أن يكون من هؤلاء الأتقياء الأنقياء، ونحن والحمد لله جميعاً مؤهلين لهذه المقامات، ومعنا ما يُوصِّلنا لهذه الكمالات، بشرط أن لا ننشغل عن الله بالدنيا الدنية ولا بالأهواء المُردية ولا بالشهوات النفسانية، فلو حافظنا على ذلك:

ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يُبدِّل الله من حال إلى حال

فلا نحتاج إلى أيام ولا شهور ولا سنين ولا دهور:

بين نفسٍ ونفسٍ شئونٌ ... تتجلى حتى تراها العيونُ

إذاً الذي يؤهِّل القلب لما أقامه فيه مولاه، ولما خلقه من أجله الله جل في عُلاه، وقال فيه في كتاب الله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود).

هذا يحتاج منا إلى الذكر الصفِّي الخفي الذي يقضي على هذه الأغيار، ويفجِّر في القلب بأمر الله الأنوار، ويجعله محلاً لتلقي الأسرار، والفيوضات الإلهية من العزيز الغفار ﷻ، كل هذا يحتاج منا إلى ذكر الله، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول لمن يُشكك فيما قلناه:

أروني فتىً ذكر الإله مصدقاً ... ولم يرَ نور الله في كل وجهة

هات لي إنساناً في الكون شرقاً أو غرباً ذكر الله بصدق وأخلص في الطلب ولم يتحقق له مناه، ويشهد ما خصَّ به الله المقربين من عباد الله!! لا يكون أبداً، فما المانع؟ كما قال على لسان الحضرة الإلهية:

تـريـد أن تـرى حســـنـي وتـرقـى بــلا حــربٍ شـــديـدٍ لا يـكــون
فـمـن رام الـوصـــال إلــى جـنـابـي أصـــقِّـيــه وفــي هــذا فــتــون

فالذي يُريد أن يصـل بدون أن يجاهد فهذا يريد أن يقطع سـنة الله ﷻ في خلقه، ولن تجد لســـنة الله تبديلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) وماذا نفعل يـا رب؟ قـال: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) بعـد ذلـك يتحقق الإجتبـاء ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٍ ﴾ (٧٨الحج).

الولاية عناية ورعاية

وهنا أريد أن أكشـــف عن أمرٍ حتى لا يتوه الجميع: الولاية عناية، وبعد العناية تتحقق الرعاية، ليس -كما يظن البعض - الرعاية يعني عبادات ومجاهدات ثم تصـير الولاية، لا، فالرعاية والعبادات والمجاهدات يكون لها أجرٌ كريمٌ في الجنات، لأن هذا عابد من عبَّاد الله ﷻ، لكن ولاية الله خصوصية، والخصوصية لا تقتضي الأفضلية، وإنما جعلها الله ﷻ عطفاً منه،

وكرماً منه فضــلاً من حضــرته: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٢١الحديد) فهل هنا تحديد؟! لا، هل يؤتيه لمن يقوم الليل ويصـــوم النهار ويعمل كذا وكذا؟ لا: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد).

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (٤٦فصـــلت) لأن هذا فضــــلٌ من عنده، والعدل لو حرم صـــاحب العمل من الأجر، لكن هل حرمك من الأجر؟ لا، فأنت أخذت أجرك، لكن هذه هبات وعطاءات وتفضلات وخصوصيات.

وما ثمنها؟ لا شــيء، كل ما في الأمر كما كان يقول الصــالحون الصــادقون: ابحث عن قلب قريبٍ من الله - ولم يقولوا: ابحث عن رجلٍ - ولكن عن قلبٍ قريبٍ من الله، فتحبَّب إليه وتقرَّب إليه لعله يُحبك، فإذا أحبك نظر الله إليك في قلبه فأحبك، وإذا أحبك إلى حضـرته هداك وأهَّلك واجتباك، ثم بعد ذلك يصـدر لك قرار الإصـطفاء: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٧٥الحج).

بعض المريدين يحاولون أن يحكموا في هذه الأحوال بعقولهم الكاســـدة، أو بأفكارهم الفاســدة، فيقولون: فلان هذا لم يكن مع الشــيخ فلان في الفترة الفلانية، ولم يمشــي معه، ولم يذهب معه، كيف يكون صــاحب أحواله؟!! ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (٣٢الزخرف) هذا أمر لا يخصك.

لمن هذا الأمر؟! لله: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١٢٤الأنعام).

كان من الصـــالحين الســـابقين واللاحقين مريدين كُمَّل، والناس يرونهم أنهم الخلفاء والورثة، وعند انتقال الشيخ يظهر واحد لم يعرفوه ولم يشاهدوه، والشيخ يقول لهم: هذا هو خليفتي، فيقولون: لم نره ولم يحضـر معنا حتى يوماً ولم نرَ منه شـيئاً؟!! لنعرف أن هذا اختصاص من الله ﷻ وفضلٌ من الله سبحانه وتعالى.

لكن هنا الذي يحبه الله ماذا يفعل؟

يفوز بالتسـليم للولي الذي أشـار بذلك، لأنه لا يشـير لهوى في نفسـه ولا لشـيء عنده وإنما تنفيذاً لمراد الله جل جلاله.

أما المعترضين فيقولون: كيف يكون خليفة الشيخ ولم نره معه، ولم يذهب مع الشيخ؟!! هذه أمور اختصاص:

قد أكرم الله أهل العجز علمهم أسرار توحيده بالحال والقال
خلِّ الملامة فإن الله مقتدرٌ يعطي الولاية للساري وللقال

الولاية صُدَفٌ في خبايا الأيام، يخص الله ﷻ بها أقوام، قد يكونون غير ظاهرين في الدنيا، ولا بين الأنام، لكن تتنزل عليهم الملائكة من الله ﷻ بالسلام، قال الله ﷻ في الحديث القدسي:

{ أَوْلِيائِي تَحْتَ قِبَائِي لا يَعْرِفُهُم غَيْرِي }[9]

وقال ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ }[10]

والناس لا تعرفه، يظنون أن الولي الذي يُشار إليه بالبنان، والذي حوله الجماهير، والذي معه ختم المشيخة، والذي له سجادة (شيخ السجادة)، وأمثال هذا الكلام الذي فُتن به العوام!!.

لكن أهل الخصوصية يعلمون أن هذا الأمر فضلٌ من الله وخصوصية من الله:

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة).

٩ ورد في الإحياء للغزالي، وفي جمع الوسائل في شرح الشمائل للقاري
١٠ جامع الترمذي والحاكم عن أنس ﷺ

فذكِر الله ﷻ هو المهر الذي يُقدمه الإنســـان إلى مولاه، لعله تلحقه عناية الله، والذكر إذا كان باللســـان فيكون حســـنات، ويكون ظاهراً لكل الناس، لكن الذكر الذي ينال به فضـــل المذكور، الذي بدايته ذكر الحضـــور بالقلب مع حضـــرة من لا يغيب طرفة عين ولا أقل؛ ذكرٌ حضـــورٌ، فيكون حاضـــراً بجوانحه مع مولاه جل وعلا، ويتخيَّل في سويداء قلبه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد).

وعندما تسوّل له نفسه أمراً، يأتيه العتاب:

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ (١٤العلق) فحياته دائماً يعبد الله كأنه يراه، فإن لم تكن تراه

فإنه يراك، إلى (فإن لم تكن تراه) إذا فنى عن نفسه وكله تمتع بوجه الله جل في عُلاه.

ولذلك كان ســـيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضـــاه يقول: (ذكر اللســـان شـــقشـــقة) مع أن تلميذه سيدي عبد العال كان يقول: (صحبتُ سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما رأيته غفل عن ذكر الله طرفة عينٍ ولا أقل) فماذا كان ذكره؟ بالقلب ؟

وهل أحدٌ منا يرى ذكر القلب؟!

هل أحدٌ منـا يطلع على ذكر العـارفين بـالقلـب؟! لا يوجد أحد، فهذا بين العبد وربه، والقلب إذا ذكر وحضـــر لا يغيب عن الله، ولا يغفل عن ذكر مولاه طرفة عين ولا أقل.

بداية المنح الإلهية

وهذه هي بداية المنح الإلهية، وبداية العطاءات الربانية، كيف أصل إليها؟ تحتاج إلى منحة، لا يوجد لها دواء في الصيدليات يوصل إلى هذه الرتبة العلية، فماذا تحتاج؟

منحة من الطبيب المقرب إلى الحبيب، في الحال يجد الإنسان نفسه في هذا الحال المهيب، ومَنْ حوله لا يرون ولا يعرفون، ويظنون أنه صامت وغافل ولا شي، وهو مع الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ (٣٠فصلت)

هل يطرقون الباب؟! أو هل يستأذنون؟! وهل يراهم أحدٌ؟! أو هل يسمعهم أحدٌ؟

لا!! ... ولم يقُل تنزل، ولكن قال: (تتنزل) أي دائماً: ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠فصلت) أعطانا مثالاً من الحديث الذي يُدار بينهم، يعني لا يتكلمون في الأمور الدنيوية، ولا في الأهواء ولا الشهوات ولا الحظوظ النفسانية، وإنما كلامهم دائماً في جمال رب البرية، وفي عشق الحضرة المحمدية، وفي الحِكَم القدسية القرآنية، فكلامهم في مثل هذه الأمور.

لكن من الذي يراهم؟ ومن الذي يعرفهم؟

أحد الصالحين الكبار وهو الشيخ الجنيد ﷺ وأرضاه، ذهب لشيخه الشيخ السرِّي السقطي، فقال له: أنا سمعتُ حكمة من أحد الصالحين تقول: إن كل بلدة فيها أولياء لله لا يُعَدُّون، فطفت على بلدنا هذه بغداد فلم أعرف أي واحدٍ منهم، فقال له: وكيف تعرفهم؟!! كن منهم تراهم وأنت في بيتك، لكن كيف نراهم؟! وكيف نعرف الولي من غيره؟! هل ستذهب إلى المسجد لترى من يقوم الليل؟! هؤلاء عُبَّاد، أو من يصُوم النهار! هؤلاء عُبَّاد، وربما تكون العبادة معلولة!!، كما ورد في بعض الأثر:

{ يؤتي بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول ربّ العزّة جلّ وعزّ: صَلَّيت يوم كذا وكذا، ليقال: صلى فلان أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمتَ يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان أنا الله لا آله إلا أنا لي الدين الخالص، تصدّقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدّق فلان أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص فما يزال يمحو شيئا بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، ألغير الله كنت تعمل }[11]

[11] تفسير الطبرى

جبال من العبادة يعني مجتهد، لكن أنت عندما تمشـــي في بلدك وتتصــفح وجوه الناس فهل تعرف الولي من غير الولي؟! تعرفه في حالة واحدة إذا وصـــلت إلى مقام الأعراف: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ (٤٦الأعراف) فتكون قد أخذت دورة في علم السيميا، وهي أول علوم الكشف الإلهي الرباني؟ وأين دوراته؟ ليست في الأرض، ولكن دوراته في الملكوت الأعلى، فمن منا يذهب ليحضـــر دورات في الملكوت إلا وهو جالس هنا روحه تذهب للملكوت وتأخذ الدورة وتعود، لكن كيف يسافر؟!

هل توجد سفينة فضاء توصله؟! أو وهو هنا يشاهد الدورة وينتهي الأمر، فمعه طريقين إما هذا وإما ذاك ... فعندما يأخذ هذه الدورة: ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ (٢٧٣البقرة) فعندما يرى أحدهم يعرف أن هذا وليّ لله ﷻ، وجائز يعرف رتبته، وجائز يعرف مقامه، وجائز يعرف منزلته، المهم أن يعرف أن هذا له قدم في ولاية الله ســـبحانه وتعالى.

وربما من يكون لـه قدم في هذه الولاية يكون ما زال في التجريد بعيد، لكن عندما يراه يعرف أنه من المرادين والمطلوبين لرب العالمين ﷻ، فيناديه ليدخله إلى حضرة خالقه وباريه ﷻ، كل هذا من ذكر القلب.

الذكر الكثير

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ :

الذكر باللسان: ... لا بد له من انقطاع، إذا أكلت، أو إذا شربت، أو إذا نمت، أو إذا تكلمت، إذاً هل هذا الذكر يكون كثيراً؟ لا.

لكن الذكر بالقلب: ... ليس له انقطاع ولا انفصام، ينام وهو يذكر الله، وتتكلم والقلب يذكر الله، وتعمل أي عمل، أو تنشغل بأي شُغل، فتكون الجوارح مشغولة بالعمل والقلب مشغولٌ بمولاه، لا يتخلى عن ذكره جل في عُلاه طرفة عين ولا أقل.

ومهما نوضِّح فلن نستطيع أن نُصرِّح، لأن هذه علوم لا تُكيِّفها العبارات، ولا تلحقها الإشارات، وإنما هي من باب: ((ذُق تعرف)) وإسمها علوم الأذواق، كل العلوم التي نأخذها علوم ومعارف تأهيلية .. لكن متى نأخذ الدورة من أجل الولاية والعناية الربانية؟ عندما تترقى الأذواق، ونتلقَّى بالأذواق شراب الحضرة المحمدية، وشراب الحضرة الإلهية: ﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان) ثم تبدأ بعد ذلك دورات التلقي الروحانية ليدخل الإنسان في هذه الحضرات القدسية.

هذه الأمور التي ذكرناها كلها هل يراها أحدٌ بالعين؟! أو هل يسمعها أحدٌ بالأُذن؟! لا، فلا تحكم بالظاهر ولا بالمظاهر، وإنما اخضع لما حكم به الظاهر الذي أظهره الله ﷻ، ونور المصطفى له غامر، فهذا الذي تخضع له، فإذا قال كلمة: تقول: سمعنا وأطعنا على الفور، لأنها غيوب وأنت لا تطلع على الغيوب، لكن تسلِّم، لمن؟

فسلم لأهل الحال روحك واعتقد تفُز بشراب الراح عند وروده

فالذكر الكثير هو ذكر القلب إذا احتيا، وما الذي يُحيي القلب؟ كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((نَفَسٌ مع العارف حياة القلب، ونَفَسٌ في حياة القلب خيرٌ من حياة الفردوس، ونَفَسٌ في الفردوس خيرٌ من عمر الدنيا كلها من أولها لآخرها)).

نفسٌ بقلبٍ سليم رفعةٌ ورضا وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظاتِ
الجسم بالقلب يترقَّى إلى رُتبٍ والجسم من غير قلبٍ في الضلالات

نفسٌ بقلبٍ سليم تتنفسه مع صاحب القلب السليم رفعةٌ ورضا، وألف عامٍ مع العبادات والمجاهدات والمكابدات بلا قلبٍ كلحظات.

فالإنسان يحتاج - ليعرف الحقيقة واضحة جلية – للتعرض؛ التعرض لفضل الله، ولحملة الفضل الذين خصَّهم الله، وناولهم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ :

فالذكر الكثير هو الذكر بالقلب، لأنه الذكر الذي لا يتوقف ولا ينقطع ويظل دائماً مع الدائم ﷻ.

حقيقة التسبيح

ومن عجبٍ أن الآية قالت بعد هذه العبارة: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ :

ونحن جميعاً نعلم أن التسبيح ذكر، وأن التحميد ذكر، وأن (لا حول ولا قوة إلا بالله) ذكر، وأن تلاوة القرآن ذكر، وأن الصلاة على النبي ذكر، وأن الاستغفار ذكر، وأن درس العلم ذكر.

فلِمَ خصَّ الله التسبيح وخصَّ فيه البُكرة، والبُكرة يعني الصباح المبكر، والأصيل وهو بعد العصر أو عند غروب الشمس؟

﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾:

كلمة (سبحوه) في اللغة يعني نزههوه، والتنزيه هنا في هذا المقام - وهو مقام عالي لمن بلغ هذا المرام - أنه يُنزِّه الله ﷻ أن يكون - وهذا مشهد من المشاهد - هناك فعلٌ في كونه، أو بين خلقه بغير أمره أو إشارته تبارك وتعالى.

لأن الإنسان لا يفعل شيئاً قليلاً أو كثيراً، إن كان بجوارحه، أو كان بأجهزته الباطنية، أو كان بعقله، أو كان بفكره، أو بأي جارحة ظاهرة أو باطنة إلا بأمر ممن يقول للشيء كن فيكون.

فينبغي على الإنسـان أن ينسـب الأفعال كلها لله، وينسـبها إلى توفيق الله، ولذلك قالوا في هذا المقام: ((من أراد بلوغ المرام فلا يقُل مني ولا لي ولا عليَّ)) لأن أول الذي قال (لي) فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ (٥١الزخرف)

فماذا نقول؟ نقول من الله، وبتوفيق الله، وبرعاية الله ﷻ.

مثلاً يقول له أحدهم: كيف وصلت مشوارك في ساعتين والإنسان لا يصله إلا في أربع ساعات؟ الغافل يقول: أنا أخذتُ سيارة مخصوص، والسيارة كانت كذا، وأنا عملت كذا وكذا، أما الفاكر والذاكر والشـاكر يقول: هذا بتوفيق الله، يسَّـر لنا السـفر، والسـفر تسـاهيل، وحمانا من العقبات، وحمانا من النكبات، فأصـبح الأمر كأننا نطير في السماوات، فوصلنا في طرفة عين.

أو أن ابنك حصـــل في الثانوية – ما شـــاء الله – على مجموع ٩٨ % فيقول: أحضـرتُ له مدرس للإنجليزي بكذا، ومدرس لمادة كذا بكذا، ومدرس لمادة كذا بكذا، وأنا وأُمه نتابعه إلى أن وصل لهذا المجموع، فماذا يكون هذا؟ غافل.

أما العاقل فيقول: هذا بتوفيق الله، فهو الذي رعاه، وحفظه من الأمراض ورزقه الفهم، وأعطاه شرح الصدر للاستذكار، وأبعد عنه حاشية السوء، وأهم من هذا وذاك أن وفقه في الإمتحان.

كثير من الناس يدخل الواحد منهم الإمتحان ويكون مذاكراً مائة بالمائة، وعندما يدخل ينســى!!، وبمجرد أن ينتهي الزمن ويخرج يتذكَّر!!، فالأمر هنا يحتاج إلى التوفيق، والتوفيق لأنه من الله وعزيز لم يُذكر في كتاب الله إلا مرةً واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨هود) ولذلك قال حبيبي وقرة عيني ﷺ:

{ قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ } [١٢]

كما يحدث في الحياة الدنيا، فلان هذا من التجار أصبح غنياً في طرفة عين، فما الأمر؟ وفقه الله، وقد يكون ليختبره أو ليرفعه: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل) عندما يدخل على أي سـلعة يجد السـوق مواتية ويرتفع السـعر أضـعافاً مضـاعفة، بماذا؟ بتوفيق الله ﷻ ... فجائز أن الإنسـان يشـتغل بالعبادة، ولكن نفسـه تخدعه وتجعله يُعجب بنفسـه، فتضـيع العبادة كلها، أو تدخل له هفوة رياء فتضـيع العبادة كلها أيضـاً، لكن يحتاج إلى توفيق الموفق ﷻ، فلو عبد الله ﷻ العبادات المفروضة وأخلاها الله من الشوائب، بلغ أعلى الرتب.

الخوارج - هداهم الله - كانوا مجتهدين في الطاعات الظاهرة، فيُكثرون من الصلاة، ويُكثرون من تلاوة القرآن فيها، ومن الصيام،

١٢ أورده الغزالي في الإحياء، وذكره صاحب الفردوس

ومن الجهاد، فلما رأوا عبادة أصحاب رسول الله تقالوها، يعني رأوها قليلة في نظرهم، ورأوا أنفسهم أنهم أفضل من هؤلاء لأنهم زادوا عنهم في العبادة .. فذهبوا إلى سيدنا أبي الدرداء ليسألوا عن عبادته، وكانت عبادة سيدنا أبو الدرداء عبادة الأنبياء وهي عبادة التفكر، فسألوا زوجته: ما عبادة أبو الدرداء؟ فقالت لهم: كان يجلس يتفكَّر، وعبادة التفكر لا مثيل لها، قال ﷺ:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[13]

فلما جاء قالت له هؤلاء يقولون كذا واستقلُّوا عبادتك، فقال رضي الله عنه:

(عجبتُ للحمقى كيف يعيبون على الأكياس - يعني العقلاء - نومهم وفطرهم؟!! ولذرة من تقوى من عمل القلوب أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين)

المهم عمل القلب وليست العبادات الظاهرة.

فالمسلم دائماً وأبداً إذا أراد التوفيق يسلُك سبيل أهل التحقيق، فينسب الحول لله، والطول لله، والقوة لله، والفضل لله، ويتحقق بقول الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣النحل) فأيّ نعمة يُجريها الله عليك تكون من الله ﷻ، وهي تحتاج إلى تحقق.

---

١٣ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سيدنا موسى مع عُلو شأنه ورفعة قدره، كما ورد في بعض الأثر قال الله تعالى له: { يا موسى اسألني كل شيء حتى ملح عجينك - وروي: في شسع نعلك وعلف دابتك، فقال يا رب إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا - يقصد قضاء حاجته - فأستحي أن أسألك! قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك }[14]

إن لي حاجة أقضيها أستحي أن أسألك عليها، وهل تقضيها إلا بإذن الله؟!! لا تقل هذا شيء صغير وهذا شيء كبير، لأنها كلها لا تُقضى إلا بإذن الله ﷻ، .. وروي أن موسى رأسه أوجعته فقال: يا رب رأسي بها وجع، فقال له: اذهب إلى أرض كذا فإن فيها نباتٌ صفته كذا، وخذ منه وضع منه وضع على أضراسك تُشفى منه بإذني، ذهب إلى المكان ووضع من هذا النبات على أضراسه فشُفي بإذن الله.

وبعد بُرهة من الزمن عاوده الألم، لكن طبيعة الإنسان النسيان، فقال: أنا عرفت النبات، فذهب إلى المكان ووضـــع من هذا النبات فزاد الألم!!، فرجع وقال: يا رب المرة السابقة شُفيت، وفي هذه المرة زاد الألم، قال: يا موسى في المرة الأولى رجعت إلينا فجعلنا الشفاء في النبات، وفي المرة الثانية رجعت إلى النبات فنزعنا الشفاء من النبات!!.

---

١٤ جامع العلوم والحكم

فالتسبيح هنا هو أن ننزِّه الله ﷻ في كل أفعالنا وأحوالنا، يعني ننسب الفضل في كل حركاتنا وســـكناتنا، في أنفســـنا وفي أكواننا، وفيمن حولنا لله ﷻ إن كانت خيراً، وننسـب لأنفسـنا الشـر والضـُر والمكر والدهاء والذنب والغفلة: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ (٧٩النساء).

وهذا حال يحتاج إلى فعال ليتخلق الإنسان بهذا الخلق العظيم، فيصير من هؤلاء الرجال الذين مشوا على منهج الواحد ﷻ: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

كنوز فضل الله

فيدخل في فضـــل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾:

مشاهدات وتجليات وأنوار ساطعات، يكرمه الله ﷻ بهذه المنح الإلهية كما أُكرم بالمنحة الأولية وهي ذكر القلب:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾:

عندما نزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب) قال أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار: هذا لك يا رسول الله خاصة، وليس لنا نصيب في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال سيدنا أبو بكر، وكان أعظمهم علماً ونوراً وحكمة: (والله يا رسول الله ما خصَّك الله بشيء إلا وخصَّنا به).

انظر إلى الطمع في فضل الله وإكرام الله، فنزلت هذه الآية، كما أن الله وملائكته يصلون على النبي، فالله وملائكته يصلون على الولي الذي صدق في اتباع النبي وبلغ، هذا المقام الشهودي في ذكر الله ﷻ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ :

وهذا للأولياء، لكن كُمَّل الورثة لم تذكرهم الآية، وذكر الحبيب عنهم العناية، لأنهم في نفس الرتبة، وقال فيهم ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ وَمَلائِكَتَهُ، وَأَهْلَ الأَرْضِ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ }[15]

بل في الرواية الأُخرى:

{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ }[16]

وهناك فارقٌ كبير بين الصلاة بالاسم الذاتي (الله) والصلاة بإسم الهُوية (هو): فهذه حضرة وهذه حضرة، قد يكون عند العوام كله مثل بعضه، لكن الحضرة الذاتية (الله) غير حضرة الهُوية، لكن لهم نصيب في هذا التخصيص:. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ ﴾

وصـلاة الله ﷻ يعني صـلات الله، وعطاءات الله التي لا تنتهي، وهي عطاءات معنوية ونورانية وروحانية وإلهامية وكشفية لهؤلاء الرجال، عطاءات لا تنتهي.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ ﴾ يعني يصـلكم بعطاءاته التي لا حد لها، ولا عد لها، ولا انتهاء لها .. ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ أيضـاً يأتوكم لأنكم أصـحاب الخلافة، فيأخذون منكم حقَّهم الذي جعله الله ﷻ لهم على أيديكم.

---

١٥ فوائد تمام الرازي وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي إمامة ﵁
١٦ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﵁

﴿ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ :

والظلمات كثيرة والنور واحد:

فالظلمات هنا ظلمات الأغيار، يعني أن كل شـــيء غير الله يكون ظُلمة، .... ونور الله هو الذي يكنس ظلمات الأغيار من قلوب الأخيار ..... حتى تتنزل لهم فيها عطاءات الله ﷻ بالمدرار.

ظلمـت الأوهـام إلى نور اليقين، وظلمـات الأكوان إلى نور مكون الأكوان، وظلمات الطباع إلى نور خير الشـــمائل وخير الصـــفات، وهي الصـــفات الإلهية والشـــمائل المحمدية، والظلمات كثيرة، والنور واحد وهو نور الله الممتد، فالله نور، ورســـوله نور، والقرآن نور، والإســـلام نور، وكل هؤلاء: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (٣٥النور).

رحمة الله بالمؤمنين

﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ :

وكلمة (كان) في القرآن إذا ذُكرت بالنسبة لحضـرة الله، يكون معناها: (كان ولا يزال) وليس كـان وانتهى، وإيـاك أن تقول أن (كـان) هنـا فعل مـاضٍ نـاقص، لا، فـ (كان) إذا جاءت في القرآن مع إســم الله يكون معناها: (كان ولا يزال) ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (٧هود) وهل انتهى الآن؟ لا، بل كان ولا يزال.

وكان الله ولا يزال بالمؤمنين رحيماً، ورحمة الله الواســعة خصَّ بها عباده المؤمنين، وهي رحمة يقول فيها سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيَرْحَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَحْمَةً حَتَّى يَتَطَاوَلَ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ يُصِيبَهُ }[١٧]

إن الله يتجلَّى لعباده المؤمنين يوم القيامة برحمته، رحمةً يتطاول لها إبليس رجاء أن تُصــيبه عندما يرى رحمة الله الواســعة النازلة بالمؤمنين، فيطمع ويُظهر نفسه لعل أن تصيبه شذرة من هذه الرحمة الإلهية!!.

١٧ الأربعين في فضل الرحمة والراحمين لابن طولون الصالحي عن أبي هريرة ﷺ

وقد بيَّن النبي ﷺ في مثال واضـــح جليٍّ في إحدى غزواته في هذه الرحمة، وكانت امرأةٌ من الأعداء فقدت ابنها وحيدها، فأخذت تبحث عنه كالمجنونة، فلما وجدته ارتمت عليه واحتضـــنته وأمســكت به بذراعيها بكل قوة خوفاً أن يتفلَّت منها، فقال ﷺ لأصحابه:

{ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قالوا: لا، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا } [18]

ولذلك من يُيئِّســوا المؤمنين، ويُغلقوا باب التوبة على المســلمين، فهؤلاء من المحبطين الذين حذَّرنا النبي ﷺ من الاســتماع إليهم والجلوس معهم، لأن الله فتح أبواب التوبة للمؤمنين أجمعين .. إذا كان كما قيل فى الأثر:

(إذا تاب العبد تقول السماوات، وتقول الأرض، وتقول كل عوالم الله، افتحوا أبواب السماوات لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته)

لأنهم يعلمون أن الله ﷻ لم يقُل: (إن الله يحب العابدين) ولكن قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) ولم يقُل التائبين، فلو قال التائبين ســتكون التوبة لمرة واحدة فقط، ولكن قال: (التَّوَّابِينَ) الذين يتوبون باسـتمرار، فكلما وقع المؤمن في الذنب علم أن له رباً يغفر الذنب فيتوب إلى الله، فيتوب الله ﷻ عليه ... حتى ورد في الخبر:

---

١٨ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﵁

(أن رجلاً من بني اسرائيل قال لرجلٍ مُقنِّطاً عندما سأله: هل لي من توبة؟ قال: لا توبة لك، قال: فغضـــب الله ﷻ، وقيل: فيقول له الله تعالى يوم القيامة: اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها)

.كيف تقنط العبـاد من رحمـة الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾

(٥٣الزمر) أســـرفوا، وليس أطاعوا وتابوا وأنابوا!! ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (٥٣الزمر) يغفر الذنوب كلها .... ولذلك العالم هو الذي لا يُقنِّط العصـــاة من رحمة الله ﷻ، بل يفتح لهم باب التوبة، ويأخذ بأيديهم دائماً إلى الأوبة، فإن الله قال لداود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام في الأثر الوارد:

(يا داود من ردَّ إليَّ هاربا كتبته جُهبذاً، ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبداً) والجهبذ يعني العالم الكبير، وأوحى الله ﷻ إلى داود عليه السلام:

{ يَا دَاوُدُ أُنِينُ المُذْنِبِين أَحَبُّ إِليَّ مِن زَجِلِ المُسَبِّحِين } [١٩]

أنا أُحب هؤلاء الذين يئنُّون، لأن الذنب يكســـر القلب، والله ﷻ يريد المنكســـرة قلوبهم: (رُبَّ معصية أورثت ذُلاً وانكساراً، خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً).

---

[١٩] كشف الخفا للعجلوني

يكسر الذنب القلوب بوقْعه كسْرُه قربٌ إلى نور الكتاب

فإياك يا أخي أن تُقنِّط أحداً من رحمة الله ﷻ، وافتح الباب، واعلم أن رحمة الله واسعة، ويكفي فيها قول الله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٥٦الأعراف) كل شيء في الأكوان وسعته رحمة الرحمن ﷻ.

ولذلك عندما جاء إبليس إلى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه وظهر له، وقال له إبليس: هل لي من توبة؟ قال: لا، قال إبليس: ألم يقُل الله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾؟...

قال: لقد قال الله عقبها: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (١٥٦الأعراف)!

قال: ما كنتُ أعلم أنك بهذا الجهل يا إبراهيم، التخصيص صفتك لا صفته، فإن الله وسَّع الرحمة، وأنت تُخصِّص؟!! فبعد أن وسَّع الله فهل تُخصص أنت؟ وهذا مثل بعض الجُهَّال في زماننا هذا، فإن الله وسَّع رحمته لكل شيء وهم يضيقونها، فما شأنكم أنتم بهذا؟ دعوا رحمة الله لعباد الله، ولا تتدخلوا بين الله وبين خلقه.

الحكيم :

هو الذي إذا تدخل يُصلح الخلق على الخالق، لكن لا يردُّ الخلق عن حضرة الخالق، مهما كانت أوزارهم، ومهما كانت ذنوبهم فهو يعلم ذلك، وهو أعلم بذلك، وإياك أنت تطرد أحداً يريد أن يتوب، أو تُبعد أحداً يريد أن يرجع إلى حضرة علام الغيوب.

قالوا لسيدنا أبي ذرٍ ﵁:

إن أخاك فلان - أخوه في الإسلام - أسرف على نفسه في الذنوب، فقال ﵁: أرأيتم لو أن أخاً لكم وقع في بئر ماذا كنتم فاعلين؟ قالوا: نأخذ بيده حتى يخرج، قال: كذلك أخاكم إذا وقع في الذنب.

هل تأخذ بيد أخيك أم تتتركه لإبليس؟!!

كن أقرب لأخيك عندما يكون قريباً من إبليس لتنقذه منه، فنحن رحماء بخلق الله، ونريد أن نردُّهم جميعاً إلى حضرة الله بالحكمة والموعظة كما أمر الله، وبالهدي الطيب والسلوك القويم الذي نتأسى فيه بسيدنا رسول الله ﷺ.

هؤلاء الأقوام رحمهم في الدنيا، ورحمهم في الآخرة، رحم الله المؤمنين في الدنيا بالهداية وبالقرآن وبالإيمان وبالنبي العدنان، وبمراعاتهم وتوفيقهم في كل وقتٍ وآن، ويرحمهم في الآخرة فيُظلهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ويُدخلهم الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، ويبلغهم المنازل والدرجات العُليا بشفاعة إخوانهم وأحبابهم وإن لم يكونوا مثلهم في العمل، ويجعل الحبيب ﷺ

يأخذهم بيده الشريفة فيُسقيهم من كاسات كوثره، ويُدخلهم إلى منازل الرضوان ليكونوا معه في الجنان، فضلاً من الله ونعمة ورحمة من الله ﷻ دائمةً مستمرة لهؤلاء الصالحين، فما أعظم رحمة الله ﷻ بنا أجمعين.

التحية بالسلام

وأعظم منزلة في الجنة، وأعظم تكريم لأهل الجنة، وأعظم نعيمٌ في الجنة لأهل الجنة:

﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾

إما أن تحييهم الملائكة في الدنيا:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ (القدر) ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ (٣٠فصلت)

وإما أن يكرِّموهم عند خروجهم من الدنيا:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (٣٢النحل)

وتكرمهم الملائكة في الجنة بالمرور عليهم في كل وقتٍ وحين:

﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٢٤الرعد).

وإما أن يسمعون السلام من الحبيب الأعظم ﷺ، وإما أن يسمعون السلام من الله تبارك وتعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَـٰمٌ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يخصنا بذلك، وأن يجعلنا أهلاً جميعاً لذلك، وأن يوفقنا أجمعين للحصول على ذلك

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (٦٩-٧٣الأحزاب)

٢١.صلاح الأعمال[١]

بسم الله الرحمن الرحيم- الحمد لله الذي تولانا بعنايته، ووالانا بنظرات حنانته، وجعلنا على الدوام أهلاً لرعايته وحنانته، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والداعي إلى الله بالله على هُدىً وعلى طريق مستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وورثته والقائمين بدعوته، وأحبته، والسالكين على سنته، والراجين شفاعته، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

خير مجالس في الأرض وفي البرزخ وفي الجنة هي مجالس القرآن، ونسأل الله ﷻ أن يديم علينا هذه المجالس في قبورنا، وفي حشرنا، وفي الجنة بجوار حبيبنا ﷺ أجمعين.

هذه مجالس الله التي جعلها الله ﷻ روحاً وريحان، ورضاً ورضوان لأهل الإيمان وأهل الإحسان وأهل الإيقان ... فإن كل آية فيها عناية يكشفها الله ﷻ لأهل الولاية، ولا يزال يظهر من جمال معاني القرآن، وأسرار الله الخاصة في القرآن لأهل القرآن، حتى ينتهي الزمان ويفنى المكان، ولا تنتهي معاني القرآن، كما ورد في الأثر: (يَأتِي القُرآنُ يَومَ القِيَامةِ بِكْراً وكَأَنَّه لَم يُمس).

---

١ المعادي - ٢٥ من شوال ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٧/١٩م

والآيـة التي معنـا اليوم تحكي حيـاة الأنبيـاء والمرســـلين، وعلى أثرهم حيـاة الوارثين والصـديقين والصــالحين، ومن بعدهم حياة المؤمنين الصــادقين التي اختارها الله لهم في الدنيا ليكونوا أهلاً للسعادة العُظمى يوم الدين.

أذى موسى من قومه

مع أن الآية في بدايتها توجيه من الله لنا جماعة المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

لبيك اللهم لبيك: ﴿ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ﴾ والذين آذوا موســـى آذوه بما لم يخطر

على البال، فقد آذوه أشد الإيذاء في العقيدة السمحاء التي نزل بها من عند الله، فبعد أن نجَّاهم الله ﷻ من الغرق في اليم، وأغرق فرعون وقومه، وكانت فيها آيات لا تُعدُ ولا تُحدُ.

ضـرب موسـى البحر بعصـاه، والبحر على أصَّح الروايات هو خليج السـويس وليس البحر الأحمر، لأنهم عبروا إلى ســيناء، ومن يعبر إلى ســيناء يكون في خليج السويس، لكن البحر الأحمر يعبر إلى السعودية.

وانشق البحر إثنى عشر طريقا، لأن أولاد سيدنا يعقوب إخوة يوسف كانوا إثنى عشر، ولما جاءوا إلى مصر تناسلوا، فصارت كل قبيلة لرجلٍ منهم تعدادها خمسين ألفاً، فكانوا ســتمائة ألفاً، وهم أولاد ســيدنا يعقوب، وهم اليهود الذين قالوا: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (١٥٦الأعراف) يعني رجعنا إليك، فهم الذين سـمُّوا أنفسـهم باليهود ولم يُسـمّهم الله بذلك، وكذلك النصـــارى، هم أيضـــاً قالوا: ﴿ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ (١٤المائدة) والله لم يســـمهم بالنصــارى، ولكن نحن فقط الذين سـمَّانا الله: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (٧٨الحج) من قبل وليس من الآن.

ولكن هم من سـموا أنفسـهم: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ (٢٣النجم) فليس لها تأييد في عالم النور والتأبيد عند الحميد المجيد ﷻ.

والبحر قاعه طين، فسـلَّط الله عليه الشـمس، فجففت الطين، وأصـبحت الطُرق جافة يابســـة في طرفة عين: ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ (٧٧طه) يعني جاف، وبين كل طريق وطريق تماسك الماء حتى صار كألواح من الثلج تفصل بين الطريق والطريق، لأنه لو ظل ماءاً لأغرقهم ..

. وعندما ساروا قالوا: يا موسى نريد أن نطمئن على إخواننا، فضرب البحر، فصارت جبال الماء فيها نوافذ – شبابيك - يروا بعضهم ويكلموا بعضهم أثناء سيرهم ... وخرج آخرهم، ووصل فرعون ومن معه، وعلم أن هذا أمرٌ إلهي، فأراد أن يحجم عن النزول، فأمر الله الأمين جبريل أن ينزل راكباً في هيئة بشرية على ظهر فرسة أُنثى، وجاءت أمام فرس فرعون، وأخذت تداعبه ونزلت، فنزل الفرس وراءها، وتغطرس فرعون أن يرجع بعد أن نزل، مع أنه يعلم أن في ذلك حتفه!!.

ونزل فرعون ومن معه، وكان خروج آخر شخص ممن مع موسى مع نزول آخر رجل ممن مع فرعون، فضرب موسى البحر بعصاه فأُغرقوا أجمعين، إلا فرعون نجَّاه الله ببدنه ليكون لمن خلفه آية.

وموجود الآن في المتحف المصري كما هو، كيوم غرقه، وأسلم بسببه كبير جراحي فرنسا، فعندما جاءوا في الستينيات لاحتياج جسمه لبعض الترميمات، أخذوه إلى فرنسا، فالرجل الجراح الفرنسي بعد أن كشف عليه قال لهم: أين كان جسم هذه المومياء؟ فإن جسمه مملوء بالملح البحري، فذكروا له الآية، فآمن الرجل، وكان اسمه موريس بوكاي، وعمل كتاب بعد ذلك اسمه: (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) كتاب عظيم يبين فضل كتاب الله القرآن على هذه الكتب، لأنه الكتاب الوحيد الذي أخباره العلمية صادقة، أما الآخرين فليس لديهم أي خبر صادق لأنهم حرفوها وبدلوها.

بعد هذه المعجزة مشوا قليلاً، فوجدوا قوماً يعبدون آلهة، وهذا أول إيذاء، فقالوا: ﴿ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (١٣٨الأعراف) ما هذا؟!! لنعرف أنهم قومٌ ليس لهم في الإيمان والتُقى والخير والهُدى نصـــيب، فهل بعد هذه المعجزات يقولون نريد لنا إلهاً كهذه الحجارة ليعبدوه؟!!، فهذا أول إيذاء.

وبعد أن ذهب سيدنا موسى ليناجي ربه على جبل الطور، فدخلوا سيناء وتاهوا فيها أربعين سنة، ومع أنهم كانوا تائهين لأنهم تاهوا عن الطريق السديد، لكن من أجل موســـى فعناية الله كانت ترعاهم، فكان يُظلهم بالغمام، وينزل لهم المنَّ والســـلوى، والسلوى هي السمان، فكان ينزل مشوياً جاهزاً فيأكلوه مباشرة، والمن نوع من أنواع الحلوى وهو عسل، ولكنه عسل يصنعه الشجر وليس النحل، ما زال موجود منه أثرٌ بسيط ولكن في بلاد الشام ... فينزل السمان مشوياً فيأكلوه، ويُحلون بالعسل، ومع ذلك لم يعجبهم، وقالوا: نريد أن نأكل عدس وبصـــل والفوم وهذه الأشـــياء التي عددوها: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ (٦١البقرة).

لم تعجبهم الجنة!، وكانوا في الصحراء وسيدنا موسى كان معه صخرة صغيرة، وكلما عطشـوا يضـرب الصـخرة بالعصـا فتُخرج اثنتا عشـرة عيناً، وكل عائلة من الستمائة ألف تشرب من عين، فمعهم المياه جاهزة، ومع ذلك كلما يريدوا أن يخرجوا من سيناء يتوهوا!!، لأنهم لا يريدون معرفة طريق الله ﷻ.

فذهب موسى ليناجي ربه ومعه هارون، وسيدنا هارون جاء أجَلُه، فعاد موسى فسـألوه: أين هاورن؟ فقال: مات، فقالوا له: أنت الذي أمتَّه لأنه كان يُحبنا أكثر منك، وكان أكثر حنّية بنا عنك، وأرادوا أن يقتلوه، لولا أن الله أوحى للملائكة أن انزلوا وخذوا هارون وأروه لهم، فعرفوا أنه مات، ووضعوه في قبر لا يعلمه إلا الله ﷻ لكي يبرأه من هذه التهمة.

كانوا معه بهذه الكيفية على الدوام، إلى أن تجلى الله جل في عُلاه على سـيدنا موسى، وعاد من شدة ما غمره الله به من الأنوار كان لا يرى أحدٌ وجهه إلا مات في الحال، من الأنوار التي فيه، فوضـع لثام - يعني غطاء - على وجهه فلم يمنع النور، فوضع لثامين اثنين على وجهه حتى يمنع النور حتى لا تصيب النظرة منه، كما كان سيدي أحمد البدوي، فقد ورث هذا الحال، قويَ نوره فوضع على وجهه لثامين.

وقال له سيدي عبد الرحمن أخو سيدي عبد العال: يا سيدي أريد أن أرى وجهك، قال: لن تستطيع، قال: ياسيدي أُريد أن أرى وجهك، قال: النظرة برجل، فكشف اللثام الأول عن وجهه فكُشف القناع عن قلبه ومات!، أحوالٌ علية يجمِّل الله بها أهل الخصوصية ... فلما فعل ذلك سيدنا موسى قالوا: إنه يداري نفسه، فلا بد أن جسمه فيه عيبٌ ولا يريد أن يُظهره، أو عنده بُرص في جسمه - حاشا لله ﷻ - ولا يريد أن يُظهره، أو عنده الخصيتين منتفختين ولا يريد أن يرينا نفسه، فيغطي نفسه وهم أهل شائعات.

فأراد الله ﷻ أن يُظهر الحقيقة:

فكان يوم سوق عندهم - وهذا الكلام كان في مصر قبل أن يذهب إلى سيناء - وسيدنا موسى نزل نهر النيل ليغتسل، ووضع ثوبيه على حجر، وبعد أن اغتسل وخرج ليلبس ثوبيه جرى الحجر أمامه، فسيدنا موسى أخذ يجري خلفه، والحجر يجري أمامه حتى دخل السوق ومرَّ في كل السوق، وسيدنا موسى غير منتبه، فأراد الله أن يريهم أنه بريء مما يقولون: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾.

ومرةً أُخرى: قارون كان ابن خالة سيدنا موسى فقال له: يا موسى ادعُ لي بأن يوسِّع الله عليَّ وأنا سأكون عبداً شكورا،

فقال له: أخشى أن تطغيك النعمة: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق) قال له: لا تخشى وسأكون شكوراً إن شاء الله، فدعا له، وكما يحكي القرآن، كثرت الخيرات عنده حتى أن مخازنه مفاتيحها كان يحملها ثلاثون رجلاً: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ (٧٦القصص) يعني الجماعة الكبيرة الأشداء،

وسبحان الله!! ما كان يتباهى به قارون أعطاه الله لنا الآن في ورقة صغيرة (فيزا) تضع فيها أكثر من خزائن قارون، لتعرفوا فضلكم عند الله ﷻ.

فلما وُسِّع على قارون غار من سيدنا موسى، كالمعتاد في كل زمانٍ ومكان يغار أهل الدنيا - مع أن معهم الدنيا - من أهل الآخرة مع أنهم تركوا لهم الدنيا، لماذا؟

من حب الناس لهم، يريد أن يأخذ مع الدنيا حب الناس لهؤلاء الأقوام، فكيف تأخذ هذه مع هذه؟!!.

وجاء في يوم العيد وصنع لنفسه كرسياً من ذهب، وعملوا احتفال كبير واتفق مع امرأة مومس من بني إسرائيل أن تحضر أمام القوم وتقول: أن موسى فعل معي كذا وكذا، وأخذ قارون يُحدِّث بني إسرائيل عن خبر سيأتي عن موسى وستعرفوا حقيقته يوم العيد، فاجتمع الناس ليعرفوا هذا الخبر، وعمل مسرحاً وجلس على الكرسي وجاءت المرأة.

وحتى نعرف أن الذي بيده تقليب القلوب هو الله ﷻ، فإياك أن تخاف وأنت مُلجئٌ ظهرك إلى مولاك، فمهما تكاثر المتآمرون، ومهما تآلب المغترون، فإن الذي بيده تقليب القلوب قال في قرآنه: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (٣٠الأنفال)

والمكر هنا معناه التدبير، وليس معناه هنا المكر السـيئ، فالمكر السـيئ ذكره الله بإسمه، وبأهله:﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (٤٣فاطر) لكن مكر الله معناه التدبير.

فغيَّر الله ﷻ بعنايته قلب هذه المرأة وهي قادمة في الطريق، وقالت في نفسـها: أنتِ لم تفعلي خيراً قط في حياتك، فحياتك كلها فُحشٌ وآثامٌ وذنوب، فهيا اعملي لنفسك خيراً اليوم لعل الله يتوب عليك وينجيك!!، من الذي يهمس في القلب بهذه الأمور؟ الله وليس أحدٌ سـواه، فقدَّمها قارون وقال: إن فلانة هذه تقول أن موسـى فعل معها كذا، فقالت: لا، أنا لم أقُل ذلك، وأنت الذي قلتَ لي أن أقول كذا وكذا، وموسـى طاهرٌ وشـريف، ولم يقترب مني ولم يفعل معي شـيئاً قط!! ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ما ذكرناه هو بعض الإيذاء من قوم موسى لموسى.

أسباب نزول الآيات

ولماذا أنزل الله هذه الآية التي ذكرناها؟

لما بدأ المنافقون كهيئتهم في كل زمانٍ ومكان يؤذون رسول الله، فمرة آذوه لما أمره الله ﷻ أن يتزوج ابنة عمته السيدة الزكية زينب بنت جحش، وألَّفوا روايات فقالوا: أنه رآها وهي واقفة على الباب والهواء رفع ثيابها فأُعجب بها!!، وهي ابنة عمته ويعرفها وتعرفه، وهي التي تستشيره في كل أمر، لكن هي روايات لكي يُشينوا الحبيب ﷺ.

ومرة يُهينوه في زوجته التقية النقية السيدة عائشة، ومرة يهينوه فيقولون: إنه أبتر، يعني ليس له عقِب، وكل أولاده بنات .... وليس له نسل، ... فقال له الله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ (٣الكوثر) يعني مبغضك هو الأبتر، وكثير من مثل ذلك.

ثم جاءت الإساءة من الأحبة، وهي المشكلة الكبيرة التي بسببها نزلت الآية، فسيدنا رسول الله جاءته غنيمة وكان يوزعها، فأحد الحاضرين من الجفاة الغلاظ قال له:يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ، قَالَ:

{ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ }[٢]

وجاء رجلٌ آخر حدثت مشكلة بينه وبين سيدنا الزبير بن العوام:

---

٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ

كانت أرضـــهما متجاورتان، ولكن أرض الزبير بعده ولكي يروي الزبير لا بد وأن تمر المياه عند هذا الرجل أولاً، فقال له الزبير: أنا ســأقتطع قطعة أرض أحفر فيها قناة، فقال له الرجل: لا، فاختلفا، واحتكما عند رسول الله، وسيدنا الزبير كان ابن عمة النبي، فقال الرجل للنبي: أتحكم له لأنه ابن عمتك؟!! فالإيذاء عندما يأتي من حبيب يكون شديداً.

فعاتبهم الله ﷻ لأنه يُحب المؤمنين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ﴾:

هل ستفعلون مثلما كان يفعل قوم موسى معه؟! التزموا بالآداب التي علَّمكم الله إياها في الكتاب، وقد علَمنا الله الأدب الجم مع سـيدنا رسـول الله في آيات كتاب الله، وقد قمنا بعمل كتاب في هذه الآداب.

الوجاهة عند الله

﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾:

كان وجيهاً عند الله، وما وجاهته؟ كان لا يسأل الله شيئاً إلا ولبَّاه، ولا يدعو الله إلا أجاب نداءه، ولا يخطر على باله شيء - وإن لم ينطق لسانه - إلا وحقق الله ﷻ له مناه، فهذه هي الوجاهة، فوجيه يعني مُجاب ومحقق الرجاء من الله.

وفي قراءة أخرى لسيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: " وَكَانَ عَبْداً لله وَجِيهًا ".

والوجاهة هنا غير المقام الآخر: ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ (٤٥آل عمران) و هذا

لسيدنا عيسى، فهذا مقام، لكن المقام الأعلى: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٦٩الأحزاب).

لماذا ساق الله لنا هذه الآيات؟ لكي نعرف أن كل من يتعرَّض لدعوة الله، ويختاره الله لإمامة الخلق في طريق الله لا بد أن يكون له نصيباً في هذه الإيذاءات كأنبياء الله ورسل الله، وخاتم رسل الله ﷺ.

الذي يريد أن يكون في مقامهم ويرث أحوالهم ولا يتعرض لمثل ما تعرضوا له، فهذا يطلب المحال، لأنها سنة الله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (٤٣فاطر) وها هو خيارهم الكريم الحبيب ﷺ.

القول السديد

فماذا نفعل بعد هذا يا رب؟ وجَّه لنا رسالة، وهذه الرسالة ليتنا نعمل بها، حتى نُحشر في الرتب العُليا مع أهلها، الذي يريد وِرْد واحد يوصله إلى أعلى الدرجات عند حضرة الواحد، ما هذا الورد؟ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ :

قبل أن تبحث عن تلاوة القرآن، أو ذكر الله، أو الاستغفار، أو الصلاة على حضرة النبي، أو النُصح للناس، أو الخُطب المنبرية، أو الدروس المسجدية .. أهم شيء لك قبل هذا كله:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[٣]

اتقِ الله أولاً، يعني خاف الله، واعلم أن الله يطلع عليك ويراك، نزّه الله ﷻ أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك.

تعامل مع الله إن أردتَ أن تكون من عباد الله الأخيار الأطهار مع الحبيب وأصحابه الأبرار وآله الأطهار.

لا تنظر إلى الخلق، واجعل نظر قلبك موجهٌ إلى الحق، الكلمة التي ستقولها إلى أي إنسان، من أول من يسمعها من لسانك؟ حضرة الرحمن، والنية التي تصحبها في قلبك ولا ينطق بها لسانك من الذي يعلمها ويحاسبك عليها؟ ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٤البقرة) ... الناس يظنون أن الله يحاسبهم على ما قالوه فقط، لكن النوايا والطوايا من الذي يطلع عليها؟ علام الغيوب.

فإذا راقب الإنسان هذا الحال تخطَّى كل المنازل والأحوال وأصبح وجهاً لوجه في مواجهة الواحد المتعال ﷻ، وهذا هو الورد الأول، وهو:

---

٣ جامع الترمذي ومسند أحمد

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[4]

أمسكت لسانك، لا سبٌ، ولا شتم، ولا لعنٌ، ولا غيبةٌ، ولا نميمةٌ، ولا شيء من هذا القبيل، فأنت في سلام، وأي ذكر تذكره سيكون في صحيفة حسناتك على التمام.

لكن لو لم تُمسك لسانك فكأنك تعمل لغيرك، كيف؟

كل ما تعمله من الحسنات سيتحوَّل لمن تتكلم في حقه، والآخر تتحوَّل له حسناتك، فتكون قد عملت لغيرك على الدوام.

لكن أنت تريد أن تصل إلى مبتغاك، فأغلق لسانك عن السوء لكل عباد الله ظاهراً وباطناً، تنل المُنى بفضل الله وببركة رسول الله ﷺ.

والقول السديد يعني القول الصائب، فالكلمة هي الكلمة، لكن كلمة إذا قُلتها ملكتك، وتعرضك للمحاكمة إن في الدنيا أو في الآخرة، وتعرضك للحياء وللغم والهم وللندم، فكيف تخرج منها؟!.... وكلمة إذا قُلتها رُفعت بها إلى أعلى الدرجات عند الله عز وجل، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }[5]

وفي رواية أخرى:

---

٤ جامع الترمذي ومسند أحمد
٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا }[٦]

وسبعين خريفاً يعني سبعين سنة، ولذلك المؤمن يجاهد ويجاهد حتى يدخل في قول الحبيب ﷺ:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }[٧]

كل كلمة ينطقها بها يكون معه فيها توفيق الله، وهي ترجمة للآية القرآنية: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٢٤الحج) هداهم الله إلى هذا القول الطيب: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

الذي يهديه الله يهديه للقول الطيب لخلق الله، فكلمة تنطق بها قد تجعل العبد الذي يسمعها أمامك يدخل في دوامة من الأمراض لا ينتهي منها!!، وكلمة تقولها قد تكون لمريض يعاني من جمّ غفير من الأمراض تنتفض عنه الأمراض كلها ويقوم سليماً معافى،كل هذا من الكلمة.

---
٦ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧ جامع البيان للطبري عن ثوبان رضي الله عنه

فالكلمة هي الجهاد الأعظم لمن أراد أن يُكرم، وهي الباب لمن ترك حظه وحبله لهواه ونفسه فيُحرم والعياذ بالله ﷻ ... ولذلك عندما ذهب رجلٌ إلى سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، فقال له: أريد وِرداً، فقال له: ((: الورد عندنا شيئان اثنان، إذا عملتهما نعطيك الأوراد بعدها: الورد عند المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى)) كأنك تعمل عملية جراحية، وتستأصل الهوى من داخلك، فتكون كما قال الحبيب:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٨]

وتكون قد فُزت وجُزت، ولن تفعل ذلك إلا ومعك المحبة لله ﷻ، وبعد ذلك أي ذكر سيوَصِّل، وكلها وسائل، وبعدها تتوالى عليك الرسائل من الله ﷻ تعينك على تحقيق هذه الوسائل لما تريد، ولما تبغيه من الحميد المجيد ﷻ.

قيمة الصمت

ولذلك علامة أهل الإيمان في هذا الزمان (الصمت) والذي لا يستطيع علاج مرض الكلام وشهوة الكلام عنده، فكيف يعالج شهوات النفوس الخفية؟ أول شيء تعالج منه داء الكلام، لأن الكلام شهوة، ففي أي شيء أتكلم يا رب؟

٨ معجم السقروشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ ﴾ (١١٤النساء) ما المسموح به؟ ﴿ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١١٤النساء) ولخَّصها لنا رسول الله ﷺ في عبارة على قدرنا، لأن عبارات القرآن قد تكون غير واضحة لنا، فقال:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }[٩]

احسب لنفسك وليس لغيرك، فالكلمة التي تقولها أنت تعلم ما في باطنك، والله يحاسبك على ما في باطنك، وليس على ما ينطقه فاك، كان الرسل يذهبون لرسول الله ولا يعرفون كيفية الكلام، فيدعون له ويُخطئون في الكلام، فسيدنا رسول الله يرى سلامة نيتهم فيقول ما معناه: (اللهم تقبل منه بما في قلبه ولا تؤاخذه بفلتات لسانه) ..

لأن قلبه سليم، ويأتي أُناسٌ آخرون فُصحاء في الخطابة ويدعون بأدعية فيها سجع، ولكنه لا يريد ذلك، فرسول الله يقول: (اللهم استجب بما نطق به لسانه ولا تؤاخذه بما في فؤاده وقلبه) فأنت الحسيب على نفسك، حاسب نفسك:

حاسب ضميرك والحظن أسراري واعكف على باب الصفا يا ساري

انظر هذه الكلمة ماذا تقصد منها؟ وما نيتك منها؟

---

٩ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب

إن كانت لك ومنفعة لمن حولك، فأخرجها، وإن كانت ليست لك فلماذا تنطق بها؟ لا تُخرجها حتى تكون قد استرحت من همها وغمها وحسابها، إن كان لمن قيلت له، أو عند الله ﷻ، وهذا الأساس الأول.

مِنَح القول السديد

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ : من يُصلح قوله فما النتيجة؟

انظروا إلى المنح الإلهية: ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ : ويصلحها يعني يتقبلها بقبولٍ حسن، فقبول الأعمال رهن بسداد القول وصدق القول ... وماذا أيضاً؟ ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ ستكون سبباً لمغفرة الذنوب، وكل هذا من القول السديد.

وماذا أيضاً؟ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾: دخلت في طاعة الله ورسوله، وما دُمت دخلت في طاعة الله ورسوله، ستصل إلى المرحلة الأعظم الرابعة وهي الفوز العظيم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ كل هذا ثمار ونتائج القول السديد.

ولذلك أول مجاهدة للعبد الرشـــيد في ســـداد القول، ألا يقول إلا ما يُحبه الله ويرضاه، ويفرح به الخلق ويشكروه عليه إن عاجلاً أو آجلاً على قوله الذي هو كبلسم للشـــفاء لهم في هذه الحياة من كل الأدواء، فهذا الجهاد الأعظم ... بعد ذلك أُذكر الله، وأقرأ كتاب الله، وأكثر من النوافل، وأتصـــدق وغير ذلك، كل هذا ســـهل بعد ســـداد القول.

أحياناً الواحد منا يُحسن إلى إنسـان وربما يكون أقرب الناس إليه كزوجته دهراً طويلاً، فيقول كلمة واحدة تُعكِّر كل ما فات!!، فيقول في نفســـه: لا أعلم كيف قلتها؟! كيف لا تعرف؟! وهل أنت من العجزة؟! أنت من الأكياس الذين قال فيهم حضـــرة النبي:

{ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ }[10]

عملت جميلاً في أي إنســان فلا تضـيعه بكلمة، واجعل هذا الجميل في صـحيفة أعمالك، لأن الكلمة ستُضيِّعه وستُشيِّعه، لكن الكلام الطيب فهذا الذي أمرنا به الله.

[10] جامع الترمذي وابن ماجة عن شداد بن أوس ﷺ

الأمانة التي حملها الإنسان

ثم لفت الله ﷻ نظرنا إلى المهمة العظيمة التي من أجلها اختارنا لخلافته في الأرض، فقال عز شــأنه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾.

أين الأمانة التي عرضها الله على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال؟

الحقيقة المفسرون السابقون والمعاصرون لهم أقوالٌ كثيرة في هذا الباب، وكلها نتيجة فكر، فمنهم من قال أن الأمانة هي التكاليف الشــرعية التي كلَّفنا بها الله، لكن بالله عليك هل الله كلَّف السماوات والأرض والجبال بهذه التكاليف الشرعية؟!!.

ومنهم من قال أن الأمانة هي الفرائض التي فرضــها علينا الله، وهل فرض الله على هذه الأشـياء الصــلاة والصــوم والزكاة والحج؟! لا ... ومنهم من قال أن الأمانة هي العقل لأنه هو الذي اختص به الله الإنسـان، ولكن عندما ننظر في ميدان العلم نجد أن لكل كائن أياً كان نصــيبٌ من العقل، وليس الإنســان وحده الذي له عقل!! أقوال كثيرة لا نريد أن نخوض فيها لكي لا نشغل البال بها، لكن ما الأمانة التي اختصنا بها الله وعجزت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها؟ الإمام أبو العزائم ﷺ قال لنا:

(الأمانة هي ما فيك من أوصاف خالقك وباريك).

الأوصـــاف الإلهية التي اختصــك بها الله ولم يختصُّ بها أحداً ســواك، وهي في الحقيقة أوصــاف العلي القدير ﷻ، مثلا: هو الســميع فجعل لك ســمعاً، وهو البصــير فجعل لك بصــــراً، وهو الحيُّ فجعل لك حياة، وهو العالم فجعل لك علماً، وهو المريد فجعل لك إرادة، وهو القدير فجعل لك قدرة ... كل هذه الأوصاف ليست ملكك، ولكنها لله ﷻ.

أما أنت فأصــــلك: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (١٢المؤمنون) إما من تراب وإما من طين، وإما من ماء مهين: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢٠المرسلات).

وقبل ذلك: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ (٩مريم) وبعد ذلك التسلسل، من التراب، والتراب نزل عليه الماء فأصبح طيناً: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (١٢المؤمنون) والطين خرج منه النبات: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (١٧نوح) والرجل والزوجة تغذَّيا بالنبات، فخلق الله من هذا النبات الماء المهين: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢٠المرسلات).

كل هذه الأطوار لو نظرنا إليها كما أمر الله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٥الطارق)

لو نظرنا في أي طور من هذه الأطوار، هل التراب يسمع؟! وهل التراب يُبصر؟! وهل التراب يتحرك؟! وهل الطين كذلك يسمع أو يُبصر أو يتحرك؟! وهل الماء المهين يسمع أو يُبصر أو يتحرك؟! وأنت: أكنت سميعاً أو بصيراً وعالماً؟!.فمن أين جاء السمع والبصر والفؤاد؟ تجلى بهم الله في عُلاه ليجملك بأوصاف الله التي لم تقبل منها السماوات والأرض والجبال إلا أوصافاً محدودة ومعدودة، وأنت الذي جُمعت فيك أوصاف الألوهية، ولذلك استحققت الخلافة عن الحضرة الربانية: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة) خليفة في أي شيء؟ خليفة عن الله في أوصاف الله ﷻ ..!! ..

فكل ما فيك من أوصاف علية فهي أوصاف الحضرة الربانية، وهي الخصوصية التي جعل الله ﷻ لك بها الأفضلية، فلا تنسبها لنفسك، ولا تعصى بها ربك، بل اجعلها باباً تصل به إلى رُتبة الأحباب، وتدخل في قول الله: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (٥٠ص).

هذه الأمانة الأرض أخذت منها اسم واحد وهو اسم الباسط، والجبال أخذت القوي المتين، والماء أخذ اسم الحي: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (٣٠الأنبياء)

والسماء أخذت اسم الرافع: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (٧الرحمن) كل شيء أخذ اسم واحد على قدره، لكن الذي أخذ كل الأسماء والأوصاف الإلهية أنت:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ﴾ يعني عرضها عليهم ﴿ ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ (٧٢الأحزاب) إشفاقاً وخوفاً من الله ﷻ، خوفاً أن لا يقوموا بحفظها وأداء حدودها التي جعلها الله ﷻ مرتبطةً بها.

﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾: أنت الذي حملتها، ولم يقُل (وحملناها الإنسان) فلو قال ذلك يُعينك عليها، ولكن أنت الذي حملت باختيارك.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾: إنه قبل حمل هذه الأمانة ظلوماً وجهولاً، ولكن بعد حمل الأمانة صار عليماً بعلم الله، وصار عادلاً بشرع الله، وصار في الكون خليفة عن الله إذا طبَّق شرع الله ﷻ في كل أنفاسه وفي كل أحواله في هذه الحياة.

هذه الأمانة عندما حملها الإنسان باختياره تعهَّد الله ﷻ أن يُعينه عليها، فأعانه الله ﷻ عليها فضلاً من الله ونعمة، أعان عليها المؤمنين،

ووكل المنافقين والمنافقات والمشـــركين والمشـــركات إلى أنفســـهم!، فأنت إذا أُعنتَ على حمل الأمانة وعلى خير الذكر والشـــكر والعبادة لله، فاعلم أنه بتوفيق الله ومعونته: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة).

وانظر إلى من حولك الذين وكلهم الله إلى أنفسهم وخزلهم:

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ أوكلهم إلى أنفســـهم فلم يســـتمعوا إلى نداء الإيمان، ولم يستجيبوا لحضـرة الرحمن، وكذلك: ﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ الذين ختم الله على قلوبهم وعلى ســمعهم وعلى أبصـــارهم، وجعل عليهم من ناحية الإيمان والهداية غشاوة: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨البقرة) لا يرجعون إلى الحق.

﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

وهذا هو الفضـــل، يتوب على من أخطأ منهم، ومن تحوَّل قليلاً، ومن وقف مع شـهوة نفسـه، ومن مال مع حظه، لأن الله تعهد بإعانته فيفتح له باب التوبة والأوبة ... وبشرهم وقال لهم: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ما دمت تسعى بجد لحمل الأمانة.

نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يُكمل علينا تمام المنة، وأن يجعلنا من الذين يســتمعون القول فيتبعون أحســنه ... وصــلى الله على ســيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فاطر)

٢٢.وراثة الكتاب [١]

بســم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أثلج صــدورنا بســماع كلامه، وفتح قلوبنا ليملأها بما أفاض به علينا من الفهم في كلامه، والشُــكر لله على عظيم إكرامه وإنعامه، والصــلاة والســلام على إمام الأنبياء والمرسـلين، وسـيد الخلق أجمعين في الدنيا، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين، سيدنا محمد وآله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنِّك وفضــلك وجودك يا أرحم الراحمين.

بداية ذي بدء أنا فرحٌ بكم وبوجودي في هذا المســجد بينكم، فهو أول مســجد نزلت فيه في (مغاغة) منذ أربعين عاماً لتبليغ دعوة الله ﷻ، وكان درس بين المغرب والعشاء، والحضور أصرُّوا على استكمال الدرس بعد العشاء إلى وقت طويل، وكان فضل الله علينا وعليكم عظيماً والحمد لله.

لا يوجد أفضل في دروس المسلمين من مائدة رب العالمين، التي يقول فيها إمام الأنبياء والمرسلين:

---

١ المنيا – مغاغة – مسجد تاج الدين ٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٨/١٩م

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ }[٢]

فالقرآن وليمة الله ﷻ، ولكن من يأكل منها؟ الأرواح والقلوب التي ترتوي بفضل علاَّم الغيوب، وليس غذاء الأجسام ولا غذاء النفوس، ولكنه غذاء الأرواح وطعام القلوب من الكريم الفتاح ﷻ.

التجارة الرابحة

والآيات التي معنا اليوم أثارت اهتمامي، فالمسلمين - والحمد لله - الآن معظمهم يبحث عن مشاريع لزيادة دخله، فيسأل التجار، ويسأل أصحاب المصانع، ويسأل المتخصصين: أريد أن أفتح مشروعاً بشرط أن لا يكون فيه خُسارة، ولكن يكون فيه ربح فقط!!، وهل يوجد مشروع فيه ربح فقط وليس فيه خسارة في الدنيا كلها؟! لا.

وعندما سألنا الناس سهوْنا أن نسأل رب الناس!!

لكن رب العزة سبحانه قدَّم الإجابة من قبل القبل، فقال: هل تريدون تجارة ليس فيها خسارة، وما هي يا رب؟ قال: التجارة الوحيدة التي ليس فيها خسارة هي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ و هذه أول تجارة، والثانية: ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والثالثة: ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ هؤلاء الثلاثة: ﴿ يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾.

---

٢ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ليت المســـلمون ينتبهوا كلهم لهذه الآية وما فيها من العناية، تجارة ليس فيها بوار، ولا كساد، ولا خسارة، وليس فيها مباحث، ولا تفتيش تموين، وليس فيها فضُّ رُخص، ولا سحب رُخص، ولا ضرائب ... ليس فيها شيء أبداً إلا فضل الله، وإكرام الله، وإنعام الله، لمن يقوم بهذه التجارة ابتغاء وجه الله ﷻ.

فنحن كلنا يجب أن نعقد العزم، لا بد أن يكون لنا شيء في سوق الآخرة، فسوق الدنيا مملوء، لكن لا بد أن يكون لنا شيء في سوق الآخرة.

تلاوة كتاب الله

فلو لنا في الثلاثه، فيا هنا من يكون صـــاحب هذا المقام، الذي يشـــترك في هذه التجارات الثلاثة، ولم يقُل لكي لا يُشـــدد: الذين يحفظون كتاب الله، أو حتى الذين يعملون بكتاب الله، فستكون شديدة علينا، وماذا يريد منا؟ التلاوة فقط:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾:

والتلاوة كما نعلم يكفي فيها حديث المصـــطفى ﷺ للذين ينافســـون في العبادات النفلية زيادة في القرب من رب البرية:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }[٣]

وما أحب النوافل إلى الله؟ نسأل حضرة النبي ﷺ؟ قال ﷺ:

---

٣ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[٤]

لا عبادة أفضل من ذلك أبداً، والصلاة؟ لأن الصلاة فيها تلاوة القرآن، ولذلك كان سيدنا الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه، عندما قال حبيبنا ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ }[٥]

فسيدنا الإمام عليٍّ بيَّن هذا الأمر وقال:

{ من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات }[٦]

فالدرجات على حسب الأعمال التي يرتقي فيها الإنسان في أحوال تلاوته لكتاب الله تبارك وتعالى ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ :

ماذا نقرأ كل يوم لكي ندخل في هذه التجارة؟ وما قدر السهم الذي يكون لنا فيه نصيب من أرباح هذه التجارة؟ قال ﷺ:

٤ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشيررضي الله عنه
٥ جامع الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٦ روح البيان وتفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ }[٧]

يعني من يقرأ كل يومٍ على الأقل عشـــر آيات لا يُكتب غافلاً عن الله ﷻ، وعن كتاب الله، وعن طاعة الله جل في عُلاه في هذا اليوم ..

ومن قرأ في كل يوم مائة آية كُتب من القانتين، والقانتين يعني الطائعين العابدين، ومن قرأ في كل يوم ألف آية كُتب من المقنطرين أي أن حســناته تكون بالقنطار.

إقامة الصلاة

ولذلك على الفور أتبع الله بعد التلاوة: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لماذا؟

لأنه جعل ركن من أركان الصـلاة قراءة ما تيسَّر من آيات كتاب الله، فلا بد أن يكون لي ســهمٌ في هذه التجارة، لا بد أن أقرأ في كل ركعة الفاتحة، والفاتحة ســبع آيات، وعندما نحسبها في الفرائض والنوافل قد تصل إلى مائة آية، ونضيف لها أيضاً في الركعات الجهرية التلاوة البَعدية، وبذلك ســنحصــل على هذه الســهم، ونكون قد دخلنا في التجارة مع الله في الصلاة وفي تلاوة كتاب الله ...

٧ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

لكن قد لا نقرأ الفاتحة خلف الإمام، نحن لا نريد أن نختلف مع الأئمة الفقهاء ﭫ، فكل واحدٍ منهم كان له رأيه بما فقهه من سنة رسول الله ﷺ، الإمام الشافعي ﭬ فرح بالحديث الذي يقول:

{ لا صَلاةَ إِلا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ }[8]

والحديث الآخر:

{ كُلُّ صَلاةٍ لا يُقْرَأُ بِهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ }[9]

وخُداج يعني ناقصـــة، فقال: لا بد لكل إمام أو مأموم أن يقرأ الفاتحة، وفي الصـلوات الجهرية كصـلاة العشـاء قال: الإمام ينتظر بعد قراءة الفاتحة قليلاً ليقرأها المأمومون، حتى يكون كلهم قد نالوا الأجر والثواب.

والإمام مالك قال: قراءة الإمام قراءة للمأمومين، وطالما قالوا: آمين فقد أصبحوا مثله في التلاوة، فكله تيسير في دين الله ﻷ.

لكن في الركعتين الثالثة والرابعة لا بد أن أقرأ الفاتحة، وهل تُغني فيهما قراءة الإمام؟ لا، أو إذا صـــليت السُـــنة فلا بد وأن أقرأ الفاتحة في كل ركعة من ركعات النوافل والسُنن.

---

8 مسند أبي حنيفة ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة ﭬ
9 معجم الطبراني ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

أصلي الظهر أو العصر وهذه صلوات سِريّة، فهل أسمع الإمام؟ لا، فيجب أن أقرأ فاتحة الكتاب حتى أدخل في هذا الفضل الكبير، وأكون من الذين يتاجرون مع الله ﷻ.

الإنفاق سراً وعلانية

التجارة الثالثة يكاد يكون كثير من الناس قد نسوها في هذا الزمان:

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾:

لم يجعل حدّاً للإنفاق، (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) لو أن رزقك محدود فأنفق منه على قدرك، لأن الله لم يجعل لفقير عُذر في ترك الإنفاق: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (١٣٤آل عمران) ..... هل لأحد عُذر بعد ذلك؟ ... لا.

فكل يوم أو يوم بعد يوم تشتري دواء من الصيدلية، أو تشتري علبة سجائر، فاجعل منها ثمن علبة دواء وأعطه لأحد الفقراء إلى الله، وضع هذا الأمر في بالك لتتاجر مع الله، ولن تدفع شيئاً، فما تُنفقه سيُعطيه لك لله أضعافاً مضاعفة: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٣٩سبأ).

فلا يجازي الله بنفس القدْر، يعني تُخرج عشرة جنيهات فيُعطيك عشرة جنيهات، لا، ولكن العشـــرة جنيهات يجعلها لك ألف جنيه، وإذا كانت بالحد الأدنى فتكون مائة جنيه، لأنه خير الرازقين، ولذلك قال لنا في الحديث القدسي:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ } [10]

اجعل عندك جزءاً من السخاء، لأن الله يُحب السخاء والأسخياء، ولا يُوجد شيء يدفع الأمراض والبلاء كالصدقة، قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } [11]

كم باب؟ سبعين باباً، وقيل أن أدناهم الهم، فلو أُصيب أحدٌ بالهم سيقضي عليه، فلا يستطيع النوم ولا يأكل ولا يشرب، فإذا كانت ستدفع سبعين باباً من البلاء، فهل نترك الصـــدقة؟!! ولذلك الجماعة الأولين الذين فازوا بإكرام رب العالمين قال فيهم الله:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٩الحشــر) قد يقول قائل: كانوا أغنياء ومعهم أموال كثيرة، لـكـن الله قـال: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشـــر) كانوا فقراء وليس معهم شيء، والأمور بالكاد تسير بستر الله، ولكنهم دخلوا في هذا الباب ليتاجروا مع الله ﷻ.

---

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
١١ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﷺ

الأرباح المضاعفة

فمن يتاجر في هذه التجارات الثلاثة ماذا له عند الله؟ ﴿ يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾

(٢٩فاطر) أرباحهم أضعافاً مضاعفة، فمن يُسبِّح الله منهم، أو يحمِّد الله، أو يُكبِّر الله، فحضرة النبي قال:

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ }[١٢]

إن التسبيحة تصعد حتى تصل إلى عرش الرحمن، فتطوف حول العرش، وتسبِّح الله إلى يوم القيامة، وهذا كله يُكتب في صحيفة من قالها لله ﷻ!!، هل يستطيع أحدٌ أن يحسب هذه الحسبة؟!! إن ما تسبحون الله تعالى به من التهليلات والتحميدات والتكبيرات والتي نقولها في ختام الصلاة يخُرجن ولهن دويٌّ - يعني صوت - كدويِّ النحل حتى يصلن إلى العرش، فيطُفن حوله يُذكرن بصاحبهن إلى يوم القيامة ... وكذلك من يقرأ القرآن يأتي يوم القيامة عندما يدخل الجنة يُقال له:

{ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا}[١٣]

---

١٢ مسند أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير ﷺ

١٣ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

كلما قرأت كلما علوت في المقام وفي الدرجات، ومنزلتك تكون عند آخر آية قرأتها في الدنيا، وتكون منزلتك في المقام الكريم عند الله ﷻ.

ولذلك كان كثير من الصالحين يحافظون على الورد القرآني، فلا بد أن يكون له مع الله كل يوم ورداً قرآنياً يقرأه لله، وأغلبهم كان يكرمه الله في ساعة خروج الروح يكون عند آية كريمة من آيات كتاب الله ﷻ.

السيدة نفيسة ﵂ حفرت قبرها في بيتها، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل، وتقرأ كتاب الله في قبرها الذي حفرته بنفسها - وهي مدفونة فيه الآن - فجاء ميعاد موتها في رمضان فمرضت، فقالوا: لها أفطري، فالطبيب يقول لا بد من ذلك، قالت: لقد تمنيتُ أن ألقى الله ﷻ وأنا صائمة، وأنتم تريدونني أن أُفطر!! فأخذت تقرأ في وردها من القرآن إلى أن وصلت إلى سورة الأنعام وقرأت: ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (١٢٧الأنعام)

وخرج السر الإلهي!!، لنرى أين تكون المنزلة؟!!.سيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁ عند موته أخذ يقرأ القرآن، وبعد قليل كُشف القناع عن قلبه، ورأى منزلته في دار النعيم، لأن المؤمن في اللحظات الأخيرة يرى ما أعدَّه له الله في جنة النعيم، فقرأ: ﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ (٦١الصافات) وخرجت روحه!!، والنماذج كثيرة في هذا الباب، فيقولون له:

{ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا}[14]

فضل الصدقة

والذي يُنفق قال فيه حضرة النبي:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدَّقِ عَلَيْهِ }[15]

الصـــدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير)، يأخذها هو أولاً منك، فماذا يفعل بها؟ يُربيها ويُنميها إلى يوم القيامة، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }[16]

وفي رواية: { حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا }[17]

---

١٤ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٥ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها
١٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
١٧ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

والفُلو هو المهر الصغير ابن الحصان، فالعبد قد يتصدق بالشيء البسيط لا يُلقي له بالاً فيجده يوم القيامة كجبل أُحد، فيُقال له: خذ هذه صـــدقتك، فيقول: يا رب ومن أين لي؟! ومتى تصــدقتُ بها؟! فيقال له: هذه صــدقتك التي تصــدقت بها في يوم كذا أخذناها وربيناها فصارت كما ترى؛ كجبل أُحد، ولذلك حضرة النبي قال لنا:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[18]

لا تستصغر شيئاً من الصدقات لأن الله ﷻ يأخذها وينميها ويُربيها، ويوم القيامة تجدها كجبل أُحد، المهم أن تتصـدق وأنت صـحيح شـحيح، وإياك أن تعمل كمن حذَّر منه حضـــرة النبي عندما يأتيه الموت يقول:.... ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴾ (المؤمنون)

{ قيل يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا، وَلِفُلانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ }[19]

يقال له: هلاَّ كنت تصدقت وأنت صحيح شحيح؟

---

[18] البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ

[19] البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

الصدقة التي يريدها منك، لكن عند الموت لم يعد لك شيء! بل إنك تجور على من حولك لأنها أصبحت لهم، فاتركها لهم، لكن يجب أن تنقذ نفسك وهي لا تزال ملكك، ولا بد أن يكون لك نصيبٌ من الصدقات، فباب الصدقات مفتوحٌ دائماً وأبداً، لكي تكون من الذين أكرمهم الله بالتجارة معه.

توفية الأجور

هؤلاء ماذا لهم أيضاً عند ربهم؟ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ سيوفيهم حسناتهم، ويوفيهم أجر طاعتهم كاملة تامة، لأن الله ﷻ وعد بذلك وهو لا يُخلف الميعاد.

فضل الله

وهل يعطيهم أجورهم فقط؟ لا، ولكن: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ وإذا تكلمت عن فضل الله فحدِّث ولا حرج، فما يُعطيهم ﷻ من فضله لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين التعبير عنه، أو الإتيان على ما فيه، لأن فضل الله عظيم وكبير كما وصفه في القرآن، ومن ذا الذي يصف الفضل الكبير، والفضل العظيم للكبير العظيم ﷻ؟!!

ومع ذلك وعدهم بوعد آخر كلنا نتمناه: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

الذي يتاجر مع الله بهذه التجارات لو أخطأ وهفا ووقع في ذنب سيغفره له الغفار: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ (١١٤هود) ولو وقع في كربٍ سيُفرجه الله، ولو وقع في شدة سيزيلها عنه الله جل في عُلاه، لأنه تولاه بمغفرته، وسيشكره على هذا العطاء، وهذا الشكر كنز المزيد: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ (٧إبراهيم) سيزيده ويوفقه أكثر للقيام بالطاعات، ولعمل السنن والنوافل والقربات، ويغرف له أكثر من كنوز الخيرات الإلهية إذا كان من أهل الصدقات، فضلاً من الله ﷻ، والله غفورٌ رحيم.

هذا الكلام المسلمون كلهم في احتياج أن يعرفوه، لكي لا يكون همنا كله في تجارة الدنيا، ونترك التجارة مع الله ﷻ، والتي هي الأساس لنا في الدنيا والآخرة.

ولذلك قال الله لحضرة النبي: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ هذا الكلام هو الحق الذي لا يقبل النقض، ولا يقبل الشك، ولا يقبل التجربة: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ (١٢٢النساء) ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ (٨٧النساء).

لا يجوز للإنسان أن يقول: أُجرب مع الله، لا!!، .... بل تُجرب في الدنيا، !! أو تُجرب في أسواق الدنيا، وفي تجارات الدنيا، لكن مع الله يكون حق اليقين ... لا تنفع التجربة مع الله ﷻ.

﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ لأن الله هو الذي يعلم سرنا وجهرنا، ويعلم ما كان، وما هو كائنٌ، وما هو يكون، ويُبصر خفايا الصدور، ويُبصر حنايا القلوب، ويُبصر كل شيء لنا أو فينا أو حولنا، فلا بد أن نكون مصدقين بكلام الله ولا نشك ولا نرتاب لحظة فيما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله.

وراثة الكتاب

وبعد ذلك بشَّر الله الأمة المحمدية ببشُرى عظيمة، فلنا كلنا نصيب في هذه البُشرى والحمد لله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ نحن ورَّثنا هؤلاء القوم - لأننا اصطفيناهم على بقية الأمم - الكتاب الحق وهو القرآن الكريم، وهذا الكتاب مُهيمن على كل الكتب السماوية الأُخرى، فهذا الكتاب يحتوي على كل ما جاء به النبيين والمرسلين السابقين، والزيادة التي جاء بها أكرم الناس على الله، وهو سيدنا محمد ﷺ.

وهؤلاء القوم ذكر الله أنه سيورِّثهم الكتاب، يعني نور الكتاب، وعلوم الكتاب، وثواب الله العظيم الذي أعدَّه لأهل هذا الكتاب، وفضل الله الكريم الذي جهزَّه لمن يعمل بهذا الكتاب، جعله الله لهؤلاء القوم وراثة.

والوراثة يعني فلان ورث فلان، يعني ظهرت له تركة بدون تعب ولا عناء ولا عمل، وأحلُّ المال مال الوراثة، فالله سبحانه وتعالى تفضَّل علينا جماعة المؤمنين فجعل لنا وراثة هذا الكتاب المبين.

مع أننا كما ذكر أن هؤلاء القوم ليسوا صنفاً واحداً، ولكنهم ثلاثة أصناف: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ولكنهم كلهم ورثة للكتاب، وكلهم لهم نصيبٌ من ميراث هذا الكتاب، فلا يجوز لمسلم مهما كان شأنه، ولا لعالمٍ مهما كان قدره، أن يُخرِّج فرداً من الأمة من ميراث هذا الكتاب بعد أن أعطاه الله ﷻ - وهو منزل الكتاب - حقاً في ميراث هذا الكتاب.

وحتى أن الله بدأ بالظالم لنفسه، والظالم لنفسه هو الذي وقع في الذنوب، أو وقع في المعاصي، أو وقع في الآثام، لماذا؟ ليُعطيه أملاً في طاعة الله، والتوبة إلى الله، والرجوع إلى الله ﷻ.

وأخَّر الصنف الثالث وهم الجماعة السابقون بالخيرات، لماذا؟

حتى لا يغتروا، فيقولون: نحن أحسن من هؤلاء، فنحن نعبد الله، ونعمل لله، ونطيع لله، لا تغترَّ لأنهم جاءوا قبلهم، جاءوا أولاً ليرغبهم في التوبة، ولكي لا ييأسوا من فضل الله ﷻ، فيعرفوا أن فضل الله ﷻ واسع، وكان الله تعالى يقول لداود:

{ يَا دَاوُدُ أُنِينُ المُذْنِبِين أَحَبُّ إِلَيَّ مِن زَجِلِ المُسَبِّحِين } [20]

لماذا؟ لأن المذنب عندما يرجع إلى الله قلبه ينكسر، والله يريد القلوب المنكسرة إلى الله ﷻ، غير العابد الذي يغترّ، ومن يغترُّ جائز يحبط عمله، ولا يتقبله الله ﷻ منه:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي } [21]

فالمقتصد غير السابق بالخيرات غير الظالم لنفسه، والظالم لنفسه جائز أنه المنشغل بالدنيا، والمقتصد المنشغل بالدنيا ومعها الآخرة، فأخذ من هذه ومن هذه، والسابق بالخيرات الذي انشغل بالله عما سواه، فهم درجات عند الله ﷻ.

أو تقول: الظالم لنفسه الذي له سيئات وليس له حسنات، والمقتصد الذي له حسنات وله سيئات مثل بعضهما، والسابق بالخيرات الذي له حسنات وحفظه الله ﷻ من الوقوع في السيئات.

كل هذه معاني تتحملها الآيات، وفيها معاني لا نستطيع أن نوفيها لضيق الوقت حتى لا نطيل عليكم، والمهم أن الثلاثة كلهم ورثة في الكتاب.

سيدنا عمر رضي الله عنه صعد يوماً المنبر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

[20] كشف الخفا للعجلوني
[21] ذكره الغزالي في البداية

{ سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ " وَقَرَأَ عُمَرُ: " فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ " }[22]

وهذا كلام سيدنا عمر رضى الله عنه .. الذي ينقله عن رسول الله ﷺ، سابقنا سابق: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة)

ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفورٌ له، لأنه وارث الكتاب، وما دام له نصيبٌ في ميراث الكتاب فلا بد أن يحظى بمغفرة الرءوف الرحيم ﷻ.

وكيف يكون وارثاً للكتاب ولا ينال المغفرة؟!! ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هناك اصطفاء، فحتى إذا وقع في الذنب فلا بد أن يقدِّر الله له توبة وأوبة، وربما يدخل في قول الله: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ﴾ (٧٠الفرقان)

مكان كل سيئة حسنة: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٧٠الفرقان) فهؤلاء كلهم ورثة الكتاب الذين أكرمهم الله والذين نحن منهم أجمعين.

وهذا كله لماذا؟ ...... ليُعرِّفنا ان هذا بعيد عن دائرة الجهاد والعمل: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فضل الله ﷻ، ... ولذلك قال ﷺ:

---

٢٢ الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، والبعث والنشور للبيهقي عن عمر بن الخطاب ؓ

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٢٣]

جزاء ورثة الكتاب

هؤلاء القوم ورثة الكتاب أين يذهبون؟ ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ ...

وكلمة (عدن) يعني الإقامة، يعني يقيمون في جنات، وإن كانت تُسمى جنات عدن، لكن جنات الإقامة التي يقيمون فيها، وماذا يكون فيها؟ فيها كما قال حضرة النبي:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٢٤]

إياكم أن يسمع أحدٌ عن وصف من أوصاف نعيم الجنة في القرآن ويسبق إلى ذهنه شيء حسي، فيُشبهه بنعيم حسيٍّ، فهذا تقريبٌ للحقيقة فقط، لكن نعيم الجنة كما ذكر النبي، لا العين رأته، ولا خطر على البال، ولا الأُذن سمعته، ولا الأعضاء لمسته، فهذا نعيم لن نراه إلا يوم التكريم في جوار العزيز الرحيم ﷻ.

---

٢٣ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ
٢٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

لِمَ يأتي لنا بهذه الأوصـــاف؟ للتحبيب وللترغيب، لكن حقيقة نعيم الجنة لا أحد من الأولين ولا الآخرين يستطيع وصفه، ولا نعته أبداً، وكل ما في الأمر كما قال الله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ (٣٥ق) كل ما يريدونه، وهذا ما يعرفوه، لكن الذي لا يعرفوه؟

قال: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق) المزيد الذي عنده هل يســـتطيع أحدٌ أن يعرفه؟! أو يتكهَّن به؟! أو يتنبَّأ به؟! حاشا لله ﷻ، فهذا نعيم الجنة.

فلما يقول: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ إياك أن تظن أن هذا الذهب كذهب الدنيا، أو الأسـاور كالتي نراها عند تجار الذهب عندنا، لا، فهذا شـيء مختلف تماماً.

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾:

وإياك أن تظن أنه حرير كحرير الدنيا الذي نلبســه هنا، والذي حرَّمه النبي على الرجال وأحلَّه للنساء، فهو شيء مختلف تماماً، ولكنه تقريبٌ للأفهام ...

لكن نعيم الجنان لا يستطيع أحدٌ نعته ولا وصفه إلا إذا أكرمنا الله ﷻ عند خروج الروح، فيظهر للمؤمن التقيِّ النقيِّ بعض أنواع النعيم التي جُهزِّت له في الجنة ويراها لكي يُحب لقاء الله ويقول: هيا عجِّلوا بي لهذه الأماكن وأخرجوني من الدنيا وما فيها، يُحب لقاء الله فيُحب الله ﷻ لقاءه.

إذهاب الحَزَن

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾:

الذي يتاجر مع الله بهذه التجارة، والذي يرث ويكون له نصيبٌ في إرث الكتاب، فأول أجر يُعجله له الله أن يُذهب عنه الحزن، وأي همٍّ يحلُّ به يُزيله الله، وأي نكبة تنزل به يُزيلها الله بفضله ومنِّه وكرمه.

- ويُذهب عنه الحُزن من خوف سوء الخاتمة، ويُذهب عنه الحُزن لحظة قبض الروح، ويُذهب عنه الحُزن عند دخوله إلى عالم البرزخ وسؤال الملكين، ويُذهب عنه الحُزن يوم الفزع الأكبر فيدخل الجنة بغير حساب، أو يتلقَّى كتابه باليمين، ويكون من الذين يستظلون تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ويُذهب الله حزنه في هذا اليوم من خوف دخول جهنَّم لأنه أخذ الأمان من الرحمن: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

- فيُذهب الله عنه كل أحزان الدنيا، وأحزان البرزخ، وأحزان الآخرة، وإذا دخل الجنة يقول: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ كل حُزنٍ يتعرض له المرء في مسيرته مع مولاه.

رحمة الرحيم

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾:

غفور يغفر الذنب العظيم، ومهما أذنب الإنســـان وقال: يارب، يقول له: لبيك عبدي تعالى أنا أريدك، يقول العبد: أنا تُبتُ، فيقول الرب: وأنا قبلتُ ... فلماذا نبعد عن الباب؟! ونباعد أنفسنا عن هذا الرحاب؟! فلا يوجد أحدٌ يعاملنا بهذه المعاملة أبداً، مهما أســـأنا ومهما أجرمنا ومهما فعلنا، وبمجرد أن نقول له: يا رب أنا تبت، يقول: وأنا قبلتُ، إنه فاتح يديه، وليس لله ﷻ أيدي كأيدينا، لكن فاتح لأيدي العناية لنا بالليل والنهار، فالله ﷻ يقول لنا:

{ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ }[25]

٢٥ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

يدعونا إلى المســـجد خمس مرات: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لماذا يا رب؟﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم ﴾ (١٠إبراهيم) يأمرنا بصيام شهر رمضان لماذا؟ لأنه يقول لنا:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }[٢٦]

لماذا يطالبنا بأن نذهب إلى الأماكن المقدسة؟

لنرجع كيوم ولدتنا أمهاتنا، أليست كل هذه توبة، ومن تُحب يا رب أكثر؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) .. لذلك المؤمن دائما يدخل في هذه التوبة، وإياك أن تترك التوبة لحظة من ليلٍ أو نهار، فكُن دائم التوبة إلى الله على الدوام، واستغفر الله على كل الأنفاس في مدى الأيام، لتدخل في محبة الله.

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾:

الشيء البسيط الذي نعمله يُعطينا عليه أضعافاً مضاعفة، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢٦١البقرة) أضعافاً مضاعفة يُعطيها لنا على الأعمال القليلة والأعمال اليســـيرة، ويُعطينا فيها أجور كثيرة ومغانم وفيرة لأنه رب العالمين، وأكرم الأكرمين ﷻ.

---

٢٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

إكرام الله للمؤمنين في الجنة

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ اعترفوا، فدخلنا هذه الدار ليس بعملنا، ولا بحسناتنا، ولكن بفضله وإكرامه وإنعامه وعطفه وحنانه وشفقته ﷻ علينا.

﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ ليس فيها تعب ولا عناء، وليس فيها كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[27]

إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يهرمون، بل يظل الإنسان فيها شباباً دائماً، ولا يسقمون، فلا يوجد هناك أمراض، ولا يوجد هناك دورات للمياه، ولا يوجد هناك تعبو عناء، ولا يوجد هناك حتى عبادة تكليفية، فماذا تكون العبادة هناك؟ تلذذ وتفكُّه، في جوار حضرة الله ﷻ،

---

[27] صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

وهناك ســـنأكل فأين تخرج الفضـــلات؟ أكل الجنة ليس له فضـــلات كطعام الأرض ولكن تخرج رشـــحات رائحتها كرائحة المســـك، وليس فيها همٌّ ولا غمٌّ ولا مشـــاكل ولا أي شـــيء من هذا أبداً، وهذا لأنهم تاجروا مع الله، فأورثهم الله ﷻ كتاب الله ... نسأل الله ﷻ أن يجعل لنا هذه العناية، وأن يجملنا بما في هذه الآية، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ (٣٢فاطر)

٢٣.إشارات العارفين في وراثة الكتاب[1]

بســم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله والصــلاة والســلام على سـيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

دائماً العارفين بالله، والوارثين للمعاني العلية في آيات كتاب الله يلهمهم الله ﷻ إشارات تكون لأهل الخصوصيات، غير الحديث العام الذي يكون لجميع الأنام.

مثلاً تكلمنا من قبل في الحديث العام عن: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ :

وقرَّبنا المعاني لأننا نريد أن نُدخل المســـلمين كلهم في دائرة التواب، فنريد أن نفتح الباب للمذنب، ونفتح الباب للعاصـي ليدخل على حضـرة الله، فنقول لهم: أنتم لكم نصيبٌ في الميراث، وأنتم الذين ذُكرتم أولاً وهاهو الباب مفتوح.

لكن عندما نتكلم مع الخواص نقول لهم: انتبهوا فالأمر غير ذلك، لأنها وراثة كتاب، ووراثة الكتاب لا بد للوارث أن يكون صـــورة مورثِّه، ابنك لماذا يرثك؟ لأنه كما قيل: (الولد صورة أبيه) فهو صورة منك، حتى لو حلَّلنا دمك ودمه نجدهما فصيلة واحدة، مشتركين في الخصائص والصفات، فهذه وراثة نورانية؛ وراثة نبوية؛ وراثة اصطفائية.

---

١ المنيا مغاغة – مسجد تاج الدين ٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٨هـ ٢٠١٧/٨/١٩م

الظالم لنفسه

وأولهم: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ وهذا لا بد أن يكون أكرمهم في المقام، وأعلاهم في الدرجة عند الملك العلام، فكيف يكون الأول ظالماً لنفسه؟! قالوا: ظالم لنفسه لأنه تجاوز الحدود في الجهاد الموصِّل إلى رضوان الله الذي أمره به كتاب الله، والذي وسَّطه لنا سيدنا رسول الله.

فجاء على نفسه وهضمها حقوقها الدنيوية في الأكل والشُرب والملبس والنكاح والنوم، وزاد عليها في الحقوق التعبدية لرب البرية ﷻ.

وعندما نتفحَّص سِيَر الكُمَّل من الصالحين نجدهم كانوا على هذا المنوال، فمثلاً الصيام يبدأ من الفجر إلى غروب الشمس، لكن الإمام الجُنيد ﵁ كان يصوم ولا يفطر إلا كل أربعين يوم مرة، ويفطر على تمرة!!، فهل هذا أعطى نفسه حقها الدنيوي أم هضمها وظلمها؟!! ظلم نفسه.

وعندما يكون كثير من الأئمة يُصلي الفجر بوضوء العشاء، وهذا معناه أنه لم ينم، لكن كيف يُصلي الفجر وهو يجب أن يأخذ بالسُنَّة؟! والسُنّة تُكرِّه الذي يصلي وهو حابس للبول، أو الريح، أو وهو جائع أو عطشان، لأنه لا بد أن يكون الإنسان متفرغ لمناجاة الرحمن ﷻ، لكن هذا معناه أنه ظلم نفسه في الأكل!!.

نحن لو أكلنا، من منا يستطيع أن يتوضأ ويمكث متوضئاً إلى الفجر بدون قلق؟!! أظنها صعبة، وخاصة أن البطون متعبة، لأننا غير ملتزمين بالمنهج والهدي النبوي: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (٣١الأعراف) لا نفعلها حتى في رمضان!، ونقول:كلوا واشربوا وأسرفوا.

لكنهم كانوا يصلون الفجر بوضوء العشاء، فمنهم من كان يصليها أربعين سنة كالإمام أبو حنيفة، وغيره وغيره، كيف؟ هذا قد ظلم نفسه في حقوقها الشرعية الآدمية.

وعندما يأتي الشيخ أحمد البدوي ﷺ وأرضاه: وكان يتعبَّد في غار حِراء، وغار حراء بينه وبين مكة حوالي من خمسة إلى سبعة كيلو متر، وكان في كل فريضة لا بد أن ينزل للحرم ليُصلي ويرجع، فهل يستطيع أحدٌ منا أن يفعل ذلك حتى ولو معه سيارة؟!! وكان يذهب ماشياً، وكان أحياناً تحدث له حالة جذب إلهية فيقف أمام الغار وينظر إلى السماء ويتفكَّر، فكان أحياناً يُحصَى عليه فيقف أربعين يوماً لا يجلس ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام، بالطبع لا يستطيع أحدٌ أن يفعل ذلك، ولكنه كان مأخوذاً، فهل ظلم نفسه أم لا؟ ظلمها ... فالظالم لنفسه هنا عند هؤلاء القوم له معنى آخر، هضم حقوقها الآدمية والتي هي الوسطية المحمدية، وجار عليها بعض الشيء في سبيل القرب من رب البرية ﷻ.

السـيدة رابعة العدوية ﵂، كانت في أيام الصـيف تتعبَّد في حُجرة مُغلقة في الأسـفل وليس لها فتحات ولا نوافذ، وفي أيام الشـتاء تصـعد وتتعبَّد على السـطح، ما هذا؟!!.

ولو طالعت دواوين الصـالحين تجد عجباً في هذا الباب، ولا عجب، لأن هذه الأمور لايجوز فيها التقليد، فلا يسـتطيع أحدٌ أن يقلدهم فيها، لأنه حال تفضَّـل به عليه الله، وإذا حاولت أن تقلدهم بنفسـك فلن تسـتطيع أن تقوم به، لكن هو مُعان، وإذا أقامك أعانك.

فهؤلاء القوم كلهم ظلموا أنفسـهم، لأنهم تجاوزوا الحد في طاعة الله، هؤلاء الأولياء، ولكن هل الصـحابة كانوا كذلك؟ نعم، الرجل الذي جاء بماله كله ووضـعه بين يدي حضرة النبي ولم يترك في بيته ديناراً واحد، فقال له ﷺ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[٢]

وحضرة النبي أقَّره، ولكن غيره لم يرضَ أن يُقرِّه، وغيره قال:

{ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ، قَالَ: لا، قُلْتُ: فَالنِّصْفُ، قَالَ: لا، فَقُلْتُ: أَبِالثُّلُثِ، فَقَالَ: نَعَمْ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ }[٣]

---

٢ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﵁
٣ البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﵁

لكن وافق لأبي بكر، وماذا ترك في بيته؟ لا شـــيء، وقبل ذلك ماذا كان يصـــنع بماله؟ كان أبوه يقول له: يا أبا بكر بدلاً من أن تشـــتري العبيد وتعتقهم اشـــتري عبيداً أقوياء تنتفع بهم ويدافعوا عنك، وأبوه لم يكن قد دخل في الإسلام بعد، وحزين أن ابنه مرة يشـــتري بلال، ومرة يشـــتري غيره من الضـــعفاء، ويأخذهم ويعتقهم لوجه الله، وهذه كانت تجارته!!.

ســـيدنا عمر خليفة المســـلمين حدثت المجاعة في عهده: فعمل موائد يُطعم منها الفقراء، وهذه الموائد عليها لحمٌ وثريد، والثريد مصـــــنوع بزبد أو بمرقٍ حتى يكون سمين بعض الشيء، وهو لا يأكل منها، فماذا يأكل؟ يُسخن بعض الزيت ويضع فيه الخبز ويأكل، هل يستطيع أحدٌ منكم أن يفعل ذلك؟!! إلى أن تغيَّر وجهه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين كُل حتى مما يأكل منه الناس، قال: والله لا أطعم اللحم والشحم (السمن) حتى يشبع منه كل المسلمين!! .... أليس الذي يُطعم جماعة أفلا يأكل معهم ليُشجعهم على الأكل؟!! لكنه هنا أيضـــاً قد ظلم نفســـه ... وكان لا ينام بالنهار، ولا ينام بالليل، فسألوه: لم لا تنام يا أمير المؤمنين؟ فيقول:

(إن نمتُ نهاراً ضـيعتُ رعيتي، وإن نمتُ ليلاً ضـيعتُ نفسـي، فجعلتُ النهار لرعيتي، والليل لربي ﷻ) الليل في طاعة الله والنهار يتفقد الرعية ليعدل بينهم، فلا نوم، فهل هذا ظُلم أم لا؟ ظُلم، وغيره من أصحاب رسول الله ..

والكلام في هذا الباب لا ينتهي.

المقتصد والسابق بالخيرات

﴿ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ ﴾ : يعني قائم بأعمال الدنيا، ومسخرها للآخرة، فأصبح كل همه في الدنيا أن يسعى بها لإرضاء الله جل في عُلاه.

﴿ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ :

يعني بالطاعات، فاتح لنفسه أبواب الطاعات، ويريد أن يكون له في كل باب من أبواب الخيرات نصيب، فله نصيبٌ من قيام الليل، وله نصيبٌ من صلاة الضُحى، وله نصيبٌ من قراءة القرآن، وله نصيب من ذكر الله، وله نصيبٌ من الصلاة على حضرة رسول الله ﷺ، وله نصيبٌ من الصدقات، وله نصيب من إكرام الضيف، وله نصيبٌ من الإحسان إلى الجار، وله نصيبٌ من صلة الأرحام، وله نصيب من عيادة المرضى، وله نصيب من تشييع الجنازات ... فلا يترك عملاً من أعمال الخير إلا ويكون له منه نصيب، حتى الصُلح بين المسلمين يكون له منه نصيب:

﴿ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾.

هذه إشـارات، وكما قلنا أن هذه الإشـارات خاصـة بالصـالحين، لكن لا تتعارض مع المعنى العام الذي نقوله للناس أجمعين، فهذ الإشارت نقولها للخاصة في مجالسهم الخاصــــة، ونقولها لأهل القرب في مجالس القُرب، ولكن في المجالس العامة كما قال ﷺ:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبِ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم }[٤]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٤ رواه الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السـلمي عن ابن عباس وهناك رواية أخرى:"أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ"



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٤٨-٥٤يس)

٢٤.النشأة الأولى[١]

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب الهمام، صـــاحب القلب الكبير، والنور المبهر، والســـراج المنير، ســـيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الآيات التي معنا اليوم يســبقها حوارٌ يحتاج أن نتلوه بتدبُّر وخشـــوع، حوار بين المؤمنين وبين المنكرين المعترضين على رسول الله ﷺ، وعلى أصحاب الإيمان في كل زمان ومكان.

يعترضون على أمورٍ كثيرة، ومن جملتها يقولون: لا يوجد شيء اسمه بعث ولا نشـــور ولا حياة أُخرى: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ (٢٩الأنعام) لا يوجد غير هذه، فيكف يحيينا الله مرةً ثانية بعد أن يدخل الناس القبور ويتحولون إلى تراب.

حتى أن واحد من الكفار، أتى بعظمة بالية وقال له: يا محمد أتزعم أن الله يُحي هذه العظمة بعدما صارت رميما؟! فنزلت هذه الآيات الكريمات:

---

١ المنيا – مغاغة – آبا البلد ـ ٢٥ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ٢٠/٨/٢٠١٧م

﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ (٧٨يس) والله هو الذي أجاب وقال: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٩يس).

متى الساعة؟

فلما أراد المؤمنون إقناعهم، ظنُّوا أنهم سيضعونهم في موقف حرج، فسألوهم: متى هذا الميعاد الذي تدَّعونه؟ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ متى هذا الميعاد الذي سيُفني الله فيه الدنيا، ويُهلك فيه كل من عليها، وتأتي بعد ذلك الآخرة والحياة الثانية والبعث والنشور؟ أجاب عليهم الله في هذه الآيات لكي نستعد كمؤمنين لأمر الله في أي وقت وحين: ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾ (٧٧النحل)

وإياك أن تقول لا يزال على قيامها خمسين ألف سنة، أو خمسين سنة، أو خمسين ساعة، لا، فهي أقرب إليك من لمح البصر!!، حضرة النبي ﷺ يُوضِّح كيفية قيام الساعة فيقول ﷺ:

{ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَثَوْبُهُمَا بَيْنَهُمَا لا يَطْوِيَانِهِ وَلا يَتَبَايَعَانِهِ }[٢]

٢ صحيح ابن حبان ومسند أحمد عن أبي أبي هريرة ﷺ

الرجل ينشر ثوبه ليعرضه على المشتري ليبيعه فلا يستطيع أن يطويه، وتقوم الساعة، لأن الساعة تأتي بغتة يعني فجأة، فمن الذي يستعد لها؟ المؤمن والمسلم التقي الجاهز للقاء الله ﷻ.

وأنا أقول: أليس لكل واحد فينا ساعة؟ متى تكون هذه الساعة؟ ... ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٣٤لقمان) في لحظة!!، سيدنا رسول الله ﷺ ذهب ليزور البقيع مدافن أهل المدينة فوجد جماعة يدفنون رجلاً، فقال:

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلانٌ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }[٣]

وقال في الحديث الآخر:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهِ }[٤]

حُفرته جاهزة، وفيها ترابه، وهي التي ستناديه، فكيف يذهب إليها يا رسول الله؟ نفرض أنني هنا، وأن العُمر سينتهي في أمريكا، فقال ﷺ:

{ إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً }[٥]

---
٣ الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٤ حلية الأولياء لأبي نعيم، وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه
٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن مطر بن عكامس رضي الله عنه

شخص جالس معنا، ومكتوب له أن يموت غداً في القاهرة، سيحدث أي شيء يدعوه للذهاب إلى القاهرة لأن أمر الله النافذ، تقريره أنه يحدث في هذا المكان وفي هذا الزمان ... فساعتي وساعتك لا نعرفها، ومتى تأتي؟! هل سيترك لنا الله قبلها وقتاً لنكتب وصيّة، ونُعطي تعليمات، ونتوب إلى الله ﷻ من الذنوب والزلاَّت لنخرج تائبين إلى الله ﷻ؟! لا يوجد ذلك: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (٣٤الأعراف) والساعة هنا يعني لحظة، فلم يكن عند حضرة النبي ساعة كساعتنا هذه، والتي هي ستون دقيقة والتي نستخدمها في زماننا هذا، ولذلك فهذه الساعة اسمها القيامة الصُغرى، والتي هي موتتنا، غير القيامة الكُبرى التي تحدث مع الجميع:

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴾ الملائكة الذين أكرمهم الله وعظمهم، جبريل اختصَّ بالنزول على الأنبياء والمرسلين وهو مُكلف بالوحي، وميكائيل مُوكل بالإشراف على ملائكة الأرزاق، وعزرائيل مُكلف بالإشراف على ملائكة قبض الأرواح، وليس هو من يقبض الناس كلهم: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ﴾ (١١السجدة) كل واحد له ملكٌ مُوكلٌ به، وليس كلهم مُوكلٌ بهم عزرائيل.

وهناك أناس ليس مكلف بهم عزرائيل ولا هذه الملائكة، فمن سيقبض أرواحهم؟ رب العزة ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ ﴾ (٤٢الزمر)

والأنفس جمع قلة، أي الناس الأقِلَّة الأقطاب، وكُمَّل الأولياء والصالحين والأنبياء والمرسلين، كان أحدهم يقول: (وتولَ قبض روحي بيُمناك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن) عزرائيل ليس له شأن، ولا الملائكة الذين يعملون تحت إمرته لهم شأن بذلك.

النفخ في الصور

وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصُور، وما الصُور؟ هو العَالَم الربَّاني الذي بداخله السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما، كلهم في عالم واحد اسمه عالم الصور، ولذلك: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٦٨الزمر) كلهم لأنهم داخلين في عالم الصُور.

هذا الرجل مستعد من زمان وجاهز للنفخة الأخيرة، نفخة الفزع ونفخة الصعق اللذان بهم فناء الدنيا، ولذلك سيدنا عمر دخل على حضرة النبي ﷺ وكان نائماً على حصيرة، والحصير علَّم في جنبه الشريف، فسيدنا عمر قال له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[٦]

٦ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

حتى لا يكون لهم شيئٌ يطالبون به الله بعد ذلك، ثم قال ﷺ:

{ كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ }[7]

ينتظر أن يؤمر بالنفخ فينفُخ، فكيف أتنعَّم؟!! وهذا كلام رسول الله ﷺ!!.

وهم ثلاث نفخات بإجماع الســادة العلماء الأجلاء الفقهاء، آيات ســورة الزُمر ذكرت نفختـان فقط، لكن عنـدمـا نجمع معهمـا الآيـات الأُخرى من آيـات القرآن نجد عددهم ثلاث نفخات.

النفخة الأولى اسـمها نفخة الفزع: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٨٧النمل) وهنـاك قراءة قرآنيـة أخرى تُعطي معنى لطيف فتقول: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّوِرِ ﴾ وليس الصـوُر، ولكن صـورنا الموجودة عند رب العزة ﷻ، لأن كل واحدٍ منا له صــورة في كل عالم من العوالم العلوية، كما لك صــورة في الأرض لك صــورة روحانية في الســماء الأولى، ومثلها في الســماء الثانية، ومثلها إلى الســماء السـابعة، في كل عالم من العوالم العلوية لك هناك صـورة تُشبهك وفي هيئتك، ولكنها صورة روحانية نورانية جعلها لك رب البرية ﷻ.

---

7 مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

فساعة النفخة الأولى كل من في الأرض سيُصعق، والصعق يعني يُغمى عليه، فيحدث انتباه وتوقُّع، وتعرف الناس أن القيامة على وشك، ولكن لا يستطيعون عمل شيء، لماذا؟ حضرة النبي ذكر أنه قبل القيامة بمائة سنة لن يكون على وجه الأرض مؤمن، قال ﷺ:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى لا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ }[8]

وقال في الحديث الآخر:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَ لُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ }[9]

يعني كافر بن كافر، ولكن المؤمنين حفظهم الله سبحانه وتعالى من أن يحضروا هذا المشهد الأليم، ويتعرضوا لهذا العذاب العظيم.

قبل الساعة بمدة، يبعث الله ريحاً من تحت العرش، تقبض أرواح المؤمنين، ثم تنزل الملائكة تُغسّلهم وتكفّنهم وتدفنهم، وتستعد الأرض للقيامة، والقيامة لا تكون إلا على الكافرين والعياذ بالله ﷻ.

---

٨ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ
٩ المطالب العالية لابن حجر عن عمير بن نيار ﷺ

فالنفخة الأولى نفخة الفزع، والمؤمنون ليس لهم شــأن بالفزع، ولن يســمعوا: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ (٧٠يس) الكافرين ليس لهم أي حياةٌ إيمانية في القلوب، لا يوجد إلا المعيشة الجسمانية التي في الأجسام.

ثم تأتي بعد ذلك نفخة الصــعق: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٦٨الزمر) من الذي يشــاء له الله سـبحانه وتعالى أن لا يمر بهذا الصـعق؟ الشـهداء لأنهم عند ربهم يرزقون، وأمير الشـهداء والرسل والأنبياء سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك سيدنا رسول الله قال:

{ النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ }[١٠]

فتقوم الساعة والناس مشغولون في الأسواق في البيع والشراء، وفي المزارع، وفي المصــانع، وفي الشــوارع، ليسـوا مســتعدين ولا متأهبين ولا جاهزين، فلا يجد فُرصة ليكتب وصيّة، ولا يراجع نفسه:

---

١٠ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ :

حتى لا يستطيع إن كان في السوق أن يرجع لبيته، أو في مكان عمله أن يرجع لمنزله، لأن الساعة تقوم فجأة ويؤخذ، كما قال ﷺ:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ } [11]

النشأة الأخرى

بعد أن تأتي نفخة الصعق وكل الناس يموتون، فلن يكون على الأرض شيء، والناس الذين ماتوا بعضهم في القبور، وبعد فترة يتحول إلى تراب، وبعضهم غرق في البحر وأكله السمك، وبعضهم تعرَّض لحريق والنار لم تترك فيه شيء إلا وأكلته ... هؤلاء الناس كيف يجمعهم الله مرة أُخرى؟ هذه قدرة القادر ﷻ.

حضرة النبي ﷺ بين لنا أن كل إنسان منا ليس له شبيه ولا مثيل، لا في شكله، ولا في صوته، ولا في عقله، ولا في بصماته، ولا حتى في ذرات أعضائه الأساسية، وهذا ليس له علاقة باللحم والشحم، فهذا أحياناً يزيد وأحياناً يقل، ولكنني أتكلم عن الذرات الأصلية والتي هي أصل الإنسان، ومن جملة الذرات الأصلية جزء بسيط وصغير في نهاية العامود الفقري قال فيه حضرة النبي ﷺ:

---

11 صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر ﷺ

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ }[12]

عجب الذنب هو الجزء الأخير في العامود الفقري، والذي نسـميه باللغة العامية (العُصعُص)، وهو لا يفنى أبداً، فلو أكله الحوت لا يُهضم، ولو النار حرقت الإنسان لا يحترق، لأنه محفوظٌ بحفظ الحفيظ ﷻ،

كل ابن آدم يفنى إلا عجب الذنب، ومنه يتجمَّع الخلق يوم القيامة، شـأنه كشـأن المغناطيس الذي نجمع به المسـامير والبرادة والحديد، فهذا المغناطيس الذي سـيجمع كل ذرَّات الإنسان التي كانت فيه في هذه الأكوان.

بعض الناس كالهنود من يمت منهم يأتون به هو وزوجته، وهي ما زالت حية، ويوقدوا ناراً ويحرقوهما الاثنين، وهذه ديانتهم، وبعد أن تنتهي النار يأخذون ترابهما ويلقون به في نهر عندهم اسـمه النهر المقدَّس حتى لا يتجمَّع بعد ذلك، لكن الله ﷻ سـيجمع هذه الأشـياء!!، كيف يتم هذا الأمر؟ الإمام عليٌّ ﷺ كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم، قال فيه حضرة النبي:

{ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا }[13]

ماذا قال ﷺ وأرضاه؟ قال: المنيُّ ثلاث: عندما ينام الرجل مع زوجته ويقدِّر الله من هذه النومة نُطفة، ينزل ملكٌ يقسمها إلى ثلاث: ثُلثٌ يذهب إلى الرحم، وثُلثٌ يذهب للموضع الذي سيُدفن فيه ليناديه كما قلنا، وثلث يصعد إلى صحائف المـُـزن عند رب العزة في السماوات السبع، تعالى الله ﷻ عن الزمان والمكان.

١٢ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
١٣ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

إعادة الخلق

إذا إراد الله إعادة الخلق: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ (١٠٤الأنبياء) بنفس الكيفية

قال: ((فيُسلِّط الله ﷻ على الأرض رياحاً شديدة تهُبُّ عليها من جهاتها الأربع)) هذه الرياح من شدتها ستصنع زلازل: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (١الزلزلة) وستقوم بتحريك كل ما على الأرض، والجبال العالية ستنزل في البحار، والأماكن المتوسطة ستستوي، وفي أثناء هبوب هذه الرياح ذرات كل إنسان سيجمعها الرحمن على عجب ذنبه في المكان الذي دُفن فيه ... بعد أن تشتد صدمات الرياح، ويتجمَّع الناس في الأماكن التي دُفنوا فيها، تسكن الرياح، وكم تأخذ هذه الفترة؟ ستمكث أربعين سنة كما أخبر سيدنا رسول الله ﷺ، لماذا؟ حتى يكون آخر إنسان مات له قبر وبرزخ وحساب كبقية السابقين.

وبعد أن تسكن الرياح، وقد تجهزَّت الذرات، قال ﷺ:

{ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ }[١٤]

ينزل المني الذي تكون منه الإنسان في البداية مرة ثانية، كل ماء يذهب إلى صاحبه، ولا يحتاج لدليل ولا مُشير ولا إشارات ولا توجيهات، لأنه معه توجيه من خالق البرايا والبريات ﷻ.

---

١٤ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﵁

وعندما ينزل عليه ماء الحياة يتكوَّن الجسم، والجسم الذي سيتكون هو نفس الصورة، ونفس الهيئة، ولكن ليس بنفس الكيفية، لكن على حسب حالته وخاتمته عند رب البرية.

الأجسام في الآخرة

إذا كان من الداخلين الجنة فيكون جسمه كأجسام أهل الجنة، وإذا كان من الداخلين - والعياذ بالله جهنَّم - فيكون جسمه كأجسام الداخلين جهنم، والداخلين جهنَّم - والعياذ بالله - كيف تكون أجسامهم؟ حضرة النبي ذكر بعض صفاتهم لنعرفهم:

{ غِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ }[15]

ما بين جلد الكافر وعظمه كمسيرة ثلاثة أيام، ليكون جلده تخين، لأن العذاب للجلد: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ (٥٦النساء) فيكون الجلد قدْر سفر ثلاثة أيام مشي، وليس كسفر طائرة أو سفينة فضاء!، ومقعدته التي يجلس عليها قال عنها ﷺ:

{ مَقْعَدَةُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ }[16]

---

١٥ صحيح مسلم والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
١٦ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري ﷺ

انظروا إلى حجمه كم يكون، وضرسه كم يبلغ؟ قال:

{ ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ }[17]

فهذه كيفية مختلفة تماماً كالتي نعرفها، ولكن صورته عندما نراها نعرفه ونعرف هيئته لأنه يُجهَّز للنار ... وماذا ستكون كيفيتنا إن شاء الله؟ قال ﷺ:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، سِتُّونَ ذِرَاعًا }[18]

يكون طول الواحد ستون ذراعاً، وبعد ذلك، هذا الجسم قال فيه:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[19]

لا يوجد جهاز بولي، ولا يوجد غائط ولا فضلات لأهل الجنة، ولا يسقمُون، فليس هناك أمراضٌ، ولا يتمخطُون، فلا يُصاب أحد بانفلونزا ولا شيء من هذا القبيل، وبالنسبة للنساء لا تأتيهن الدورة الشهرية فهي غير موجودة هناك، وسيكون هذا الجسم مكيَّف: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١٣الإنسان)

---

١٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٨ صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ
١٩ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

فلا يحتاج أن يلبس بالطو صوف ولا عباية صوف، ولا يحتاج إلى مروحة أو تكييف، لأنه سـيكون مجهزاً تجهيزاً ربانياً لهذا النعيم الإلهي في هذا المقام الكريم، وهذا ما كشفه حضرة النبي، ولا نستطيع أن نكشف أكثر من ذلك، لأن العقول لا تتحمَّل فضل الله ﷻ على المؤمنين.

نفخة القيام

بعد أن تتجهَّز الأجسام فإن الله يُحيي اسرافيل لكي ينفخ النفخة الثالثة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٦٨الزمر).

وكما ذكرها في الآيات التي معنا:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ والأجداث هي القبور: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ يُسرعون ذاهبين إلى وجه الحنان المنان ﷻ.

وهذه النفخة الثالثة، عندما ينفخ تخرج الأرواح من مستقرها، فتكون هيئتها كما قال الله: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٧القمر) أسراب الجراد تأتي لنا من جهة السودان وجهة ليبيا ولكننا نمنعه من هناك، فسرب الجراد عندما يأتي يُغطي السماء كلها، ولو نزل على بلد كمحافظة المنيا مثلاً في خلال نصف ساعة لا يُبقي فيها ورقة شجر!!.

فالأرواح ستخرج مرة واحدة، وكل روح تعرف سكنها الذي كانت تسكنه فتذهب إليه، وبمجرد أن تدخل فيه الروح تدب فيه الحياة، وهذا ما نسميه النشأة الثانية، والتي بها نسعد أو نُعذَّب، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة أجمعين.

عندما تأتي هذه النفخة سنفرح لكن الآخرين يقولون كما قال الله: ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ ما الذي أيقظنا؟!! فقد كنا نظن أنها حياةٌ واحدة فقط: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (٢٤الجاثية) فتقول لهم الملائكة: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

العرض والحساب

ستكون صيحة واحدة، كلهم يتجمعون بعدها: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ جاهزين، ويبدأ بعد ذلك العرض والحساب.

وفي هذه اللحظات: ﴿ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ (٤٨إبراهيم) وتظهر أرض الموقف العظيم التي عليها الحساب، وهي أرض من فضة، فمن الناس من يقف على الأرض، ومنهم من يقف تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله،

ومنهم من يكون لهم منبر من نور قدام عرش الرحمن، ومنهم من يكون معه تصريح يشتغل به في مكتب الشفاعة للنبي العدنان، ويكون له شفاعة يشفع فيها في أهله ومن يُحب من بني الإنسان، وكل واحد على حسب مقامه، وعلى حسب عمله، وعلى حسب ما جهَّزه له مولاه نظير عمله الذي عمله من صالح أو طالح في هذه الحياة.

لكن المهم: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ ولذلك العاقل الكيِّس الفطن الذي يتخلص في الدنيا من حقوق العباد، يخرج من هنا وليس وراءه أو تسبقه شكاوي إلى الله، لأن المظلوم عندما يشتكي إلى الله، يقول له الله:

{ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ }[٢٠]

لا بد وأن يأخذ حق المظلوم من الظالم، لذلك في الدنيا قد أستطيع أن أذهب إليه ومعي رجلين طيبين ويسامحني، لكن هناك فلن يقبل، وكل واحد هناك يفتش في حسابه، يا ترى سأُوفِّي الميزان أم سأحتاج؟! هل سأوفِّي دخول الجنة أم سأذهب إلى النار؟!فحتى الإنسان الذي هو أرحم الناس بالإنسان في حياته وهما الأب والأُم فهناك أيضاً كل واحد ينشغل بنفسه.

وإن كانت الآية: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ (عبس) فهذه ليست لنا نحن، فالله قال فيها: (المرء)

٢٠ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

يعني غير المسـلم، وهذا الذي يفِّر، ولكن بالنسـبة لنا: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧الزخرف) لن نترك بعض أبداً إن شاء الله، ولذلك شعارنا وشعار الصالحين كلهم: ((الناجي يأخذ بيد أخيه)).

فمن الذي يفِّر؟ المرء، والمرء يعني غير المسلم، أي الكافر والمشرك والجاحد، فهذا اسـمه (المرء في القرآن) لكن نحن اسـمنا (المؤمن) ولم يقُل: يوم يفر المؤمن: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ (المدثر) أنتم مُستثنيين من هذا الأمر: ﴿ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (المدثر) هؤلاء يأخذون بأيدي بعضـهم ويدخلون معاً الجنة.

هل سـيدخلون الجنة كل واحد بمفرده؟ لا، لكن كل مجرم يدخل النار بمفرده: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام) ولكن المؤمنين: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) وزُمرا يعني كل جماعة كانوا يعرفون بعضهم في الدنيا ويجلسون مع بعضهم، سيدخلون الجنة مع بعضهم.

قد يكون رجل كان يجلس معنا ويحضر معنا، ولكن نفسه ضحكت عليه وتركنا فترة، فيأتي الرجل منا ويؤمر به إلى الجنة، فيقول: يا رب أين أخي فلان؟ فيقال له: إنه لم يعمل مثل عملك، فيقول: يا رب إني كنتُ أعمل لي وله، فيأمره الله أن يأخذ بيد أخيه ويدخله معه الجنة [21]... ادخلا معا الجنة ..!! لذلك نحن ننفع بعضنا!

لكن الذين لا ينفعون بعضهم من هم؟ الكافرون!

فلا نسمع غير الفقهاء الذين يقولون: أن كل واحد سيكون بمفرده، لا، فهذا للكافرين وللمشركين، لكن المؤمنون سنكون كلنا مع بعضنا، وربنا قال لنا: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥مريم) سنذهب وفداً معاً، وليس كل واحد بمفرده! .... كل وفد في أي زمن يكونون مع بعضهم، لذلك قال (وفد)، لأننا نعرف بعضنا، والذين من قبلنا يذهبوا مع بعضهم، وهكذا.

مظالم العباد

فهذا ما يحدث للمؤمنين، ولكن المؤمن العاقل الكيِّس الفطن الذي يخرج من الدنيا وليس عليه مظلمة لأي أحد من المؤمنين، لماذا؟ قال حضرة النبي ﷺ:

---

٢١ شارة إلى الآثار الواردة ومنها عن سعيد ابن جبيريقول: يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابى أين ولدى اين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة، تفسير تنوير الأذهان وغيره.

{ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ }[٢٢]

لإنه ورد أنه إذا انتهى العبد من الحساب، وأُمر به إلى الجنة، وفُتحت له أبواب الجنة، وأوشك على دخول الجنة، فينادي منادي الله ﷻ: (من كانت له مظلمة عند فلان فليخرج، ليقتصَّ من المظالم، فيقوم بعض الناس وكل واحد معه مظلمته التي جهَّزتها له النيابة الإلهية، فمنهم من يقول: شتمني، ومنهم من يقول: سرقني، ومنهم من يقول: قتلني، ومنهم من يقول غشَّني. وكل واحد معه مظلمته، فيقول رب العزة: وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى تُرضي خُصماءك).

اجلس مع هؤلاء وتراضي معهم، أين هذا الموضع؟

هو بين الجنة والنار واسمه (الأعراف) نتعرَّف فيه على هذه المظالم

﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلاَّۢ بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ (٤٦الأعراف) فنجلس نتصالح، ونعقد محاضر صُلح، لكن لن يصطلح معه أحدٌ مجاناً، ولا لوجه الله، فكم تدفع؟ فيقول: وكيف أدفع؟!! ليس هناك دولار ولا ريال ولا استرليني ولا يورو ولا جنيه، ليس هناك غير الحسنات والسيئات.

---

٢٢ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﵁

وكم أدفع؟ يقولون: نأخذ من الحسنات، فيأخذ هذا من حسناته ليُسامحه، والثاني يأخذ من حسناته، والثالث يأخذ من حسنات ..!!! فإذا انتهى الرصيد ولا يزال هناك مطالبين، فيقول: أنا أعلنت الإفلاس، فيقولون له: احمل عنا من السيئات، وهذا ما يقول فيه الرسول ﷺ:

{ أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لا لَهُ دِرْهَمَ وَلا دِينَارَ وَلا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }[٢٣]

ما الذي يُضيّعه؟ ...... حقوق العباد ومظالم العباد!!

والله ﷻ آلى على نفسه أن يقتصَّ للمظلوم من الظالم، فلا يعفُو ولا يصفح، لأن صاحب الحق هو الذي يعفو ويصفح.

---

٢٣ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

من الرجل العاقل في الدنيا الذي يخرج وليس عليه مطالبين؟! ولا عليه حقوق للناس أجمعين؟! لأن الله سبحانه وتعالى غفور ورحيم وتواب وكريم، ولكن هذا فيما بيننا وبينه، ولذلك يأتي يوم القيامة فينادي منادِ الله كما ورد في الأثر: (يا عبادي قد استمعتُ إليكم طويلاً فاستمعوا إليَّ اليوم: أما ما كان بيني وبينكم فقد وهبته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

قد تكون أنت من العُبَّاد والزُهَّاد ولك أعمالاً أمثال الجبال، وآخر مسكين ظلمته ظلماً يوقفك ويمنعك من دخول الجنة، لأن الله ﷻ قال:

{ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا }[٢٤]

أوصانا بذلك ..

إياك ثم إياك أن تظلم أحداً من خلق الله، حتى ولو كانت زوجتك، ولو كان أحداً من أولادك، فهل يُمكن لأحدٍ أن يظلم أحداً من أولاده؟!! نعم، مثلاً يقول: أنا سأوزع تركتي وأنا حيٌّ، وهذا الولد لا يُطيعني ولا يسمع كلامي فليس له نصيبٌ في التركة ... أنت لا شأن لك بالتركة، فأنت مجرد حارس للتركة، وعندما تسافر إلى الله سيتم توزيعها على حسب اللوائح الإلهية الثابتة في الآيات القرآنية، قال ﷺ:

---

٢٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي ذر ﷺ

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثَهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ }[25]

يقول: إنه ولدٌ عاق، لكنه ابنك، وأنت أيضاً في الإسلام ابن لرسول الله، ونفرض أنك عاق وظالم، لكن سيدنا رسول الله سيشفع لمن؟ لهؤلاء الظلمة، فقال:

{ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[26]

وهم أولاده، فيجب على الإنســـان أن لا يظلم أحداً، ويخرج من الدنيا وإن كان ليس له إلا الفرائض فقط، وليس عليه ظُلمٌ لأحدٍ من خلق الله ســـيكون من الناجين، ويكون من الذين يدخلون الجنة، ويكون في جوار رسول الله ﷺ.

أثر العمل الصالح

﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ :

لذلك نحن يجب أن نُكثر من الأعمال الصـــالحة، ما الذي نأخذه من الدنيا عندما نســـافر؟ لو جمعت مال الدنيا كله ســـيقول لك عند موتك: مع الســـلامة يا فلان، أنا أصبحت لفلان ولفلان، ولم يعد لك شيء، والعيال سيوصلوك إلى باب القبر، لكن هل سيدخل معك أحدٌ منهم ليبيت معك ولو ليلة؟!! أبداً، إلى هنا وينتهي الأمر.

---

٢٥ سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ
٢٦ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

من الذي يظل معك إلى يوم القيامة؟ العمل الصـالح، فعندما يدخل الإنسـان القبر ويمشي الناس كما قال ﷺ:

{ وإذا برجلٍ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ وَجْهٌ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ }[٢٧]

من الذي يُؤنسك إلى يوم القيامة؟ ومن الذي يُنير لك القبر ؟

العمل الصالح!

وأيضـــاً في القيامة الشـــمس يُلقى بها في جهنَّم، والأرض تتبدَّل، ويوم القيامة سيكون يوماً شديد الظُلمة: ﴿ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا ﴾ (٤٠النور) وبماذا أرى؟

﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (٤٠النور) نور العمل الصـــالح، فهناك أُناس عملهم الصالح يُضيء لهم على قدر ما يمشي تحت قدميه، والنبي يقول فيه:

{ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إِلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ }[٢٨]

---

٢٧ مسند أحمد والحاكم عن البراء بن عازب ﷺ
٢٨ جامع البيان للطبري

أقلُّ المؤمنين إيماناً من يُضيء له نوره تحت قدميه، ككشاف صغير ...

وهناك أُناسٌ يقول فيهم:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }[29]

كل واحد على حسب عمله الصالح، فنحن هنا في الدنيا ماذا نحتاج؟

الاستكثار من الأعمال الصالحة، والبضاعة الرابحة، وهي طاعة الله ﷻ، وخير الأعمال الصالحة والتي ليس للإنسان عُذرٌ في تركها، لأنها لا تحتاج إلى وضوء، ولا تحتاج إلى مسجد، ولا تحتاج إلى الإتجاه إلى القبلة، ويستطيع الإنسان أن يؤديها في أي زمان ومكان، ذكر الله ﷻ.

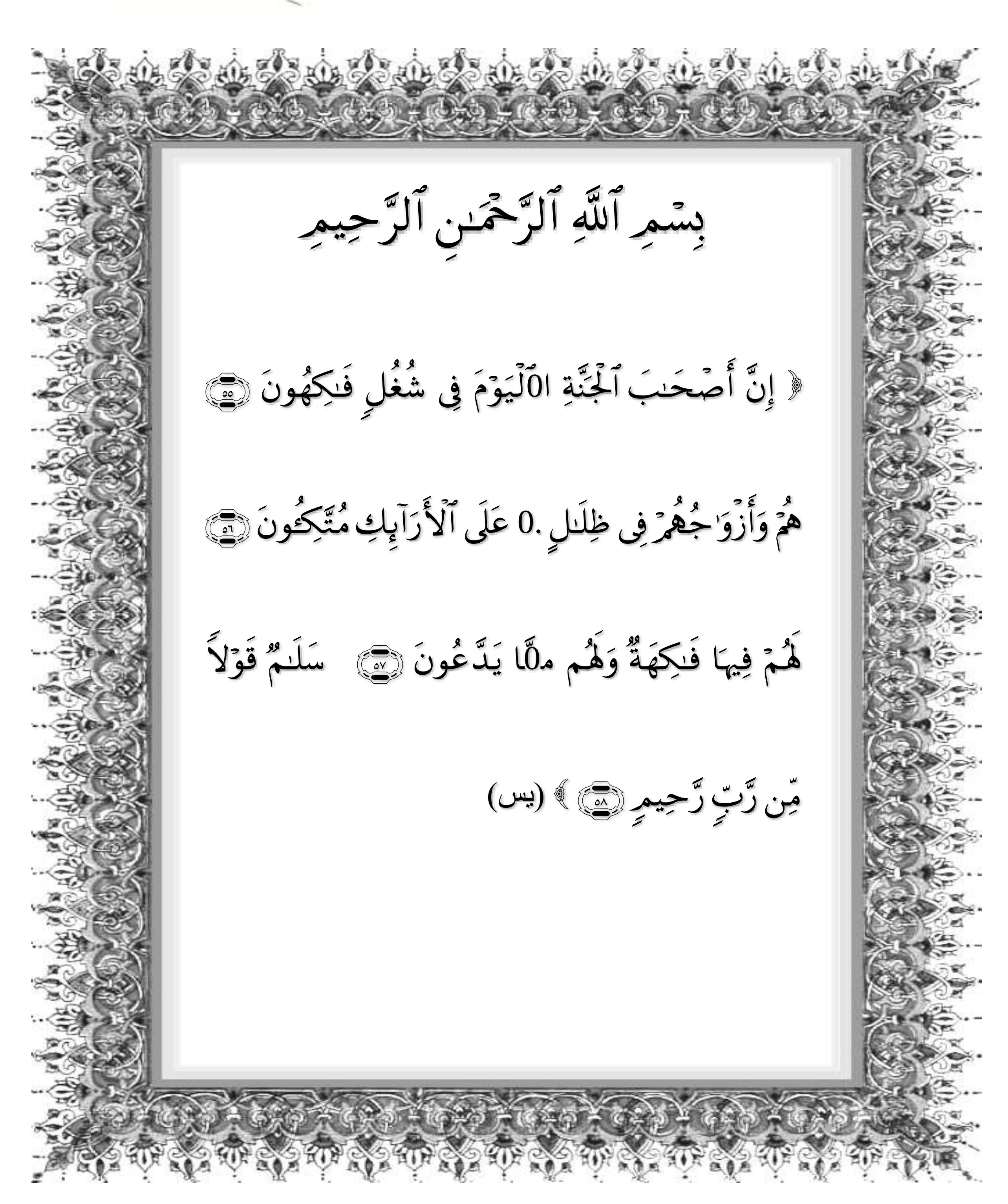
ما الذي يمنع الإنسان من ذكر مولاه في كل خطواته وحركاته وسكناته، ونومه وقعوده وهو في هذه الحياة؟!!

﴿ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١آل عمران).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٩ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷺ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨) ﴾ (يس)

٢٥.شغل أصحاب الجنة[١]

﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾:

من هم أصحاب الجنة؟

نحن إن شــاء الله، والله ﷻ ليُبين فضــله وكرمه علينا بيَّن أننا نلنا الجنة لا بعمل ولا بمال ولا بحالٍ، وإنما ميراث: ﴿ تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا ﴾ (٤٣الأعراف) ...

ولكي يكون هناك شيء من التكريم قال: ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (٤٣الأعراف) ..

لأنه هل يوجد أحدٌ منا يرث أباه نتيجة العمل الذي يعمله مع أبيه؟!

لا!!، فنحن أصحاب الجنة.

شغل أصحاب الجنة

﴿ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ ﴾ :

فإذا قلت اليوم الذي نحن فيه الآن، فيكون أصـــحاب الجنة الذين قدَّر الله لهم ميراث الجنة، لا بد وأن يكونوا الآن في شُـغل شـاغل يؤهلهم للجنة، في شُـغل بفكر، وفي شُغل بذكر، وفي شُغل بالصلاة على النبي العدنان،

---

١ المنيا – مغاغة – آبا البلد - ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٨/٢٠م

وفي شُــغل بالاســتغفار، وفي شُــغل بمجالس العلم، وفي شُــغل بمجالس تلاوة القرآن، وفي شُغل بمجالس الصُلح، وفي شُغل بعيادة مريض، وبتشييع جنازة، وببر الوالدين، وبصــلة الأرحام، المهم كل هذا لله، ولوجه الله لا يرجُو من وراء هذا العمل إلا وجه مولاه:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

لا يريدون حتى الجنة، ولا يخافون من النار، وحتى بعد أن يدخلوا الجنة يأمر الله ﷻ الملائكة أن يعطوهم ما يريدون:

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ (٧١الزخرف).

ألوان نعيم الجنة

ولذلك أهل الجنة أنواع، منهم من يشـتهي الأكل والشـرب والنسـاء، فهذا يعطوه ما يريد، لأنها شــــهوته، ومنهم من يأتونهم بمثل هذه الأمور فيقولون لهم: لا نُريدها، تركناها أحوج ما نكون إليها في الدنيا، لكن كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }[٢]

---

٢ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

لا يريدون إلا جمال وجه الله، إذا كان الأمر أكل وشـــرب لكنا أخذناها في الدنيا وانتهى الأمر!!.

فالذي يُريد جنة النعيم، وينعَّم ويتنعَّم فيها بما تشـــتهيه الأنفس عليه أن يشـــتغل بالطاعات لكي يحسبون له حسنات، ويخرجوا له من رصيده ما يغنيه بهذه المشتهيات.

والذي يريد وجه الكريم، وهذا غاية أمنيته في جنة النعيم، فهذا بماذا يشتغل؟ هذا يشـتغل بذكر الله، والإقبال الشـديد على سـيدنا رسـول الله، ومعاونة الصـالحين الذين أقامهم الله على تبليغ رسالة الله طلباً لمرضاة الله، لكي يحظى بوجه الله جل في عُلاه.

فعندنا شُـغل أهل الجنة في الدنيا ـ كما قلت ـ الفريق الذي يبغي النعيم، والفريق الذي يبغي وجه الكريم، لكن الإثنين في شُغل في الدنيا لكي يفوزوا ويجوزوا.

ولو قلنا أن هذا اليوم في الجنة، فهل في الجنة شُـغل؟!! ليس فيها عبادة تكليفية، فلا هناك تكليف بصـلاة، ولا بصـيام، ولا بحج، ولا بصـدقة، فماذا تكون العبادة فيها؟ قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ }[٣]

ويـذكرون الله ﷻ تلـذذاً وتفكهـاً، يتلـذذون بعبـادة الله ويتفكهون، مـا فـاكهتهم؟ ترطيب الجوارح كلها بذكر الله، فنحن هنا لا يمكننا أن نذكر الله إلا باللســـان، ومن يكرمه يُشغِّل معه الجَنَان، وإذا زاد في الإكرام فيشتغل اللسان مع الجنان.

---

٣ مسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

نعيم أهل العيان

لكن أهل الجنة؛ أهل العيان يذكرون الله بكل أعضائهم، كل الأعضاء تشتغل بذكر الله ﷻ، وإن من شيء في الإنسان في الجنان إلا ويُسبِّح بحمده، شغلهم بالتسبيح بحمد الله.

فهؤلاء يكون لهم في الجنان نعيم رباني، ومشاهدات، ومكاشفات ومنازلات إلهية، وإطلالات ربانية يقول في بعضها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: " سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ " قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ }[٤]

إذا دخل أهل الجنة الجنة سطع نورٌ في أعلى الجنة فينظرون إليه فيتمتعون بوجه الله ﷻ، فما تلذُّذوا بنعيمٍ أغلى ولا أعلى ولا أبهى من النظر إلى وجه الله ﷻ.

ولذلك هؤلاء القوم يقول فيهم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

وجنة الخُلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسنها بالزهد همتهم

لا يريدونها، الشيخ إبن الفارض رضي الله عنه وهو خارج من الدنيا، وأهل الصفاء والنقاء

٤ سنن ابن ماجة والدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

لا بد أن يعرف مرتبته ومنزلته قبل أن يرحل من الدنيا: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ (٦محمد) يعرفها، حتى لا يســـأل هناك، أو يأتي بدليل ليدله، لكن لا بد أن يعرفها من هنا، فعندما رأى الشيخ ابن الفارض منزلته في الجنة قال:

فإن تكُ منزلتي في الحب عندكمُ ... ما قد رأيتُ فقد ضـيَّعت أيامي

ماذا أفعل بهذا؟! وهل كان حبي ومناجاتي من أجل هذا؟! وماذا أصنع بهذا؟! إذاً ماذا تريد؟ قال:

أمنية ظفرت روحي بها زمناً ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام

أمنيتي كلها: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ (القيامة) هذا ما أريد، لا أريد نعيم الجنة، فهذا للعوام، لكن أهل خاصــة الخاصــة: ﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ أول ما يوحي الفهم في أذهان الســامعين عن الأرائك يعني أنها الكراســي الجميلة التي تكون في قصــور الجنة، وماذا أفعل بها؟! وماذا نريد؟ أريد أن أكون في مكان في الجنة، هناك حيّ من أحياء الجنة اســمه حي عدن، لأن الجنة أحياء، وكل واحد يكون في الحي الذي يليق به، فالذي يكون في حي رســول الله غير الذي يكون في الأحياء الأُخرى، وهناك حيٌّ آخر موجود في آخر الجنان فيه كلب أهل الكهف، وفيه ناقة سـيدنا صــالح، وفيه كبش سـيدنا إسـماعيل، فيه هذه الكائنات العظيمة لكي يشاهدها الناس وتتذكر.

لكن هل هذا الحي ينفع معنا؟! لا، فماذا نصنع بهم؟! نحن نقول: الجار قبل الدار، فإذا أدخلتني في هذا الحي فمن يكون جاري؟!!.

فإن كان جاري الحبيب فيا هنائي على هذا النصيب، لكن تُبعدني عن الحبيب فلو كنتُ في أعلى نعيم الجنة فكأني في لهيب.

الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ يقول عن هؤلاء الذين لم يلحقوا بهذا النعيم: (إن في الجنة لأقوام يستغيثون من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار) لماذا؟ لأنه في الجنة ولكن لا يرى شيئاً، يأكل ويشرب ويتمتع ولكن لا شيء يراه، وهل يجوز ذلك؟!!.

أنا جئت لأزورك في بيتك، والأولاد قابلوني وقدموا لي أفخم أنواع الطعام والشراب، فأسألهم: أين فلان؟ يقولون: موجود ولكن لن يستطع مقابلتك، فهل يكون لي قابلية أن آكل أو أشرب؟!! أنا لم آتي للأكل والشراب، فهل تُزار البيوت لسكانها، أم لخيراتها وحيطانها؟!!. نحن نريد الجنة لأنها موضع تجلي الله، وموضع النظر إلى وجه الله، ومرافقة حبيب الله ومصطفاه ﷺ، أُريد قبل أن يقول: ادخلوا الجنة، نكون مع:﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ (٦٩النساء).

أريد أن أدخل في هذه، فلو قيل: ادخلوا الجنة، فجائز أدخل في مكان آخر، لكني أريد: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ (٦٩النساء) أو أريد أعلى من ذلك: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) أريد أن أكون في هذا الحي العظيم لرسول الله ﷺ، هذا النعيم اسمه نعيم العيان لأهل الإيقان، الذين سيتمتعون به في الجنان، بجوار النبي العدنان ﷺ.

وفي الجنة كثيب - يعني كوم عالي - ولكنه من المسك، وليس هذا المسك كالمسك الذي نعرفه، فأي شئ في الجنة تسمع اسمه لا تأخذ الأمر على أنه كالذي في الدنيا، فهذا شيء، وهذا شيء آخر.

المقربون

هؤلاء هم: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة)

أين؟ ﴿ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (١٢الواقعة) منهم من سيتمتع بالنظر إلى وجه الله على الدوام، ومنهم من يتمتع بالنظر إلى وجه الله على قدر كل أسبوع مرة، ومنهم من يتمتع بالنظر إلى وجه الله على قدر كل شهر مرة، ومنهم على قدر كل سنة مرة، على حسب مقامه ومنزلته عند الله ﷻ.

وعندما يطلبه مولاه، يجد الطلب فوري فيقول له: (من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي لا يموت، عبدي اشـتقتُ لرؤياك فتعالَى لتزورني) أين تكون هذه الزيارة؟ على الكثيب الأحمر في جنة عدن، كما أنبأ الحبيب المصطفى ﷺ.

ومن فضـل الله علينا أن المؤمنين الصـادقين سـيرفع الله أزواجهم وأولادهم في الجنة، وإن كانوا دونهم في العمل، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " }[5]

إن الله يرفع أهل الرجل الصالح إلى درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل إكراماً لصـلاحه وتقواه، ولذلك عندما يدخلون الجنة وهؤلاء أُناسٌ مخصـوصـون - يسـمعون النداء ـــ فيقول الله: ﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (الزخرف) كل واحد يأخذ زوجته في يده ويدخل، والأولاد؟ سـيتبعوكم: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (٢١الطور) سيلحقون بكم، حتى لا تخافوا عليهم، وهذا إكراماً من الله ﷻ للمؤمن.

---

٥ القضاء والقدر للبيهقي ،ومعالم التنزيل تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

لأن الجنة ليس فيها حزن، فيكف أكون في الجنة وأعرف أن زوجتي التي تعبت معي في الدنيا أنها في النار وأفرح؟! هل سأفرح أم أحزن؟! والجنة ليس فيها حُزن.

وكيف أكون في الجنة وابني الذي ربيته على يدي وكان تقياً ونقياً ليس معي في درجتي في الجنة؟! وأنا أريد أن أراه وأطمئن عليه على الدوام، لذلك سـيلحقك إلى الجنة إكراماً من الله، وشفاعةً من رسول الله ﷺ.

وهذه شـفاعة النبي التي سـتكون في الجنة، لأن النبي له شـفاعات كثيرة في القيامة، من ضمنها شفاعة في الجنة؛ أن يجمع الأهل على أهلها، حتى لا يكون هناك حُزنٌ أبداً، فيقولون: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) فلا يوجد حُزنٌ هناك نهائياً.

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ ﴾ وفي قراءة أخرى ﴿ فِي ظلل ﴾ وكل قراءة تُعطي معنى من المعاني العظيمة، ﴿ فِي ظِلالٍ ﴾ يعني في ظلال أشـجار الجنة، وأشـجار الجنة حضرة النبي يقول فيها:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا }[6]

تمشـي في ظل هذه الشجرة مائة سنة، أو ﴿ فِي ظلل ﴾ يعني خيام، وتكون على أنهار الجنة، لنُصـيِّف ونتمتع بأنهار الجنة، والتي يجري فيها الماء والعسل والخمر واللبن في وقت واحد، في النهر الواحد، ولا يختلط نوع بالآخر، وهذه قدرة القادر ﷻ.

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ كما قلت التي في جنة عدن على الكثيب الأحمر، الذي يتمتعون فيه بالنظر إلى وجه الله، وبالتفضُلات التي تتنـزل عليهم من المولى جل في عُلاه.

فاكهة الجنة

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ ﴾:

والفاكهة أيضـاً المعنى الذي يسبق إلينا جميعاً كفاكهة الدنيا التي نأكلها، مع أنها موجودة في الجنة أيضـاً للقوم الذين تحدثنا عنهم والذين يريدون النعيم: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ (٢٥البقرة).

---

[6] البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

كل شـــيء في الجنة يفهم وله بصــيرة، يعرف ماذا تريد ولا ينتظر حتى تطلب، فأنت تشتهي أن تأكل تفاح، فتجد الشجرة أتت بالتفاح حتى إذا وصلت إليك أنزلته في حجرك، ستأخذ التفاحة، فتنبت واحدة أُخرى مكانها وبنفس شكلها ولونها، لكن الطعم يختلف عن الأولى والثانية والثالثة بالكلية، لماذا؟ لســـعة إكرام الله وعظيم إنعام الله وفضل الله جل في عُلاه.

أحببت أن تزور أخاك فلان، فالســرير الذي تجلس عليه، وهذا ســرير كســرير الملوك في الدنيا، فبمجرد أن يخطر ببالك أن تزور فلان فالســـرير يتحرك من تلقاء نفســـه ويأخذك إليه، وهذا نظام الجنة، فكل ما تتمناه تجده محققاً بأمر الله، لأن كل ما في الجنة على بصيرة بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فهذه فاكهة أهل جنة النعيم.

فما فاكهة أهل جنة التكريم؟ الفاكهة هنا معناها في اللغة الحياة الطيبة، والحياة الطيبة لدى هؤلاء لا تكون إلا بما أشرنا إليه من المواجهات الإلهية، والنظر إلى وجه الله، ومجالسة حبيب الله ومصطفاه، وغيرها من الأسرار التي لا تُباح في هذه الدار ..

وإنما كما قال فيها النبي المختار:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٧]

لأنها حياة أُخرى، حياة تجليات، وحياة تنزلات، وحياة ملاطفات، وحياة مؤانسات، لهؤلاء القوم.

---

٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ لم يقُل: ما يشـاءون، ولكن (مَا يَدَّعُونَ) وهي أعلى في المقام، ويدَّعون يعني أن كل ما يتعهَّد به يُعطيه له الله، يعني مثلاً واحد من هؤلاء في الدنيا وقال: يا فلان إن شـاء الله لو عملت كذا أنا أضـمن لك الجنة، فيُدخله الله الجنة، لأنها دعوة، أو يقول: يا فلان لو تنازلت عن هذه القضية أضمن لك قصراً في الجنة العلية، فيجيبه الله، فكل ما دعوت به في الدنيا مُجاب بأمر الكريم الوهاب ﷻ.

كل دعوة ادَّعُوها في الدنيا - ولا يدَّعون إلا لوجه الله، وطلباً لرضـاه- فلهم ذلك إن شاء الله.

تحية أهل الجنة

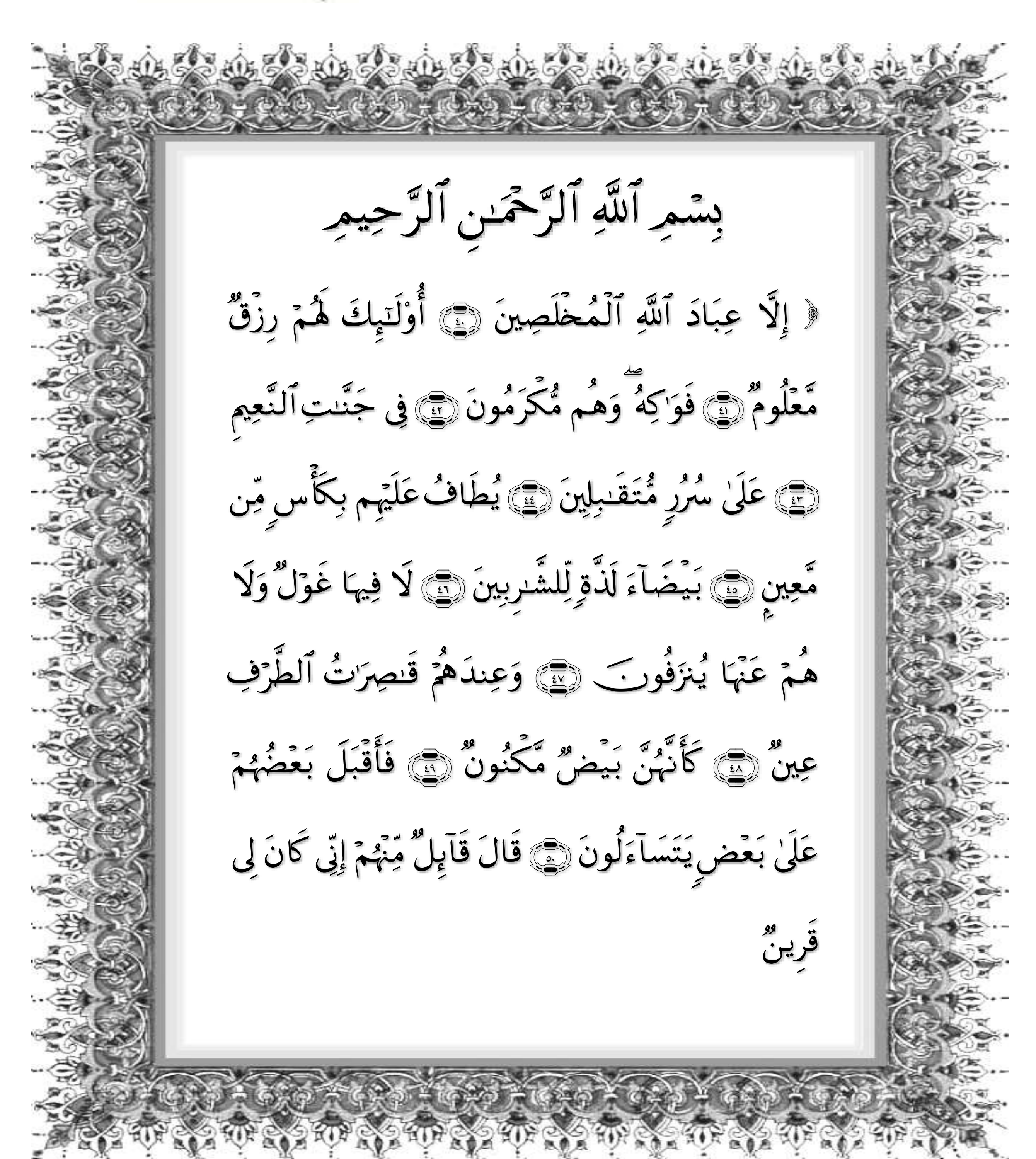
وأعلى من ذلك النعيم كله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ سيسمعون كلام الحق ﷻ الذي لا تسمعه الأذان، ولا تعيه القلوب إلا بفضل من حضرة الرحمن ﷻ.

سيدنا موسى كان كليم الله، ورد في بعض الأثر أنهم سألوه: كيف تسمع كلام الله يا موسى؟ قال: (كأنما أسمع عشرة آلاف لسان، وكل لسان يتكلم بعشرة آلاف صوت، وكل صوت يتكلم بعشرة آلاف لُغة، وأسمعه كله في وقت واحد، وكلي مسامع) يعني لا يسمع بالأُذن فقط، فقد أصبح فيه شفافية، فاليد تسمع، والرأس تسمع، والأنف يسمع، وكل جارحة من الجوارح تسمع بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

هذا المقام الكريم هو أعلى درجات النعيم التي نسمع: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾

(٤٤الأحزاب) يكررها الله لنعرف، اجعل عين الفؤاد دائماً على هذا المطمع الإلهي العظيم، ماذا تشتهي؟ النظر إلى وجه الله، وسماع السلام من السلام جل في عُلاه، إذا وصل الإنسان إلى هذا النعيم فهي أرقى درجات التكريم، وهي والحمد لله ربنا - وهو كريم - وعدنا بها أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يُدخلنا هذه الجنة في الدنيا، ويجعلنا من أهلها في الدار الآخرة، وأن يُمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم، وسماع السلام من لدُنه، ويرزقنا مرافقة الحبيب المختار، ويجعلنا حوله مُزيَّنين منه بالأنوار، ويتجلى علينا ليل نهار حتى نحظى بهذا الجوار .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ

﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

(الصافات)

٢٦.المخلصون[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنعم علينا بهداه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأهَّلنا في الدنيا لدخول الجنة، وأكمل علينا المنَّة، فجعلنا ورثة جنة النعيم فضـلًا من الله ومنَّة، والله عزيز حكيم والصـلاة والسـلام على مفتاح دار النعيم الذي أخبر عن ربه الكريم فقال:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ }[٢]

صلِّ وسلم وبارك اللهم على هذا النبي، واجعلنا من أهل شفاعته، واحشرنا إلى الجنة في زمرته، واجعلنا من أهل جواره ومن خيار أحبته أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

نريد أن نتعرف على بعض ما جهَّزه الله لنا في الجنة، لأنه لا يســتطيع أحد من الأولين ولا الآخرين أن يصف الجنة إلا الله، أو حبيب الله ومصطفاه.

---

١ المنيا العدوة - ٢٩ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٨/٢١م
٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

الأدب في الحديث عن الغيوب

الله ﷻ هو الذي خلق الجنة وهو الذي أبدعها وأنشـأها، قال في كتابه لحبيبة ﷺ: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ (٦محمد) هو الذي تكفل بتعريفنا للجنة، لأن الجنة غيب:

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (٢٦-٢٧الجن).

لكن هل يوجد أحد منا يستطيع أن يخمن ما هذا الغيب؟!! حتى لو صـدق يكون كذب على الله ﷻ، فلا يجوز التخمين، ولكن الحديث عن الجنة إما أن يكون من كتاب الله أو من صحيح الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ.

أنا أقول هذا الكلام لأنه أنتشـر في الأزمنة الماضـية كتيبات صـغيرة كانت تباع أمام مقام سـيدنا الحسـين والسـيدة زينب وهذه المكتبات، ويكتبون فيها أشـياء ينقلونها عن الروايات الإسرائيلية اليهودية التي منع عنها خير البرية ﷺ ..

ويأتي بعض العلماء يريدون أن يكلمون الناس عن الجنة، ويريدون أن يقولون شيء جديد، فيأتي بالكلام الذي نهى عنه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، منها كتاب له شهرة كبيرة في الآفاق اسمه (دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار) وهو ليس له شأن بالصحيح الوارد عن رسول الله ﷺ!!.

الغيوب بالذات لا نتحدث عنها إلا بما ورد في كتاب الله، أو بما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ، لكن الذي ورد عن اليهود أو ما نسميه بالروايات الإسرائيلية معظمها مكذوب، ونحن أمة الحبيب عندنا الصدق والصحيح في كلام حضرة المجيب، وفي توضيح الحبيب ﷺ.

والذي نستطيع أن نستوعبه من المصدرين الأساسين على بركة الله، وما لا نستطيع نقف عنده، لأن الرسول ﷺ ذات يوم أخذ يشرح الجنة وفي نهاية شرحه قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٣]

فلا أحد يخترع، ولا يخمن، ولا يقول رواية عن الجنة ويقول أنا أعتقد أن الجنة ستكون هكذا، أو أتصور أن الجنة ستكون هكذا! ..

نحن لا نريد تصورك هذا، فتصورك هذا اجعله لنفسك، لأننا نريد الصحيح الوارد عن الله، أو الوارد عن رسول الله ﷺ.

وسيدنا رسول الله ﷺ استشهد بالآية الموجودة في سورة السجدة:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧السجدة)

فماذا بعد ذلك؟!

---

٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

لكن التوضـــيح يكون تلميح من الله ﷻ تشـــويقًا لنا وترغيبًا لنا في النعيم الذي جهَّزه الله لنا في دار التكريم، نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها أجمعين.

التبشير للمؤمنين

فبعد أن تحدث الله عن الصــنف الذي سـيذهب إلى جهنم وأنواعهم وعذابهم، بدأ الكلام عن المخلصين،: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾:

ولذلك نحن نسـتحسـن أننا دائمًا نشـرح ونقرأ في الصـلاة للمؤمنين الآيات التي تتكلم عن الجنة لكي تنشرح صدورهم، وتُقبل نفوسهم على الله ﷻ.

أنا كنت أصـــلي المغرب في أحد المســاجد ففوجئت أن الإمام قرأ في الركعتين آيات تتحدث كلها عن الكافرين!! ما شأننا بالكافرين؟!!

لماذا لا تبدأ بآية تقول (يا أيها الذين آمنوا) يوجد حوالي اثنين وثمانين آية تبدأ بقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) فأنظر في رســـائلهم، أو اقرأ آيات عباد الرحمن، أو يوجد آيات كثيرة تبدأ (يا عبادي) والتي تخصهم وتهمهم.

فبعد أن شرح الله ﷻ ما يتعلق بالكافرين والمبعدين، وهي آيات لا تخصنا، لأننا لنا الجنة إن شـــاء الله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (المؤمنون) فهؤلاء الذين يرثون الجنة إن شـــاء الله، ويكون خلود، وينادي المناد بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، وبعد أن يدخل أهل النار النار:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ }[٤]

العقد الذي تعاقدنا به مع رب العزة على الجنة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (١١١التوبة) أليس هذا عقدنا؟ ولا يوجد مكان آخر لنا، فعقدنا الجنة.

فالله ﷻ وضـــح لنا: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ :وهناك قراءة : ﴿ إلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِـينَ ﴾ فتُقرأ المخلَصـين أو المخلِصـين، وهذان مقامان ودرجتان، وهذا من عظمة القرآن وإعجاز القرآن وعظمة كلام الرحمن ﷻ، يخاطب المقامين الاثنين في خطاب واحد، ويبين لنا المحك الذي ينبغي أن يحرص عليه كل مؤمن لكي يتحقق رجاؤه وينال مناه.

---

٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الإخلاص

أنت تطمع في أشــياء كثيرة عند الله، وفي الآخرة، وفي الجنة، فما المفتاح الذي يســهل لك الحصــول على كل ذلك؟ الإخلاص، والإخلاص أن يجعل الإنســان عمله لوجه الله، لا لدنيا، ولا لمنفعة، ولا لشــهرة، ولا لرياســة، ولا لفخر ولا لأي أمر آخر لأننا نقصد بعملنا وجه الله تبارك وتعالى.

ولـذلـك يـذكرنـا الله في القرآن في مواضـــع كثيرة بهـذا الأمر: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١٤غافر) قبل أن تعمل أي عمل تحرى فيه أولاً الإخلاص، أي تحترس من نفسـك لكي لا تضـحك عليك فتعمل هذا العمل لكي يحبك الناس، أو لتنال شهرة عندهم، أو لتُعجب بنفسك، أو لمصلحة دنيوية، لكن اجعل عملك دائمًا رغبة في إرضـــاء رب البرية ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة) فالله لا يريد إلا الأعمال التي بها إخلاص.

فالذي يريد أن يتحقق له كل الآمال عند الله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١١٠الكهف) أي يجعل عبادته لله خالصـــة لله تبارك وتعالى.

والإخلاص أصـــعب المجاهدات للنفس، لأنـه توحيد القصـــد لرب البريـة، والخلاص من كل الشـــهوات والنوازع الدنيوية، والشـــهوانية، والنفســانية، وهذا هو الجهاد الأعظم.

والذي وصـل لرتبة الإخلاص فيا هناه، فهذا الذي يرضـى عنه الله ويبلغه مناه، لذلك الإمام الغزالي ﷺ وهو في ســكرات الموت اجتمع حوله تلاميذه الصـــادقين فأرادوا منه توصـــية مودع، فقالوا له: أوصـــنا، فظل يقول: الإخلاص الإخلاص الإخلاص وظل يكررها حتى خرج النَفَس الأخير.

وإمامنا الإمام أبو العزائم ﷺ قالوا له: نحن نريد أن نتخلص من الدنيا، ومن حظوظ النفس، ومن الهوى، وننال المنى، فقال: إنما الخلاص بالإخلاص.

لأن الذي لم يصل إلي رتبة الإخلاص يكون كما ورد في بعض الأثر:

{ يؤتـــي بـــالرجل يوم القـــيامة للـــحساب وفـــي صحيفته أمثال الـــجبـــال من الـــحسنات، فـــيقول ربّ العزّة جلّ وعزّ: صَلَّـيت يوم كذا وكذا، لـيقال: صلى فلان أنا الله لا إله إلا أنا، لـي الدين الـخالص. صمتَ يوم كذا وكذا، لـيقال: صام فلان أنا الله لا آله إلا أنا لـي الدين الـخالص، تصدّقت يوم كذا وكذا،

لــيقال: تصدّق فلان أنا الله لا إله إلا أنا لــي الدين الــخالص فما يزال يــمــحو شيئا بعد شيء حتــى تبقــى صحيفته ما فــيها شيء، فــيقول ملكاه: يا فلان، ألغير الله كنت تعمل }[٥]

يأتي أناس يوم القيامة بأعمال أمثال الجبال لأنهم مهرة في العمل، من صـــلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة، فيضرب الله تعالى كل هذا العمل بوجه صاحبه:

لأنه لم يرد بذلك وجه الله والدار الآخرة، بل كان يفعله من أجل الناس، ليقال أن فلان هذا رجلٌ صـــالح، أو فلان هذا رجلٌ طيب، أو فلان هذا رجلٌ محســن، أو فلان هذا رجلٌ تقي وقد قيل، قال ﷺ:

{ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَــى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ اسْـتُشْـهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْـــتُشْـــهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ فُلانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُـــحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُـــحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ

[٥] تفسير الطبرى

وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ؟ قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ: وَلَمْ أَفْهَمْ تُحِبُّ كَمَا أَرَدْتُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ لِيُقَالَ إِنَّهُ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ }[6]

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[7]

فعندما ترى منطوق الحديث تقشعر الأبدان منه، فقد ذكر النبي أن هؤلاء أول من تسعر بهم النار، يعني تشتاق لهم جهنم في البداية، ولذلك الإمام الشافعي ﷺ كان يقول:

وعالم بعلمه لا يعملن مُعذّب بالنار قبل عُبَّاد الوثن

لأن هؤلاء فقدوا الإخلاص، فأهم عامود تعتمد عليه في القبول وتحقيق الآمال والمرجو من الله الإخلاص.

والإخلاص ليس في الصلاة فقط، بل هو في أي عمل، ذهبت لتزور أحد زره في لله، وإذا أعطيت أحد أعطه لله ولا تنتظر منه رداً لا دعاءاً ولا أي ثناء أو حمد، وإذا شيعت جنازة شيعها لله، لا ليراك أهل الميت، فأي عمل تعمله لا بد أن يكون لله، حتى لو كان لهوًا مع أولادك، أو لعبًا مع زوجتك، كل عمل يكون لوجه الله جل وعلا.

---

٦ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة ﷺ
٧ جامع الترمذي وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ

وأظن أن ذلك يحتاج إلى الجهاد الأعظم، وهذا هو جهاد الرجال الذين يريدون الوصول إلى هذه المنازل بفضل الله، وبإكرام الله، وببركة سيدنا رسول الله ﷺ.

جائز أن يعمل أحدنا العمل لله وينساه، لكن نفسه لا تنساه، وتفكره بهذا العمل ولو بعد عشرين عاماً، فيجلس مع جماعة مثلاً ويقول أنا فعلت مع فلان هذا كذا وكذا، فأين ذهب هذا العمل الآن؟ ضاع، قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَلا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَتُكْتَبُ عَلانِيَتُهُ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ لا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلانِيَةِ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً }[8]

لا يزال الشيطان بالعبد حتى يُحدث بما عمل، فيحبط الله ﷻ عمله، لذلك إذا عملت عمل ضعه خلف ظهرك ولا تذكره: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (١٠فاطر) لا تجعله أمام عينك، بل ارفعه لله ولا تذكره: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦٤مريم) فلن يضيع: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف) لم يقل (مَن عمل) لكن (مَنْ أَحْسَنَ).

---

8 **شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه**

توقَّ الإخلاص في عملك، ولا تجعله أمام عينيك، حتى لا تضيع الأعمال كلها، وتأتي يوم القيامة وتظن أن لك رصيد كبير من الأعمال ثم تجد أنك مفلس أو معك أشياء بسيطة ويسيره لا تفي ما كنت تبغيه وما كنت تتمناه من الله ﷻ.

ولذلك حذَّرنا الله ﷻ من هذه الأشياء، ما أكثر شيء يُبطل الصدقة؟

﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (٢٦٤البقرة):

والمنُّ هو المعايرة، أن أقول لمن أعطيته يا فلان أنا أعطيتك كذا، أو أنا فعلت لك خدمة كذا ... فتنمحي من ديوان رب العباد، وتنتقل إلي الطريق الأخر، لأنني قصدت بها هذا الإنسان، وأعايره وأمِّن عليه بها.

والأذى أن أحرجه أمام الناس لكي يعرفون أني أعطيت فلان، أو أنادي عليه أمام الناس وأُعطيه نقوداً لكي يراني الناس ويعرفون أني منفق!!.

فالإخلاص هو عماد الأعمال التي بها بلوغ الدرجات، وبه نيل الكرامات، وبه تحقيق الآمال عند المتعال ﷻ:

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ :

إذا أخلص الإنسان وصدق يرقيه الله إلي مقام المُخلَصين، وهم الذين استخلصهم الله ﷻ لنفسه، واجتباهم واصطفاهم وحباهم وأدناهم ورقاهم وجعلهم من خاصة عباده المقربين، وهؤلاء يأخذهم من المُخلِصين، فكلما يزيد الإخلاص كلما يقترب الإنسان من رتبة الخواص عند الله ﷻ.

أرزاق المخلصين

هؤلاء أهل الجنة، ماذا يكون لهم فيها؟

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴾:

والرزق – كما ذكرنا قبل ذلك - رزق للأجسام، وهو النعيم الذي تحتاجه الأجسام إن كان لذة الطعوم، أو لذة النظر إلي الأصناف والأنواع، أو لذة المتعة، لأن الإنسان في الآخرة لا يحتاج إلى الطعام لكي يقيم به الجسم، نحن في الدنيا نحتاج الطعام لأنه قوت للجسم، فإذا ترك الإنسان الطعام يضعف ويهزل، وقد لا يستطيع أن يتحرك.

القوة من الله، ولكن الله جعلها في هذه الأســباب وهو الطعام الذي نأكله، ولذلك المؤمن دائمًا حريص أن ينوع ويجعل أكله يكفي كل ما يحتاج إليه الجســم من أنواع الغذاء، وهكذا كان العارفون، فالإمام أبوالعزائم كانت سـفرته يوجد بها كل ما يحتاجه الجســم من فيتامينات ومن أملاح ومن كربوهيدرات ومن بروتينات .. كل ما يحتاجه الجسم، لأن هذا هو الذي تقيم به أودك، كما قال ﷺ:

{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ }[9]

فيحتاج الذي يريده الجسـم، لكن تهتم بصـنف وتترك الباقي سـيأتي لك مرض، لأنه لا بد أن يوجد توازن، من الذي يصـــنع التوازن؟ أنت بعلمك وبفكرك وبفقهك وبحرصك على ما كلَّفك الله به، وأول من كلفك الله به هو بدنك:

{ إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا }[10]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ }[11]

وحق الجســم أن تُعطيه الجســم كل ما يحتاجه، ...... ولا تزيد أو تقل: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (٣١الأعراف).

٩ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ
١٠ سير السلف الصالحين للأصبهاني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١١ جامع الترمذي عن وهب بن وهب ﷺ

أول كتاب في الوجود في العصور الإسلامية في علم الطب، وأوربا سارت عليه حوالي سبعة قرون إلى العصر الحديث اسمه كتاب (القانون) لابن سينا، هذا الكتاب كله شرح لهذه الآية: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (٣١الأعراف) فهذه الآية حوت طب الأجسام كله، والحبيب ذكرها في الحديث فقال:

{ كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ، وَلا سَرَفٍ }[١٢]

فلا يكون فيها مباهاة أو خيلاء أو فخر على الآخرين، ولكن الضرورات التي يحتاجها الإنسان.

فهؤلاء في الآخرة يكون للجسم للخلود، فلا يحتاج للنمو، ولا يحتاج للقوة، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه في الدنيا، فلماذا يوجد الأكل هناك؟ للتلذذ وللتفكه، ولكنه لا يحتاجه لذاته مثل ما يحتاجه في الدنيا لأن الجسم أخذ صفة الخلود: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (٨البينة).

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ رزق للأجسام، ورزق للقلوب، ورزق للأرواح، وكل حقيقة من الحقائق لها رزقها الذي يتنزل من عند الله تبارك وتعالى.

---

١٢ مسند أحمد والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ومعلوم أي محدد حدده الحي القيوم ﷻ على حسب مقامك ودرجتك ومنزلتك عند الله ﷻ.

ما طعام أكل الجنة الأساسي؟ ليس الفول ولا العدس ولا مشتقاته، ولا القمح، فماذا يكون؟ الفواكه ﴿ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴾ الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه رأى بعض الأحباب المستجدين حريصين جدًا على أكل اللحم والفراخ، فقال: يا أبنائي الفاكهة طعام العارفين.

أغلب طعام العارفين الصادقين الفاكهة، لأنها خفيفة ولا تسبب انتفاخات ولا غازات، وفيها كل العناصر التي يحتاج إليها الإنسان بدون تعب في الهضم، ولا ازدحام في الطعام ولا غيره، ولذلك المريض عندما يبدأ في الطعام يأتونه بالفاكهة.

وبعد ذلك ضرب لهم مثل، فأتى بفاكهة ورماها للكلاب، فتركوها، فقالوا هل الكلاب تأكل الفواكه؟ قالوا: لا، فقال: فماذا تأكل؟ قالوا: تأكل اللحم!! لكي يُعرِّفنا أن الفاكهة طعام العارفين.

فالذي يريد أن يتعبد لله، ويظل دائمًا محافظاً على وضوءه، ولا يجوز أن يصلي الفرد منا وهو حازق أو حابس للريح أو حاقن، لكن لا بد أن يكون مرتاح، فمن أين تأتي الراحة؟ من الغذاء على الفاكهة، وستظل فيه الحيوية والنشاط، ولذلك غذاء أهل الجنة في الدنيا والآخرة الأساسي هو الفاكهة.

﴿ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ :

التكريم هنا لأني أشتغل في الدنيا لكي أحصل على ثمن الفاكهة وأشتريها أو أزرعها، لكن في الجنة لن أزرع ولن أشتغل ولن أشتري، والفاكهة التي أريدها فإن شجرتها تأتي بجواري، والفاكهة التي خطرت على بالي تنزل لي بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

الشجر الذي في الجنة يفهم فيعرف ما الذي بداخلي من غير أن أطلب، وهذا غاية التكريم، فأنت عندما تكون ضيفًا عند شخص، وتريد أن تشرب ماء، فتقول له: أريد بعض الماء فيذهب يأتيك بالماء، لكن هل هذا أفضل أم عندما يحس هو أنك تريد ماء فيأتي لك به بدون طلب منك؟! عندما يأتيك به بدون طلب يكون التكريم الأكثر.

فلا تحتاج إلى عمل، ولا تعب، ولا عناء، وكل ما في الأمر - كما قلنا - للتلذذ والتفكه بالفاكهة، وفاكهة الجنة ليس بها فضلات، فعندما يأكلها الإنسان لا يحتاج إلى إخراج ولا بول ولا غائط ولا شيء من ذلك أبدًا، والنبي ﷺ أعطانا نموذجا منها، عندما أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَبَقٍ فِيهِ تِينٌ فَأَطَلَّ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ:

{ كُلُوا، فَلَو قُلْتُ أَنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ بِلا عُجْمٍ، لَقُلْتُ: هَذَا التِّينُ }[13]

التين يشـــبه فاكهة الجنة لأنها فاكهة عجماء ولا نواة فيها، وتُؤكل كلها على بعضها، عكس فاكهة المانجو مثلاً، فبداخلها بذرة كبيرة، لا تستطيع أكلها!!..

لذلك فاكهة الجنة فيها تكريم.

تكريم أهل الجنة

أين ذلك؟ ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ :

التي يتنعمون فيها بالنعيم الحســي، أو النعيم الجســماني، ومنهم من يجمع الله له الحسي والروحاني وهذا أكمل وأعظم عند الله ﷻ.

على ماذا يجلسون في الجنة؟

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ الشباب مغرم الآن بالهواتف الذكية الحديثة على أساس أنه يرى الذي يتحدث معه والذي يتحدث معه يراه!.

لكن هذا الكلام ســـيكون في الجنة بلا حواجز وبلا هواجس، فبمجرد أن يخطر في بالك أخوك في الله تجده أمامك وجهًا لوجه، وهو في مكانه

---

١٣ الآثار المروية في الأطعمة العطرية لابن بشكوال عن أبي هريرة ﷺ

وأنت في مكانك!، لكن الله يزيل الحواجز بينكما، لأن الجنة كلها شفافة بلورية، لكن لا يري الغير ما عندك إلا إذا أردت وإذا شئت، فليس معنى أنها بلورية أنك ستنكشف وتنفضح!، لكن حتى يكونوا على سرر متقابلين، فيرون بعضهم على الدوام أولًا بأول، بلا حواجز .... ولا حصون ... ولا غيره.

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾:

الكأس الذي سيُطاف به على أهل الجنة:

هناك جماعة سيُسقيهم الملائكة المقربون، وهناك جماعة سيُسقيهم سيد الأولين والآخرين، وهناك جماعة: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان)

وقبل أن ندخل الجنة يوجد على بابها عينين اثنتين: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦٦الرحمن) لا تُخرج الماء إلا إذا كنت واقفاً عندها، التكنولوجيا الربانية هكذا، تشرب من العين الأولى فيذهب كل الهم والغم والحزن الذي كان عندك في الحياة الدنيا أو في الموقف، فعندما يشرب الإنسان منها يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر)

ويشـــرب من العين الثانية فيظهر عليه نضـــرة النعيم: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين) هذه الكاسـات هيئتها لم يحن الوقت لكشفها، لكن الله أعطانا مثل لكي نحاول أن نستدرك بعضاً من معانيها، لكن ما شكلها؟ هذا علم غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب ﷻ.

﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾::

فكلما تشـــرب مرة تجدها غير المرة الأولي وغير الثانية مع أنها كأسًـــا واحدة، فتشـــعر بنشـــوة لا يعلم مداها إلا الله، وهذه هي الكاســـات التي جهَّزها الله ﷻ لعباده المنعمين في الجنة.

ولكي لا يختلط الأمر، لأن العرب كانوا يعرفون أن كلمة (كأس) ما يشـــرب به الخمر، والذي يســتعمل في شــرب الماء كانوا يســمونه كوب أو قدح، وكانوا مدمنين للخمر، فكانوا يشـــربون الخمر من البلح، ومن العنب، فكان الخمر عندهم شـــيء أساسي، وسبحان من فطمهم عن ذلك في طرفة عين وأقل.

فالشراب الذي في هذه الكاسات: ﴿ فِيهَا غَوْلٌ ﴾ أي لا تغتال العقول ولا تغيبها مثل الخمرة.

﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ :

لا يحدث لهم بسببها ضعف أو هوان أو خروج عن الوعي، لا يوجد هذا الكلام في كاسات الله ﷻ في الجنة.

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ :

عندهم النساء قاصرات الطرف، أي لا تنظر لغير زوجها حياءاً من ربها، أدبها به الله تبارك وتعالى ... وهنا أوضح أمر هام يقع فيه كثير ممن ينتسب إلى العلم بغير دراية، فعندما يسمعون أن الرجال سيكون لهم حورٌ عينٌ في الجنة، وأن هؤلاء الحور العين صفاتهم كذا وكذا، ويذكرون الأوصاف الحسية المذكورة، فتحزن النساء ويقلن: كيف سينظر لنا الأزواج وعندهم الحور العين الذين صفاتهم كذا وكذا، ومن ضمنهم من تَخجل الشمس من وجهها، ومنهم من يكون نورها أضوء من نور الشمس، والتي كذا وكذا من الأوصاف الحسية، فتحزن النساء.

لكن نقول لهم: الأمر ليس كذلك:

فالحور العين مهما كثر عددهن فهن خدم، لكن سيدة القصر الزوجة الصالحة، وهذه يكسوها الله ﷻ من نور جماله وبهاءه بحيث لا يكون لها مثيل في عالم الحور أجمعين، وليس كما تراها الآن، سيكون غير ذلك تمامًا، وأنت أيضًا ستكون في عينها غير ذلك تمامًا لكي نعلم أن الحور العين مهما بلغو من المنزلة فهن خدم: ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (٢٣الرعد) يدخلون عليهم ماذا يصنعون؟

يخدمونهم، فخدمنا في القصور الملائكة: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ (٢٤الرعد) ...

يقولون لنا: ما الذي تطلبونه؟ وما الذي تريدونه؟.

وأنت سيد القصور، والزوجة الصالحة الصادقة الصابرة مع زوجها هي سيدة القصر، والحور العين الذين حولها يتحركون بطرف أصبعها، أو برمش عينها، لأنهن تحت أمرها، ولسن ينافسنها على الرجل، فهو له زوجة واحدة، والحور خدم وحشم، ولكنها الجنة، والخدم التي فيها على قدر عظيم من البهاء والجمال والكمال، لأنها كلها جمال في جمال في بهاء في كمال.

أحاديث أهل الجنة

بعد ذلك يذكر لنا الله ﷻ مشهد من مشاهد الأحاديث التي تحدث في الجنة:

فالجنة يكون فيها أحاديث ممتعة، وجلسات مثل التي نحن فيها الآن، وتكون متعة الجنة العظمى الجلسات مع الصالحين، والجلسات مع الصحابة المباركين، والجلسات مع النبيين والمرسلين، والجلسات مع سيد النبيين والمرسلين.

فمتعة الجنة كلها في هذه الجلسات، لأنها ستكون جلسات روحانية عالية: ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ (الغاشية) ... بالبيان الإلهي، والعلم اللدني الوهبي، فهذه العين إما رجلٌ صالح، أو واحد من الصحابة، أو واحد من الأنبياء، هذه هي الجلسات التي يكون فيها نعيم لا يعدله نعيم في جنة التكريم إن شاء الله.

الاطلاع على أحوال أهل النار

وكذلك الأصحاب يكون لهم جلسات خاصة مع بعضهم، فنجلس نتذكر الذي كنا فيه في الدنيا، لكي نحمد الله ونشكر الله على عطاياه، فالله أعطانا محادثة بين اثنين:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ :

فقال له: إني كان لي صديق عزيز عليَّ: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ أي صديق ملازم لا يتركني أبدًا، لكنه كان عنيد لا يريد أن يؤمن بالله، وكان يقول لي: ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ أأنت تصدق؟!

﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي هل تصدق أننا سنخرج بعد الموت ونحاسب على الديون التي كنا نفعلها والأعمال التي ارتكبناها في الدنيا؟! فصاحبه يقول له: أتريد أن ترى؟ فيقول نعم: ﴿ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾.

كل إنسان في الجنة عنده عين يرى بها كل من في النار إذا أراد، لكي يعرف فضل الله عليه، فعندما يطلع في النار، ويرى الذين في العذاب، والذين هم في السجون الانفرادية بأنواعها، وكل سجن من سجون جهنم له عذاب مخصوص، فالذين في سقر، غير الذين في الحطمة، غير الذين في القارعة، غير الذين في لظى، فكل فرد من هؤلاء له عذاب مخصوص، والله ﷻ ذكرها في كتاب الله مثل: ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ (المعارج) تنزع كل أحشاء الإنسان وتشويه، وهكذا.

فينظر إليه ويراه: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ :

أي في وســـط الجحيم، فيتحدث معه، وفي الآية الأخرى بعد أن ينتهي الكلام يطلب منه أن يرســـل له شـــربة ماء: ﴿ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٠الأعراف) لا أســـتطيع أن أفعل مثل ذلك فإنه ممنوع.

فيقول له عندما يراه: أنت كنت ستأخذني معك!!

﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ :

أي والله، يعني قسمًا بالله أنت كنت ستأخذني معك لو سرت خلفك، لكني لم أسير معك بســـبب فضـــل الله وإكرام الله: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى ﴾ أي لولا أنعم الله عليَّ بنعمة الهداية، ووفقني للعمل الصـــالح، وحفظني من قرناء الســـوء الذين هم أمثالك لكنت معك:﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾.

ثم يقول له: ما رأيك الآن؟! ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ هل لا يوجد حياة بعد الموت؟! هل لا يوجد عذاب؟!! ما الذي أنت فيه الآن؟

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

هذا حوار أعطاه الله لنا من جملة حورات ستحدث بين أهل الجنة وأهل الجحيم، ولذلك ورد فيما معناه: (إذا أراد الله ﷻ أن يزيد نعيم أهل الجنة يكشف لهم عن دركات النار، فيطلعوا على ما فيها ومن فيها، فيحمدون الله على ما أتاهم الله، ويزيدون شكرًا لله ﷻ على ما خصَّهم به الله تبارك وتعالى)

وبعد ذلك يقول: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ و هذه الآية تحدث مع أهل القرب، وأهل الود، عند خروجهم من الدنيا، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إلا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ }[١٤]

ما من ميت يموت إلا أطلعه الله عند موته على درجته في الجنة، أو منزلته في جهنم.

سـيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁ في هذه اللحظة وكانوا يتحدثون معه، فسكت، ونظر ثم أطال النظر وقال: إني أرى حضـرة ما هم بجن ولا إنس – هم ملائكة - ثم قال: ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ وخرجت روحه إلي الله ﷻ.

١٤ الزهد لهناد بن السري عن ابن عمر رضي الله عنهما

يري منزلته، وقصـــوره وحوره ومقامه في جنة النعيم، لكي يفرح بفضـــل الله، وعندما يفرح بفضـــل الله يفرح به مولاه تبارك وتعالى، ويخرج من الدنيا وهو مجمل بفضل الله وبرحمة الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بهذا الجمال، وأن يجعلنا من أهل هذا الكمال، وأن يخلقنا بهذه الخصال، وأن يجعل لنا هذا الفضل العظيم في الدنيا ويوم المآل، وأن يوفقنا على الدوام للعمل الذي يوصل إلى هذا الإكرام والإنعام.

تعقيب

الرفيق الصالح

دائمًا المؤمن عند ســـماع القرآن يكون له فيه عظة وعبرة وحكمة يأخذها مما استمع إليه من كلام الرحمن، ولذلك سنأخذ عظة واحدة من الآيات التي فسرناها الآن.

رأينا قرين الســـوء الذي إذا الإنســـان تخلت عنه عناية الرحمن من الممكن أن يضيعه في الدنيا، ويجعله في الدركات في جهنم والعياذ بالله في الدار الآخرة.

فأهم شـــيء لا بد أن نحذر منه في التعامل به مع الخلق هو القرين، وهو الأخ الملازم لي، سواء كان في العمل، أو في البلد، أو في الشارع، أو المجلس الذي نجلس فيه دوماً، والملازم والمصاحب لي في الغدوات والروحات.

هذا لا بد أن تنتقيه وتصـــطفيه وتختبره لكي تتأكد أنك إذا مشـــيت معه فإلى الطريق القويم وإلى المنهج المستقيم.

وكثير من الأحباب يقول لي: إن ابني ظروفه كذا وكذا ولا أدري ماذا أفعل معه، فأقول له، أنت الذي تركته، لكن انظر إلى أصـــدقائه، فكما تنتقي لنفســـك انتق لابنك، وإياك أن تتركه، فهو لا يدري هذا من ذاك، ومن الجائز أن بعض قرناء الســـوء يضـــيعوه وأنت لا تدري، وتظن أنك غير مســـئول، فكيف ذلك؟! لكن:........ ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (٦التحريم) أنت مسئول أن تقي نفسك وأهلك من النار.

فأنا أريد الخليل والصـــديق الذي أبقى معه هنا وهناك، وهذا ما شـــرطه؟ نســـأل الله؟

﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧الـــزخـــرف) ....

نسأل حضرة النبي ﷺ: من نصاحب يا رسول الله؟ قال:

{ لا تُصَاحِبْ إِلا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلا تَقِيٌّ }[١٥]

وقال:

١٥ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ

{ لا يَدْخُلْ بَيْتَكَ إلا تَقِيٌّ }[16]

لو تهاونت في هذه الأمور فستأتي الطامة الكبرى عليك أو على ابنك أو على ابنتك لأنك تركتهم على هواهم ويصاحبون الذين هم يريدونه، لكن لا بد أن يكون لي دور في هذا الأمر.

من الصاحب يا رسول الله الذي أعرف أنه تقي؟ كيف أعرف تقواه وهي بينه وبين الله؟ فقد قَالُوا:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَصْحَابِ خَيْرٌ؟ قَالَ: صَاحِبٌ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[17]

هذا الذي تصاحبه، لكن الذي يجعلني في الغفلة، وأنسى الصلاة، وأنسى طاعة الله، وأنسى ما كلفني به الله فهذا يكون صديق السوء، وهذا أبتعد عنه بُعد المشرقين فهو ظالم، هو لم يظلم أحداً لكنه يكفي أنه ظلم نفسه: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) لا تجلس معه طالما أنك تأكدت أنه ظالم لنفسه.

---

١٦ معجم الطبراني عن عائشة رضي الله عنها
١٧ الإخوان لابن أبي الدنيا

جائز شـــخص يقول أنا أريد أن أجلس معه لأهديه ... فأقول له: أنا خائف أن يأخذك أنت معه!! لكن إذا كنت أنت واثقًا من نفسـك، وأتت لك إشـارة إلهية أن تذهب إليه، فهذا يكون بأمر الله، لكن ليس من نفسك: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (٥٦القصص) ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ (٩٧الإسراء).

فأهم شـيء نركز عليه أن الإنسـان دائمًا لنفسـه، ولزوجته ولبناته ولأولاده يكون حارس أمين لا يصحب ولا يجعلهم يصحبوا إلا المتقين.

أنا مشـغول في العمل ليل نهار وزوجتي تجلس مع هذه الجارة وهذه الجارة وأنا لا أعرفهم، ثم أفاجأ أن البيت تغير أربعًا وعشرين درجة، من أين؟

من قرنـاء السـوء، فهؤلاء قـال الله فيهم في القرآن: ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (١١٢الأنعام) فمن الأخطر؟ الإنس، لأنه ذكرهم أولًا، لماذا؟ لأنه كما قيل (الزنّ على الودان يقلب الكيان) فيقلن لها مثلاً: زوجك يتركك ولا يسـأل فيك، ولا يدخل البيت إلا سـاعة النوم، فيجب عليك أن تفعلي كذا وكذا!! والمصـائب هذه أكثر بين السـيدات العاملات، وخاصـة إذا كانت في وظيفة روتينية ليس فيها عمل كثير، فيتكلمن مع بعضهن في أمور البيوت، ويغيرن بعضهن على أزواجهن!!.

فلا بد أن نأخذ بالنا من هذه الأمور جيداً، فابني أنا أكون أول صـــديق له من البداية،فكما قيل: (لاعبه سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا) فتقول له هيا يا صاحبي نحضر هذا الفرح مثلاً، أو تقول له هيا يا صاحبي لنصلي مع بعض، أو تقول له: عند سماع الأذان قد أكون مشغولًا فعليك أن تُذَكّرني، فستجده عند الأذان يُذكرك ويقول لك هيا نصلي سوياً!.

ولا أقول له أنا ذاهب لأصلي والحق بي، فلن يلحق بي لو تركته، لأن إبليس سيجد له تصريفاً لإبعاده عن ذلك الطريق، والأعذار بابها مفتوح إلى ما لا نهاية لها.

لكن أقول له يا صاحبي ماذا فعلت اليوم في المدرسة مثلاً؟ أو ماذا فعلت اليوم في الدرس؟ وأطلب منه أن يصارحني، وآخذه باللطف واللين، وأصاحب زوجتي، وأجعلها تصاحب بناتي، لكي تدير الأسرار من وراء ستار، لأنه يوجد حياء بيني وبينهم،وهكذا، لأن:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } [18]

لكن لا بد أن أبدأ بنفسي أولًا، فلو أنا طوال اليوم جالس في المقهى أشرب الشيشة وألعب الطاولة، فهل أنتظر أن أولادي يكون لهم أصدقاء صالحين؟!! أو أسمع الآذان ونحن نجلس نلعب الطاولة، فنقول حتى ننتهي من هذا الدور، ثم نصلي، ويستمر في اللعب حتى تفوت صلاة الظهر مثلاً، ويستمروا حتى صلاة العصر!! هل ابني سيقلدني أم يقلد غيري؟!! لذلك لا بد أن أكون أنا القدوة أمامه في اختيار الأصدقاء الصالحين.

---

١٨ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الذي يدخل البيت منهم عندي يدخل عنده حياء، ولا ينظر في البيت إلى كل شيء، ولا يسأل بكم اشتريت هذا؟!! ومتى اشتريته؟!! فما شأنك بذلك؟!! لكن يدخل كما قال الصالحون: (إذا دخلت بيتًا فادخل أعمى، وإذا خرجت منه فأخرج أصم) وأعمى يعني لا تنظر لأي شيء فيه، وإذا خرجت منه فأخرج أصم لم تسمع شيء ... لا بد أن أكون أنا أمام أبني على هذه الكيفية، فعندما يري رجلٌ محترم ينظر إلي الأرض أكثر من نظره إلى ما حوله، ولا يجلس في مواجهة غرفة من غرف البيت، أو الباب لينظر للداخل والخارج، لكن يجلس في ركن من الغرفة ويجلس، ويستحي أن يمد يده إلى الطعام إلا بلطف وأدب وحياء، وهكذا، فأجد ابني يتابعني ويفعل نفس الكيفية.

بعد ذلك هل سيجد ولد سليط ويتكلم بما لا يليق ويصاحبه؟!! لا، لأنه لم يرى هذا من أبيه، ولا من أصحاب أبيه، ولا من أمه، ولا من صاحبات أمه، فيسير على هذا المنهاج هذا عصب التربية الإسلامية التي بها نستريح أجمعين في الدنيا، ونكون بها مع بعضنا أجمعين يوم الدين إن شاء الله، وهو الرفيق الصالح، كما قيل: (خذ الرفيق قبل الطريق) أي رفيق؟ الرفيق الذي إذا نسيت ذكرك وإذا ذكرت أعانك.

هذا الذي نأخذه من العبرة، فلا يجب أن أكون أنا في الجنة وهو في مكان آخر، هل تصلح هذه الصداقة؟ لا، فالذي نجا نجا بفضل الله، وأنا لا أريد أن أعرض نفسي بما لا قِبَل لي به، فلا أصاحب إلا الأتقياء، ولا أجالس إلا الأنقياء، ولا يدخل بيتي إلا الصلحاء، لكي أكون سائراً على هدي سيدنا رسول الله ﷺ.

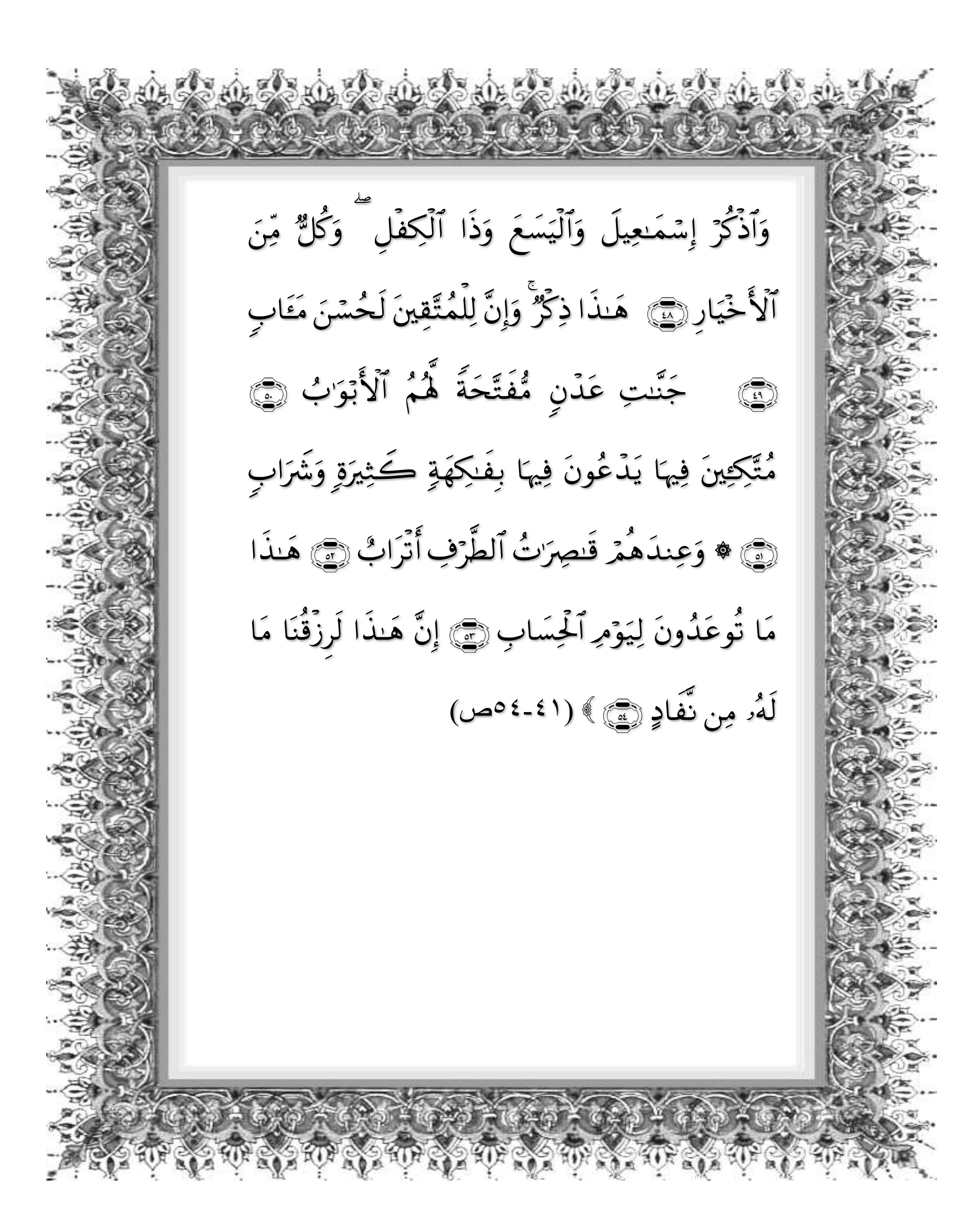
سيدنا الإمام عمر بن الخطاب ﷺ أعطانا مؤشرًا عظيمًا في هذا الباب زيادة للأحباب، فقال ﷺ: **(لا تصاحب إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ﷻ)**.

لكن الذي لا يخاف من الله هل يجوز لي أن أصاحبه؟!! لا، لأني لو صاحبت إنساناً خمسين سنة وهو ليس بأمين، فلو وجد فرصة يستحل أي شيء مني فلن يتورع!!.

هذه عظة بسيطة نأخذها من الآيات، والآيات مليئة بالعظات والعبر، نسأل الله ﷻ أن يعلما بما ينفعنا أجمعين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾



وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ (ص٤١-٥٤)

٢٧.نعيم المتقين[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أنزل لنا خير البيان، على قلب النبي العدنان، وأطلق لســانه صــلوات ربي وتســليماته عليه بالتبيان، وأيَّده بمدد من عنده، وعلم من علمه وقال له: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣النساء) اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد الذي جمع الله له في ذاته أخلاق النبيين، وفي كتابه المبارك كل ما جاء في كتب الأنبياء والمرســلين، وضــمَّ له كل عطاء أنزله إلى السابقين، وجعله في الدنيا باب الفتح المبين، وفي الآخرة سرُ الشفاعة للخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلينا معهم أجمعين ..آمين آمين يا رب العالمين.

العبرة في قصص الأنبياء

لماذا ساق الله ﷻ إلينا قصص الأنبياء في القرآن؟ أو إن شئت قلت: لماذا أشار الله تبارك وتعالى إلى بعض قصــص الأنبياء؟ لأنه لم يذكرها كلها باســتيعاب، وإنما ذكر ما نحن في أمسُّ الحاجة إليه فقط.

١ لمنيا – العدوة - العنبر ٣٠ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٨/٢٢م

أجاب الله ﷻ علينا أجمعين هذا السؤال فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف) قصص الأنبياء فيها العبرة، وفيها العظة البالغة، وفيها الحِكم التي لا تُعد، والتي نحن أحوج ما نكون إليها في مسيرتنا الدنيوية.

نحن نحتاج كلنا أن نتعلم ونستفيد من تجارب الحكماء، فما بالك إذا كان الحُكماء هم المرسلين والأنبياء، فهم أصحاب الحكمة العالية والأسرار الراقية الغالية، التي وهبها لهم الله ﷻ من باب الإيتاء ... وعندنا في هذه السورة التي معنا بعض من آياتها اليوم، سورة (ص) وقبل هذه الآيات التي أثلج الله صدورنا بسماعها، أفاض الله في ذكر قصة داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ومن دواعي العجب، وإن تعجب فعجب، أن الله ذكر قصة داود وسليمان وهما من الملوك، لكن كانا من النبيين والمرسلين، فمعهما المُلك والنبوة، والوسعة اللانهائية في المعايش والأحوال الدنيوية.... غير الخصوصية التي خصَّ الله بها سليمان؛ أن آتاه الله ما لم يُؤتِ أحداً قبله من النبيين ولا الملوك ولا غيرهم، من تسخير الجن والحيوانات والطيور، وسماع أصواتهم، وفقه لغتهم، وتسخير الرياح.

أمورٌ عندما نُفكر فيها نعلم أن التكنولوجيا الإلهية الراقية مع النبيين لم يبلغها من يدَّعوا الحضارة من المعاصرين مهما استكثروا من التقدم والرفاهية وغير ذلك.

لأنهم ليس معهم هذه الأمور، قد يكون معهم جهاز صنعوه الآن عندما يكونوا في مؤتمر يترجم الكلمة التي يقولها إنسان للحاضرين على حسب لغاتهم، لكن هذه الكلمة لا بد أن تكون قد دخلت الجهاز قبل الاجتماع، وهي تمشي معه فقط في وقتها.

لكن هل هناك جهاز يترجم لي أو لك ماذا تقول الحيوانات؟!! ماذا تقول الطيور في تسبيحها؟!! هل هناك جهاز يستطيع الآن أن يرى الجن ويُسخِّرهم كما يُريد ليفعلوا له كل ما يبغيه في هذه الحياة الدنيا؟!! لا يوجد، فكل التكنولوجيا حتى البالغة الرُقي الآن لا تزال لم تبلغ التكنولوجيا الربانية التي أعطاها الله ﷻ للأنبياء والمرسلين.

ابتلاء الله لنبيه أيوب

وبعد أن ذكر الله ﷻ النعم الوارفة التي خصَّ بها سليمان وداود مباشرة، أتى لنا بقصة نبي الله أيوب في نفس السورة، لكي نرى ابتلاء الله لأنبيائه ورسله، وامتحان الله لأحبابه، ونتعلم الصبر من هؤلاء ..

فمع شدة ما فيه، ومكث ثمانية عشر سنة يتألم، وليس لنا شأن بما يخوض فيه أهل التفسير من الروايات الإسرائيلية التي لا تليق بالأنبياء، فدائماً عندك ميزان تزِن به أحوال الأنبياء،

فلا يسمح الله ﷻ بأن يحدث للأنبياء شيئاً يقدح في عصمة نبوتهم، مستحيل!! لا يكون هذا! فشـــرط النبي الألمعية والذكاء، أو ما يســـمونها بالفطانة، فلا يوجد ذكاء كذكاء الأنبياء والمرسلين، وعلى نسقهم الأولياء والصالحين، ووراءهم على الدوام في الخط.

فصاحة موسى

فإذا كان هناك شـــيء ذَكَرته بعض الكتب، وتقدح في ذكاء الأنبياء والمرســـلين تعرف أنها موضـوعة، فالنبي يُبلغ رسـالة، لذلك شـرطه أن يكون فصـيح، فإذا كانت رواية تقدح في فصـــاحته وتقول: أنه عييٌّ عن الكلام، أو ألثغ لا يســـتطيع أن يتكلم، تعرف أنها رواية موضـوعة، لأنه إذا كان هذا الرجل لا يعرف كيف يتكلم فيكف يبلغ الرســالة؟!! لكن إذا كان الله قد اختاره لإبلاغ رســالته فلا بد أن يتمتَّع بالفصــاحة في إبلاغ رسالة الله ﷻ.

وأظُن أنني ذكرتُ مثل هذا الكلام من قبل، فبعض الروايات الإســـرائيلية تقول أن سـيدنا موسـى عليه وعلى نبينا أفضـل الصـلاة وأتم السـلام، كان فرعون يُريد قتله عندما أخذوه من اليَّم، لأن أُمه وضــعته في صــندوق وربطته بحبل، وكلما أرادت أن تُرضــعه تشُـد الصــندوق بالحبل فتُرضــعه ثم تردُّه للصــندوق مرة ثانية، لماذا؟ لأن أعوان الملك كانوا يبحثون في البيوت، وكل طفل يجدونه يقتلوه، فإذا دخلوا بيتها لا يجدوا شيئاً، وكان بيتها على النيل.

وجاء موجٌ شديد فقطع الحبل، وهذه إرادة الله، فمشى الصندوق ولم يستطيعوا الامساك به، فمشت أُخته على الشاطئ خلفه لتنظر أين يذهب، وعلى شاطئ قصر فرعون توقف الصندوق، فأخذوه.

وكانت زوجة فرعون السيدة آسية لا تُنجب، فقالت: نربيه ويكون ابنا لي، فقال فرعون: إنه من بني إسرائيل وإلا من الذي وضعه في البحر بهذا الوضع؟!.

وكان فرعون قد رأى رؤيا بأن من سيقضي عليه غُلامٌ يُولد لبني إسرائيل، ولذلك أصدر القرار بأن كل مولود ولد يُقتل، والبنت يتركوها.

فالرواية الإسرائيلية تقول: أن آسية قالت لفرعون: لماذا تقتله؟! إنه لا يعرف التمرة من الجمرة، وهذا موجود وللأسف في كثير من الكتب التفسيرية.

فأحضروا التمر وأحضروا الجمر، والجمر هو النار التي هدأت واستوت، فأمسك موسى بالجمرة ووضعها في فمه ليأكل، فلسعت لسانه فأصبح ألدغاً.

لكن هذا الكلام نعرضه على ميزان العقل: لو أمسك الجمرة بيده أفلا تلسعُه في يده؟! فهل يرفعها بعد ذلك لفمه؟!! وإذا كان الله حفظ يده من لسعة الجمرة فجدير به أن يحفظ لسانه!!، لكن كيف لا تؤذي الجمرة يده وتُؤذي لسانه؟!!

فهذا كلام يقدح في نبوَّة هذا الكليم، هو اسمه الكليم، والكليم لا بد أن يكون فصيح وبليغ، وكذلك أي نبي.

حتى أننا نضـعها ميزان في أي زمان ومكان في ورثة الأنبياء والمرسـلين، مَن الوارث مقام سـيدنا رسـول الله؟ العالم العابد الفصـيح والبليغ الذي يُبين كما كان يُبين سيدنا رسول الله.

فإذا كان هناك رجل ولي ومسـتجاب الدعاء ولكنه لا يسـتطيع أن يُعطي درسـاً، فيكون على قدم نبي من الأنبياء الآخرين، لكن لا يكون من أهل الكمال على قدم سـيد الأولين والآخرين ﷺ، لأن هؤلاء لا بد للوارث الكامل منهم أن يكون كاملاً.

فما العقدة التي كانت عنده والتي قال فيها: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ (طه) هو وضحها، بعد ولادة موسى بقليل قالوا لفرعون أنه سيُفني بني إسرائيل كلهم، فاجعلها سنة وسـنة، يعني اذبح الذكور في سـنة، واتركهم سـنة، فالسـنة التي لم يذبح فيها وُلد هارون أخو سيدنا موسى، لذلك لم يكن له نصيبٌ في الذبح.

وموسى تربَّى في بيت فرعون:

فعندما ذهب إليه ليواجهه بالرسالة فقال له فرعون: أنت الذي جئت لتقضـي على ألوهيتي وأنا الذي ربيتك؟!! ﴿ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (١٨الشعراء)

فاسـتحى سـيدنا موسـى، فطلب من الله وقال:﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤القصص) .

..يا رب أرسـل معي هارون فهو أفصـح مني لسـاناً في مخاطبة فرعون، لأنه ليس له جميلٌ عليه، ولا تربَّى عنده، فله أن يتكلم كما يريد.

فهو أفصح مني لساناً في مُخاطبة فرعون، لأنه خجلان لأن فرعون عايره بأنه ربَّاه وغذَّاه ونمَّاه، فكيف يهدُّ عرشه والألوهية التي يدَّعيها فرعون؟!!

أنا أضرب مثالاً لنعرف أن النبيين منزهين عما يقوله المغرضون والمدلِّسون واليهود الغادرين الذين يتهمون الأنبياء فيما يتنافى مع عصمة الأنبياء.

لا بد أن يكون النبي بليغ وفصيح، ولا بد أن يكون النبي ذكي وألمعي، ولا بد أن يكون النبي عنده أمانة تساوي أمانة الخلق أجمعين، أمين في كل شيء ... فالنبي ﷺ كانوا يقولون عنه الصادق الأمين حتى قبل الرسالة.

وأقول هذا الكلام لأن هؤلاء المخرفين ذكروا في بلاء أيوب أشياء تقشعر منها الأبدان، ولا يستطيع أن يقولها الإنسان بلسانه، فمنهم من يقول: أن مرضه كان كذا، ومنهم من يقول - حاشا لله - أن جسمه كان مملوءاً بالدود، وكلما سقطت دودة من جسمه يعيدها لجسمه مرة ثانية، هل يكون نبي الله هكذا؟!!

لكن هو مرض وابتلاه الله به، ما هذا المرض؟! مادام لم يذكره الله فلِم نتعرَّض له؟! المهم أنه ابتلاه في نفسه وفي ماله وفي أهله.

وماذا نتعلم منه؟

رغم شدة هذا البلاء كله إلا أنه كان صابراً، فزوجته قالت له: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة![2] وقيل ابتلى سبع سنوات وقيل سبع أو ثمانى عشرة سنة ... انظر أدب الأنبياء !!

وعندما دعا الله قال: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ (٨٣الأنبياء) ولم يقُل حتى: أصـــابني، ولكنه مسٌّ خفيف، متى قال هذا؟ عندما ســـمع بعض من حوله يقولون: كيف يكون نبياً ويحدث له ما حدث؟! فخاف عليهم أن يرتدُّوا أو يرجع بعضهم، فقال: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٨٣الأنبياء). ... أرأيتم الدعاء؟!

لم يطلب حتى الشفاء وقال: اشفني أو عافني، لكن سلَّم الأمر لله وقال: إنه مسني مساً خفيفاً، لماذا؟ لأنه خائف على من حوله، ولكن هو: ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ :

ويكفي هذا الوسام: (نِعْمَ الْعَبْدُ) إلى الله ﷻ.

٢ البداية والنهاية، تفسير ابن كثير ، قصص الأنبياء وفتح البارى على صحيح البخارى بتنوع وروايات

الأنبياء حجج الله على خلقه

فذكر الله ﷻ الأنبياء الذين كانوا أغنياء وملوك، والنبي الذي قد مسَّـــه الضُـــر وأُصـــيب في نفســـه وأهله وماله، ثم ذكر أبي الأنبياء إبراهيم ومن توالى من ذريته، لماذا؟ لأن الله أقام الأنبياء والمرسلين حُججاً لله ﷻ على عباده.

فلو أن ملكاً من الملوك قد انشـــغل بالمُلك عن طاعة الله، وقصَّـــر فيما كلَّفه به مولاه، فسيُحاسبه عن التقصير: لماذا قصرت؟ فيقول: أنا كنت مشغولاً بالمُلك يا رب، فيقول له: أنت أم ســـليمان؟!! فلقد أعطينا ســـليمان مُلكاً لا ينبغي لأحد قبله ولا بعده، ومع ذلك لم ينشغل عن طاعة الله طرفة عين ولا أقل.

أو واحداً منا ينشـغل بالعبادة ويُقصِّـر فيما عليه من حقوقٍ وواجبات، فالذي يُريد منا أن ينشغل بالعبادة ويقول مثلاً سأصعد الجبل وأبحث لي عن خلوة، ولا أُريد نساء ولا أولاد ولا زرع ولا صنعة ولا مهنة ولا شيء لأعبد الله، فهل أنت يا أخي تستطيع أن تعبد الله مثل داود؟! فداود عندما كان يناجي الله بما أنزله عليه في الزبور، كانت الجبال والطيور والوحوش تأتي كلها وتلتفُّ من حوله وتسـمعه وهو يناجي الله وتُردِّد معه:﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (١٠سبأ) ....

فهل شغلته العبادة عن مسئولية البيت والأولاد؟! .... لا.

وكان ملكاً، ولكنه رفض أن يكون له مرتب من بيت المال، وجعل هذا المُـــلك لوجه الله، وجعل لنفسه صنعة، يصنع ويبيع، وما يبيعه يُقسمه إلى ثلاثة: الثُلث الأول يشـــتري به حديداً مرة ثانية ليُصـــنع منه، والثُلث الثاني يتصـــدق به على الفقراء والمساكين، والثُلث الثالث يُنفقه على أولاده وأهله حتى لا يمدُّوا أيديهم إلى غيرهم من الخلق أجمعين!

فهذا مَثَل العُبَّاد ....

فجعل الله ﷻ الأنبياء والمرســـلين أمثلة لنا في كل حياتنا الدنيا، ولذلك تجد كل أحوال النبيين تجمع أحوال الخلق أجمعين على اختلاف أطوارهم، فلا يوجد شـــيء يتعرَّض له الخلق إلا وتجده في أنبياء الحق ﷻ.

الرجل الذي تكون ذريته كلها بنات، تكون أسوته سيدنا رسول الله ﷺ، والرجل الذي تزوَّج إثنين كيف يعدل بينهما؟ مثل سيدنا إبراهيم عندما عدل بين سارة وهاجر، وهكذا .... كل أمر يتعرَّض له المرء في هذه الحياة فالحُجة قائمة عليه في أنبياء الله ورُسل الله، وجعل الله الأولياء حُججاً قائمةً للأحياء في عصورهم وأزمانهم، لتكون لله الحُجة البالغة: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَـٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ الخطاب هنا من الله لســـيدنا رســـول الله، فمن الذي معه ســـجل التشـــريفات الإلهية التي يُســـجِّل فيه من يشـــرفه بالأوسمة والنياشين من رب البرية؟ سيدنا النبي ﷺ.

فيقول لـه: ســـجّل عندك واكتب واذكر، مَن؟ ﴿ عِبَـٰدَنَا ﴾ وهناك قراءة أخرى

﴿عَبدَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْــحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ كن (عبادنا) أشـــمل لمن يأتي بعدها، إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

هؤلاء ما لهم؟ تكتب هؤلاء في تشـــريفهم وتكريمهم: ﴿ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾

أُولي الأيدي يعني أصحاب القوة في إبلاغ رسالة الله، وفي عبادة الله، وفي طاعة الله، وفي تحمُّل أذى الخلق أثناء الدعوة إلى حضـرة الله، وفي تحمُّل كل أمر يكلِّفهم به الله، ومعهم بصـيرةٌ نافذة فينظرون في الأشـياء إلى ما يُحبه الله، فيختارون ما فيه رضـاؤه تبارك وتعالى.

تذكُّر الآخرة

وماذا بعد ذلك يا رب؟

﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ﴾ :

نحن خصَّـصـناهم بصـفة معينة من يَخُصُّ بها الله فتكون علامة حب الله له، وما هذه العلامة؟ ﴿ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ كانوا دائماً يتذكرون الدار الآخرة، وأنهم مســـافرون، وأنهم لن يمكثوا إلى ما شاء الله، وإنما الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر.

ولذلك كيف تعرف أن الله يُحب هذا الإنســــان؟ إذا وجدته دائماً فاكراً للآخرة، ودائماً يتذكَّر الآخرة، ومن يتذكر الآخرة فهل هذا يقع في ذنب؟! أو هل سيقع في أمر يُغضب الله؟! وهل يفعل معصية تخالف هدي حبيب الله ومصطفاه؟!.

ما الذي جعل كثير من الخلق في زماننا وغير زماننا يُخالف؟ ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (١٩الحشر) نسي أنه مسافر، ونسي أنه ذاهبٌ للآخرة، ونسي أن لحظة الخروج لا يعلمها إلا من يقول للشـــيء كن فيكون .... لكن الإنســـان الذي يتذكَّر دائماً الآخرة فهذا على الفور سيكون في رعاية الله، وعناية الله، وحفظ الله، وصيانته على الدوام.

ملكٌ من ملوك بني أُمية اسمه سليمان بن عبد الملك ذهب لرجل من الصـالحين الصادقين في المدينة المنورة، وكان اسمه أبو حازم، فقال له: لماذا نكره الموت؟ فقال له: لأنكم عمَّرتم دُنياكم وخرَّبتم آخرتكم، فتكرهون أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب، وبعد حوار طويل قال له: أريد وصـــية قيمة وتوجز فيها - وهي وصـــية عظيمة ليتنا نكتبها في قلوبنا ونطالع فيها على الدوام - فقال له:

(نزِّه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك)

انتبه دائماً، إياك أن تجعل الله يطلع عليك في موضـع تعصـاه فيه، لأنه جائز أن يغضب عليك، وإذا غضب الله على العبد خسر دنياه وأُخراه، والعياذ بالله ﷻ.

ولذلك كان الصـالحون يقولون: (إياك أن تستصـغر ذنباً فربما يكون غضـب الله ﷻ فيه) إياك أن تسـتصـغر ذنباً وتقول إنه شـيء بسـيط، لأنك غير منتبه: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (١٨الحجرات) من أول من يراك عند كل حركة وكل سكنة؟ الله، وحتى لا يراك من ظاهرك فقط، بل: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (١٩غافر).

وهل يوجد مكان نذهب إليه ولا يرانا فيه؟ حاشـا لله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ (٤الحديد) في أي زمان وفي أي مكان يراك ويطلع على عملك البصير ﷻ، وكل حرف ينطق به اللسان، مَن أول من يسمعه؟ الرحمن: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) وهو الله ﷻ، لأنه رقيب وعتيد يعني شديد ولا تفوته فائتة.

فلو أن الإنسـان اعتقد دوماً، ووضـع نفسـه وأحيا قلبه وعاش في هذا الحال؛ أنه يرى أن الله مطلعٌ عليه ويراه، فهل ينطق لسـانه بكلمة تُغضـب الله؟! لا، وهل تنظر عينه إلى ما حرَّم الله؟! لا، وهل تمتد يده إلى ما لا يحلُّ له بشـرع الله؟! لا، وهل يفعل أي عمل لنفسه أو لغيره يعلم أن به غضب الله؟! لا ...!!

وهذا كله من:

(نزِّه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك)

إياك أن تكون غير مشغول بشيء والأذان يؤذن وتقول: ما زال الوقت مُتسع سأصلي فيما بعد!!، ألم تسمع النبي وهو يقول في الأثر الوارد: **(إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج)** يعني هؤلاء المصلين ينظر لهم الله، فيكيف ينظر إليهم وأنت غير موجود بينهم؟!! فأين تكون؟ مشغولٌ باللهو أو باللعب أو بغيره، فأيضاً هذا يستوجب غضب الله، ومقت الله تبارك وتعالى.

انظر إلى كلام الصالحين، حكمٌ تُفاض من لدن الحكيم العليم ﷻ، فمن أحبه الله فلهذين الأمرين، فدائماً على بالي أنني مسافرٌ آجلاً أو عاجلاً، سأموت وأذهب للحي الذي لا يموت، وهو يرى ويسمع ويطلع على كل حركاتي وسكناتي الظاهرة والباطنة .. بالله عليكم لو وصلنا نحن في مجتمعنا الإسلامي إلى هذا الحال وهو حال المراقبة لله ﷻ، فهل تحدث أي مشكلة ولو صغيرة؟! مستحيل، هل يسبُّ أحدٌ أحداً أو يشتمه أو يضربه؟ لن يحدث، فما هذا الذي يحدث؟ لأننا كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾ (١٩الحشر).

فالله يُعرِّفنا أن أكبر عظة وعبرة نأخذها من هؤلاء الأنبياء الصادقين السابقين أن الله يكرمنا ويحبنا ويجعل الدار الآخرة على بالنا على الدوام:

﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ والدار هي الدار الآخرة.

اصطفاء الأخيار

﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾:

من الذي يريد أن يكون من الذين يصطفيهم الله ويجعلهم من الأخيار والأطهار؟ هذا هو الطريق، فمن وصل إلى هذا الحال فقد وصل، نريد دليلاً في كتاب الله؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل) ... وهي السياسة التي مشى عليها حضرة النبي، وأصحاب حضرة النبي، والصالحون من بعد النبي إلى يوم الدين.

ثم قال له: أيضاً سجِّل عندك في التشريفات الإلهية الذين سيُشرَّفوا ويكرَّموا يوم الدين: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ :وإسماعيل بن إبراهيم فلم لم يذكره مع الجماعة الآخرين، وخصَّه وحده؟ من أجل رسول الله،

لأن هذا صاحب الفرع الذي جاء منه رسول الله ﷺ، ولذلك أفرده الله بالذكر في هذه الآية تعظيماً لقدره، لأنه كان في ظهره نور النبي الخاتم صلوات ربي وتسليماته عليه، ﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ وهذا نبي من الأنبياء كان يعاون نبي الله ذا الكفل، وبعد أن انتقل ذو الكفل إلى جوار الله كانت النبوة لليسع لأنه أصبح وريثه،﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ هو ابن أيوب نبي الله الذي كلَّفه الله بالنبوة بعد انتقال أيوب إلى الرفيق الأعلى ... وبعد ذلك وضعهم الله جميعاً في قرار واحد: ﴿ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ هؤلاء جميعاً من الأخيار.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ :يعني شرف، يُعرّفنا الله أن كل من يمشي على هذا الهدي سيكون له ذكر، أي شـــرف في الدنيا، فتتذكره الناس بالخير، ويذكرونه بالبر، ويذكرونه بالحسنى، وسيكون له شرف يوم لقاء الله في الدار الآخرة.

حسن الخاتمة

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ يكفي المتقين أن الله يُحسن ختامهم في الدنيا، ويُحسن مكافأتهم في الدار الآخرة، فهل يوجد مآب أورجوع أحســـن من ذلك؟!! نحن ماذا نتمنَّى كلنا في الدنيا؟ حُسن الختام، فلا يوجد أعظم منه في الدنيا، وفي الآخرة؟ حُسن المكافأة وأحســـن مكافأة أن نكون مع هؤلاء: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (٦٩النســـاء) هل كل جماعة من هؤلاء وحدهم؟ لا، لأنه قال بعدها: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

منازل أهل الجنة

يا هناء السعداء يوم العرض واللقاء، فمنهم من هم على الأرائك ينظرون، لأن الناس يوم القيامة منهم جماعة سيقومون من القبور إلى القصور، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، قال ﷺ:

{ إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللَّه تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمَّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةِ مُحَمد }[٣]

هؤلاء من القبور إلى القصـــور، فيجدوانالقصـــور كما قال الله: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ الأبواب مفتوحة والحور فى الشـــرفات تســـتقبلهم بأحلى زينة، ويغنين ويقُلن:

{ نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلا نَبْؤُسُ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلا نَمُوتُ إِنَّا أَزْوَاجٌ كِرَامٌ لِكِرَامٍ طِبْنَا لَهُمْ وَطَابُوا لَنَا }[٤]

٣ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ
٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر ﷺ

والأرض ســـتكون قد فنت، ولم يبق إلا الجنة، فيكونون في الجنة على الدوام، هذه الجنة منذ متى يدخلونها؟ من الدنيا، كيف؟ عند لحظة الموت نُغسِّل الميت ونكفِّنه ونصلِّي عليه وندفنه، فتكون روحه قد دخلت الجنة، وهذا كلام الله:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (٣٢النحل) هل يدخلون القبر؟ لا، بل يدخلون الجنة فوراً.

وهؤلاء بعد نفخة القيام، وعندما يتوجَّه الناس إلى أرض الموقف، أين يكونون؟ كل واحد منهم في قصر من القصور، وفي شرفة من الشرفات جالس يشاهد من في العرض والحســاب، وانظروا إلى الإله العظيم كيف يصــفهم؟ ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ (٢٣المطففين) جالسين ليشاهدوا: ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (٢٤المطففين) .. لا يظهر عليهم كرب ولا هم ولا حُزن، غير أهل الموقف الذين يكونون في الكرب والحُزن العظيم.

وهؤلاء خـدامهم الملائكــة: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (٢٣الرعـد) ﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴾ (٢٥المطففين) مختوم بخـاتم الحضـــرة الإلهيـة، بعد توقيع الحضرة المحمدية: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (٢٦المطففين).

فهؤلاء جالسين في الجنة يشاهدون أهل الموقف، وليس لهم شأنٌ بهم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (الأنبياء) وأين يكونون؟ ﴿ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ (١٠٢الأنبياء)

وليس لهم شـــأن بـالفزع والجزع والهم: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (١٠٣الأنبياء) ..

تتلقاهم ملائكة الجنة ويقولون لهم هذا يومكم الذي يُردُّ لكم فيه الكيان والهناء لتفرحوا بفضل الله وبإكرام الله جل في عُلاه، وهذا صنفٌ.

وصنفٌ آخر سيكونون تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ومن أراد أن يكون منهم فليحجز مقعد من مقاعد تحت العرش من مكاتب الحجز وهو في الدنيا، وما الثمن الذي أحجز به؟ عمل من حوالي تسـعة وسـبعين عمل من أعمال البر والخير، ذكرها الحبيب ﷺ في أحاديثه المتعددة.

فحديث { سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ } فهذا حديثٌ واحد، ولكن الإمام السيوطي جمع هذه الأحاديث فوجدها سبعين صفة، منها:

{ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي صِغَرِهِ فَهُوَ يَتْلُوهُ فِي كِبَرِهِ }[5]

فقارئ القرآن تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، وغيره، فهم حوالي سبعين صفة جمعهم الإمام السيوطي في كتاب اسمه (تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش) والكتاب متوفر بالمكتبات، .... فالإنسان لا بد أن يكون فيه صفة من هذه الصفات ليكون تحت ظل العرش.

وهناك صنف أعلى من هؤلاء، سيكون لكل واحد منهم منبر من نور قدام عرش الرحمن، فهؤلاء أعلى من الذين تحت ظل العرش لأن هؤلاء قدام العرش مباشرةً، وفي مواجهة الوجه الجميل، ونحن كلنا نستطيع أن نكون منهم لأن النبي قال لنا:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " }[6]

وفي رواية أخرى:

---

٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٦ سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ

{ يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قُدَّامَ الرَّحْمَنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلا يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلا يَخَافُونَ }[7]

إذاً من هؤلاء؟ الذين يحبون بعضهم لله، لا لمصلحة، ولا لمنفعة دنيوية زائلة، لكن الذين يحبون بعضهم لمصلحة عاجلة، أو للَّذة دنيوية زائلة، فانظر إلى الوصف القبيح الذي يصفهم به الله: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢٥العنكبوت) كأننا لو أحببنا بعضنا لمصلحة فهذا كعبادة الأوثان، والمصلحة لن تدوم لأن: (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

فالشي الذي يدوم هو ما كان لله، وابتغاء وجه الله، وطلباً لمرضاة الله، فهؤلاء سيكونون قدام عرش الرحمن على منابر من نور، والواحد منهم يقول فيه حضرة النبي في الحديث الآخر:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لأَهْلَ الْجَنَّةَ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }[8]

---

٧ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري ﷺ
٨ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وهناك صنف آخر سيعملون في مكتب الشفاعة المحمدية، حجزوا من الدنيا هذه الوظيفة، والوظيفة في كتاب الله: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣البقرة) سيعملون مع حضرة النبي ﷺ ... منهم من معه كشف بعشرة أسماء، فيُنهي أوراقهم ويُدخلهم الجنة !!

ومنهم من معه كشف بسبعين اسماً ...، ومنهم من معه كشف بأُمَّة ...، وهذا يكون محامياً كبيراً يُنهي قضاياهم في المحكمة الإلهية ويُدخلهم الجنة، مع أنهم جميعاً عليهم أحكام!!، لأن الشفاعة هكذا، قال ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }[٩]، وقال:

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }[١٠]، وقال:

{ لَيَشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لأَكْثَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ مُضَرَ }[١١]

وهما من أكبر العائلات في الجزيرة العربية، فهؤلاء الرجال يشتغلون في الشفاعة مع سيدنا رسول الله ﷺ، وهؤلاء أصحاب مقام عظيم، ومقام كريم، ومقام التكريم لأنهم سيكونوا الأجنحة لسيدنا رسول الله ﷺ.

٩ سنن ابن ماجة وأحمد عن علي بنأبي طالب ﷺ
١٠ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ
١١ كرامات أولياء الله عز وجل للألكائي عن أبي هريرة ﷺ

من ألوان النعيم

هؤلاء كيف يدخلون الجنة؟ قال ﷺ:

{ أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ، وَلا تَحَاسُدَ }[12]

فهذه أول زُمرة، لأننا سـندخل هناك زُمرا: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) يعني جماعة خلف جماعة، والتقديم والتأخير بحسب التكريم من العزيز الكريم ﷻ، فمن يدخل أولاً غير الذي يدخل آخراً.

وآخر رجل يخرج من جهنَّم بعد شفاعة الشفعاء ويدخل الجنة، يقولون له: تمنَّى، فيسكت لأنه لا يعرف ماذا يتمنَّى!! لأنه لم ير شيئاً ولم يعرف شيئاً، لا يعرف غير البضاعة التي رآها في أسواق الدنيا، وهذه البضاعة ليست هناك، لكن بضاعة الجنة الذي رآها هو الذي يعرفها، ولذلك قال ﷺ:

---

١٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ، فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَاذَا نَتَمَنَّى؟ فَيَقُولُونَ: تَمَنَّوْا عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا }[13]

فأول فوجٌ سيدخل الجنة ستكون وجوههم كالقمر ليلة التمام: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ (٧٣الزمر) الأبواب مفتوحة وجاهزة ومستعدة من قبل، وكما قلت من هنا من الدنيا، غير الكافرين فلن تُفتح لهم الأبواب إلا إذا وصلوا إليها وهي أبواب جهنَّم.

رجلٌ من الصالحين في مصر وكان اسمه الشيخ علي الروزباري ﷺ:

وكان يعالج سكرات الموت، وأخته جالسة بجواره تبكي، فقال لها: لِمَ تبكِ يا أُختاه؟! فإني أرى أبواب السماوات وقد فُتِّحت، وأرى الجنات وقد زُينت، وأسمع قائلاً يقول: يا أبا عليٍّ لقد بلغنَّاك الدرجة القُصوى في الجنة وإن لم تكن تُردِها ...

١٣ تاريخ دمشق لابن عساكر عن جابر بن عبد الله ﷺ

متى رأى هذا الكلام؟ وهو خارج من الدنيا: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (٧٣الزمر) ..!

ليس لهم شأنٌ بسؤال الملكين، ولا بالحساب، ولا بالصراط، ولا بالميزان، لأن كل هذه الأمور تجاوزوها بشفاعة النبي العدنان، وبفتح من حضرة الرحمن ﷻ.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴾ كما تحدثنا من قبل أن الطعام الأساسي في الجنة الفاكهة، وفيها أيضاً: ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ (٢١الواقعة) كل شيء موجود، أحد السُزَّج البسطاء كان يُحب المحشي جداً، فقال: هل الجنة فيها محشي؟!! نعم فيها كل شـــيء: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٧١الزخرف) ولكن مختلفٌ تماماً عن الذي في الدنيا.

إذا كان الطعام في الدنيا درجات!!، فهل من يأكل في فندق خمس نجوم كمن يأكل في مطعم فول وطعمية؟!! لذلك فالجنة شـــيء مختلف تماماً كما قلت قبل ذلك: (كل ما خطر ببالك فالجنة بخلاف ذلك) لكن هذه أمثلة يُقرب الله لنا بها حقائق ونعيم الجنة لنحنُّ ونشـــتاق إلى الله أولاً، وإلى جواره في الجنة، لنتمتع بالمشـــاهدات والمؤآنسات والملاطفات على الدوام.

﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ وقاصـــرات الطرف هنَّ النســـاء اللائي مُلئنَ بالحياء، فلا يستطعن أن يُثبتن أبصارهنَّ في وجه أحد حياءاً من الواحد الأحد ﷻ.

وأتراب يعني مثل بعضــهن كلهن في الســن وفي الشـكل وفي الجسـم، لأن أهل الجنة جميعاً سـيكونوا في سـنِّ ثلاثة وثلاثين، كما أخبر حضـرة النبي، فلا يصـل أحد إلى سن أربعة وثلاثين، بل سيظلُّ في سن ثلاثة وثلاثين على الدوام، فلا يهرمون لأنه ليس هناك شيخوخة، ولذلك قال النبي:

{ لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } [١٤]

يعني يظل شباباً دائما في سن الثلاثة والثلاثين، وسيكونو كلهم في نفس الجمال، وفي نفس المواصــفات، وفي نفس الشــكل والجســم، ولذلك قال (أتراب) يعني مثل بعض، كالأولاد الذين هم في سن واحد، وفي جسم واحد، وفي شكل واحد، وفي لون واحد:

﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ :

وانتبه للآية فلم يقُل: (هذا ما توعدون بعد الحســـاب) لأن هؤلاء كلهم ليس لهم شانٌ بالحساب .... جماعة من أمة حضرة النبي سيدخلون الجنة بغير حساب، وجماعة منهم سيُحاسبون حساباً يسيراً، وجماعة سيحاسبون حساباً عسيراً، نسأل الله الحفظ والسلامة.

---

١٤ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

أما الكافرين والمشركين فليس لهم حساب، بل سيخرجون من القبور إلى النار وبئس القرار، فلماذا يُحاسب؟! ليس بعد الكفر ذنب، ولذلك يقول فيهم الله:

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (١٠٥الكهف).

لكن الحساب لمن؟ كما قلنا الحساب اليسير للمؤمنين الذين كانت تخدعهم الدنيا أحياناً، وتخدعهم الآمال والحظوظ والأهواء أحياناً: ﴿ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ (١٠٢التوبة) هو الذي يضع نفسه في هذا الهم، وهذا الغم، وهذا الحساب.

والحساب العسير - والعياذ بالله – فهذا للذين ارتكبوا الكبائر، ويتباهون ويفتخرون بها، ولا يتوبون إلى الله ﷻ منها، وهؤلاء حضرة النبي قال فيهم:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا الْمُجَاهِرِينَ }[١٥]

لماذا؟ لأن الله أسبل عليك ستره فلماذا تفضح نفسك؟!! تجلس مع جماعة وتقول: أنا فعلت كذا وفعلت كذا!! لماذا؟!! لكن تُب إلى الله، وارجع إلى الله ﷻ، واسأله الستر ليسترك ويتوب عليك.

---

١٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

لذلك نحن نريد أن نكون من الجماعة الأولين الذين سيدخلون الجنة بلا سابقة سؤال ولا حساب: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر).

هؤلاء بعد أن يدخلوا الجنة يشاهدون أهل الحساب، وبعد أن يتنعموا، وحتى لا يظنوا أن هذا النعيم لمدة محددة، وبعد ذلك يخرجون، فيُريد الله أن يطمئنهم فيقول لهم:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ :

ليس له نهاية، بل خالدين فيها أبداً، فبعد ذلك يطمئنوا أنهم دخلوا الحياة الأبدية في الجنة، في جوار سيدنا رسول الله، وفي جوار الأنبياء والمرسلين، وفي جوار الأخيار، وفي جوار الأطهار.

نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذا المقام، وأن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، وأن يجعلنا من المشتغلين بذكره ﷻ في الدنيا والآخرة، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ (١٠) قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (١٢) قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ (١٣) قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي (١٤) فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ (١٥)

لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾ (الزمر)

٢٨.فبشر عباد[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن على قلب حبيبه ومصطفاه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمحسنين، والصلاة والسلام على من كان خُلُقُهُ القرآن، وحاله بالقرآن، وعمله بالقرآن، واحتكامه للقرآن، سيدنا محمد الذي كان قرآناً يمشي بين الناس، وآله وأصحابه وأتباعه وأحبابه، واجعلنا من جملتهم أجمعين، واحشـــرنا في زمرتهم يوم الدين، واجعلنا من أهل جوارهم في جنة النعيم أجمعين ، أمين يارب العالمين .

لا بدَّ للمسلم من وقفة، ولو كل يوم مرَّة مع بعض آيات كتاب الله ﷻ:

حتَّى يعرف أين هو؟ وإلى أين ذاهب؟ وما حقيقته؟ فلا يتوه عن أصـله وفصـله الذي سَوَّاهُ عليه ربه ﷻ.

ونحن نرى الدنيا، وإن حَلَتْ أَوْحَلَتْ، وإن أقبلت أدبرت، لا تدوم لحي لأن الإنسان مهما عاش فيها، ومهما عمَّر لا بد في يوم من الأيام أن يرجع إلى الله ﷻ.

بماذا سيرجع؟ وماذا سيكون حاله عند الله؟

---

١ المنيا مغاغة - ميانة - غرة ذي الحجة ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٨٧/٢٣م

الذي بنى عليه أعماله، والذي أسَّس عليه أفعاله، والذي كان عليه حاله في الحياة الدنيا، هو الذي سيراه هناك: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الواقعة) وإن كان من الثالثين، نسأل الحفظ والسلامة من مقامهم أجمعين.

فعندما ننظر في آيات القرآن التي معنا اليوم، وانظر معي إلى جمال خطاب الله ﷻ لنا، وننتبه لألفاظ القرآن الدقيقة، يقول الله لحبيبه ﷺ:..

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ :

لم يقل: (قل لعباد الذين آمنوا) لكن ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ﴾ فمع أنه قال لحبيبه (قل) إلّا أنّه نادى علينا، وينادي علينا بلسان يدعو إلى الإقبال الدائم على المنادي ﷻ.

أثر التقوى

﴿ قُلۡ يَـٰعِبَادِ ﴾:

نحن عباد الله ﷻ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لكننا آمنا يارب، ماذا يريد الله؟

﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ لماذا يارب؟ لأن المقامات كلها عند الله في الدنيا والآخرة على تقوى الله: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (١٣الحجرات) ولذلك يقول رسول الله ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا، وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَقُولُوا: فُلانُ بْنُ فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بْنِ فُلانٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ أَيْنَ الْمُتَّقُونَ }[٢]

فينصب لهؤلاء القوم لواء، ثم يؤمر بهم إلى الجنة، من الذي سيدخل الجنة؟ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) الشرط هو التقوى.

---

٢ معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ

من أصـــحاب المقامات العلا في الدار الآخرة؟ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (٦٢يونس) من هؤلاء؟ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٣يونس) إذاً التقوى هي الحبل الأقوى الذي ينبغي أن يتمسـك به العبد ليكون له منزلة كريمة عند الله ﷻ.

والتقوى باختصـار شـديد هي الخوف من الله، أي أن الإنسـان يكون عنده وَجَلْ، وعنده خشـــية، وعنده خوف من لقاء الله ﷻ، وهي إن وجدت في القلب، هل ســـيقع صاحبها في معصية تغضب الله؟! لا، هل سيتلفظ لسانه بقول يغضب مولاه؟! لا، ما دام وصـلت التقوى إلى القلب سـيسـتقيم على طاعة الله، ويوفق للعمل بما يرضـي الله ﷻ.

والإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه قسمها إلى أربع منازل فقال:

(التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل)

لا بد من هذه الأوصـــاف أن تكون في الإنســـان ليكون من الأصـــفياء الأنقياء الأتقياء.

فطلب الله ﷻ منا بذاته أن نحرص على تقوى الله، وخشـــية الله، والخوف من جلال الله في كل حركاتنا وسكناتنا في هذه الحياة، لماذا يارب؟

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾:

الذي يحسن القيام بالتقوى، والتمسك بالتقوى، والعمل بما يرضـي الله، سيكون له في الدار الآخرة حســـنات وقربات ومنازل ودرجات لا يعلم قدرها إلا الله جل في علاه.

نفترض أنّي أُوجِدتُ في مكان، وضُـــيق عَليَّ في العمل بما يرضـــي الرحمن، فطلب الله منا أن لا نستسلم، وانظر إلى أصحاب رسول الله ماذا عملوا واعمل مثلهم، لمَّا ضيق عليهم في طاعة الله وعبادة الله ماذا عملوا؟ هاجروا ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ الذي يهاجر سيجد في أرض الله سعة، وسيجد في أرض الله مُرَاغماً وخيراً كثيراً إن شـاء الله.

الصبر وفضله

وإذا صبر في الدنيا على طاعة الله، أو صبَّر نفسه عن الوقوع في معصية الله، أو صبّر نفسه ورضّاها على مُرّ القضاء الذي نزل به في هذه الحياة، وهذه أنواع الصبر، صبر على الطاعة، وصبر عن الوقوع في المعصية، وصبر على الرضا بالقضاء الذي قضاه الله، إذا صبر يكفيه قول الله ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾:

وبغير حساب يعني أجر مفتوح ليس له حد ولا عد ولا نهاية، وهذا أجر الصابرين.

ولذلك كثير من المسلمين في هذا الزمان وغيره، يريد نظير أنه مؤمن، وأنه يقوم بالطاعات، أن يعيش في الجنة وهو في الدنيا، فيريد أن لا يشعر بِهَم ولا غم، ولا يأتيه مرض ولا حزن، وإذا جاءه شيء من ذلك يعاتب الله ﷻ!! فيقول يارب لماذا فعلت معي ذلك؟!! إن فلان لا يصلي وحالته كذا وكذا!! سبحان الله!!

أنت تقيس نفسك بجماعة عُجّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، تأتيهم طيباتهم في الدنيا حتى يخرج من الدنيا وليس له شيء عند الله ﷻ، كما ورد في الأثر:

{ إذا أحببت عبدي المؤمن أسقمت جسمه وضيّقت عليه في معيشته، وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر حتى لا تبقى عليه سيئة واحدة أطالبه بها، فإذا بقى عليه شيء، أثقلت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس عليه سيئة واحدة أطالبه بها، وإذا أبغضت عبدى أصححت جسمه، ووسّعت عليه في معيشته، وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر، حتى لا تبقى له حسنة واحدة يطالبنى بها، فإن بقي له شيء خفّفْت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يطالبني بها }

إذا أحب الله العبد المؤمن أسقم جسمه وضيّق عليه في معيشته، لماذا؟

حتى يقول يا رب، لأن الإنسان كما قال الله فيه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (العلق) وقد ورد أن فرعون موسى عاش أربعمائة عام لم يشعر بوجع في رأسه قط، قيل: لأن الله لا يحب أن يسمع صوته، لأنه لو جاءه وجع سيقول يا رب، والله لا يريد أن يسمع صوته.

إذاً الصبر الذي يعيننا عليه الله ويقوّينا عليه نعمة من الله ﷻ، ولذلك قال ﷺ:

{ الصَّبْرُ نِصْفُ الإيمَانِ }[3]

[3] مسند الشهاب والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وورد عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: (وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لا رَأْسَ لَهُ)[4]

هل هناك أحد يستطيع أن يعيش ويتحرك بدون روح؟!! لا، كذلك ليس هناك مؤمن يستطيع أن يعمل ما يرضي الله، ويمتنع عن معاصي الله، ويرضى ويسلم لقضاء الله، إلا إذا أعانه الله عليه، ولذلك قال لنا مخاطباً حبيبه ومصطفاه:

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (١٢٧النحل) .... قال ﷺ:

{ يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ }[5]

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا وَأَرَادَ أَنْ يُصَافِيَهُ صَبَّ الْبَلاءَ عَلَيْهِ صَبًّا، وَثَجَّهُ عَلَيْهِ ثَجًّا، قَالَ: وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلاءِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّلاةِ فَيُوَفَّى أَهْلُ الصَّلاةِ أُجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْحَجِّ، فَيُوَفُّونَ أُجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلاءِ، فَلا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ،

---

٤ الإلماع إلى علم أصول الرواية للقاضي عياض
٥ جامع الترمذي والبيهقي عن جابر ﷺ

وَلا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الأَجْرُ صَبًّا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ "، حَتَّى يَتَمَنَّى أَهْلُ الْعَافِيَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا تُقْرَضُ أَجْسَادُهُمْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَذْهَبُ أَهْلُ الْبَلاءِ مِنَ الْفَضْلِ } ٦

والبلاء:

أى شيء يتعرض له الإنسان في الدنيا ولو قليل، ولو شوكة في رجله، هؤلاء يؤمر بهم إلى الجنة، فيتمنى أهل الموقف أن لو كانوا قرضوا بالمقاريض وكانوا من أهل البلاء لما رأوا من حسن حالهم عند الله ﷻ "

إذا لا بد للمؤمن الذي يريد أن يجوز ويفوز، أن يوطن نفسه مع تقوى الله على الصبر الجميل، وخاصة في هذه الأيام:

الصّبر على خلق الله، والذي لا يستطيع أن يصبر على خلق الله فقد يضيّع حسناته التي عملها لمولاه جل في علاه، لذلك لا بد للإنسان أن يكون عنده الصبر العظيم، وهذه هي الوصية الأولى لنا مع تقوى الله سبحانه وتعالى.

---

٦ كتاب المحن للقيرواني عن أنس ﷺ

إدراك معية النبي

من الذي يريد أن يكون مع رســـول الله في درجته في الجنة يوم القيامة؟ كلنا، ماذا نعمل لكي نصـــل إلى هذه الدرجة؟ أمره الله أن يبيّن لنا، النبي ســـيكون في المقام المحمود، والذي يريد أن يكون معه ماذا يفعل؟.

الإخلاص:

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ :

أهم شـــيء الإخلاص، والإخلاص أن يقصـــد الإنســـان بعمله وجه الله لا يرجو بالعمل شيء سواه.

إذا قَصدَ بالعمل رضا الخلق فقد ضيّع عمله عند الحق، وإذا قصد بالعمل الرياء أو الســـمعة أو الشـــهرة فقد حبط عمله ولا ينفعه هذا العمل يوم يلقى الله ﷻ، ولذلك الإخلاص لأنه عزيز قال الله تعالى:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي }[٧]

هذا السر لا يطلع عليه شيطان فيفسده، ولا مَلَك فيكتبه، لأنه يكون بين الإنسان وبين الله في قلبه، ويوم القيامة ســـيكون هناك أناس أعمالهم كثيرة ولكن ليس فيها إخلاص، فكما ورد في الحديث الشريف بقوله ﷺ:

---

٧ أحاديث مسلسلات، والرسالة القشيرية عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

{ يُجَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُـحُفٍ مَخْتُومَةٍ فَتُنْصَـبُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْمَلائِكَةِ: أَلْقُوا هٰذَا وَاقْبَلُوا هٰذَا، فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ: وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلاَّ خَيْرَاً، فَيَقُولُ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ إِنَّ هٰذَا كَانَ لِغَيْرِي، وَلاَ أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ ابْتُغِيَ بِهِ }[8]

هذا العمل كان يؤدّيه للسمعة وللشهرة بين للناس، أو أُعْجِب بنفسه، لكن الذي يريد المنزلة العظيمة: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ وشرط العمل:

﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١١٠الكهف) وهذا هو الإخلاص، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ أوصى سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له:

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }[9]

ليس المهم كثرة الأعمال، المهم الإخلاص في هذه الأعمال ، وهذا الذي ينبغى أن يكون جُلُّ اهتمام المؤمن؛ أن يكون حريصاً على أن يعمل هذا العمل طلباً لمرضاة الله عز وجل.

٨ جامع المسانيد والمراسيل عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٩ الحاكم في المستدرك وحلية الأولياء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

انظروا للسيدة عائشة زوجة النبي، والسيدة فاطمة بنت النبي رضى الله عنهما، كانت الواحدة منهما عندما تتصـدق تشـترى أولا عطراً وتعطر المال، لماذا؟ فتقول: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدَّقِ عَلَيْهِ }[10]

وشيء سيقع في يد الله يجب أن أُطيّبه،قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا }[11]

سترسل هذه الصدقة مع خادم أو خادمة، فتقول له: احفظ ما سيقول أو ما ستقول ثم أخبرني ماذا قال، لأن الفقير عندما يأخذ صـــدقة من شـــخص يدعو له، ثم يأتيها الخادم ويقول لها: لقد دعا هذا الفقير بكذا، فتدعو له بما قد دعا وزيادة، فيسألها الخادم لم هذا؟ فتقول: دعاء بدعاء حتى تَسْـلَمَ لَنَا صَـدَقَاتنا، أي لا يكون أجرنا هو دعوة هذا الفقير.

الأجرة ســـيأخذه من الذي يقول ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف) لم يقل الله (إنا لا نضيع أجر من عمل)

١٠ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها
١١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

لأنه قد يعمل ولا يأخذ أجراً، لكن الذي أحسن العمل هو الذي وافق في أداء العمل التشبّه برسول الله، وكانت نية العمل فيها إخلاص لوجه الله جل في علاه، لأن أى عمل على غير هدى رسول الله غير مقبول، وأىُّ عمل غير خالص غير مقبول، فإحسان العمل أنَّ الإنسان يعمله كما كان يعمله رسول الله، قال:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[12]، وقال:

{ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }[13]

ومثله تماماً: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب) في كل أعماله

وأحواله وأقواله، ومعها النيّة الخالصة لوجه الله ﷻ، و هذا يحتاج إلى تدريب، والإنسان هو الذي يدرّب نفسه عليها ويواظب على هذا التدريب العملى حتى يصل إلى حال لا يتنفس نَفَساً إلا يبغي به وجه الله ويطلب به رضاه جل في علاه، إذا وصل إلى هذا الحال نبشّره بأنه سيكون مع رسول الله ﷺ.

الحرص على العمل بشرع الله

الأمر الثانى الذي طلب منا سيدنا رسول الله أن نقتدى به كما أمره مولاه: ﴿ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ هو أول المسلمين كلهم، لكن كيف نكون نحن أول

المسلمين؟! يعني ليس لي شأن بمن حولي، فأكون أنا أول المستمسكين بالعمل بكتاب الله بمن أُوجَد بينهم، وأكون أنا أول الحريصين على سُنّة رسول الله ﷺ.

١٢ البارى ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ
١٣ سنن البيهقي عن جابر ﷺ

الذي ضـــيَّع معظم الناس هذه الأيام قول أحدهم أنا مثلي مثل الناس، لكن اجعل نفسك مثل سيد الناس ﷺ، لأنّك لو قلت أنّك مثل النّاس، فالناس إن ضـاعوا، ستضيع مثلهم!! لكن مَثَلُكْ مِثْل سيّد النّاس الذي قال:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ }[14]

رفض أهل مكة أن يتبعوه، وذهبوا إلى عمه ...

وعرضـــوا عليه وقالوا: إنْ كنت تُريد ملكاً جعلناك ملكاً علينا، وإن كنت تُريد المال جمعنا لك المال حتى تكون أغنانا، ولو كان يعتريك تعب أو مرض أتيناك بأكبر الأطباء حتّى تُشْفَى من هذا الدَّاء، فقال له عمُّه: يا ابن أخي لا تحمّلني فوق طاقتي فأنا لا أستطيع أن أعارض أهل مكه جميعهم، ونحن كما ترى قِلَّة - عدد رجال بني هاشم كانوا حوالي أربعين رجلاً، وأهل مكّة حوالي ثلاثة إلى أربعة ألاف - فقال ﷺ:

{ يا عماه، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ }[15]

الذي ضـيّع الناس عندما يقول الرجل منهم أنا مثلي مثل الناس، مع أن النبي نبّه وحذّر وأنذر وقال:

١٤ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٥ تاريخ الطبري ودلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَلا تَظْلِمُوا }[16]

هذا للذي يريد أن يكون مع سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كان سيدنا رسول الله يعلمنا في افتتاحية كل صلاة بعد أن نكبر تكبيرة الإحرام ندعوا أدعية الافتتاح، والأدعية الواردة في افتتاح الصلاة عن رسول الله كثيرة، ومن جملتها: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام)، لكن نحن نقول: (وأنا من المسلمين) لأن هذه خصوصية لسيدنا رسول الله ﷺ.

فأنا أُريد أن أكون مع أول المسلمين وهو سيدنا ﷺ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، ومن والاهم من التابعين، والأولياء والصالحين، فعلَيَّ أن أوطّن نفسي على الدوام على الأخذ بالأحسن، وليس لي شأن بغيري.

غيري لديه وقت وغير مشغول ولا يقوم لصلاة الفجر!، وأنا عندي مشاغل وأعمال كثيرة، فيأتي لنفسه بعذر ويقول: فلان ليس عنده مشاغل ولا يُصلي الفجر، لذلك أنا لي عذر أن أصلي الصبح بعد طلوع الشمس!!، لا يجوز أن أقيس نفسي بهذا، ولكن أقيس نفسي بما قاله الحبيب ﷺ:

16 مسند البزار وجامع الترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ }[17]

لكن انْظُر إلَى مَن هو فَوقَك في الدّين، وإلى من هو دونك في الدنيا، ولكنّنا غيرنا مقياس رسول الله، فلكي ترتاح نفسك، ماذا تصنع؟ انظر لمن هو أعلى منك في الدين وامشـــي مثله، وانظر لمن هو دونك في الدنيا حتى تعتبر وتشـــكر الله ﷻ على نعمه.

فنحن مطالبون إذا أردنا أن نكون في درجة حضرة النبي، ونكون معه في الدار الآخرة وفي الجنّة، أن نأخذ دائماً بسُــنته وأفعاله وأحواله وهيئته، ولا نلتمس لأنفســنا أعذار لأنها ربما تكون أوزار.

الخوف من الله:

أهل مكّة كان من ضمن مشاكستهم لحضرة النبي ﷺ يقولون له: هل هان عليك أن تترك الآلهة التي كان يعبدها آبائك وأجدادك وأهل مكة كلهم؟!! ولا ترضـــى أن تأتي معنا وتتوجه إلى هذا الآلهة بالعبادة؟!!

فأنزل الله على حضرة النبي الرد، لأن الله كان يرُدّ عن حبيبه على الدوام:

﴿ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ :

١٧ معجم الطبراني والأمالي الخميسية للشجري عن أبي ذر ﷺ

إذا كان حضـــرة النبي خائف من العذاب، فأين نذهب نحن؟!! حتى نأخذ بالنا!، إذا كان الذي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، والذي وعده بأنه ســـيبعثه المقام المحمود، والذي وعده بأنْ سـيُعْطيه كل ما يريد حتى يَرْضَــى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضـحى) ومع ذلك يخاف ﷺ من عذاب عظيم، وعظيم يعنى عذاب شـديد!!

فماذا نفعل نحن يا أحباب النبي ويا أمّة النبي؟!!.

لذلك يجب على المؤمن أنْ يجمّل نفســه دوماً بالخوف من الوقوع فيما يُغْضــب الله عندما تُهَيِّيء له المعاصـــي، لأن الله ﷻ لو نظر إليه وهو على معصـــية - ولو صغيرة - غضب عليه، وإذا غَضب الله عليه لم يُفلح بعد لك أبداً.

ولذلك كان العلماء العاملون يقولون:

(لا تُصغّر ذنباً فعسى أن يراك الله ﷻ وأنت تفعله فتقع في سخط الله ﷻ وغضبه)

إيّاك أن تسـتصــغر ذنب فتقول: هذا ذنب هيّن، وهذا ذنب بسـيط، حتى أننا في الزمن الذي نعيش فيه هناك ذنوب من الكبائر والناس لا تعتبرها ذنوب!!.

وصـلنا إلى حالة في عصـرنا هذا أن كثير مِنَ المسـلمين لا يعتبر الكذب ذنب!! هل يحاســب نفســه على أن الكذب ذنب ويريد أن يتوب إلى الله ﷻ منه؟!! لا، مع أن أصحاب رسول الله بيَّنَ لهم النبي ذلك فقد سألوا النبي ﷺ:

{ هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لا، قال الله: " إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ" }[١٨]

فالمؤمن قد يَقتل ثمَّ يتوب فيتوب الله ﷻ عليه، وقد يسرق ثمَّ يتوب فيتوب الله ﷻ عليه، لكن المؤمن ليس بكذَّاب، هذا الذنب لا يحاسب أحد نفسه عليه إلا ما نَدرَ من المؤمنين على أنَّه ذنب!!، وحتى في اللّهو واللّعب قال ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[١٩]

حتّى في المزاح ليس فيه كذب أبداً! .... لكن هذا ذنب من الذنوب الذي استهانت به النّاس ولا تعتبره ذنباً بالمرَّة!!، من الذي يتوب من ذنب الكذب؟!! لو أردنا في يوم من الأيام وعملنا فيش وتشبيه لجماعة من المسلمين عن يوم، هل سنجده خالي من الكذب؟ نادر، وربما نجد فيه كذبات معدودة، لأننا استهنَّا بالذنوب، ولم نعدُّها ذنوب، وهذه استهانة بحضرة علَّام الغيوب ﷻ، لأن الذي يُصَغِّر الذنب جاهل بمقام الله سبحانه وتعالى الذي سيحاسبه على هذا الذنب.

١٨ تاريخ دمشق لابن عساكر، وتهذيب الآثار للطبري
١٩ معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما

الخلاص بالإخلاص

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴾ : .... عاد اللهُ مرَّة أخرى يكرر الإخلاص، حتى نتأكد أن الخَلَاص بالإخلاص، والإخلاص يعني أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، أنا ذاهب لأزور مريض، ليس لأجل أن يأتيني إذا مرض شخص عندي، لكن أنا أزوره لله، فإذا مرض أحد عندي، ولم يأت هذا الشخص الذي زرته لزيارتي، هل سأحزن؟ لا، لأني عملت ذلك العمل لله، وسآخذ أجرى من الله، ولو هُو أتاني سيأخذ أجره من الله، وإذا لم يأتي فأنا لم أخسر شيء، لأني أعمل العمل لله ﷻ، لأن المؤمن يتعامل مع الله.

سأقوم بتشييع جنازة، ليس لأجل أن يراني صاحب الجنازة ويعلم أني أعزِّيه!! لكن لله، حتى آخذ الأجر موفوراً كاملاً من عند الله تبارك وتعالى.

أي عمل أعمله ولو قليل أعمله لله، أتبسم في وجه أخي لله، أقول كلمة طيبة أرجو بها وجه الله .. كل عمل أعمله لله، وهذا هو العمل الخالص الذي سآخذ به الأجر العظيم يوم لقاء الله ﷻ.

وبعد ذلك قال لهم ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ وبيَّن أحوال الناس في زمانه وفى زماننا إلى يوم القيامة، من سيخرج من سوق الدنيا خسران؟

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ :

الذي سـيخرج من الدنيا مهما كان عنده من الدنيا من غنى ومن مال ومن عقار ومن عيال ومن وظائف، سـيأتي في الآخرة ليس معه شـيء من الحسـنات ولا من الصالحات، وهذا هو الخسران المبين:

﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ الخسران الشديد، لأن كل الذي تركه في الدنيا لن ينفعه يوم لقاء الله ﷻ. ...

هَبْ أنك ملكت الدنيا بأجمعها، ما الذي يكون معك منها عند الموت؟!!

رجل من الأغنياء، وكان عمدة بلدة نابلس في فلسـطين، وكان من أغنى أغنياء البلد، وصَّى أولاده وصية غريبة وهو يعالج سكرات الموت، قال لهم: عندما تكفنوني بعد تغسيلي وتضعوني في النعش، أخرجوا يدي واجعلوها خارج النعش، وطوفوا بي شـوارع المدينة كُلّها، فقال له أبناؤه: لماذا؟ قال: حتّى يعرف الناس أنَّ أَغْنى أَغنياء نابلس خَرَجَ من الدّنيا ومن أملاكه، ويده فارغة ليس فيها شيء!!.

الباقيات الصالحات

من الذي يستطيع أن يحول رصيد إلى هناك غير الحسنات؟!!

إذاً الإنسان التقي النقي الذي يُجَهّزْ:

﴿ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦الكهف)

الأشـــياء التي نســـتهين بها في الدنيا !!!!، هي التي بها المقام العظيم هناك .. يقول فيها النبي ﷺ:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأَنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }[٢٠]

كلمات نستهون بها، ولا نختم بها الصلاة بحجة أننا مشغولين!!، لكنها تملأ ما بين السماء والأرض طاعة وعبادة لله ﷻ.

هذه الأشـــياء التي نســـتهين بها هي الباقيات الصـــالحات، وســـيكون بها التقييم والمنازل والدرجات يوم الميقات، وبها ننال جوار سيد السادات ﷺ.

سيدنا سليمان بن داود عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلوات وأتم السلام، سخَّر له الله الجنّ والطّير والهواء والوحوش وعلَّمه كل لغات هؤلاء،

٢٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

وهو أول من اخترع الطـائرة، ولم تكن تطير ببنزين ولا ســولار، ولا فيها ميكانيكا، لكنه كان يجلس على ســجّادة مثل ســجّادة الصــلاة، وكلّما أتى أحد يجلس بجواره تتّسع السجادة، حتى أنّه في يوم من الأيام كان على السّجّادة خمسمائة ألف من الإنس، وخمســمائـة ألف من الجن، بخلاف الطيور والوحوش والأمراء والوجهاء والوزراء، ثمّ أمر الهواء أن يحمل هذه الســجَّادة ويطير بها، فطارت في الهواء وهى تحمل كل ذلك!!، هل هناك طائرة تحمل كلّ ذلك اليوم؟!! لا يوجد أبداً.

وكانت السّــجّادة تمشــى قريبة من الأرض، ويأمر الهواء أن يكون هواء طري ورخي حتى لا يؤذيهم: ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦ص) هواءٌ هيِّن ولِيِّن، فرأى ذلك رجل فلَّاح بجوار بيت المقدس، وكانت عاصــمة مملكة ســيدنا ســليمان، فنظر هذا الرجل وقال: سبحان الله!! ما أعظم ما أُوتي سليمان بن داود، فحملت الرّيح الصوت وأوصلته لأذن سيدنا سليمان، فسيدنا سليمان أراد أن يعطى درس لمن حوله، فأمر البســاط أن ينزل، فنزل بمن معه، ثم قال للرجل: لا تخف، ماذا قلت آنفاً؟ قال: قلت ما أعظم ما أُوتي سليمان بن داود، فقال سيدنا سليمان: وعزّة ربّي لتسبيحة واحدة في صحيفة مؤمن خيْرٌ وأعظم عند الله ﷻ ممّا أوتي سليمان بن داوود.

الذي ســيدخل منَّا الجنَّة ســيندم، والذي قال ذلك الذي لا ينطق عن الهوى، لماذا ســيندم ؟ لأنه عندما يخرج من الدّنيا يقول لماذا كنت أضــيّع الوقت في القيل والقال، وهنا وهناك، ولم أســتغله في ذكر الله، وفى تلاوة كتابه، والأعمال الصــالحة المقرّبة لحضرة الله؟!!.

الذين شيعناهم إلى الدار الآخرة، الواحد منهم يتمنّي تسبيحة، ويتمنون أن نفعل لهم شيء ونرسله لهم، لأنهم لا يستطيعون عمل شيء!!.

لكن نحن والحمد لله معنا الآن الفرصة، فماذا نفعل؟ الماهر في الدنيا الذي يعمل كما قال الله لحضرة النبي: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ (الانشراح).

أنت تمشى في طريق، لماذا تمشي ساكتاً؟! اذكر الله ، أو استغفر الله، أو صَلِّ على رسول الله، حتى لا تكون من الغافلين، وإذا كنت تستعد للنوم، اذكر الله حتى يأتيك النوم، ويكفيك قول الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طَاهِرًا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ }[21]

من نام على ذكر الله كُتب طوال ليلته قائماً ذاكراً، فإذا استيقظ كان له دعوة لا ترد، لكن الذي ينام على أغنية، أين هو وأين أصحاب هذا الطريق؟!! وإذا جاءه الموت في النوم ستكون مصيبة من المصائب الكبيرة!، والذي ينام على الفيس بوك، نفس الأمر، وخاصة إذا نام على مناظر مُؤذية ومُخزية والعياذ بالله:

---

٢١ سنن النسائي والطبراني عن عمرو بن عبسة ﷺ

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[22]

فما الذي يمنعنا من ذكر الله على الدوام؟!! حتى نكون من أهل النجاة يوم القيامة إن شاء الله.

أهل الخسارة هؤلاء يبين لنا الله حالهم، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين فيقول:

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ :

السقف من فوقهم نار، والأرض من تحتهم نار، لأنهم في جهنم، فيكون كله في النار: ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ يعني دوما حافظوا على تقوى الله ﷻ.

---

22 صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

المبشرون من المقربين

عندما ننظر إلى مراتب أهل الإيمان التي خصَّهم بها الرحمن ﷻ، نجد أن هناك جماعة جعل الله ﷻ لهم البُشرى في الدنيا والآخرة، وهناك جماعة أعلى منهم أمر الله الحبيب بذاته ﷺ أن يُبشـــرهم: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ (٤٧الأحزاب)

ولم يقُل المؤمنين في زمانك، ولكن المؤمنين إلى يوم القيامة؛ يُبشـرهم رسـول الله ﷺ بالفضل الكبير الذي جهَّزه لهم الله ﷻ.

عندنا في الآيات صِنف من هؤلاء الذين يبشرهم رسول الله، مَن هم؟

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ :

هؤلاء: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾:

من الذي يبشرهم؟ رسول الله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾.

بم استُوْجبوا هذه البشرى؟

﴿ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ :

والطاغوت كل شيء يُعبد دون الله ﷻ، وبعض العلماء قال أنه الشيطان، ومنهم من قال أنه الدنيا، ومنهم من قال أنه الهوى، ولكننا نجملها مرة واحدة، فكل شيء يُعبد دون الله نسميه طاغوت.

ولذلك هناك قراءة أُخرى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ﴾ يعني جمع، وأكبر الطواغيت التي تمنع الإنسان عن طاعة الله والتأسي برسول الله هي الهوى.

فلو أن الإنسان اجتاز عقبة هواه فيا هناه:

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ (النازعات).

آفة الآفات التي تضيِّع السابقين والمعاصرين واللاحقين الهوى، وماذا أفعل؟

أعمل بوصية الحبيب التي يقول فيها:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٢٣]

إياك أن تجعل هواك يتحكَّم فيك، فمعظم مشاكل الخلق حالياً سببها الهوى، مثلاً: يريد أحدهم أن يخُصَّ هذا الولد من أولاده بجزء من الميراث أكبر من إخوته، لماذا؟ لهوى في نفسه، فتحدث المشاكل بينه وبين الأولاد، وبين الأولاد وبين بعضهم وليس لها حلٌّ، وقس على ذلك، معظم المشاكل التي تحدث في مجتمعنا سببها الأساسي الهوى.

٢٣ معجم السقر وشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

اتباع الأحسن

فمن يجتنب كل الطواغيت، أي كل ما دون الله، ويُسيطر على هواه، ويُنيب ويرجع إلى الله: ﴿ وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ :

من يمشي على هذه الروشتة البسيطة:

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ :

ولم يذكر البشرى، لأن البُشرى من الله ومن رسول الله لا يستطيع أحدٌ أن يحوي معناها، أو يستوعب فحواها إلا إذا ذاقها وتملَّى بها ورعاها، وهي أمورٌ خاصة كيف يعرفها؟

﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾:

هؤلاء الذين خصَّهم الله سبحانه وتعالى بهذه البُشرى أول علامة من علاماتهم تظهر لهم ولغيرهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴾ :

بعض الســادة المفســرين على قدرهم يقول: أي يترك الكُفر ويتبِّع الإيمان، لكن الله يقول: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ أي يتركون الحَسَــن ويتبعون الأحســن، وهل الكفر حسن؟!! لا، فيتبعون أحسنه يعني يتركون الحسن ويمشون خلف الأحسن، ولا أحسن من كلام الله تبارك وتعالى وهو القرآن الكريم، فهم يتبعون القرآن في كل أحوالهم.

معظم المشــاكل في عصــرنا هذا أن الناس تترك القرآن ويقولون: الشــيخ فلان قال، والشيخ فلان أفتى، والشيخ فلان رأيه كذا .. أفلا نترك المشايخ ونجعل أنفسنا مع القرآن ومع رســول الله؟! لو بقينا مع القرآن ومع رســول الله ﷺ ســتنتهي كل هذه المشاكل، ولن يكون بيننا خلاف ولا اختلاف ولا إتلاف ولا شيء من هذا القبيل.

فيتبعون أحسنه يعني يترك الحسن ويتبع الأحسن، مثلاً جماعة يدعوه إلى الجنة فهذا حسن، وجماعة يدعوه إلى النظر إلى وجه الله في الجنة وهذا أحسن، فيمشي مع من؟ مع الأحسـن، وهكذا فكلما يستمع لقول يمشــي خلف الأحسـن، أو جماعة يدعوه إلى أن يعمل بالدين للدنيا، وجماعة يدعوه إلى أن يعمل بالدين لرضـــا رب العالمين، فيأخذ بالأحسن على الفور، وهؤلاء: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴾:

ونأخذ منها إشارة صغيرة سلوكية صغيرة نحن في حاجة إليها كلنا في المجتمع: جلستُ مع شخص أو اثنين أو أي جماعة، وتكلموا في أي موضوع، فأنا آخذ أحسن ما عندهم، وهذا الذي أستمع إليه، وهذا الذي إذا أردت أن أنقله لينتفع به غيري ... لكن مشاكل الناس أنه يأخذ أسوأ الكلام وينقله للأنام، فيعمل فتن ويعمل مشاكل لا حدَّ لها ولا عدَّ لها، لكن أصحاب رسول الله ﷺ كما قال ﷺ في شأنهم:

{ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلاَمِ كَمَا يَنْتَقِي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ }[24]

ينتقون الكلمات والعبارات والألفاظ التي لا تجرح المشاعر، ولا تُصيب أي إنسان بأذى في نفسه، أو بامتعاض في قلبه، وإنما يختارون الألفاظ الحسان عملاً بقول الرحمن ﷻ ليكونوا كما قال الله:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾:

إذاً الذي يُريد حضرة النبي ﷺ يُبشره يعمل كما وضَّح وبيَّن الله في الآيات الكريمة التي أشرنا إليها.

والله ﷻ في هذه الآيات عقد مقارنة بين المؤمنين وغير المؤمنين، فبعد أن ذكر المؤمنين الذين لهم البُشرى، فعاد ليعرفنا فضل الله لنشكره على عطاياه فقال:

---

٢٤ والحديث بتمامه كما رواه الطبراني عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه: { عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰنِ تَعَالَىٰ وَكِلْتَا يَدَيْهِ إِلَىٰ يَمِينٌ، رِجَالٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْشَىٰ بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ نَظَرَ النَّاظِرِينَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ، هُمْ جُمَّاعٌ مِنْ نَوَازِعِ الْقَبَائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلاَمِ كَمَا يَنْتَقِي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ } (طب) ، جامع المسانيد والمراسيل.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ :

يعني من كتب الله عليه الكُفر والضـــلال والعذاب، هل تســـتطيع أن تنقذه؟!!

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (٥٦القصص).

لنعرف أن أكبر نعمة نشـكر الله ﷻ عليها هي نعمة الهداية، والتي تفضَّـل علينا بها الله فضلاً وكرماً من عنده ﷻ، لا بعمل ولا بنسب ولا بمال ولا بشيء أبداً، ولكنه تفضُّـــلٌ منه تبارك وتعالى علينا: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٧الحجرات) ...

لكنه لو لم يُحبب إلينا الإيمان وزينه في القلوب، هل نستطيع أن نفعل شيئاً؟!! لا.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ :

ما دام سبقت له من الله السوئ فمن ذا الذي يُنقذه أو يُخرجه؟!

فقد كان رسول الله يقول لعمه:

{ قُلْ كَلِمَةً تَجِبْ لَكَ عَلَيَّ بِهَا الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ }[٢٥]

فدخل عليه الشيطان الإنسي أبو جهل وقال له: يا أبا طالب أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ أتريد أن تترك دينك ودين آبائك؟ وهذه هي المصـــيبة لنعرف أن العناية من الله:

[٢٥] الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

لولا العناية من أزل لنا سبقت	لما اهتدينا ولا أرواحنا عشقت
من جمَّل القلب منا بالهداية من	وهب النفوس الضيا حتى له طلبت
عناية سبقت "وألستُ" مصدرها	والروح قد ولهت فيها وقد أَلِهَت

هي عناية من الله لنا، ولو الواحد منا سجد ولم يقُم من سجوده، وأطال الله في عمره إلى يوم القيامة يشكر الله على نعمة الهداية والإيمان، ما استطاع أن يوفِّ بشكر هذه النعمة أبداً!! لذلك لا بد أن نستحضر فضل الله علينا بهذه النعمة الإلهية والتي هي نعمة الإيمان.

أهل الغرف

لكن الذين ارتقوا في مقام الإيمان، وزادوا في التقوى لحضرة لهم الدرجات العُلا:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ ﴾:

هذا المقام الذي نسأل الله أن نكون من أهله أجمعين، يقول فيه سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[٢٦]

ما الروشتة لمن يريد هذه الغرف؟

أول شيء:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٢٤الحج) لا يخرج منه إلا الكلام الهيِّن الليِّن

الطيب الذي يُحب أن يسمعه الناس ويستأنسون به، فلا يخرج منه كلمة لاغية، ولا كلمة نابية، ولا كلمة شاذَّة تؤذي الآخرين، وإنما كلامه دائماً بلسم وشفاء إن كان لمن يعيشون معه، أو لجيرانه، أو لزملائه في العمل، أو للناس أجمعين، وهذا خُلقُ المسلم، هل يُباح للمسلم يا رسول الله أن يسبُّ أحداً أو يشتم أحداً؟ قال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ وَلا الطَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ }[٢٧]

لا يسبُّ أحداً أبداً حتى ولو كان من الكائنات الحية التي جعل الله فيها روح، لأن فيها روحٌ أحياها بها الله تبارك وتعالى، وكلمة اللعن لا تجري على لسانه أبداً.

---

٢٦ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري
٢٧ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وســبحان الله كلمة اللعن انتشــرت بين الناس الآن، فأجد الشــباب يمزحون مع بعضــهم ولا يتكلمون مع بعضــهم إلا بهذا الكلام، يقول له: تعال يا ابن كذا!!، أو الله يلعن كذا!!، لماذا؟!! كأنهم يُصرِّون على العمل بما نهى عنه الله ورسوله!!..

وهذا من غضب الله ﷻ!!، فالنبي قال لنا:

{ اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ }[28]

فأنا عندما ألعن شــخص بمن مات عنده، إن كان أبوه أو أمه أو غيره، فأنا أقع بذلك في إثمين، أرتكب انتهاك حُرمة الميت، واللعن، ولا ينبغي أن يكون اللعن لمؤمن، لأن اللعن في كتاب الله على الكافرين وعلى المشــركين وعلى اليهود، ولا يوجد من المؤمنين ملعونٌ في كتاب الله إلا الكاذبين: ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (٦١آل عمران) أو الظالمين، وحضــرة النبي ﷺ حذَّرنا تحذيراً شــديداً، فقال:

---

٢٨ جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلا وَإِلا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا }[29]

إن لعنتَ أحداً تصعد اللعنة، فإذا كان يستحقها تنزل عليه، وإن لم يكن يستحقها ترجع مرة ثانية عليك!، فأنت هنا تلعن نفسك، وكونك تلعن نفسك يعني تبعُد عن رحمة الله، لأنك ملعون.

سيدنا رسول الله ﷺ كان في إحدى الغزوات وواحدة من الصحابيات الجليلات كانت راكبة ناقة، وهذه الناقة أسرعت قليلاً فلعنتها، فقال ﷺ:

{ خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ }[30]

كفارة هذا الذنب أن تتركها حرة تمشي كما تشاء، لكن الآن اللعن أصبح الكلمة الدارجة التي تمشي على لسان المسلمين كلهم، واللعن إما للأب، أو للأُم، وقد يجمع من ماتوا كلهم، فيقول: ميِّتينك، وميتينك يعني أمواتك كلهم، وهذه مصيبة كبرى، فلماذا أسبهم وقد أفضوا إلى رحمة الله وإلى رضوان الله وإلى جنة الله؟!. فالمسلم لا ينبغي أن يسُب ولا يلعن ولا يشتُم أحداً أبداً، ولكن كما يقول الله إذا كان يتكلم مع غير المسلمين:﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة) ليعرفوا أن ديننا هو دين الأخلاق الكريمة.

---

٢٩ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ
٣٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمران بن حصين ﷺ

وإذا كان مع المؤمنين: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ (٢٤الحج) فأقول له كلمة طيبة، فإذا كان عنده مصــاب أُخفِّف مصــابه، وإذا كان مريضــاً أُشـجعه لتحمَّل الألم، وإذا كان عنده مشـكلة أو معضـلة أُيسِّـر عنه لأُفرج عنه الهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين مع بعضهم.

فالطيب من القول الذي يداوي جراح المؤمنين، ويُحسِّـن أحوال المؤمنين، فكأننا جميعاً أطباء نفسـانيين، ونعالج إخواننا المسـلمين، فلا نحتاج إلى طبيب نفسـاني معنا لأننا كلنا أطباء نفسـانيين، وهذا ما كان عليه سـيدنا رسـول الله والصـحابة المباركين والتابعين والصالحين أجمعين إلى يوم الدين.

الأمر الثاني:

(أطعم الطعام) هل أُطعم الطعام وأنا ليس معي شـــيء؟ الجماعة الذين أخذوا الوسام العظيم: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ (٩الحشر).

ونحن نعرف أن سيدنا الإمام عليّ والسيدة فاطمة أنزل الله فيهما مدحاً في سورة كاملة في القرآن، لماذا؟

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ

لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان).

لا يُطعم الطعام للمباهاة ولا للفخر، ولا ليقولوا أن فلان هذا صفته كذا وكذا، وماذا أشتري بهذا الكلام؟ لن أشتري به شيئاً في الدنيا ولا الآخرة بل سيُسعد الناس فقط!

لكنني أريد أن ما أفعله أجد له ثمناً عند من يقول للشيء كن فيكون.

الأمر الثالث:

(وصلوا بالليل والناس نيام) المؤمن أمره الله ﷻ أن يكون له نصيباً من قيام الليل:

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات)

كم نُصلي؟ ولو ركعتين، قال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[31]

---

31 سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ركعتين اثنتين فقط، ولكن المهم المداومة على هذا الحال.

هذه الغُرف في الجنة، وأهل هذه الغُرف أكبر مُتعة لهم النظر إلى وجه الله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ (٧٥الفرقان) دائماً يسمعون فيها السـلام من السـلام، ويتمتعون بالنظر إلى وجه الله ﷻ على الدوام، وهؤلاء يقول فيهم سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ }[٣٢]

الكوكب البعيد جداً، بيننا وبينه المليارات من السـنين الضـوئية، ولذلك يكون ضوؤه خافت وليس كالشمس والقمر، لماذا؟ لعُلوِّ المنزلة ولعُلو الدرجة التي أصابوها بهذه الأعمال الطيبة التي بيَنها وفصلها الرسول الكريم.

﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ :

الله سـبحانه وتعالى يُخلف الوعيد من كرمه ومن حلمه، ولكنه لا يُخلف الوعد، فما وعد به لا بد أن ينفذه، لكن الوعيد يرجع فيه لأنه غفورٌ ورحيم وتواب وكريم وعظيم، ويُحبنا جماعة المؤمنين، ويريد دائماً أن نكون في الدرجات العلى عنده لأنه هو الذي أحبنا قبل خلقنا ووهب لنا الإيمان تبارك وتعالى.

٣٢ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

نســـأل الله ﷻ أن يوفقنا لعمل الخيرات، واســـتباق الطاعات، والمداومة على النوافل والقربات، وحُسن المتابعة لسيد السادات

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الزمر)

٢٩. الصادقون[١]

بســم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي خصَّــنا بخير نبي اختاره بين الأنبياء والمرسلين، وزاد في تفضيلنا فاختار لنا خير كلام أنزله للأولين والآخرين؛ كتاب الله تعالى القرآن الكريم، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، والصــلاة والســلام على من كان خُلقه القرآن، وعمله بالقرآن، وحياته بالقرآن، بل وأكله ونومه وشربه بالقرآن؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

القرآن وحل مشاكل المسلمين

حلِّ مشــاكل المســلمين أجمعين بالرجوع إلى كتاب الله، فكل واحد منا يجب أن يكون له كل يوم وقفة مع بعض آيات كتاب الله، يقرأ ويعي ويتدبَّر، ثم يعمل بتوفيق الله بما فتح الله به عليه من آيات كتاب الله تبارك وتعالى.

لماذا ســاد أصــحاب النبي ﷺ ورضــي الله تبارك وتعالى عنهم؟ ولماذا ســادوا العباد والبلاد؟ يقال أن المدينة كنت إذا مشــيت في طرقاتها بالليل تســمع للبيوت دوياً كدويِّ النحل، من تلاوة كتاب الله ﷻ، ولم يكن عندهم إنارة ولا حتى مصــــابيح غاز، ولم يكن عندهم غير الشـــمع، لكن نور القرآن مع نور الإيمان يكشـــف لهم ملامح وحقائق حضرة الرحمن ﷻ، فكان لا بد وأن يقرأوا القرآن.

---

١ الأقصر ـ مسجد سيدي يوسف الحجاجي ١٤ من صفر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١١/٣م

وسيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول لنا في ذلك: (جعلنا القرآن رسائل ربنا تبارك وتعالى إلينا - خطابات أرســـلها لنا فننظر ماذا في هذا الخطاب - فنقرأه ونتدبره بالليل، ثم نُنفذه بالنهار)

فعندما ينـادي الله عليَّ وعليك ويقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أقول لـه: لبيك يا رب، فأقرأ وأفقه وأنفِّذ ما يريده مني، وهذا كان منهج أصـــحاب رســـول الله ﷺ، وهو منهج كل الصـــالحين الذين كانوا على قدم الوراثة المحمدية لســـيد الأولين والآخرين ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ (٣٢فاطر).

القرآن عبادة الأصفياء

ما علامة الاصطفاء من الله؟

أن يكون العبد قائماً بكتاب الله تبارك وتعالى، وهذا الوحيد الذي يجمع شـــمل المســـلمين، ويوحد صـــفوف الموحدين، ويُنهي المشـــاكل والخلافات التي انتشـــرت بالبلدان بين المســـلمين، لأن كتاب الله فيه كل شـــيء أنزله الله تبارك وتعالى، فكانوا على هذه الشاكلة.

سيدي أحمد بن إدريس ﷺ يقول:

{ احترتُ، هل أسلك طريق الذكر، أم طريق القرآن في الوصول إلى الله ﷻ؟

فرأيتُ النبي ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسول الله أيهما أسُلك: الذكر أم القرآن؟

قال: القرآن القرآن يا أحمد، فاشتغل بتلاوة القرآن }

وسيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه :

كان إذا انتصف الليل يقوم بين يدي مولاه يقرأ القرآن حتى صلاة الفجر، وكانت هذه عبادته مع أنه كما يحكي خادمه سيدي عبد العال ﷺ فيقول: خدمتُ سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما وجدته غفل عن ذكر الله طرفة عين: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور).

كل السلف الصالح الوارثين المصطفين ما عبادتهم الأصلية؟

ما قال فيه أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[٢]

---

٢ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ﷺ

ولكن مع التدبر والتمعن، وليست قراءة سريعة، وعد ختمات!!، هل تعُد على الذي عليك نعمه لا تُعد؟!! إذا كان صاحب النعم وهو المنعم لا يعُد عليك نعمه، فكيف تعُد ما هو واصلٌ منك إليه؟! ولا يصل إلا بمعونته وحوله وطوله وفضله ﷻ!!.

تحتاج كما قال الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر) لم يقُل:

(هل من قارئ) ولكن قارئ يتدبَّر ويتفهَّم ويتبحَّر في معاني القرآن.

وإذا طهُر القلب - وهذا ما يحتاجه ليتدبَّر - فتُفاض عليه معاني القرآن من لدن حضرة الرحمن، لم يقرأها في كتاب، ولم يسمعها من عالم، ولكنها تحتاج أولاً طهارة القلوب التي يقول فيها سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا حذيفة رضى الله عنهما:

(لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن)[٣]

القلوب تحتاج أن تتطهَّر من الدنيا والغموم والهموم والمشاكل، ويرمي الإنسان حموله على الله، ويُقبل بالكلية على مولاه، فيتولَّى الله تعليمه كما قال في كتاب الله: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (الرحمن).

من الذي يُعلم الإنسان معاني القرآن؟

٣ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى ﷺ.

الرحمن تبارك وتعالى، لأنه أعلم بكتابه، وهو الذي يعلم المراد من الآيات التي أجراها في كتابه، لأنه رب العباد تبارك وتعالى .. وكان ولا يزال.

السلف الصالح، والصالحون الأفذاذ كانت دروسهم عبارة عن أنهم يعملون بحديث حضرة النبي الذي قال فيه:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[٤]

هل تُوجد مجالس أبهى من هذه المجالس؟ أبداً !!!

وكان على هذه الشاكلة أصحاب رسول الله والصالحين في كل زمان ومكان.

سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ وأرضاه :

وُلد في بلاد المغرب، وأبوه مات وكان عنده إثنا عشر عاماً، فتأثر تأثراً شديداً لأن أبوه كان من كبار العلماء، وأُمه كانت من دمشق، لكن الأولياء لا تشغلهم المسافات،مع أنه لم يكن عندهم مواصلات، ولكن الله قرَّب لهم المسافات.

فأرادت أن تُخرجه من هذا الجو فأرسلته إلى أخواله في دمشق، يطلب العلم ويستزيد منه، ويخرج من الحالة التي هو فيها، فمكث هناك حتى سن العشرين ..

---

٤ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

فعاد عالماً، فوجدهم مُحافظين على كرسي أبيه في المسجد الجامع ليجلس عليه، وقالوا له: اجلس على كرسـي أبيك، بعدها توفت أمه، فقال: أذهبُ للحج، فمكث ثماني سنوات يتنقَّل بين مكة والمدينة، مدة في مكة، ومدة في المدينة، ولم يمُد يده لأحد فكان يتاجر ليأكل من عرق جبينه ويتصدَّق، وكل هذا ولم يتزوج.

وبعد ذلك جاءه الأمر من سـيدنا رسـول الله أن يهبط إلى قنا، ليُبلغ رسـالة الله تبارك وتعالى، فلما نزل قنا ماذا فعل لتبليغ رسـالة الله؟ كان كل يوم له درس إما بعد العصر أو بعد العشاء، والدرس يكون بأن يتلو آية من كتاب الله ويُفسرها للحاضرين، وهذا نهج الصـالحين المُصـلحين الوارثين لمقام سـيد الأولين والآخرين في كل وقت وحين.

وكان له إكرامٌ من رسـول الله ﷺ، فكان يقول: لي ليلتان في كل أسـبوع أجتمع فيهما على رسـول الله ﷺ وأعرض عليه ما استُشـكل عليَّ، فيُجيبني عنها جميعاً، ليلة الإثنين وليلة الجمعة، يأتيه سـيدنا رسـول الله وكل الأسـئلة التي سـألها المحبين والسالكين والمريدين والمسلمين، وكان متوقفٌ عندها، فيجد الإجابة الموافقة من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فذات مرة يحكي وهو في قنا فقال:

عندما كنت بالمدينة المنورة مقيماً فيها سألت رسول الله ﷺ مناماً في رؤية ذات ليلة، فسألت فيها رسول الله ﷺ عن: كيف حدث شق الصدر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لقد شُق صدري وأنا في اليقظة ما شعرت فيه بشيء من ألم، وأتاني الله بقلب سليم، ليتحمل نزول كلام الله على هذا القلب، لأن القلب الذي خلقت به طفلاً لا يتحمل هذا النزول، وأنت يا عبد الرحيم تقرأ كتاب الله الذي قال جل شأنه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢١الحشر)

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء) فمن رحمة الله بي أن هذا القلب الذي ارتضاه ربي فيه قوة ونورانية ونقاء وصفاء، وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعثراتها، تجري فيه آيات الرحمن التي نزلت عليه، لم يخالطها شيء من قوة أخرى، حيث كان كلام الله هو القوة والحياة، وقد حفظه الله من الزيغ والنسيان، وليس للشيطان سلطان عليه، ومتى جرى قول الله في مكان أصبح هذا المكان بعيداً عن الهوى، وهذا معنى قوله تعالى عني: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران) وهذا هو المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢الشورى)

ولقد كان الكتاب والإيمان نوراً في قلبي وعلى قلبي، وكان قلبي نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده، وأرسلني جل شأنه لهدي الناس إلى صراط الله المستقيم، وهذا هو قلبي يا عبد الرحيم.

ثم بعد أن روى سيدي عبد الرحيم ذلك يقول لمستمعيه:

يا عباد الله هذا هو ما وصل إليَّ في وصف قلب رسول الله ﷺ من رسول الله نفسه، وأنا هناك بالأرض الطيبة بالمدينة المنورة، أنعم برضاء الله وحب رسوله العظيم.

فهذا منهج الصالحين أهل الوراثة الكاملة لسيد الأولين والآخرين ...

آيات كتاب الله، ونعيش فيها، سواءٌ الإنسان بمفرده، أو سواءٌ كنا في جماعة، وهل هناك أحلى من مائدة كتاب الله؟! وهل هناك أعلى من كلام الله؟! وهل هناك أنقى من هذه الألفاظ؟!

فهذا ديدن الصادقين نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين في كل زمان ومكان.

وهذا ما جعلنا نختار في كل جلسة من هذه الجلسات المباركة:

أن نأخذ بعض آيات القرآن ونتحدَّث فيها بالمعاني التي يُلهمنا الرحمن على حسب حال السامعين، أما معاني كلام الله تبارك وتعالى فلا يُحيط بها الأولون والآخرون ولو اجتمعوا!!.

الموت والحياة

بدأ الله ﷻ هذه الآيات التي بين أيدينا بخطاب من الذات العلية للحضرة المحمدية: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾:

ومعناها الظاهر الذي ورد في أسباب النزول أن الجماعة الكافرين أيام حضرة النبي كانوا يتمنون موته، حتى يرتاحوا منه في ظنهم، فأخبره الله وقال: إذا كانوا يتمنون موتك فهم أيضاً سيموتون: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾.

والصالحون استشفوا معاني راقية عالية لا تتعارض مع المعنى الظاهر: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾:

في حبنا وهوانا، لأنه لا يوجد في الخلق أجمعين من كان قلبه مملوءٌ بالحب لربه كسيد الأولين والآخرين ﷺ، ﴿ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾:

ميتون بالجهل، وميتون بالكفر، وميتون بالظلمات التي يعيشـــون فيها، وشـــتانٌ بين هذا وذاك، لكن حبيب الله كان ميتٌ في ذات الله تبارك وتعالى.

وفتح الله الباب للمؤمنين:

فمن يدخل في هذا الباب وينشـــغل بحب الله حتى يُفني هواه، ولا يكون له هوى إلا في مولاه، يدخل في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ (١٢٢الأنعام) احتيا بالله ..

وهي حياةٌ ليست كحياتنا هذه: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام)

وليس هذا النور الذي معنا، لماذا؟

لأنه أمات حظه وهواه، واحتيا بمولاه تبارك وتعالى.

وهل نحن لســنا أحياء؟! نســأل القرآن، فالقرآن يذكر أن هناك أناس عائشـــة، وهناك أُناس أحياء، فمن العائش ومن الحي؟

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه) له معيشة ...

ونادى على المؤمنين أمثالنا فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ مؤمنين بنصِّ كلام الله:

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال)؟

فمن الحيُّ في نظر الله؟

الذي استجاب لرسول الله، ترك حظه وهواه ومشى خلف رسول الله مستجيباً لكلام الله، فهذا هو العبد الحي في نظر الله!!

وهذا حتى لو جاءته الموتة القهرية العزرائيلية فيكون قد دخل في الحياة الربانية الشهودية: ﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩آل عمران) ...

دخل في الحياة الربانية الإلهية العالية.

حقوق العباد

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾:

الخصام في ظاهر الآية بين حضرة النبي ﷺ والمؤمنين والكافرين، لكن الجماعة العارفون والعلماء العاملون قالوا:

هذه الآية تجُر كل المسلمين في كل زمان ومكان، وماذا يعني ذلك؟

المسلم والمؤمن الحريص على النجاة، وأن يخرج من الدنيا مع السعداء بجوار حبيب الله ومصطفاه، فعليه في الدنيا أن يُخلي طرفه من حقوق عباد الله أجمعين، إياك أن تُبقي عليك حقاً لعبد من عباد الله، لماذا؟ لأنه كما ورد في الأثر أن الله يوم القيامة ينادي فيقول:

(يا عبادي لقد استمعتُ إليكم كثيراً، فاستمعوا إليَّ اليوم، أما ما كان بيني وبينكم؛
فقد غفرته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم !!
ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

العبد ينتهي من الحساب ويجوز الصراط، والملائكة تزُفُّه إلى باب الجنة، وعند القنطرة على أول الجنة ينادي مناد الله في خلق الله في الجمع: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج، فتخرج الخلائق !!!!

والنيابة الإلهية أرسلت اخطاراً لكل واحد منهم بما على هذا الرجل لهم، فمنهم من يتعلق برقبته، ومنهم من يتعلق بيديه، ومنهم من يتعلق بوسطه، والكل يقول:

يا رب خذ لي بحقي من هذا، ما حقك؟ ... منهم من يقول: إنه اغتابني مرة، ومنهم من يقول: سرقني مرة، ومنهم من يقول: ظلمني مرة، ومنهم من يقول: غشني مرة، ومنهم من يقول: كذب عليَّ مرة، ومنهم من يقول: طفَّف الكيل أو الميزان عليَّ مرة، فيقول رب العزة تبارك وتعالى كما ورد في الأثر:

(وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى تُرضي خُصمائك)

اجلس مع هؤلاء وهات لي محاضر صُلح منهم.

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ (٤٦الأعـراف)

لا أعرف اسم الذي ظلمني، لكنهم يعرفوني سيمته وشكله، مع أنه نشأ نشأة أُخرى في الدار الآخرة لكن: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ (٤٤الكهف) ...

والمسلم الحكيم الذي يذهب إلى هناك وليس له مطالبين، والنبي ﷺ نصحنا فقال:

{ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ }[٥]

يطلب السماح منه والعفو قبل أن لا يكون دينار ولا درهم!!!

٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فليس هناك لا دينار ولا درهم، لكن يجلسوا معه ليعملوا محاضر صُلح، فيقول: يا فلان سامحني، فيقول له: وماذا تدفع لي؟ فيقول: وماذا أدفع؟ يقول: له من حسناتك، فإذا نفدت الحسنات، ولا يزال هناك مطالبين، فيقولون له: احمل عنا من سيئاتنا.

فلا أحدٌ هناك تأخذه الشفقة أو الحنان أو العطف ...

فكل واحد يبحث عن الدرهم التائه، أو الحسـنة التائهة، لأنه الأعمال قد انتهت وأصبحوا في دار الجزاء أمام الواحد المتعال ﷻ.

كلمة يقولها أحد الشباب لمن حوله ولا يلقي لها بالاً عن واحدة مرت أمامهم في الطريق، فيقول: فلانة هذه عملت كذا وكذا، وفلان عمل فيها كذا، فهل رأيت ذلك؟!! وحتى لو أنك رأيت فلا تصِّح الشهادة إلا إذا كان معك ثلاثة، والأربعة يكونوا قد رأوا الحالة تماماً بتمام، ولو واحد من الأربعة رجع في كلامه فالثلاثة الآخرين يُجلدوا،.. لأن هذا قذف المحصنة، ماذا قال حضرة النبي في هذا الأمر؟ قال:

{ إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ لَيَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ }[6]

كم مائة عندي؟!! أنا خائف أن يكون أهل هذا الزمان هم المعنيّون بقول النبي العدنان:

{ أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لا لَهُ دِرْهَمَ وَلا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }[7]

آفة الكلام

هذه آفة العصر، الصدِّيق الذي بشَّره النبي ووضع يده اليمين على كتفه ويده اليسار على كتف عمر وقال:

{ هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[8]

٦ الحاكم في المستدرك ومسند البزار عن حذيفة بن اليمان ﷺ
٧ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٨ الحاكم في المستدرك والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

وانظر إلى آيات القرآن التي ذكرته وماذا قالت فيه؟ فيقول الله لحضرة النبي:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الشرح) ويقول للصدِّيق: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

(٢١الليل)، وفي آيات الهجرة أدخله الله فيها مع حضرة النبي خمس مرات ..

ومع ذلك فقدكان:

{ يضع حجراً في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير الضرورة ويشير إلى لسانه ويقول هذا أوردني الموارد }[٩]

هو سر المشاكل كلها، ولذلك كان ولا يزال المؤمنين الصادقين شعارهم الأساسي (الصمت) إلا إذا كان هناك داعياً ضرورياً للكلام، ولكننا نرى المسلمين الآن يتكلمون عمَّال على بطَّال كأنهم ليس معهم ملائكة تُسجِّل، ولا أرض تُسجِّل، ولا ربٌّ يسمع:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق).

وهذا حال الصالحين، فالذي يُريد أن يكون من الصالحين فهذا هو الطريق، يُعوِّد نفسه على الصمت إلا في الضرورات، والكلمات لا بد أن يزنها أولاً ويُفكِّر فيها ويُقدِّرها قبل أن تخرج من فيه، لأنها لو خرجت لم تعد ملكك.

٩ فيض القدير، مراقى العبودية وبداية الهداية

فلو حاولت أن ترجع وتتأسف في الدنيا فقد أصبحت مشكلة وتقول: يا فلان قُل لفلان يسامحني وتصبح خزي وندامة، وفي الآخرة كما ذكرنا !!!

فما الداعي أن أدخل في هذه الأمور؟!!

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤النساء).

بالله عليكم:

لو أن المؤمنين ركّبوا فرامل جيدة للسان، فهل تحدث أي مشاكل في أي مكان كان، في بيت أو في طريق أو في مكتب أو في عمل؟!!

المشاكل كلها سببها اللسان، واللسان صاحبه ليس مهيمناً عليه، ويتركه يشتغل وهو غافل عن أنه سيُحاسب عن كل صغيرة وكبيرة تفوَّه بها لسانه وقالتها شفتاه.

ولذلك كان حضرة النبي ﷺ دائم الصمت، وهذا كان وصفه، فلا يتكلم إلا في ضرورة، وكان أصحابه على هذه الهيئة، والصالحون كذلك.

واحد من تلاميذ سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وكان اسمه الشيخ مكين الدين الأسمر، وله مقام بالأسكندرية بجوار سيدي ياقوت العرش لمن أراد زيارته هناك:

كان يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي: (مكين الدين رجلٌ من الأبدال) وكان ترزياً، وأنتم تعرفون محل الترزي أو الحلاق أو أصحاب الصناعة يكون دائماً مليئٌ بالناس ويتكلمون، فماذا كان حاله؟ يقول: أجلس مع ربي آخر اليوم أُحصي كلماتي التي تكلمتُ بها في نهاري، فأجدها لا تزيد عن ثلاث عشرة كلمة!!.

إذا وجد في الإشارة غناءٌ عن العبارة، فيقول: لا داعي للعبارة، لماذا؟

يريد أن يتكلم مع من يقول للشيء كن فيكون.

فيقول أُراجع كلامي الذي قُلته فالكلمة التي فيها خيرٌ أشكر الله عليها، والكلمة التي أرى فيها غير ذلك أستغفر الله بعد أن أندم عليها.

هذه أحوال الصالحين ...

وإذا كان هو من المريدين، فأين هذا من مريدينا الذين في زماننا هذا؟!!

فإذا كنت تريد أن تكون من الصادقين، فهذا نهج الصادقين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة)

لكي تتعلموا منهم الصدق، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

فالإشارة التي نأخذها منهم معشر المريدين والسالكين هي اللسان:

أمسك عليك لسانك، وإياك أن تقول إنها زوجتي وأقول لها ما أريد!!

فلها حق سـيأخذه لها الله ﷻ إذا تجاوزت، وإياك أن تقول إنه ابني وأقول له ما أُريد، لا، فإنه إنسان خلقه الرحمن وكرَّمه، ومن يُحاسب فهو الرحمن سبحانه وتعالى:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[10]

وبعد ذلك لو لم تؤدي إلا فرائض الله، فستكون من أغنى الأغنياء في الدار الآخرة وفي الجنة إن شاء الله، لأنه ليس عليك ديون، وليس عليك مُطالبين، وكل ما تفعله في صحيفة حسناتك ويُضاعفه الله ﷻ أضعافاً كثيرة.

الصدق والصادقون

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾:

هذه الآية يبين لنا الله فيها منزلة الذين كذَّبوا بالصدق، والصدق هو القرآن الكريم، والذي قال فيه الله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ (١٢٢النساء).

---

١٠ جامع الترمذي ومسند أحمد

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾:

وهو القرآن.

﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾:

وهو النبي ﷺ،..

أو الذي جاء بالصدق هو النبي العدنان، والذي صدَّق به هو الصدِّيق والأتباع إلى يوم القيامة،نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

فلا يوجد أبداً مِن الذي كذَّب بالقرآن في عصرنا، ويحاول أن يقول: إن القرآن لا يصلُح لزماننا، فالقرآن كان لعصر النبي وأصحاب النبي، ولكننا الآن في عصر حضارة وتقدم ومدنية، وهي دعوة عصرية غرَّروا بها شبابنا، مع أن القرآن صالحٌ لكل زمان ومكان، وأهل الغرب يعترفون بهذه الحقائق الظاهرة، ويؤيدونها بالإختراعات والكشوفات التي ألهمهم بها الرحمن تبارك وتعالى.

فمن يُكذِّب بالقرآن يعني يترك العمل بالقرآن تشككاً في منهج القرآن، أو لعدم توفيق في صدق الاعتقاد في منهج القرآن، فهؤلاء قال فيهم الله:

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ :

فهؤلاء - والعياذ بالله - مثواهم يعني مأواهم جهنَّم وبئس القرار.

والآخرون الذين نريد أن نكون منهم إن شاء الله، وهم الذين صدَّقوا بما جاء به رسول الله، وقالوا: ما جاء به رسول الله على العين والرأس، فإذا فهمناه فهذا فضلٌ من الله، وإذا لم نفهمه فما زال الوقت باقياً حتى نرجع إلى الله ونطلب منه أن يُفقهنا فيما آتانا به رسول الله ﷺ.

ولو أن الإنسان صدق مع الله سيرزقه الله الفقه في دين الله وفي كلام رسول الله..

فما علامة حب الله للعبد؟

قال ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَهَّهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ }[11]

من الذي يُفقهه؟

الله ﷻ، وهو الذي يُلهمه بالإلهامات الصحيحة والعلوم الحقيقية ....

في كتاب الله تبارك وتعالى.

---

[11] مسند البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ

مطالب الأتقياء

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾:

هؤلاء قال الله في شأنهم: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢٢الشورى) .

بعض الناس لم ينتبهوا فقالوا: لهم ما يشاءون في الدنيا! والله وضَّح الآية، البعض يذهب للرجل الصالح ويقولون له: نريدك أن تُخفِّف فلان، وهل الرجل الصالح يملك غير الدعاء؟! ما عليه إلا الدعاء، لكن من الذي يملك الشفاء؟ ..... الله تبارك وتعالى.

فإذا ذهبنا إلى الرجل الصالح ودعا الله، ولم يتحقق الشفاء لحكمة يعلمها الله، فيقولون: كيف يكون صالحاً؟! نحن ذهبنا إليه من أجل أن يدعو لفلان ودعوته لم تُستجب!! من الذي قال هذا؟!

الشيخ ابن عطاء الله السكندري يُبين الأمر فيقول:

(يستجيب لك فيما يُريد، لا فيما تُريد، وفي الوقت الذي يُريد،

لا في الوقت الذي تُريد).

أنت تدعو الله، ومتى يستجيب؟

لا يُسال عما يفعل، وهل تحكم عليه أن يستجيب اليوم؟!

وبماذا يستجيب؟ .... بما فيه خيرٌ لك، فجائز أن دعوتك التي تدعو بها هي شرٌ لك، فهل يستجيبها؟ ... لا !!! فهو يستجيب فيما يُريد لأنه أعلم بما ينفعك وما يُصلحك، وفي الوقت الذي يُريد لأنه أعلم بمصالح العبيد.

وهل يوجد منا كلنا أعلى في المقام من موسى كليم الله؟! ومعه أيضاً سيدنا هارون، عندما أراد أن يدعو علمنا كيف ندعو ..

فعندما تدعو وتريد أن يكون دعاءك مُستجاب، هات معك جماعة من الصالحين فيكون الدعاء أقرب إلى الإستجابة، فعندما تدعو وحدك غير ما تدعو وأنت في مجموعة.

فطلب من أخيه هارون أن يدعو معه فقال: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ (يونس) صدَّق الله على الطلب، فهل بقي شيء بعد ذلك؟ لا ..

فانتظرا تحقيق الدعوة بعد أربعين سنة، حتى جاء هلاك فرعون!!

وكما ورد بالأثر :

(أن موسى قال: لم يا رب تأخرت عليَّ بالإجابة؟ قال: يا موسى لأنه كان بارّاً بأُمه وكانت تدعو له، فلما ماتت أُمه نفذّنا دعوتك.)

فعندما أدعو الله ﷻ أتأكد أنه استجاب، ومتى يُحقق هذا الدعاء؟ في الوقت الذي يرى فيه منفعتي ومصلحتي، وبالطريقة التي يرى فيها الخير لي في الدنيا والآخرة.

فطنة الصحابة

لكن أنت تريد شيئاً طيباً من الصالحين فكن فطناً:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾:

كن كأصحاب حضرة النبي، قال لأحد أصحابه:

{ سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي، فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وزَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِآخِرَتِي، فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ، فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ }[١٢]

---

١٢ مسند أحمد والمطالب العالية لابن حجر عن ربيعة بن مالك رضي الله عنه

وعن أنس بن مالك ﷺ قال:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ، قَالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّــرَاطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّــرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاثَ الْمَوَاطِنَ }[١٣]

أنا موجود في هذه المواضـــع لأطمئن على أحبابي وأتباعي أجمعين إلى آخر واحد منهم ينتهى من الحساب !!!

وبعد ذلك يدخل حضــرة النبي الجنة .... !!!مع أنه مفتاح الجنة!! .... لكن لا بد أن يحضر معنا كلنا.

{ وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ }[١٤]

يُحشر المرء مع من أحب يوم القيامة، وانظر إلى طلباتهم وطلباتنا!!

١٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس بن مالك ﷺ
١٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الناس الذين يُشغلون الصالحين في الأوجاع الدنيوية والأغراض الفانية الدنية، مع أنهم لو توجهوا فيها بصدق نية إلى رب البرية لأجابهم أجمعين!!!

لكنك تحتاج للصالحين أكثر في الأمور الأخروية !!!، فتكون معه يوم القيامة في الشفاعة !!، لأن لكل رجل صالح شفاعة يوم القيامة ....

فهذه كانت طلبات أصحاب رسول الله ...

رجلٌ آخر أخذ يبكي، ومن طول البكاء عدة أيام نحل جسمه واصفَّر لونه، وكان خادم حضرة النبي، فقال له:

{ يا ثوبان ما غيَّر لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أراك أبداً، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ }[١٥].

---

١٥ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية تاريخ النشر ٢٠٠٠ عند تعرضه لأسباب النزول لهذه الآيات من سورة النساء.

فعندما تنتبه: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : ....فتُعلي المطلب الذي تطلبه من أصحاب هذا المشهد، وتقول له:

أنا أُريد الفتح الرباني، أو تقول له: أنا أريد فتح نور البصـــيرة، أو تقول له: أنا أريد أن أتمتع بنور حضـــرة النبي، أو تقول له: أنا أتمنَّى أن تتنزل عليَّ الملائكة كما كانوا يتنزلون على الصالحين وأصحاب حضرة النبي.

لكن الأشياء الأُخرى فكلها فانية، فإما تترك وإما يتتركك !!

فلا تجعل مطلبك مطلباً دني.

رجلٌ من الصالحين أحب أن يُقرب هذا الأمر لأحد المريدين:

وكان معمَّماً أيام الملك، فقال له: لو أن الملك طلبك ليُكرِّمك فماذا تفعل؟ فقال له: أكوي الجُبَّة وأنشِّـــي العمامة وألبس كذا وكذا وأضــــع كذا، قال له: فإذا ذهبت للملك وجلست عنده وقال لك: ما تريده أُطلبه، فهل ينفع أن تقول له أنا أريد مليماً؟ لا، فلا بد أن يكون مطلبك عالياً ....

فالصـــالحون لا يطلبون من الله إلا الله، ولا يطلبون حتى الجنة إلا لأن فيها في جوار الله، ويتمتعون فيها بوجه حبيب الله ومصـطفاه، فلما تقصــدهم اجعل مقصــدك عالي، وهي فُرصة لكي تتعرَّض، وإذا تعرضت فإن الله أعطاهم كما قال:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ :

الذين وصـــلوا إلى مقام الإحســـان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... هؤلاء ماذا أيضاً لهم عند الله؟

﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ ﴾:

إذا كان أسـوأ شـيء عملوه سيغفره لهم، فهل بقي شـيء بعد ذلك؟!! هي مغفرةً تامةً كاملةً عامة شاملة لهم من الله تبارك وتعالى: .... وأين الذي أحسنوا فيه؟

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ :

يضاعفه لهم أضعافاً مضاعفة، كل واحد منا يعمل عملاً صالحاً يجد هذا العمل أضعافاً مضاعفةً يوم يلقى الله تبارك وتعالى، لأن الله يُنمي للمؤمن عمله.

والله سـبحانه وتعالى يزيد دائماً في رزق المؤمن في عمله الصـالح حتى يكون يوم القيامة وجيهاً في الدنيا والآخرة، أو يكون عند الله وجيها.

وأنت إذا كنتَ تحمل همَّ الدنيا، فيكفيك قول الله:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ : ... وهل لا تطمئن بكفاية الله لك؟! من الذي لجأ إلى الله ولم يكفه مولاه؟! ومن الذي توكَّل على الله ولم يُتمُّ وكالته مولاه تبارك وتعالى؟! ومن لجأ إلى الله مضطراً في أي حاجة ولم يُجبه الله؟! وهو القائل:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (٦٢النمل)، وجمعنا الله ﷻ في هذه الآية في القراءة الأُخرى: ... ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بكافٍ عِبادَهُ ﴾ على الجمع كلهم، كل طلباتهم، وحضرة النبي لخصَّها في منهج صغير:

{ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ } [١٦]

سيُخوفونك من الدنيا ومن المرض ومن المشاكل ومن غيرها!!!

ما دُمتَ أنت في حصـــون الله وفي رعاية الله، فمن كان همُّه على مولاه فليتقي الله وليعلم علم اليقين قول الله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (٢الطلاق) من كل أمر: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣الطلاق) ما حســبتها من هنا ومن هنا فلن تأتيك، ولكن ستأتيك من سكة أُخرى وهي حساب الله ورزق الله للمؤمنين، والمؤمنين داخلين تحت قول رب العالمين: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢البقرة).

---

١٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

فأنت كمؤمن اجعل ظهرك على الله، وألق حمولك على الله، وحسِّن ثقتك وظنك في الله، وقف دائماً مناجياً لله على باب الله، تجد أن الله ﷻ سخِّر لك كل شيء في الأرض وفي السماء، كما سخَّرها لرسول الله وأصحابه الأتقياء الأنقياء.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يُمتعنا بالعطايا الإلهية، والأرزاق الربانية، وأن يُكرمنا دائماً وأبداً بالتعُلق بالذات المحمدية، حتى يكشف لنا الحجاب عن وجه حضرته، فنتملَّى به يقظةً ومناماً، ونراه حِلَّاً وترحالاً، ويكون معنا دُنيا وآخرةً أجمعين ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الزمر)

٣٠.أهل الإنابة[١]

بسـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أثلج صـدورنا بسـماع كلام الله، وفتح آذان قلوبنا لفهم معناه ومغزاه، ومتع أعين بصـائرنا لشـهود النور المنبعث من أنوار كلمات الله، والصـلاة والسـلام على الحبيب المحبوب، الذي طهره مولاه من العيوب، وحفظـه حتى من الخطرات التي تؤدي إلى الذنوب، وجعلـه ﷺ لله حبيباً ومحبوب، صـلِّ وسـلم وبارك اللهم على سيدنا محمد، واجعلنا من أهل التعرض لنفحاته، ومن أهل النظر بنظرات حناناته، واجعل قلوبنا مرآة تنجلي في حضرة ذاته، حتى لا يغيب عنا طرفة عين ولا أقل، نحن وإخواننا والمسلمين أجمعين.

العلم الإلهامي

تأصيلاً للمنهج النبوي، والهدي الصحيح الصوفي، نمشي على ما تعودنا عليه، فإن النبي ﷺ ربىَّ كبار أصـحابه على العلم الإلهامي في كتاب الله الرباني، فلم يكن لهم مدد ولا اسـتمداد إلا من كتاب الله، ليس لديهم مكتبات ولا كتب ولا إذاعات ولا صحف ..

أين كتبهم؟ وصـفهم الإنجيل فقال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصـلاة في شأنهم: ((أناجيلهم صدورهم)) والأناجيل يعني الكتب.

١ الأقصر ـ ساحة الشيخ حسن الدح ١٥ من صفر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١١/٤م

وقال الله ﷻ مبيناً شـــأنهم وحالهم مع كتاب ربهم: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (٤٩العنكبوت) الآيات التي في المصـــحف تتلى، لكن الآيات المبينة تكون في الصدور وليست في السطور.

من الـذي يكتبهـا؟ الله ﷻ، فـإنهم ونســـأل الله أن نـدخـل معهم في قول الله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة).

البعض يعترضـــون على المجالس الصـــوفية وليس على الطرق، لأن الطريق واحد، لكنها مدارس، وكل مدرســـة أخذت منهجاً، وكل المدارس أخذت من مشـــكاة الحبيب ﷺ.

وأيام حضــرة النبي كان كذلك، فقد كان هناك رجال أكابر رباهم حضــرة النبي ﷺ على عينه، وكل واحد منهم كان له تلاميذ يتعلمون منه.

أولهم الإمام علي ﷺ، وكان يقول:

{مَعَاشِرَ النَّاسِ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي - يَقُولُهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ }، وفى رواية أخرى: { سَلوني، فوالله لا تسْألوني عن شيءٍ إلا أخبرتُكم. وسلوني عن كتابِ الله فواللَّهِ ما من آيةٍ وأنا أعْلَمُ أبِليلٍ نزلتْ أم بنهار، أم في سهل أو في جبل. وخطب يوماً بالكوفةِ فقال: سلوني قبل أن تَفقدُوني؛ فإنَّ بين جنبيَّ علماً جماً }[٢]

أين تفسيره (سلونى عن كتاب الله)؟ مطبوع في الصدور، وليس في المطابع !!!، يحفظونه في صدورهم حتى يودعونه في قلوب أشباههم وأمثالهم، ولذلك لا يطلع عليه أحد إلا أهله، يقول الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه في هذا التفسير:

{ لوشئت أن أوقر سبعين بعيرًا من تفسير أم القرآن لفعلت }[٣]

يحملون سبعين جملاً بالكتب في تفسير الفاتحة!!. أين من ذلك المفسرين الذين يرجعون إلى المصادر، ويبحثون عن المراجع؟!!

أين هؤلاء من الإمام علي؟!! والذي قال فيه ﷺ:

{ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا }[٤]

---

٢ جامع المسانيد والمراسيل، والرواية الثانية وردت بالجوهرة فى نسب الرسول
٣ عن أبى جمرة ﷺ فى الإتقان في علوم القرآن
٤ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

(علي بابها) فهذا معنى، والمعنى الآخر وهو لآخر الزمان، (وعليٌ بابها) كل الذي تعلو همته، وترتفع درجته، وتصـــفو روحانيته يدخل إلى جنة القرآن فيقرأ فيها المعاني الحسان التي جعلها الله ﷻ في القرآن.

هناك جماعة يقرأون القرآن الذي في السطور في المصاحف التي معنا، وهناك جماعة يقرأون القرآن الذي في الصدور، وينزل لهم إلهاماً من الله ...

وهناك جماعة يقرأون القرآن الذي في اللوح المحفوظ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين) يشهده وليس يقرأه، ...

والشـــهود بعين البصـــيرة المنيرة التي اكتحلت من إثمد ســـيدنا رســـول الله: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥الصافات).

وكان سيدي أبو العباس ﷺ إذا سأله سائل عن آية في كتاب الله يقول له: انتظر، وينظر إلى الأرض ثم يرفع رأسه فيقول: نظرت في اللوح المحفوظ فوجدت تفسيرها كذا وكذا!، لا يقرأ التفسير من كتاب ابن كثير أو الطبري ولكن من اللوح المحفوظ!.

هؤلاء هم الرجال الذين أوكل النبي ﷺ لهم تربية الرجال على المنهج الكامل.

ومنهم سيدنا عبد الله بن عباس، الذي دعا له النبي وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ }[5]

فكان رضى الله عنه يقول:

{ لو ضاع لى عقال بعير لوجدته في كتاب الله }[6]

لن يعلن عنه وينبه، ولكن يقرأ كتاب الله فيُعرِّفه الله ﷻ المكان الذي فقد فيه هذا العقال الذي يعقل به البعير، وفتح له رضى الله عنه باب التاويل، فكان يسمى ترجمان القرآن، لأنه ورث مقام الإمام علي في بيان وتفسير القرآن.

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود:

---

٥ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما
٦ الإتقان فى علوم اقرآن، وتفسير الألوسى، والحاوى للفتاوى وسفينة النجا.

كان سيدنا علي يقول لتلامذة عبدالله ليتمسكوا به:

{ عبدالله رجل مُلأ من رأسه إلى أخمص قدميه علماً }

كان بينهم محبة، فلم يدعهم ليتركوه وليتتلمذوا على يديه، .... لأن هؤلاء نزع الله ما في صدورهم .... فليس في صدورهم شيء.

الصالحون والقرآن

فكان أصحاب النبي كلهم على هذه الشاكلة، كلهم رجال القرآن، ومشى الصالحون على هذا المنهج الكريم، الصالحين المباركين الصادقين الأئمة المرشدين.

وذكرنا من قبل أن الإمام أحمد بن إدريس ﵁ – وكان بالمغرب - تحير هل يشتغل بالذكر أم بالقرآن؟ ورأى النبي ﷺ في منامه فقال له: القرآن القرآن يا أحمد، فكان ورده الأساسي كبقية الصالحين القرآن، بفهم وتدبر بعد صفاء القلب، وبعد فناء النفس عن شهواتها، وبعد تطهير الفؤاد من المعلومات الكونية والتحصيلية ليحصل العلوم الإلهية التي بثَّها الله ﷻ في الآيات القرآنية.

وجاء بعد ذلك إلى مصر، والسودان، والأراضي المقدسة، وفي كل مكان يجمع الله عليه رجال، وكان أثناء الطواف يقول لمن معه: (سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير فإن انتظار الصحة بطالة) الذي يريد أن يذهب إلى الله عليه بسلاح الإنكسار، وسلاح الذل لله، وسلاح التواضع، وسلاح الخشوع لأنه لا يحب المتكبرين.

وبعد ذلك ذهب إلى بلاد اليمن واستقر هناك في بلدة اسمها زبيد وفيها ضريحه المبارك الأنور، يُحكى عنه أنه وهو في مسجده المبارك بزبيد صلَّى بالناس الفجر ثم أخذ يفسر آية من كتاب الله إلى صلاة الظهر، ثم صلَّى الظهر، وأعاد تفسيرها بمعاني جديدة وعلوم جديدة حتى العصر، ثم صلى العصر، وأعاد تفسيرها بمواهب فريدة وعلوم إلهامية جديدة إلى المغرب، وإلى العشاء، وفي اليوم الثاني كذلك، وفي اليوم الثالث كذلك، ولا يعيد عبارة ولا لفظاً قاله، لأنه يبلغ عن ربه ﷻ هذه المعاني: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة) وبعد الثلاثة أيام قال لهم: والله لو أعطاني الله عمراً ومكثت في مقامي هذا إلى قيام الساعة ما انتهيت من تفسير هذه الآية وما عدت كلاماً قلته قط.

هذا هو الفتح الأعظم للعارفين في كتاب الله تبارك وتعالى، وأنا أقول ذلك لأوصي الأحبة جميعاً: عليكم بالقرآن، إياكم أن تتخلوا عن القرآن طرفة عين ولا أقل، ففيه سر الفتح، وفيه سر الفيض، وفيه سر الإلهام، وفيه سر القرب، .. فيه كل الأسرار التي أنزلها العزيز الغفار، والتي بيَّنها ووضحها النبي المختار ﷺ.

القرآن القرآن يا إخواني عليكم به على الدوام، ولا شـــأن لكم بما في كتب المفســرين، فكل واحد منهم يقول على حســب وجهة نظره وفكره، لكن القرآن الكريم عبارة عن رسائل أرسلها الله لكل أفراد الأمة، هي رسالة واحدة لكن لكل مؤمن معاني يكشـــفها له الله، وهذا غير هذا غير هذا!، فلا بد أن تعرف ما في هذه الرســـالة من المعاني التي أرادها منك الله في كتابه تبارك وتعالى.

ليس الشـأن أن تفهم القرآن، ولكن الشـأن أن تفهم مراد الرحمن منك في القرآن، مـاذا يريد منـك في هذه الآيـات لتكون من أهـل العنـايـات، وتتهنى بـالمشـــاهدات والإشراقات التي جعلها الله ﷻ لاصحاب النبي وأتباعه بالذات.

رحمة الله

والآية التي معنا اليوم يقول لنا فيها الله:

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ :

أســـرفوا يعني تجـاوزوا الحد، فيخـاطب الله ﷻ الـذين تجـاوزوا الحد في ظلم أنفســـهم، وفي التهاون بالحقوق التي كلَّفهم بها الله، وفي التنبه إلى الأمور التي حثهم على اجتنباها سيدنا رسول الله، ومع ذلك من لطيف كلام الله يقول لهم: ﴿ يَا عِبَادِيَ ﴾ لم يخرجهم من الدائرة،

فلم يقل يا من صـــفتهم كذا وكذا، حتى تعلم أن ربك رءوف ورحيم وشـــفوق وعطوف بالمؤمنين أجمعين على الدوام، حتى ولو انزلقوا في المعاصـــي والذنوب والأثام.

أشـــار إلى هذه العناية النبي ﷺ حيث كان في غزاة مع أصـــحابه، وامرأة من الأعداء فقدت طفلها وحيدها فأخذت تبحث عنه كالمجنونة، فلما وجدته ارتمت عليه وأخذته واحتضنته، فقال ﷺ منبها لأصحابه ولكل الأمة ونحن منهم:

{ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قالوا: لا، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا }[7]

رحمته واسعة: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٥٦الأعراف) :

لذلك إياك أن تقنت عاص من رحمة الله، لأن هذه كبيرة من الكبائر ..

أنـت عليـك أن تقربـه من الله، وقـد ورد في الأثر أن الله أوحى إلى داود عليـه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

---

٧ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

{ يا داود من رد إليَّ هارباً كتبته جهبذاً ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه أبداً }

وروى : { ياداود لأن يخرج على يديك عبد ممن أسكره حب الدنيا حتى تستنقذه من سكرة ما هو فيه سميتك عندي جهبذا }[8]

والجهبذ هو العالم الكبير، لأنه رد هارباً من طريق الله، وقد احتوشه الشيطان، وأنت عليك أن تجره إلى طريق الرحمن ﷻ.

هل هذا يحتاج إلى الغلظة والشدة والقسوة؟ .... لا ...!!!

هل يحتاج إلى الخوف من العقاب والعذاب؟ لا ...

لكن يحتاج إلى الرجاء، أفتح له أبواب الرحمة وأرجيه في فضل الله، وإكرام الله، وعطاء الله، ولذلك عندما ننظر على مر التاريخ وما زال، من الذي يتوب البلطجية وقطاع الطريق والقتلة والمروعين؟ هل العلماء أم الأولياء؟ الأولياء، فيذهبون لهؤلاء ويأخذونهم بالمودة وباللين، ويستعينون بدعاء رب العالمين، ليقربوهم إلى الله تبارك وتعالى.

كنا نرى كثير من الصالحين لا يذهبون إلى المساجد ليعطوا فيها دروساً، ولكن يذهب إلى أماكن الغفلة ..

---

8 إحياء علوم الدين وحلية الأولياء.

رجل من إخواننا الصالحين كلَّفه الشيخ أبو العزائم ليذهب إلى مدينة بورسعيد في شهر رمضان ليحي الليالي، فذهب إلى هناك، فوجد الأحباب وقد كتبوا له كشفاً بتسع وعشرين مسجداً في المدينة، يحي كل ليلة في مسجد، فقال لهم: ماذا أفعل في المساجد؟! الذين في المسجد هداهم الله، لكني أريد كشفاً بتسع وعشرين مقهى! ... وقال لهم:... سيأتي معي واحد فقط !!!

فكان بعد صلاة العشاء يذهب إلى مقهى ويجلس على منضدة مع رفيقه ويتكلم معه، ويرفع صوته، وبعد قليل يجد من يلعب طاولة أو دومينو او كوتشينة من الذين حوله يترك ذلك ويستمع لما يقوله، ويلتفوا حوله، حتى يتجمع كل من في المقهى حوله، ثم يقف على منضدة ويجعلها منبراً له ليسمع من حوله، ويتكلم حتى قريب من السحور ....

ثم يتركهم ويدعوهم غداً ليكونوا في بيت الله تبارك وتعالى!!.

هذه أحوال الصالحين. يدعو الغافلين والجاهلين والعصاة والمذنبين، ...

لأننا رحماء، ورثنا الرحمة من الرحمة المهداة ﷺ.

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ :

بشرهم، إياك أن تقنط أبداً، لا تنسوا الرحيم الرحمن، وعندما جاء بالرحمة ذكر معها الاسم الجامع لكل الأسماء والصفات:

﴿ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ ثم أكد ذلك:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ وهناك قراءة أخرى قرأها سيدنا رسول الله ولكنها ليست من القراءات المشتهرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ولا يُبَالِي ﴾.

فأكَّد الله أنه يغفر الذنوب جميعاً ولكن لمن تاب وأناب ورجع إلى الله ﷻ، ومن هنا كل مسلم إذا أساء، وإذا ظلم نفسه، وإذا أذنب، ومهما كانت معاصيه، ورجع إلى الله ﷻ في حياته قبل موته يغفر له الله ولا شك في ذلك، وإذا لم يتب حتى موته، فأمره مفوض إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء آخذه، ولا نقول شيئاً غير ذلك ... أما الكافر إذا لم يدخل في دين الله فيدخل في قول الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٤٨النساء):

ما دام لم يدخل في دين الله وهو في الدنيا فليس له مغفرة، وسيدخل جهنم وبئس القرار والعياذ بالله ﷻ.

ثم أكد هذا الكلام مرة ثالثة: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ :

غفور ورحيم، فهل يضيع مؤمن بين غفور ورحيم؟ حاشا لله ﷻ.

هذه الآيات كان هناك عبد عند السيدة هند زوجة أبي سفيان قبل أن تسلم، وكان عندها غيظ من سيدنا الحمزة عم سيدنا النبي لأنه قتل أبوها وأخوها وعمها في غزوة بدر، فلما كانت غزوة أحد ذهبت معهم وقالت لهذا العبد: عليك شيء واحد، لو قتلت حمزة فأنت حر! ... ، فأصبح هدفه الوحيد هو قتل حمزة،

وكان يجيد الرمي بالحراب، فترصد لسيدنا حمزة، وسيدنا الحمزة كان يشق الصفوف ويصرع الأعداء ببسالته وشجاعته، وهذا العبد يتابعه، فرآه على هذه الهيئة فصوب عليه حربته فدخلت من بطنه وخرجت من ظهره، وعلى الفور نزل من على فرسه ومات! ... سيدنا النبي لم يحزن على وفاة أحد كما حزن على وفاة حمزة، حتى أنه من شدة حزنه قال وهو في غضبه:

{ وَاللَّهِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ }[٩]

فرجع إلى الله وندم على قولته التي قالها في ساعة الغضب.

هذا الرجل بعد أن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، أراد أن يتوب ويدخل في الإسلام، فبعث إلى حضرة النبي ﷺ وقال: أنا لم أترك كبيرة إلا وارتكبتها، زنيت وشربت الخمر وقتلت، فهل لي من توبة؟

فأرسل إليه سيدنا رسول الله ﷺ بقول الله ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ ﴾ (٧٠الفرقان)

٩ الحاكم في المستدرك والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

فقال: ومن يضمن لي أن أعيش حتى أعمل العمل الصالح؟! فأرسل إليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٤٨النساء) فقال: هذه فيها مشيئة، وقد لا يشاء الله أن يغفر لي، فأرسل إليه بهذه الآية:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فتاب إلى الله وأسلم.

أريد أن أوجه أحبابنا من رجال العلم إلى أن بعض كتب التفسير يقولون أن هذه الآية نزلت بسبب هذا الرجل وهو وحشي، ولكن هذه الآية نزلت في مكة، ووحشي أسلم في المدينة، فكيف تكون سبب هدايته إلا إذا كان النبي أرسلها له، ولكن ليس ذلك هو سبب نزولها، لذلك كتب التفسير تحتاج إلى تحقيق وتدقيق.

بعض الوعاظ يقولون أي كلام يقرأونه في الكتب، وهذا لا يجب، بل لا بد من التحقيق والتدقيق والتأكد من صحة المعلومة قبل إذاعتها، هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ.

الإنابة إلى الله

ثم خاطبنا ربنا كلنا فقال: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ :

الإنـابـة يعني الرجوع، ارجعوا إلى الله ﷻ، مـا الـذي بينك وبين الله؟ .... ليس بينك وبين الله باب، وإنما بينك وبين الله حجاب !لو كشــف الحجاب ســتتمتع فوراً بجمال حضـرة الوهاب ﷻ: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (١٤المطففين)، من الذنوب والآثام والغفلات والجهالات: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ (١٥المطففين).

لكنا شـهدنا جمال الله في الأزل القديم وعاهدناه، وسمعنا حديثه ورددنا عليه كما ذكرنـا كتـاب الله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف) قلنا جميعاً شهدنا وليس سمعنا ..!

فكلنا شـــهدنا جماله بالقوة التي قوانا بها الله، ولما نزلنا إلى عالم الدنيا كان كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }[10]

فالإنابة إلى الله تحتاج من الإنســان أن يلتفت إلى الله، وبمجرد أن يلتفت يقول له الله من حنانه بنا:

{ وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً }[11]

ما هذا الحنان والعطف الإلهي؟!

هل نحن الذين نحتاجه أم هو؟ حاشـــا لله تعالى، لكن رقة الألوهية، وحنان الربوبية بهذه الأمة المحمدية إكراماً لحبيب الله ومصـطفاه صـلوات ربي وتسـليماته عليه.

١٠ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ
١١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فعندما يرجع العبد إلى الله ويقول، تبت يارب، فيقول له الله: وأنا قبلت، لا يوجد تردد، او النظر في الطلب، وكما ورد في بعض الأثر يقول الله للملائكة: (افتحوا أبواب السموات لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته، فلَنَفَس العبد التائب عندي يا ملائكتي أعز من السموات والأراضين ومن فيهن).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) هل هناك أجمل من هذه الآية؟!!

لم يقل التائبين، ولكن (التوابين) الذين يتوبون باستمرار!!

ولذلك العبد السائر إلى الله لا ينفك عن التوبة مدى الحياة، فمرة يتوب من ذنوبه، ومرة يتوب من عيوبه، ومرة يتوب من الغفلة، والغفلة كرب عظيم سيندم عليه، كما سيذكره الله تعالى، ومرة يتوب عن عدم أدبه الجم مع من يقول للشيء كن فيكون، ومرة يتوب عن عدم التزامه المطلوب مع الحبيب المحبوب ﷺ.

لأنه لا يوجد أحد وصل للكمال إلا رسول الله، ومع ذلك يقول له: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح) وهل كان لرسول الله ذنوب؟! قال ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[12]

الغين يعني الستارة، سيدي أبو الحسن الشاذلي يقول: احترت في هذا الحديث، كيف يغان على قلب رسول الله؟! فجاءني في المنام سيدنا رسول صلى الله عليه سلم وقال: (غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك!).

غين الأغيار هذا لنا، لكن غين رسول الله غين الأنوار ...

فهو كان ﷺ يعلو في المقامات باستمرار عند الله، كلما علا مقام رأى أن المقام الذي كان فيه، فيه حجاب عن مشاهد علية لهذا الجناب، فيتوب إلى الله ﷻ من هذا المقام.

فحتى سيدنا رسول الله لا يكف عن التوبة والأوبة لحضرة الله ﷻ، فلماذا نسينا هذا الباب بالمرة، ولا يتذكره إلا أقل القليل، مع أن هذا الباب هو الوصل للأحباب:

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾:

سلم نفسك له، يعني لا تفعل إلا ما يطلبه في كتابه، وإلا ما كان عليه الحبيب في هديه المبارك، ولَجِّم النفس، وذِمّ الهوى، وباعدهم عن طريقك لأنهم حجب تحجبك عن حضرة من يقول للشيء كن فيكون.

١٢ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني ؓ

ما الذي يمنعك من المسارعة في المشي خلف رسول الله؟

النفس والهوى !!

فالنفس توســـوس، والهوى يخرج لك تأويلات كلها بعيدة عن طريق المقربين ومنهج الصديقين، لذلك يجب أن أُنحي هؤلاء عن طريق الله أولاً ... وأسلم نفسي لرب العالمين تبارك وتعالى.

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ :

العذاب هنا بالمعنى الظاهر مفارقة الدنيا وطلوع الروح وعذاب الآخرة، لكن الصـــالحين يقولون أن هناك عذاباً أشـــد من عذاب جهنم، وهو عذاب الحجاب، فلو حُجب العبد المشـاهد عن مشـاهدة جمالات مولاه لكان أشـد عذاباً من الذي يعذب في جهنم والعياذ بالله، لأنهم يريدون أن يتمتعوا بالجمال العالي والكمال الذاتي على الدوام.

ما الذي سيساعدك؟

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ :

أفضـــل شـــيء نزل في كل الأزمان، وفي كل الأوطان من كلام الرحمن هو القرآن، لكن بعض الصـــالحين قال أن القرآن يحتاج إلى القراءة والعمل، لكن الاتِّباع يعني أن أمشي خلفه، وقد قال الله: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (١٥٣الأنعام) ..

امشوا خلفه، فقالوا أن الصراط المستقيم هو سيدنا رسول الله ﷺ، لأننا مأمورين أن نمشي خلفه، لكن القرآن لا نمشي خلفه ولكن نقرأه ونتدبره ونعمل به :﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا ﴾

ﷺ ﴿ صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١٥٣الأنعام).

وهو نفس المعنى في ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ :

يعني اتبعوا رسول الله ﷺ في أحسن ما أنزل إليكم من ربكم.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾:

والعذاب بالنسبة لأتباع الصالحين أن يكون له أمل في الفتح الإلهي، وله أمل أن يكون موصولاً بحضرة الله، وله أمل في أن يكون من أهل الكشف العرفاني !!

ولكن تضـحك عليه الدنيا، وتلعب به نفسـه، حتى جاءه الموت ولم يتحقق الأمل، وليس له فرصة أخرى ليعوض فيها!!.

ولذلك طريق الصالحين جهاد بلا كسل، وذكر بلا ملل، وعمل بلا كلل، لماذا؟

لأني أريد الوصول قبل أن أخرج من الدنيا، وقبل أن ينتهي الأمر.

سيدنا الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه قالوا له: هل تمنيت لو كنت مت صغيراً؟ قال: لا، قيل: ولِمَ؟ قال: لأني عشت حتى عرفت الله ﷻ حق المعرفة.

أين هذه المعرفة؟ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ (١٨آل عمران)

نريد أن ندخل في أولي العلم، وهم الذين دخلوا وحظوا بمقام الشهادة، وهو فضل من الله، وإكرام من الله، وعطاء محض من الله، لكن لا بد أن نتعرض لهذا الفضل، وأنوي وأبدأ، والله ﷻ عليه باقي الأمور، فيبدأ المسلم في الجهاد، ويوقد موقد الجهاد.

ولذلك عند تقرأ في حياة الصالحين تجد فترة جهادهم شديدة لأنه يريد أن ينتهي قبل أن تلعب به الأهواء والدنيا، ويريد أن يصل إلى درجة الأمان في عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً إلى آخر الآيات.

والذي لم يصل يأتي عند خروج روحه ويندم ولن ينفع الندم، فيقول:

﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ :

جمال الدين الأخميمي كان من كبار العلماء في المذهب الحنفي، كان يزور سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ في روضته، وكان من أهل المكاشفة، فعندما يدخل إلى ضريح ولي يراه ويتحدث معه ويسمع كلامه!! فبعد أن انتهت المحادثة بينهما قال: يا سيدي عبد الرحيم أوصني، فقال: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، فأنا كما ترى في روضات عالين ومع ذلك أقول: يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله!!.

إذا كان الذي سيدخل الجنة سيندم حتى وإن كان من الذاكرين، قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[١٣]

لماذا كنت أضيع هذه الأوقات؟!! فهذه ستكون حسرات، ولن تنفع هذه الحسرات، لكن المؤمنين يقول فيهم أحكم الحاكمين: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور) لا يوجد شيء يشغل الإنسان أكثر من البيع والتجارة !!

لكنهم في وسط البيع والتجارة لا ينشغلون عن ذكر الله تبارك وتعالى.

١٣ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

معرفة الله

لماذا؟

إذا كانت همتي عالية، ورغبتي راقية ...

سـأكون كالطالب الذي سـيدخل المدرسـة وبعد ذلك الجامعة وله أمل أن يكون دكتور، فهل هذا الطالب سيضيع وقته في اللهو مع زملائه في الكلية؟! هل سيصاحب بنات؟! هل سينشغل بالنت والفيس بوك؟! لا، لأنه سيشغل وقته في المكتبات، أو مع أساتذته المشرفين يسألهم ويدون ورائهم، لأنه يريد أن يحصل على الرسالة.

وأنت تريد أن تُحصِّل رسالة معرفة الله، ولا يوجد أفضل منها أبداً، فأعلى شيء في الكون كله عاليه ودانيه معرفة الله تبارك وتعالى؛ المعرفة العينية الشهودية ..

أما المعرفة العقلية والآيات والأفكار فكلنا نعرفها!

والمعرفة التقليدية فكل أولادنا يعرفونها !!

لكن المعرفة العينية الشـهودية هي التي تحتاج إلى همة علية، همة لا تكل ولا تمل حتى تحقق المراد، وتصل إلى ما تبغيه، وتكون مع حضرة النبي ﷺ.

سيدي عمر بن الفارض ﷺ ملأ الكون كله مناجاة بحبه لله ﷻ، والبعض يعتبره من الكبار – وهو من الكبار - ويقولون عنه سلطان العاشقين، سألوا أحد الصالحين: ما رأيك في ابن الفارض؟ قال: (عصفور حام حول الجمى ودندن) ولذلك عندما جاء لحظة موته رأى مقعده من الجنة، فقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أنفاسي

إذا كانت أمنيتي هي القصور التي في الجنة فقد ضيعت عمري هدراً، فماذا تريد؟ قال:

أمنيةٌ ظفرت نفسي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام

كان لي أمنية وكان لي أمل أن تتحقق هذه الأمنية، وفي هذه اللحظة أراها أضغاث أحلام، لكن جبره مولاه ببركة حبيب الله، وقرَّبه ووالاه وجعله من أهل الشهود لوجه الله، ومن الصفوة المجتباه بجوار حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

أريد ان أقول:

أتباع الصالحين والعارفين لا بد أن يكون له أمنية، وهي معرفة الله ...

الشيخ بشر بن الحارث ﷺ وأرضاه جاءته العناية صدفة، ولما جاءته العناية كانت أثناء مشيه حافياً، فأصر أن يقضي بقية حياته حافياً ولا يلبس حذاءاً أبداً!، ولم يتزوج، فعاتبه أحدهم وقال له: لماذا لم تتزوج والزواج سُنَّة؟! فقال: إني مشغول بالفرض عن السُنة، لأن الزواج سُنة وأول فريضة عليك وعليَّ المعرفة.

أول فرض على الإنسان الحبيب للرحمن معرفة الله .. فالمعرفة أول فريضة ... ولا فريضة قبلها!

وهل أنا أصلي إلا لمن أعرفه؟! وهل أصوم إلا لمن أشهده؟! وهل أحج إلا لمن أراه، وأُحجب عن رؤية الحرم لمرآه؟!.

الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول:

حججت ثلاث حجات، فرأيت في أول مرة البيت ولم أر رب البيت، وفي المرة الثانية رأيت البيت ورب البيت، وفي الثالثة رأيت رب البيت ولم أر البيت!.

أنا ذاهب هناك لأزور الله، وليس لزيارة الأحجار، ترى الحق ﷻ ظاهراً، وأنواره هي التي تغطي على المكان، وهي التي تملأ قلوب أهل العرفان كما كان يقول الصالحون، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

أرى فؤادي يطالبني برؤيته لا صبر لي حتى تراه عيوني

لا بد أن يكون لك أمل غالي وعالي، والله ﷻ لا يمكر بطالبه، ما دمت نويت بصدق النية، وصفاء الطوية، واتباع خير البرية فلا بد أن تبلغ الأمنية.

لكن لو تركت الأمل، وانشغلت بالدنيا الدنية، والنفس بشهواتها الخسيسة الدنيوية، فقد شُغلت عن الله وعن مطلبك وعن مأربك.

فهذا ما يجب على المريد أن يعقد قلبه عليه، لينال شـــهادة معرفة الله المعرفة الشـهودية العينية، والتي كان عليها أصـحاب حضـرة النبي ﷺ، ورضـوان الله تبارك وتعالى عليهم.

ســـيدنا عبد الله بن عمر كان في الطواف وكلَّمه رجل فلم يرد عليه، وبعد أن انتهى من طوافه اعتذر إليه، وقال له: (إنا كنا نتراءى أنوار ربنا في الطواف) لن يترك الأنوار ويلتفت إلى العباد ولو كانوا من الأخيار.

عندما يحاسب المريد نفسه بهذا الحساب، ويقف على هذا الباب: .. فإن الله ﷻ سـيكرمه بكرمه الذي خص به عباده الصـــادقين وحزبه المتقين، ولن يحدث له الندم، ولا يتحسر، ولا يعاتب نفسه، ولا يلوم نفسه، ولا يقول:

﴿ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ولا شـأن له بذلك لأنه دخل في عباد الله الصادقين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

المحاسبة

يحكي لنا القرآن موقف عظيم يتعرض له كل إنســـان لم يرجع إلى الله، ولم يتب إليه تبارك وتعالى قبل أن يفارق هذا الكيان، ومرة أخرى يتعرض لهذا الموقف يوم القيامة يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه.

الإنســـان الموفق الذي يحبه الله يجعله دائماً متنبهاً، يراجع أعماله، ويراجع أقواله، ويحاسب نفسه، ولذا ينبغي على كل سالك في طريق الله أن يكون له لحظات في كل ليلة يحاسب نفسه فيها على ما قاله وعلى ما عمله في هذا اليوم وهذه الليلة، يراجع حساب يومه، وما وجده من خير حمد الله تعالى عليه، وما وجده غير ذلك يستغفر الله منه ويتوب إليه إن كان هذا ذنباً في حق الله، أو يستسمح أخاه المؤمن، ويطلب منه العفو والمسامحة إن كان هذا الذنب في حق أحد من خلق الله، وهذا الذي ينام قرير العين.

لكن أنا أعجب كيف ينام الإنســان قرير العين ولم يتب من هفواته التي ارتكبها في يومه وليلته؟!! وهو يعلم علم اليقين أنه أساء إلى فلان، أو ظلم فلان، أو ارتكب جرماً صغيراً أو كبيراً في حق فلان، ولا تلومه نفسه، مع أن النفس اللوامة هي أول درجة تُقبل على الله، وليست أعلى الدرجات: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢القيامة)

وهذه البداية، ومن لم تكن له نفس لوامة كيف يتجه إلى الله ويسير إلى الله تبارك وتعالى؟!! وهكذا يجب أن يكون المؤمن.

هؤلاء الذين يستخدمون الحساب والعتاب واللوم للنفس والمحاسبة كل ليلة يدخلون في قول النبي ﷺ:

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا }[14]

وهذا ليس عليه حساب، وأضرب مثالاً: لو عندي محل واستأجرت له عاملاً أو موظفاً وكان هذا العامل أو الموظف شديد المحاسبة لنفسه على كل شيء يدخل أو يخرج، وتأكدت من ذلك مراراً، فهل آتي في يوم وأطلب أن أحاسبه؟! لا، لأني أراه منضبطاً.

وكذلك نفس الأمر فإن من يحاسب نفسه أولاً بأول فليس له حساب في الدار الآخرة، وليس له حساب في القبور، وليس عليه سؤال للملكين إلا على سبيل التشريف وليس على سبيل التعنيف، لأنه منضبط ويمشي على الصراط المستقيم الذي أمرنا به الرءوف الرحيم ﷺ.

أما الذي يترك المحاسبة فإنه عند لحظات خروج النفس سيظهر له جلي الأمر، وفي هذه اللحظة يُطلع الله ﷻ الإنسان على ما عمل في حياته، فيرى ملف أعماله قبل أن يسافر، لكن لا يستطيع أن يزيد فيه أو يحذف منه، لأن الوقت قد انتهى، ويريه الله ﷻ ثمرات هذا العمل ونتائجه، فيرى كما قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إلا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ }[15]

١٤ جامع الترمذي
١٥ الزهد لهناد بن السري عن ابن عمر رضي الله عنهما

حسرة المقصرين

إذا كان من المقصرين غير المستقيمين سيقول ولا ينفع هذا القول:

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾:

أين الحسنات؟! أين الرصيد؟!

لا يوجد شيء من ذلك !!!

لأن الرصيد إذا كان الإنسان غير حافظ لنفسه مع خلق الله فإن حسناته توزع كل يوم، فإذا اغتاب أحداً يتحول إليه جزء من حسناته، وإذا شنع على أحد يتحول إليه جزء من حسناته، فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يحفظ لسانه وكيانه من الخلق فسيصبح في كل ليلة مديوناً، لأنه مهما يعمل من أعمال فإنها تتوزع.

رجل من الصالحين وهو الحسن البصري ﷺ قالوا له: إن فلان تكلم عليك اليوم وقال كذا وكذا، فأرسل واشترى عنباً ووضعه في طبق، وقال لهم: اذهبوا له بهذا الطبق وقولوا له: هذه هدية من فلان مقابل الهدية التي أهديتها له، فقال: ما الهدية التي أهديتها لك؟ قال: أهديت لي حسناتك، فأردت أن أرد لك الهدية على قدري!!.

فهذا الإنسان يتحسر على ما قصر في جنب الله، وعلى سخريته وتعديه وتعرضه بالإساءة لخلق الله، فذكر الأمرين، تقصيره في الحقوق التي كلفه بها الله في كتاب الله، وسيندم على ذلك، لماذا لم أقم أصلي الفجر حاضراً، مع أني لم أكن مشغولاً؟! لكن لن ينفع الندم في هذه اللحظة.

ما الذي منعني من قراءة كل يوم بعض من صفحات كتاب الله؟!! لكن زمن الإمتحان انتهى، فهل يسمح لأحد بعد نهاية اللجنة بكتابة شيء في الورقة؟! لا، وأنت الذي تكتب كتابك، والذي يكتب جوارحك، فالعين تكتب، واليد تكتب، واللسان يكتب، والرجل تكتب، والفرج يكتب، فالجوارح هم الذين يكتبون بإذنك وأمرك.

هل تستطيع جارحة من هذه الجوارح كتابة شيء بعد الموت؟! لا، انتهت الحياة وتوقف العمل وبقي الأمل وبقيت العلل، وهي التي تنغص على الإنسان حياته البرزخية، وتجعله في هم مقيم حتى الحياة الأخروية.

﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ :

كنت أضحك على فلان لأنه يصلي كل ليلة الفجر حاضراً، وكنت أستهزأ بفلان لأنه يقوم الليل، وكنت أستهزأ بالمحافظين على مجلس الذكر مرة في الأسبوع ويصلون فيه على حضرة النبي، ويقرأون آيات من القرآن، ويستمعون ما تيسر من العلم من أحدهم، وأقول: هؤلاء هل سيزيدوا عني بهذا العمل؟! نعم وسترى، والعاقل من كانت بصيرته مكشوفة الآن حتى لا يتعرض للحرج في هذا الوقت والآن.

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أو يقول كقول المنافقين، إن كان الله قدَّر لي العمل الصـــالح لكان أعانني وعملته، وهذا مثل المنافقين المتحذلقين، تقول له: لماذا لاتصــلي يا فلان؟ فيقول: لو كتب الله لي الهداية ســأصــلي!! هذا أمر وهـذا أمر، ألم تســمع قول الله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ (١٧فصلت) هل هناك أحد لم يهده الله؟ لا، لكن الذي يعميه نفسه، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ }[16]

يولد معه الهداية، لكن الذي يذهب به هنا أو هناك نفســـه، فالنفس هي ســـر كل ذلك، فسيقول ذلك ولن ينفع هذا الكلام.

---

١٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ ﴾:

وأشـــد العذاب تأنيب الضـــمير في هذه المواقف، ولوم النفس، فقد تكون حرارة النار سـهلة، وقد يكون الألم الشـديد يهون، لكن أصـعب شـيء تأنيب النفس للإنسـان، ولوم النفس للإنسان على ما فاته من خير كان في استطاعته أن يعمله، كان سيزيد في منزلتــه، ويعلي من رتبتــه، وأن يكون من الـذين أنعم الله عليهم من المتقين ومن المحسنين والمسلمين والموقنين أجمعين.

﴿ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ :

لو أن لي رجعة، لو يســمح الله لي لأعود مرة أخرى لأحســن العمل، وهذا غير مسموح، لأن الله نبه في كتاب الله للذين قالوا: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ (المؤمنون) فيأتيه النداء: ﴿ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (المؤمنون) عالم البرزخ وليس النار.

المؤمن قد يزيد الله في عمره، لكن ليس في الأيام وفي الساعات !!

، ولكن يزيد في البركة ...

فالعمل الذي يعمله غيره في سَـــنة يعمله هو في سِـــنة!! فهذه بركة الله مع الصالحين.

العمل الذي يعمله غيره في ألف شهر يقضيه هو في ليلة:

﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ (٣القدر)

ببركة الله للمؤمن، فيعطيه البركة في عمره لأنه يجعل عمره وحياته كلها لله، فيبارك له في العمل والوقت ويجعله يحصل فيه أضعافاً مضاعفة.

مرض الكِبر وآثاره

فلا يكون هناك رجوع ولا إقالة ولا اســتقالة، لأن الفرصـــة كانت أمامك مهيأة مرة تلو المرة، والمرات تلو المرات لتكون من المحسنين، فيقال له:

﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾:

وهذه تحتمل معاني كثيرة:

حقيقة الآيات في كتاب الله هي الرسل المبشرين والمنذرين، أو العلماء العاملين، والشيعة يسمون العالم (آية الله) لأن العالم آية يقيمها الله حجة لله على خلقه، فجاءتك آياتي يعني جاءتك كتبي، وجاءتك رسلي، وجاءتك نذري الحسية والمعنوية فكذبت بها، واستكبرت عن الإيمان والتسليم للرحمن وكنت من الكافرين.

الذي سيندم من المؤمنين لأنه لم يتبع من أقامهم الله ﷻ ورسوله لإصلاح أحوال المؤمنين، فيرى نفسه أنه أكبر من أن يُسلِّم الشيخ فلان، أو يتبع العالم فلان، ويقول: أنا عندي ما يكفيني، وعندي من العلم ما يعمني، فيستغني بنفسه عن غيره، وهذا لا بد سيندم، لأنه سيجد محصوله، وإن كان في نظره كثير، إلا أنه عند الله تبارك وتعالى قليل.

ما السبب؟ .... مرض الكبر:

وهو المرض الذي استشرى في هذا العصر بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم وهو سبب الحرمان.

مرض الكبر في النفوس:

فيستكبر أن يذهب إلى المسجد ليصلي مع المسلمين ويصلي في بيته!!

وعم هذا المرض بين المســـلمين في المدن وفي القرى، يقول الماء في البيت والمصلى في البيت، لكن لو صليت وحدك فإنك ستحاسب حساباً شديداً، ستأخذ أجر ما حضرت فيه من الصلاة والباقي لن يحسب، لكن لو صليت في المسجد في جماعة وتقبل الله صــلاة أحدهم ســيقبل الله صــلاة الجميع من أجله، فلماذا تحرم نفســك من الصــلاة المقبولة الأكيدة؟!! ولماذا تضــع نفسـك في كفة لا يسـتطيع أن يقوم بها حتى الأفذاذ؟!!

لأنه لا يستطيع أحد أن يحضر حضوراً تاماً في الصلاة!!!

لذلك يجب أن نحافظ على الصلاة في بيت الله ﷻ.

لكن الكبر يمنع النفس، يقول، لماذا أذهب إلى المســجد لأســمع درســاً للعلم؟! أسمعه في التلفزيون أو في الفيس بوك والنت!! سبحان الله!!

درس التلفزيون ولو كان لأكابر الصالحين هل فيه روح الحياة؟! لا، روح الحياة تذهب من الحي إلى الأحياء، فلا بد من مواجهة حي لتنتقل الحياة من قلبه إلى قلبك،..

لكن على النت ستسمع وترى صورة، ولا يوجد فيها حياة!!.

ولذلك هذا هو الســبب في حرص الســالكين الصــادقين على مواجهة العارفين، والتي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

(نَفَس مع العارف حياة للقلب، ونَفَس في حياة القلب خير من حياة الفردوس) ويقول في حكمة أخرى: (نَفَس مع العارف خير من حياة العُبَّاد والزُهَّاد لسنين طوال).

لأن اســـمه الحي، أحيا الله قلبه، فعندما تواجهه تنتقل الحياة الإيمانية الروحانية من قلبه إلى قلبك وإن كنت لا ترى، إلا أنك تحس وتشـعر، فتحس بحال، وتحس بود، وتحس بقرب، وتحس بصـــفاء، وتحس بنقاء، كل ذلك بســـبب المواجهة، فلا بد من المواجهة.

الكلب نجس، ثؤره نجس، وبوله نجس، وكله على بعض المذاهب الفقهية نجس، لكن الكلب الذي علَّمه رجل مؤمن يطهره، وكونه واجه رجل مؤمن وعلَّمه يطهر: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ (٤المائدة) وهذا ما نســـميه (الكلب المعلم) لأن الذي علمه مســـلم، فلو علَّمه مشـرك لا يكون طاهراً، لأن صـورة المؤمن عندما انطبعت عليه أثناء تعليمه طهرته !!

وهذه حكمة الله تبارك وتعالى في المواجهة، فلا بد من المواجهة.

بعض الأحباب يظن أنه يُحســن صــنعاً، وأنه بلغ من المقامات العالية والراقية الشيء الكثير فلا يذهب للصالحين، ويقولون كل الصالحين بداخلي!!

هذا الكلام في أي مرجعية؟! .. هذا من مرجعية:

﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢الأنعام)

حتى يغرهم ويضرهم ...!!!

لكن سُنة الله في كونه أن الإنسان لا بد أن يتواضع، قال ﷺ:

{ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ }[١٧]

كيف أتواضع لله؟

أتواضـــع في عباد الله الذين أقامهم الله بالأخذ بأيدي الناس وهدايتهم إلى الله، والتواضـع هنا يعني التسـليم ظاهراً وباطناً، والمؤمن الذي لا يتم عنده هذا التواضـع وهذا التســـليم ســـيظن وهو في الدنيا أنه من كبار القوم، ولكن في اللحظات الآخرة يتعرى فلا يجد حال ولا مقام ولا مزية لأنه تخلف عن ركب أهل الحضرة الإلهية.

والمنازل والدرجات والترقيات ما هي إلا عطية، وهم المتصـــرفين فيها بأمر خير البرية، قال ﷺ:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[١٨]

كيف يعطينا؟ .... وكلاءه في كل زمان ومكان !!!

---

١٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ
١٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

وهم المكلفون بتوزيع العطايا على من يستحقها، وهم في هذا المقام لا أحساب بينهم ولا مجاملات عندهم، وإنما يعطون لكل ذي حق حقه، لأنهم لو خالفوا ذلك لضلوا عن السبيل القويم والمنهج المستقيم الذي كان عليه الرءوف الرحيم ﷺ.

هذا المشهد سيتكرر مرة أخرى يوم القيامة:

والله ﷻ يعطينا مؤشر أنه هو الذي صنعك في الدنيا، ولا دخل لك أو لغيرك في لونك وفي شكلك وفي طولك وفي كل ملامحك:

لكنك أنت الذي تصنع ملامحك التي ستكون عليها يوم القيامة، ستصنعها بتقواك، وبالعمل الصالح الذي تتوجه به إلى مولاك.

الإنسان الذي سيُكذِّب ما جاء به النبيون والمرسلون من عند الله، وسيأتي يوم القيامة وقد اختار لونه، ما لونه؟

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾:

يعني الأوربيون غير المؤمنين سيأتون ووجوههم مسودة!!، والأمريكان غير المؤمنين سيأتون ووجوهم مسودة !!!، لأن هناك وضع آخر: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١٠٦آل عمران) ... من الذي يبيض، ومن الذي يسود؟

أنت بعملك !!

حتى تُعرف الناس من شكلها ...

فلو رأيت هناك رجلاً أســـود اللون تعرف أنه كافر، ولو رأيت رجلاً أعمى فتعرف أنه عاتي في الكفر، ولو رأيت رجلاً أزرق اللون تعرف أنه من المنافقين: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (١٠٢طه).

إذاً هناك وجه أسود، وهناك وجه أزرق، وهناك وجه أبيض!!

والوجه الأبيض ما الذي ينيره؟

ذكر الله، والصلاة على رسول الله، والتسبيحات والتحميدات لله، والطاعات التي يوالي بها مولاه، والقيام في الظلام في جنح الليل لمناجاة الله .

حتى كانوا يقولون: (من قام بين يدي الله في جنح الظلام اســتنار وجهه يوم الزحام) يأتي ووجهه أبيض من الأعمال الصالحة التي عملها.

والكذاب سيأتي يوم القيامة ولفمه رائحة نتنة لا يستطيع أن يشمها الناس من مسافة طويلة، أما المؤمن فيأتي ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك، لأنه كان يصوم رمضان، وكان يصوم الأيام الفاضلة اتباعاً للنبي العدنان، فلا يوجد هناك معجون للأسنان سيطيب الرائحة، ولا بخاخ عطري يضعه في فمه، لكن الذي يطيب الرائحة الصيام.

الملابس التي سيرتديها الإنسان هناك، من أين؟

لا يوجد هناك في معرض الملابس الإلهية إلا مصنع التقوى !!

وهو المسموح به فقط:

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦الأعراف) :

أما الذين يتعرضون للذبح والقتل فهؤلاء:

﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ (١٩الحج).

إذاً صورة الإنسان يوم القيامة تتكون من عمله، وهو الذي يصنعها باتباع الحبيب، وبالعمل بالمنهج الذي أنزله الله في كتاب الله لتدخل في قول الله:

﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾:

ينجي المتقين بالعمل الصالح الذي عملوه وفازوا به، وهناك قراءة أخرى: ﴿ بِمَفَازَاتِهِمْ ﴾ يعني بالأعمال الصالحة كلها التي عملوها، وهي التي سينجو بها المؤمن يوم لقاء الله ... ما علامة النجاة؟

﴿ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ ﴾:

لا يخاف من أهوال القيامة، ولا يخاف من المشي على الصراط، ولا يخشى تطاير الصحف، ولا يخشى الحساب، ولا لوم ولا عتاب، لأنه دخل في عنان الله وقول الله في كتاب الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

وسيزيد شيئاً آخر: ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾:

لا يحزن على من حوله، ولا على أتباعه، ولا على عمل عمله لأن الله ﷻ يعطيه ما يريد: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾ (٣٥ق).

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بهذه الأحوال، وأن يجعلنا من هذا الصنف من الرجال، وأن يبلغنا المنازل العالية، والدرجات الراقية، في جوار الحبيب وصحبه الأعلام وآل بيته والصالحين أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾

قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾(٦٨-٧٥الزمر)

٣١.أحداث يوم القيامة[١]

بســـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أكرمنا بهُداه، ونعَّم بصـــائرنا بأنوار كتاب الله، وجعله لنا رَوحاً وريحاناً في الدنيا، وجعله لنا أعظم نعيم نتنعَّم به يوم لقاء الله في جنة الله، اللهم صـلِّ وسـلِّم وبارك على سـيدنا محمد قرآن الله الناطق بالحقائق الإلهية، والمبين في بيانه لحقيقة قول رب البرية في الآيات القرآنية، صـــلِّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصـحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنِّك وجودك يا أرحم الراحمين.

علوم تزكية النفوس

وهنا سؤال: أحكام التشريع الإسلامي كأحكام الصلاة والصيام والزكاة والحجِّ والزواج والطلاق والميراث والبيع والشـــراء والمعاملات كلها نزلت في الآيات القرآنية المدنية التي نزلت في المدينة المنورة، ونحن نعرف أن الصـلاة فُرضـت قبل الهجرة بعام.

إذاً ماذا كان يُدرِّس سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه .... في الإثنى عشر عاماً ... الأولى من بعثته؟ كان يدرس لهم ثلاثة علوم:

[١] الأقصر ـ المسجد العتيق بالحميدات شرق ١٦ من صفر ١٤٣٩هـ ٥/١١/٢٠١٧م

علم اسمه علم الآيات: .... وليست الآيات القرآنية المكتوبة، ولكن الآيات الكونية التي تدل على قدرة إعجاز رب البرية، يقول فيها سيدنا أبو ذرٍّ ﷺ:

{ تَرَكَنَا رسول الله وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ }وفى رواية { لقد تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكَّرنا منه علماً.}[٢]

لأن هذه الآيات هي أساس التوحيد.

وكان يدِّرس لهم علم البدء وعلم الميعاد: ما بدايتنا؟ وبداية الدنيا، وبداية الخلق، وبداية خلق آدم، وبداية العهد والميثاق على النبيين، وبداية العهد والميثاق على الخلق أجمعين !!! فلا بد للمرء أن يعرف بدايته، وبعدها بدايته في الكون من ماء مهين، ومن نطفة ومن تراب كوَّنه الله وجعله بشراً سوياً ليعرف قدرة الله فيه.

وبعد ذلك أين يذهب؟ علم الميعاد: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف) .... فنمشي ونعيش، من يبلغ مائة سنة؟ قلَّ وندر، ومتى يسافر؟! من الذي يعرف ميعاد حجزه لينشط قبلها ويحبس نفسه في مسجد أو في حجرة ويتفرغ لعبادة الله؟! لا يوجد.

٢ أخرجه بن حبان عن أبى ذر ﷺ والرواية الثانية رواها الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية: جاء إلى إسنا ومعه وفد من ذرية الشيخ أحمد التيجاني الكبير من الجزائر من منطقة إسمها الأغواط، حيث مقامه هناك وضريحه.

فجاء الشيخ أحمد مع نفر من ذريته تلبية لدعوة نائب الشيخ في مدينة إسنا: وفي صلاة الفجر خرجت روح الشيخ أحمد وهو ساجد، خرجت الروح للقاء باريها تبارك وتعالى، في مدينة إســـنا!!: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٣٤لقمان) .... نُعيده من الأرض التي خرج منها: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٥٥طه)!! فلو أننا خرجنا من الدنيا ولا حســـاب ولا سؤال ....؟؟ لكان الأمر سهلاً ويسيراً ولن نحمل همًّا:

ولو أنا إذا متنا تُركنا ... لكان الموت غاية كل شيء
لكنا إذا متنا بُعثنا ... فنُسأل بعدها عن كل شيء

فلا بد أن نأخذ لقطات من علم الميعاد، ما الذي يحدث فيه؟ الذي ســيعيش هنا عمراً طويلاً قد يصل إلى مائة سنة، لكن يوم الميعاد يوم واحد: ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤المعارج) .... فإذا قدرته بأيام الدني!! يساوي خمسين ألف سنة !!!

وكلنا سنحضر فيه، فكل الخلق من آدم إلى يوم الدين سيكونوا مجتمعين.

التجهز لسفر الآخرة

عندما يقدِّر الله القدير ﷻ أن ينتهي الكون تأتي القيامة: وعلامات القيامة الصُـغرى كلها قد ظهرت:والكُبرى بدأت تظهر: وأنا لا يهمُني علامات القيامة الصُغرى ولا الكُبرى، والتي ينشغل الناس بها ويجادلون بها !!! أنا يهمني قيامتي أنا ....

فكل إنسان له قيامة، متى تكون قيامتك؟ عندما تسافر من الدنيا، متى؟ قد يكون الآن، وقد يكون الليلة، وقد يكون الغد... هل جهَّزت نفسك لتسافر؟ .. الحجز على الإدارية العُليا ... لكن المسافر يُجهِّز نفسه، فيُجهِّز الحقيبة وما يُسمح بدخوله في الجمارك!! وماذا تأخذ معك؟ .. هل تأخذ معك دفتر شيكات؟! أو بضعة دولارات تضعهم خفية في كفنك؟! وماذا تصنع بهم هناك؟! وإذا كان عندك مليون فدان فهل تأخذ عقودهم معك؟! إذاً كل ما عندك في الدنيا فلمن يكون؟ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٤٠مريم) ...

فما المســـموح به؟ ﴿ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦الكهف)

إياك أن تقول أن هذا الرجل يريد منا أن نترك الدنيا والمعايش والعمل ونتفرغ للعبادة، لا !!! أنا أريدك أن تُوازن بين هذا وذاك، كما تسعى هنا، لا تنسى هناك.

بعض الغافلين يقول: يقول الله لك: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٧٧القصص)

أقول له: نعم، ولكن لا تنس نصــيبك من الدنيا الذي تأخذه معك منها للآخرة، فلا تنس هذا النصــيب !!! فهل يوجد أحد في الدنيا ينســى أن يأكل؟ أو ينســى أن يلتحف عند النوم؟ كل واحد لا ينســى هذه الأمور، لكن ما تأخذه معك من هنا، هو النصــيب الذي تحرص عليه، وتبحث عنه، وتسعى وتكدُّ وتعمل كل شئ من أجله.

وسنأخذ موجزاً فيم معنا من آيات كتاب الله، لأن التفصيل يحتاج إلى وقت طويل ولا أُريد أن أُطيل عليكم.

النفخ في الصور

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾:

يأذن الله ﷻ بالنفخ في الصــور، ويموت كل من على الأرض، ويُبدِّل الله ﷻ الأرض غير الأرض والسماوات، فالأرض التي سنبُعث عليها ونُحاسب عليها غير الأرض التي نعيش عليها الآن، فهي أرض لأجل الزراعة والســكن، لكن الأُخرى أرض للحساب فقط، وبعد ذلك القرار إما في الجنة أو في النار، فلن يستقر بها أحد.

ليس فيها زرع ولا ماء، إلا حوض الكوثر، ويا هنا من يحجز فيه شربة من هنا إن شــاء الله، ولا يُوجد هناك أكشــاك تبيع الماء ولا أي شــيء، فلا يوجد غير حوض الكوثر في الخمسين ألف سنة ... فيُبدِّل الأرض غير الأرض والسماوات، ويُحيي ملك الصور وهو إسرافيل ويأمره الله أن ينفخ النفخة الثالثة:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾:

هناك ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٨٧النمل) :

يفزع كل من به حياة في وقتها في هذا الزمان الذي اقترب أوانه وعصره.

والنفخة الثانية: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ : وهي نفخة الصـــعق، يعني الأرواح كلها تموت.

وبعد أن تموت الأرواح كلها تنزل الملائكة بأمر الله تأخذ أجساد المؤمنين ويصلون عليهم ويدفنونهم، أما الكافرين فليس لهم ذلك .. وبعد ذلك تبدأ الأرض تتجهَّز للعرض والحساب،.وجعل الله ﷻ في كل إنسان عُضوٌ لا يبلى، حتى ولو احترق في النار، ولو غرق في البحر، ولو أكلته السباع، قال فيه ﷺ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ }[٣]

عجب الذنب هو المكان الذي في مؤخرة العمود الفقري الذي يسمونه باللغة الدارجة (العُصعُص) وهذا العُضو لا يستطيع حيوان أن يأكله، ولا نار أن تحرقه، محفوظٌ بسر الحفيظ تبارك وتعالى، لماذا؟ لأنه المغناطيس الذي يتجمَّع حوله ذرات الإنسان عندما يريد الله أن يعيد الإنسان إلى النشأة الأُخرى إن شاء الله.

بعد ذلك يُقرِّر الله ﷻ أن تهبُّ الرياح من جهات أربع، رياح شديدة جداً تهزُّ الجبال، وتُنثر إلى رمال، وتجعلها كما قال الرحمن: ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ (١٤المزمل) كأكوام التراب المتهايلة من شدة هذه الرياح التي تهُبُّ من الجهات الأربع.

وفي هذا الوقت تتجمَّع ذرات كل إنسان على الجزء الذي جعله الله مغناطيساً للأبدان، فإذا كان في مكان ما خمسة عشر ميتاً، .....ى فلا يختلط تراب أي واحد منهم بتراب الآخر .... لأن الله ﷻ اختصَّ الإنسان بصفة الأحدية لحضرة الرحمن:

٣ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكل إنســان له شــكل خاص به، وكل إنســان له لونٌ خاص به، وكل إنســان له صـوتٌ خاص به، وكل إنسـان له بصـمة عين وبصـمة يدين وبصـمة رجلين وبصـمة أضراس خاصة به، وكل إنسان له نوع دم خاص به، خصوصية للإنسان، كذلك حتى أن كل إنســان له رائحة عرق خاصــة به، فلا يوجد لأحدٍ رائحة عرق كرائحة غيره، خصوصية للإنسان، حتى تكون حُجة عليه أن الله ﷻ له في كل شيء آياتٌ تدل على أنه الواحد الأحد.

فيتجمَّع الإنسان في الموضع الذي دُفن فيه، والذي يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهِ } [٤]

يعني نُثر عليه من تراب الأرض التي سيُدُفن فيها، فكيف يذهب إليها؟ قال ﷺ:

{ إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً } [٥]

كأن يجعل له مصـلحة لا بد أن يسـافر إليها، متى؟ في الميعاد الذي حدَّده واهب الوجود ﷻ، وتجده متعجِّل ويقول: لا بد أن أسـافر، لماذا؟ لحُمَّى القضـاء، فوعد الله ﷻ لا يتخلَّف .. رأى سـيدنا رسـول الله ﷺ جماعة من المؤمنين يدفنون رجلاً في البقيع، فَقَالَ:

٤ حلية الأولياء لأبي نعيم، وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ
٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن مطر بن عكامس ﷺ

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلانٌ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }[٦]

جاء لتربته المخصصة له، التي نُثر عليه من ترابها وهو في بطن أُمه ... وبعد أن يتحوَّل الإنسان ويتجمَّع تأتي سحابة كما ذكر النبي العدنان من تحت العرش، فيها منيٌّ كمنيِّ الرجال، فقد أمر الحق ﷻ الملائكة المختصين أن كل منيٍّ يُقدَّر منه غلامٌ أو بنت يأخذوا جزءاً من هذا المني ويُوضع في هذا المكان العلي...

من أجل: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف).كل إنسان ينزل على جسمه المنيِّ الذي أُنشئ منه، وتكوَّن منه وصُوِّر منه، هذه السحابة حضرة النبي قال فيها:

{ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ }[٧]

فيتكوّن الجسم مرة ثانية ولكن بدون روح، لأن الروح خرجت قبل ذلك إلى حيث مكانتها عند الله، إن كانت من المقربين ستكون في الجنة، تمرح في أشجار الجنة كما شاءت، وإن كانت من الآخرين فستكون في سجِّين والعياذ بالله تبارك وتعالى.

---

٦ الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٧ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﷺ

ثم يُحي الله مَلك الصور ... وينفخ النفخة الثالثة :

فتذهب كل روحٌ إلى جسمها الذي كانت تسكن فيه في الدنيا، وتدخل فيه فيتحرَّك بأمر الله: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٧القمر) ...

الأرواح تطير إلى الأجسام فتكون كأسراب الجراد التي كانت تأتينا منذ زمن، وكانت تحجب ضوء الشمس لكثرتها ... ولا تتوه أي روحٌ منها عن مسكنها الذي كانت تسكنه في الدنيا.

أنوار القيامة

وفي هذا الوقت ستكون أرض الموقف قد تهيأت: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ لن يكون هناك شمسٌ ولا قمر، لأن مع تبديل الأرض، فإن الشمس والقمر كما أخبر النبي سيُلقى بهما في جهنَّم، ولا توجد كهرباء، فليس هناك ديزل، ولا ذرَّة، ولا شيء من هذا القبيل، لكن أشرقت يعني أضاءت الأرض بنور الله ﷻ.

من الذي يبصر؟ الذي معه نور العمل الصالح، فهو الذي يستضيء بنور مولاه تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (٤٠النور) منا من يكون نوره تحت قدميه فقط، فيمشي به بصعوبة، وحضرة النبي يقول فيه:

{ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إِلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ }[٨]

ومنا من يكون نوره كما يقول فيه ﷺ:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةَ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }[٩]

نورهم عال.... وكل واحد على حسب عمله:

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ (٨التحريم) الذي يسعى بين أيدينا رسول الله ﷺ، وبأيماننا العمل الصالح الذي عملناه ..

أما الآخرون: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه).

٨ جامع البيان للطبري
٩ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إذاً من الذي يكون مبصـــراً؟ .... المؤمنون ....وقوِّة النظر على قدر العمل الصالح الذي يستضيء بنور رب العالمين ... وهي ستكون أرض الموقف.

كتاب الأعمال

﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ :

ما هذا الكتاب؟ ... الذي سنقرأه أنا وأنت!

لأنه ســـيقول لكل واحد: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا ﴾ (١٤الإســـراء)

يقول أحدهم: أنا لا أعرف القراءة!، لكن الكتاب عبارة عن نسخة مُصورة من عملك، فترى نفسك وأنت تُصلي في المسجد!، وترى هذه الجلسة ومكانك والحاضرين فيها معك، وكل شيء في حياتك يُصوَّر بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

هذه الصور يُسجلها أولاً بأول الملائكة الذين هم معك على الدوام:

وهم كما وصفهم الله: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ (١١الإنفطار) :

فإياك أن تشُـــكَّ في نزاهتهم وتقول: إنهم متحاملين عليَّ أو غير ذلك! لكنهم كرماء، فعندما تعمل عملاً صالحاً يسارع صاحب اليمين، ويكتبه حتى لا ترجع فيه، وإذا عملت شيئاً آخر، فيسارع صاحب الشمال في كتابته

فيقول له صـــاحب اليمين وهو رئيســـه: تمهَّل قليلاً ربما يتوب ويرجع ويندم، فيتركه إلى أن تنتهي نوبته، فلا يُســـجِّله إلا إذا إنتهت النوبة، فهناك نوبتان للملائكة: نوبة من الفجر للعصـــر، ونوبة من العصـــر للفجر، لماذا من الفجر للعصـــر؟ ومن العصر للفجر؟ لأن الله يُحبنا ويُحب الخير لنا، فهؤلاء الملائكة يحضرون معنا صلاة العصر ويصعدون قال ﷺ:

{ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ }[10]

وهذه شـــهادة تُكرم بها عند خالق الوجود تبارك وتعالى، فلا يســـجلوا الذنب إلا بعد نهاية نوبتهم، ومع ذلك فتح الله لك الفُرصة بعد الفرصة للتوبة والرجوع إلى الله.

وبعد أن يصـــوِّروا العمل: ... تكون الصـــورة للظاهر والباطن، فأنا الآن لو صـوَّرت أحداً بمحمول فهل أسـتطيع أن أُصـوِّر نيته التي في قلبه؟ لا، لكن الصـورة الأُخرى فيها النية ظاهرة جلية، لأن الأعمال بالنيات: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ (٩الطارق) أي تظهر وتنكشف: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠الطارق) فماذا يقول؟

---

١٠ البخاري ومسلم ﷺ

لو كان في الدنيا قد يقول: أنا كنت لا أريد هذا، وأنا كانت نيتي غير هذا، ويكذب، لكن هناك لا مكان للكذب ... وهؤلاء الملائكة معهم جهاز نســخ رباني غير أجهزتنا العصــرية: .. فينســخون من هذا العمل عدِّة صــور، صــورة لحضــرة الله، وصــورة لســيدنا رســول الله لأنه المحامي العام لجميع الأنام، ولا بد أن يكون عنده صـــورة من ملفَّك كاملة ليدافع عنك، ويطِّلع عليها أولاً بأول، وصـــورة في ديوان الأعمال وهي تحت العرش.

وكل واحد منا له دولاب يُوضــع فيه ســجلات أعماله: وفي كل عالم من العوالم العُلوية صـــورة من عملك: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩الجاثية) نســـخ كثيرة !!وليست نسخة واحدة قد تعترض عليها ... والأرض تسجِّل كل موضع تذهب إليه !!، تسجيل بالصوت والصورة وستكون جاهزة هناك لعرض الملفات:

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (الزلزلة) فتقول الأرض: فلان عمل على ظهري كذا!، وفلان عمل على ظهري في المكان الفلاني كذا ... ملف كامل !!!

ولذلك هناك من المؤمنين عندما يموت فإن الأرض تبكي عليه، لماذا؟ لأنه كان يُشرفها دائماً إما بسجدة أو نفقة أو صدقة أو مجلس صُلح أو كلمة طيبة، كل عمله صالح، لذلك فهي سعيدة به، وعندما يسافر من الأرض تبكي عليه! وكذلك يبكي عليه موضع دخول العمل من السماء، فلكل واحد منا باب في السماء يصعد منه العمل، فيحزن هذا الباب لأنه سيُغلق ولن يصعد إليه منه عملٌ آخر.

أما الآخرين الكافرون:

﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ (٢٩الدخان) .. تستريح منهم السماء والأرض، ولا تبكي عليهم، لأنهم لم يروا منهم غير الجرائم والقبائح والأعمال التي يبارزون بها الربوبية ويبارزون بها رب البرية ﷻ.

وكذلك لا أحد يستطيع أن يكتشف الكاميرات الموجودة معنا والتي تُسجِّل: فاليد تسجل، والعين تسجل، واللسان يُسجِّل، كلهم يسجلون صوتاً وصورة، وكذلك الأُذن تُسجِّل، حتى الفرج يُسجِّل، وكل عُضو من أعضائك يُسجِّل:

﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (٢٤النور)

وكل الأعضاء: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا ﴾ (٢١فصلت)

الجلد يقول: هذا الرجل الذي كنت معه لمس جســم فلانة في المكان الفلاني يوم كذا، فيشهد عليه: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٢١فصلت) ... انظر فينا كم من الشهود الذين يشهدون علينا؟

الأول حضـــرة النبي ﷺ ... والثاني الملائكة ... والثالث الأرض ... والرابع الجوارح والخامس: المؤمنون الأتقياء الأنقياء .... الذين اختارهم ربُ العزة وجعلهم أولياء، وجعل لهم وراثة عن ســيد الرُســل والأنبياء أن يشــهدوا على أهل زمانهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٤٣البقرة).

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ:

{ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَــرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَــرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ }[١]

[١] البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ

فهؤلاء أيضـــاً ســـيكونوا شـــهود عند الرب تبارك وتعالى .... ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ فيُوضع الكتاب ويُؤتي بالنبيين والشهداء .....!! ومن رحمة الله بنا، .... ومن لُطف الله بنا، ..... ومن إكرامه الذي لا يُحدُّ لنا ببركة نبينا، يقول نبينا:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ فِي الأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ }[١٢]

الفضل والعدل

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾: سيدنا رسول الله ظلَّ يضرع إلى الله ويُناجي الله ويستغيث بــالله حتى جعـل الله هـذا الحُكم لغير المؤمنين بــالله ... فكيف يكون حــالنــا من: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ حســابنا ســيكون بالفضــل، وحســاب الخلائق كلها بالعدل: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (٤٩الكهف) ....

١٢ التوبة لابن عساكر عن أنس بن مالك ﷺ

وحساب هذه الأمة كلها بالفضل، الآخرين لا يعملون شاردة ولا واردة إلا:

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾ (٤٩الكهف).

يروا أعمالهم أمام أعينهم ... أما نحن فقد أنزل لنا تشـريع مخصـوص: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (١٦الأحقاف) .... وهذا وعد وعده الله .. لرســـول الله خاص لأمته، فيا بشرانا برسول الله ﷺ ..... ﴿ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ ...كل نفس من هؤلاء النفوس الكافرة والغادرة والمشـــركة والعاصـــية التي لم تتب إلى الله ... ستُوفَّى عملها وجزاؤها .... عند الله تبارك وتعالى.

الشفاعة

لكننا جعل الله لنا فرجاً فسيحاسبنا بالفضل ... وهذه واحدة ...

وسمح لحضرة النبي أن يشفع فينا ... وهذه الثانية ...

ستشفع في من يا رسول الله؟ شفاعة رسول الله واسعة، سيشفع في قوم عند الميزان حتى تثقُل الكفَّة اليمين .. مع أن الشمال هي التي كانت أثقل!.ويشفع في قوم عند تطاير الصُحف، لأن الكتاب كان سيخرج ليأخذوه بالشمال، فيشفع لهم ليأخذوه باليمين.

ويشفع في قوم عند الصراط كان مُقدَّراً لهم أن يعبروا عليه ويسقطوا في جهنَّم، ليعبروا الصراط. .... ويشفع في قوم دخلوا جهنَّم: ولا بد لأن هؤلاء ارتكبوا كبائر ولم يتوبوا منها قبل الموت ...، ولكن هذا لتخفيف الأحكام، .... فمن جوزي بمليون سنة، يجعلها سنة تخفيفاً للحُكم، لماذا؟ .... من أجل المحامي الأعظم ﷺ.

وسيشفع في قوم دخلوا الجنة، فأنا كنتُ أطمع في درجة عالية في الجنة، ولكن عملي لم يُوصِّل لها، فيشفع لي في ذلك، فيقول: يا رب من أجلي ارفعه للمكانة العالية التي يُريدها، فيرفعه الله .... أقول له: يا رسول الله أنا لا أرى زوجتي ولا أولادي ولا بناتي وكنتُ أريد أن يكونوا معي، فيقول حضرة النبي: يا رب اجمع شمل الأهل على أهلهم، والأحباب مع بعضهم.

شفاعات كثيرة لرسول الله ... وكلها لنا ... وهذه الشفاعات ما حدودها؟

﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) ما تريده كله إلى أن ترضى!!!

فليس لها حدٌّ أو مقدار ... ويرجع سيدنا رسول الله ويقول: يا رب هؤلاء القوم الذين أخلصوا في المجاهدات والطاعات ونشر دين الله والعمل بسنتي أعطِ لكل واحد منهم شفاعة، فيشفع الشفعاء من أمة خير الرُسل والأنبياء ... فالعالم يشفع في سبعين رجلاً ...، والشهيد يشفع في سبعين رجلاً ....، ورجل بمعني رجل أو امرأة ...، وقارئ القرآن يشفع في عشرة ...، وحضرة النبي ماذا قال في هؤلاء؟ قال فيهم:

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }[13]، وقال:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }[14]

فمن دخل الجنة لا يحتاج الشفاعة لكن يشفع لمن استوجب النار، وكيف بالصالحين؟ كل واحد على حسب مكانته ومنزلته عند سيد الأولين والآخرين، كان هناك رجلاً لم ير النبي ﷺ واسمه أُويسٌ القُرني، فأراد سيدنا رسول الله أن يُعرف أصحابه به، فقال فيه:

---

١٣ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله عنه
١٤ سنن ابن ماجة وأحمد عن علي بنأبي طالب رضي الله عنه

{ لَيَشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لأَكْثَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ مُضَرَ، وَإِنَّهُ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ }[١٥]

وهما من أكبر العائلات في الجزيرة العربية .. فالعدد على حسب المدد الذي يأتي من حضرة النبي ﷺ لهذا الولي التقي النقي، وكل هذا إكراماً لأُمة الحبيب ﷺ.

أصحاب النار

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾: وسيق يعني يسوقونهم كالمساجين، فيسحبونهم ليُدخلوهم جهنَّم، لأنهم لا يريدون دخولها، وزُمراً يعني جماعات، وكل جماعة خلف الأُخرى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾: جهنَّم مُغلقة لا تُفتح إلا إذا جاءوا إليها، لماذا؟ لأن جهنَّم لو فُتح منها باب لروَّعت أهل الموقف: ﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴾ (٣٢المرسلات) عندما يروا هذا الشرر يُروعوا، فهو يُروِّع هؤلاء الكافرين ..

فعندما يقفوا في هذا الموقف العظيم يهُبُّ عليهم بعض الدخان من جهنَّم فتعمى أبصارهم وتزكهم أنوفهم، فلا يرون ويكون عندهم زكام شديد، لكن المؤمنون بعيدون عن ذلك، حفظهم الله، ووقاهم الله تبارك وتعالى.

١٥ كرامات أولياء الله عز وجل للألكاني عن أبي هريرة ﷺ

فتظلّ جهنَّم كالســجن لا يفتح إلا إذا دخل أحدٌ أو خرج، وهؤلاء يدخلون ولن يخرجوا أبداً، لا يخرج منها إلا من يُخرجه ســيدنا رســول الله، وأصــحابه الكرام، والشــافعون من أُمته بإذن منه صــلوات ربي وتســليماته عليه ... والملائكة الواقفون على جهنَّم !!، مع أنهم غلاظٌ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ...، إلا أن عندهم شيء من الشفقة والرحمة، فيكلمونهم ويوبخونهم ويقولون لهم:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾: ألم يأتكم أنبياء؟! وجاءكم مرســلون من أقوامكم؟! فكل نبي بُعث في قومه، إلا ختام الأنبياء فقد بُعث للناس كافَّة، وجاءكم علماء وذكَّروكم، فلِمَ لم تستجيبوا؟!.بل إنكم أحياناً كنتم تسخرون منهم:

﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ :

نحن نستحق ذلك، ويعترفوا أنهم يستحقون هذا العقاب.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾:

لــهــا كــم بـــاب؟ ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٤٤الحجر) ..

وكل باب فيه سجون، وكل سجن له أنواع من العذاب غير السجن الآخر، فهناك سجن اسمه سقر، وهناك سجنٌ اسمه لظى، وهناك سجن اسمه الحُطمة، وهناك سجن اسمه القارعة، وهذه الأسماء موجودة كلها في كتاب الله.

وكل سجن من هؤلاء له لونٌ مخصوص من العذاب: ويدخله نوعٌ مخصوصٌ من البشر لآثام معينة ارتكبوها، مثلاً: الملائكة الواقفون على سجن سقر، يرون الأفواج القادمة، فيسألونهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ (٤٢المدثر)..

ما الذي جاء بكم إلى هنا؟

وما الذنوب التي تُدخل سقر؟ ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ (٤٣المدثر)

كنا تاركين للصلاة، فهل كانوا مسلمين أو غير مسلمين؟ مسلمين! ولكن تاركين للصلاة، ويستهزئوا من المصلين، ويسخرون بالمصلين المستديمين، وأيضاً :... ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ (٤٤المدثر) مع أنهم كان معهم ,.. لأن الذي ليس معه فلن يُحاسب، ولكنه الذي يحاسب من معه ما يُطعم، فأنت معك وجارك فقير، وعنده ظروف حرجة فكيف تتركه؟ ألم تسمع قول النبي ﷺ:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }[16]

إيمانه يكون فيه دَخَل، وفيه نقص، لأنه لا بد أن تشعر بأخيك وتقف بجواره في المهمات والملمات، فلماذا نحن إخوة؟ لنكون مع بعضنا في مثل هذه الأمور.

والمصيبة الكُبرى التي تعُم الغالبية من المسلمين في هذا الزمان:

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥المدثر) نتكلم، واللسان فتحنا له الباب فيخوض في الأعراض، ويتكلم في حق هذا، وفي حق هذا، ويشتم هذا، ويُسيئ سمعة هذا، والنفس لا تحاسب، والقلب لا يعاتب، وينسى أنه سيُحاسب على ذلك كله حساباً عسيراً يوم يلقى الله ﷻ ... ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٤٦المدثر) لم يُصدق أن هناك حساب وهناك موت: ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ (٤٧المدثر) .... الدنيا ألهتهم وشغلتهم إلى أن يموت، ولم يستعد ولم يتجهّز .. ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ : هؤلاء الخالدون هم الكفار!! ... لأنهم لن يخرجوا منها، لكننا حتى من يدخل منا فسيكون مؤقتاً، لأنه سيأتي عليه يوم من الأيام ويخرج بشفاعة النبي، حتى الذي قال: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ولو مرة، حضرة النبي يذهب إلى العرش ويسجد أمام الله ويناجي الله، فيقول له الله:

١٦ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

{ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ }[17]

فالذين في النار عندما يرونهم يخرجون، يقولون: يا ليتنا قلناها ولو مرة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٢الحجر) ! ليتنا لنا هذه الكلمة ولو مرة واحدة !! حتى لا نكون خالدين فيها ونخرج من النار بشفاعة النبي المختار ﷺ، وقال ﷺ:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }[18]

من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان يعني فيه قليل من الإيمان .. ولم يفعل شيئاً نهائياً، وهذا سيكون في السجن ...، ولكن الشفاعة حتى لا يستوفي المدة ولتخفيف الأحكام.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾:

ومثوى يعني مقر المتكبرين، الذين تكبروا عن الخضوع والإيمان بدين الله ﷻ.

---

١٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
١٨ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ

نعيم الجنة

سبحان الله ... الحرف في كتاب الله يُعطي معاني لا طاقة لأحد من البشر بمعرفتها إلا إذا عرَّفه مولاه ... فقال الله في أهل جهنم:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾:

وقال في أهل الجنة:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ وهناك قراءة أخرى: ﴿ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ... فالجنة مجهزة لهؤلاء: القصور مزينة، والحور مزينة في شرفات القصور، والأبواب تهفهف ولها موسيقى ليس لها مثيل في عالم الدنيا، وأنوار الجنة تزغلل عيون الرأس وعيون الفؤاد .. كل هذا ترحيب للداخلين فيها.

وهذه الآية لا تتكلم عن الكبار، لكنها تتكلم عن العوام من المؤمنين الذين سيدخلون الجنة، لأنهم سيساقون إلى الجنة.

وهل هناك أفضـــل من هؤلاء؟ نعم، هناك أناس لن تنتظر الجنة حتى يذهبوا هم إليها ... ولكنها هي التي تذهب إليهم في الموقف العظيم وتتقرب منهم:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٣١ق) وأزلفت يعني تقربت ..، فتخطفهم من الموقف !!، يقول في بعضهم سيدنا رسول الله ﷺ، وانظروا لمعنى الكلام:

{ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى ثَلاثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ }[19]

فالجنة تشتاق، وتفهم كلامنا، وتعرف الخواطر التي في نفوسنا !! والنار كذلك !! فلو اشتهيت شيئاً في الجنة فهل تنتظر الجنة أو خدم الجنة حتى تتكلم باللسان؟ لا، !!! فإذا اشتهيت فاكهة فإن شجرة الجنة تمشي حتى تأتيك ويتدلى فرعها في حجرك لتأخذ ما تريده، مع أنك لم تطلب، ولكن كما قال الله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق) هؤلاء لهم غير الجنة مزيد عند الله ﷻ.

فأهل الجنة أنواع وأصـــناف: ...... والصـــنف الذي في الآيات التي معنا عندما يذهبون إلى الجنة يجدون أبوابها مفتوحة، والجنة لها ثمانية أبواب، كل واحد منا يدخل الجنة من باب العمل الذي غلب عليه في الدنيا، والذي فاز به وجاز ليدخل من هذا الباب ... فهناك من يدخل من باب الريان وهم الصائمون ... وهناك من يدخل من باب الضحى، وغير ذلك، سيدنا رسول الله كان يصف هذه الأبواب فقال:

---

١٩ الحاكم في المستدرك والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

{ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَــيْءٍ مِنَ الأَشْــيَاءِ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ يَعْنِي الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّــلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّــلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّـــدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ }[٢٠]

نحن نريد هذه المنزلة: ... وانظر إلى رأفة الحبيب ورحمته بنا، فقد أعطانا عمل يسير وسهل من عمله يدخل من أي أبواب الجنة شاء، ما هذا العمل؟ قال:

{ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ }[٢١]

هل هذا ثمن غالٍ؟!! هل هذا العمل فيه مشقة؟!! لا ...

---

٢٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٢١ جامع الترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب ﷺ

نحن كلنا نتوضأ لكن البعض حتى أثناء الوضوء لا يريد ترك الكلام مع الآخرين!!، لماذا؟!! ورد في الاثر: (إن المتوضيء عليه خيمة من نور إذا تكلم رفعت) عندما تتوضأ يكون عليك خيمة من النور ممتدة منك إلى عنان السماء فإذا تكلمت مع جارك انقطعت هذه الخيمة ... فالذي يريد الكلام بعد أن ينتهي من الوضوء، لكن اثناء الوضوء أنشغل بالدعاء لله ﷻ، وبعد أن أنتهي من الوضوء أنطق بالشهادتين، لكن المهم:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[22]

أعود نفسي على المداومة على ذلك، والجزاء على ذلك الدخول من أبواب الجنة الثمانية أيهم شئت، لأنك نفذت قول الذي: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم).

وباب الجنة ليس له مفتاح: ... ولكن أنت المفتاح ... فهو مبلغ بك، فعندما تذهب إليه يفتح، فقبل أن تصل إليه فإن نور إيمانك عندما يسطع على باب الجنة فإنه يفتح، وأول من يفتح الجنة سيدنا رسول الله ﷺ، يقول ﷺ:

---

٢٢ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ }[23]

لم يقل (لك)، ولكن قال (بك) يعني مفتاح الجنة هو سيدنا رسول الله ﷺ.

على باب الجنة يوجد عينان نضـــاختان: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦٦الرحمن)

تُخرج العين الأولى شربة عندما يشربها الإنسان فإن كل التعب والهم والغم والمرض والحزن يخرج، فيقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر): ذهب كل الهم والغم والحزن، ثم يشـــرب من العين الثانية فتظهر عليه نضـــرة النعيم، فيأخذ الحياة الأبدية، ليس مائة سنة أو ألف سنة ولكن حياة أبدية ... هذه الحياة التي سيعيشها في الجنة سيكون فيها في سن الشباب، ولن يبلغ أحد فيها سن العجز، كما قال ﷺ:

{ لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }[24]، وقال أيضاً:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[25]

---

٢٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ
٢٤ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ
٢٥ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

ولا يوجد هناك أمراض، فكل الأمراض التي تشتكي منها في الدنيا تنتهي في الجنة، وتظهر عليه نضـرة النعيم، ويصبح من أهل الخلود في جنة الله ﷻ، وخزنة الجنة يسارعون في استقبال هؤلاء: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ طبتم من الذنوب والعيوب وأصبحتم مجملين بالعمل الصالح الذي يحبه علام الغيوب: ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ .. والأعلى من هؤلاء: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٢٤الرعد) والأعلى من هؤلاء وهم:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦يونس) ما الزيادة يا رسول الله؟ قال:

{ الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ }[26]

فهذه فوق نعيم الجنة! ويبعث ملك الملوك الملائكة نواب عن حضـرته يقولون لهم:﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (٥٨يس) يبلغونهم السلام من الله ﷻ، إلى أن يدخلوا الجنة، وبعد ذلك يكون السلام والتحية والإكرام على الدوام من الحنان المنان ﷻ، ويكفيهم الرفقة الطيبة بجوار الحبيب المصطفى والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين على الدوام.

---

٢٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن كعب بن عجرة ﷺ

ميراث الخلود

ثم يقول هؤلاء الذين معنا في هذه الآيات:

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ أرض الجنة ...

وهذه الذي نبحث عن ميراثنا فيها، فالكثير يتعب نفسه في الدنيا، ويدخل في خلافات ومشاكل، ويورث العداوة لأولاده على أخيه من أجل قيراط أرض أو سهمين في بيت، ولن يأخذ أحد الأرض معه، ولن يضمن أحد البيت معه!!.

مثلاً: المكان الذي نجلس فيه الآن، من الذي ورث هذا المكان منذ آدم إلى الآن؟!! لا نستطيع حصرهم في السجلات، وأي شبر في الأرض لو بحثنا من الذي ورثه منذ آدم إلى يومنا هذا فلن نستطيع!!

نحن كمن يعمل في قطاع حكومي وسلموا له بيت وأرض، واشترطوا عليه عندما يبلغ سن المعاش يسلم البيت والأرض، ولا شأن لي بمن سيأخذها بعدي، فالشركة هي المسئولة عن ذلك .... فالذي تضحك عليه الدنيا أو نفسه أو زوجته أو أولاده ويتدخل في هذا الأمر فيكتب لهذا شيئاً، ويترك هذا، فقد نسي قول النبي ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثَهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ }[27]

---

٢٧ سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ

لا شأن لك بذلك، فهو من شأن ملك الملوك !! ولأن هذه القضية هي سبب كثير من الخلافات لا نجد أي ناحية من نواحيها إلا وكتاب الله اســـتوفاها، ولم يترك فيها شـــيء للاجتهاد حتى نكون حريصـــين .... لكن يجب أن نحرص على الأرض التي ستدوم: أما الأرض التي نحن عليها فلن تدوم لأحد، فكلنا سنتركها ونسافر !! والتي تدوم جنة النعيم، والرفقة التي تدوم هي رفقة الرءوف الرحيم، ورفقة الصـــالحين والمحبين، فهي رفقة دائمة.

﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾: نتبوأ يعني ننزل أي مكان نريده في الجنة ... وكما قلنا فإن كل ما في الجنة يفهم، فوســـائل المواصـــلات في الجنة الســـرير الذي تجلس عليه وتنام عليه، فلو أردت زيارة أخيك في الله، فبدون أن تتكلم يطَّلع على ما في نفسك فيتحرك ويذهب بك لفلان!، لأنه عاقل، وكل ما في الجنة على هذه الشـاكلة وعلى هذا الحال، هم أصـحاب بصـيرة، ويرون البصـيرة المنيرة بأمرٍ ممن يقول للشيء كن فيكون.

﴿ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾: الذين يعملون عند رب العالمين، ولا يبغون من العمل إلا رضـــا الله، وجوار حبيبه ومصـــطفاه، ولا يرون أنهم يؤدون العمل إلا بمعونة الله وتوفيق الله ورعاية الله .. فقد يكون الإنســـان دوماً في العبادات، ويقوم دائماً الليل، وطوال العام صـائماً، ولكنه يرى نفسـه أنه أفضـل من هذا وهذا، لكن هل نظرت إلى القبول؟! هل ضمنت القبول؟! لأن المهم القبول وليس العمل ... وما شرط القبول؟

﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ وشـرطه: ﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١١٠الكهف) هذا يعمل لله فما الشرك هنا؟! قال ﷺ:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٢٨]

الرياء هو الشـرك الخفي!! ... فيعمل العمل من أجل أن يشـكره الناس، أو يعمل العمل من اجل أن تثق فيه الناس ويقولون هذا الرجل كذا وكذا ويطمئنون إليه، أو يعمل العمل ويتباهى به، لكن المؤمن يعمل العمل ويرى معونة الله فيه، فيشـكر الله أنه وفَّقه وأعانه على هذا العمل ليستزيد من توفيق الله ومن مدد الله تبارك وتعالى.

٢٨ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

العرش والملائكة

في هـذا الموقف العظيم في الآخرة أين تكون الملائكـة: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾: ما شـــكل هذا العرش؟ وما خبره؟ .. هذا غيب لا يعلمه إلا من خلقه وأبدعه، .... وإذا كان هناك بعض الروايات في الكتب التي تروي الأحاديث الموضوعة فلا شأن لنا بها، فلا يوجد حديث صحيح لحضرة النبي في هذا الأمر.

الإمام مالك ﷺ كانت له هيبة في مجلسه بمسجد حضرة النبي، فسأله رجل: قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٥طه) فما معنى استوى؟

الإمام مالك ومثله أصـــحاب المذاهب الكبار كانوا علماء وأولياء، فينظر بعين الرأس وبعين القلب، فنظر إلى هذا الرجل وقال له: الإســـتواء معلوم والكيف مجهول والبحث عنه بدعة والسؤال عنه ضلالة وقم من هذا المجلس فإنك مبتدع!!.

لأنه يريد أن يصـــنع فتنة بين المسـلمين، فيشـغلهم بأمر لا طاقة لأحد من الخلق بالحديث فيه، فماذا يقولون فيه، فلم يره أحد، ولم يطلع عليه أحد، والذين أكرمهم الله ورأوه قبل أن يروه أخذ الله عليهم العهد أن لا يبيحوا بهذا الســـر، فهي أســـرار علية إلهية.

فالعرش الآن موضع التجليات الإلهية الرحمانية التي تنزل من الحضرة الإلهية للأرجاء الكونية .... ورد أن الله سيقول: يا محمد اجلس على العرش حتى يعلم أهل الجمع أني أنا الذي احمل العرش وليس العرش هو الذي يحملني .... فالذي سيجلس على العرش هو سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا ما قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله:

وقيل كل نبي عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم

من الذي يحيط بالعرش؟ الملائكة:

﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ ماذا يفعلون؟

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾ ينزهون الله عن المثيل والنظير والوزير والمشير:

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى).

ومع التسبيح الحمد الذي أكرم الله به المؤمنين، وأكرم الأنبياء والمرسلين بالدرجات العالية، والمنازل الراقية ... هل التسبيح والتحميد مكلفين به؟ لا، ولكن تلذذاً وتفكها بذكر الحضرة الإلهية، ولكن ليس تكليف لو تركه سيحاسب.

وكذلك نحن عندما ندخل الجنة لا يوجد فيها تكليف بصلاة أو صيام أو شيء من العبادات، لكن أهل الجنة كما قال الله: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ (٥٥يس)

شغلهم بذكر الله، وشكر الله، لماذا؟ .. تفكهاً وتلذذاً بذكر اسم الله تبارك وتعال !! ولكن ليس تكليف لأنه لا يوجد حساب، ولكنهم يرون أن أكبر لذة يحصل عليها المؤمن في جنة النعيم ترداد لفظ الجلالة، وحمد الله على نعماه، وشكر الله على عطاياه، وكل هذا تلذذاً وتفكهاً.

حقوق العباد

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾: بين الخلق جميعاً:

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ (٤٤الكهف) كما ذكرنا من قبل فالذي يخرج من الدنيا

وليس عليه مطالبين في هذا اليوم فيا هناه.

لأن المصيبة الكبرى أن ينتهي الإنسان من الحساب ويمر على الصراط، وتأخذه الملائكة لتزفه إلى الجنة، وقبل باب الجنة يناد مناد الله: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج؟ فيخرج له نفر من الموقف،

منهم من يقول: ظلمني، ومنهم من يقول: ســرقني، ومنهم من يقول: غشــني، ومنهم من يقول: كـذب عليَّ، ومنهم من يقول: خـدعني، ومنهم من يقول: خـانني، ومنهم من يقول: قتلني، وكل واحد يذكر مظلمته، فيناد مناد الله: لا تدخل الجنة حتى ترضــي خصــماءك، لأن هذا حق العباد، حقوق الله قد يتنازل عنها لنا، فيقول لنا كما ورد في الأثر: (أما ما كان بيني وبينكم فقد غفرته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضــكم فتواهبوه فيما بينكم ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

لذلك المؤمن العاقل الكيس الفطن في هذه الأيام من يخرج من الدنيا ومعه خلو طرف من جميع الأنام: أنه لم يســيء إلى أحد، ولم يغتب أحد، ولم يكذب على أحد، ولم يخدع أحد، ولم يرتكب معصية أو فاحشة في حق أحد ... وهذا ليس عليه حساب، فيخرج من القبور إلى القصــور، ولن يمر بميزان ولا صــراط ولا غيره، وإنما: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (١٠الزمر).

الحكيم فينا الذي يعمل ليكون من أهل هذه الدرجة، فإياك أن تضحك عليك نفسك وتطمع أن تدخل في الحساب اليسير، لأنه ربما يكون عندك جرائم من التي ذكرناها، ولذلك قال ﷺ فيما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ }[29]

كونه سيناقش فهو خزي، لأنه ربما يكون في أعماله فضيحة، أو كذا وكذا، أو فيها شيء للخلق ولن يتنازل أحد عن حقه، لأن الكل هناك يبحث عن الحسنة التائهة له، وحضرة النبي يحكي - كما ورد ببعض الأثر - واقعة تشيب لها الولدان، أم تحتاج إلى حسنة واحدة ليثقل ميزانها وتدخل الجنة، فمن رأفة الله ورحمته بأمرها أن تبحث عن من يعطيها حسنة، فتذهب لإبنها تستعطفه وتقول له: يا بني لقد كان بطني لك وعاء، وصدري لك سقاء، وحجري لك وطاء فهل أجد عندك حسنة أثقل بها ميزاني؟ فيقول لها: هيهات هيهات يا أماه، إني أعاني مما منه تعاني!!.

من الذي سيعطيك هناك؟ لا أحد، فالعاقل الذي يخرج من الدنيا وليس عليه شيء لخلق الله، فالمولى كريم ورءوف ورحيم، لكننا نحن السيئين مع بعضنا.

سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه كان من العارفين المتفرسين سمع القاريء يقرأ: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (١٢البروج) فقال: إن بطشي أشد من بطش ربي! فقالوا له: كيف؟! قال: إن بطش الله ممزوج بالرحمة، أما عندما يبطش الإنسان بآخر فلا يكون عنده رحمة! وهذا ما نراه الآن، فما الذي يجعلك تضع نفسك في هذا الموقف؟!!.

---

٢٩ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

الإنســـان العاقل كما يقول الإمام علي ﷺ في الصـــالحين: (قلوبهم محزونة، وألسـنتهم مخزونة، وأسـرارهم مصـونة، الناس منهم في راحة، وأنفسـهم منهم في عناء) اخزن لسـانك واضـبط فرامله، واجعل خلافاتك ومشـاكلك مع نفسـك، لُمها وعاتبها وعنِّفها حتى تذهب إلى هناك وليس لك حساب غير ذلك، قال ﷺ:

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا }[30]

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم)

نسأل الله ﷻ أن يصلح أحوالنا، وأن يبلغنا فيما يرضيه أمالنا، وأن يجعل وجهه العظيم مقصدنا، وجوار الحبيب في الجنة مطلبنا، وأن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، وأن يجعلنا من الذي يطيرون من القبور إلى القصور، ويجعلنا من الذين يجلســون يوم الدين في الجنـة على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضـرة النعيم، وأن نكون من المتلذذين بذكر الله في الدنيا ويوم لقياه وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. .. ...انتهى الجزء الثالث بحمد الله

30 جامع الترمذي

المراجع

١. أسرار القرآن – السيد محمد ماضى أبوالعزائم، دار الكتاب الصوفي: ج: ١:٧.

٢. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابى للنشر الغورية القاهرة.

٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ، تحقيق أحمد عبدالله القرشي، طبع على نفقة د.حسن عباس زكى.

٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د.محمد سيد طنطاوى، دار المعارف.

٥. تفسير روح البيان، اسماعيل حقى البروسوى، دار الفكر.

٦. تفسير الشعرواى، أخبار اليوم.

٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٨. التفسير الصوفي للقرآن، محى الدين الطعمى، دار الروضة.

٩. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٠. في رحاب التفسير، عبدالحميد كشك، المكتب المصري الحديث.

١١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد على الصابونى، دار القلم.

١٢. حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، تحقيق عبدالله المنشاوى، دار الحديث، القاهرة.

١٣. تفسير الجلالين المحلى والسيوطي، دار التراث العربي.

١٤. تفسير الجيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مركز الجيلاني للبحوث العلمية ، اسطنبول.

١٥. تفسير القرآن الكريم ، د.عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.

١٦. تيسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.

١٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابورى، دار الصفوة.
١٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبى، القاهرة.
١٩. مختصر تفسير الشعراوى، منى الهاشمى، دار المعارف.
٢٠. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقى، اختصار محمد على الصابونى، دار القلم.
٢١. صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت.
٢٢. لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د.إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامى.
٢٤. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية.
٢٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.
٢٦. أسباب النزول، الواحدى النيسابورى، دار نهر النيل، القاهرة.
٢٧. كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.
٢٨. جامع البيان في متشابه القرآن، د.أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة المحمدية.
٢٩.موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ

المطبوعة حتى تاريخه ٣١ديسمبر ٢٠١٧ :

عدد خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١٠٥ كتاب							
م	الكتاب	ط	تر	م	الكتاب	ط	تر
السلسلة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم عدد ٩ كتب				٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	١	
٤	نفحات من نور القرآن ج١	١		٩٦	تفسير آيات المقربين: ج١	١	
١٤	نفحات من نور القرآن ج٢	١		١٠٢	تفسير آيات المقربين: ج٢	١	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	٣		١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين	١	
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	١		١٠٥	تفسير آيات المقربين : ج٣	١	
السلسلة الثانية : الفقه عدد ٩ كتب				٢	زاد الحاج والمعتمر	٣	
٥	مائدة المسلم بين الدين و العلم	٢	نعم	٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	١	
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢		٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١	
٧٢	إكرام الله للأموات	١		٩٥	صيام الأتقياء	١	
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١		١٠٤	سنن الهدى	١	
السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية عدد ١١ كتاب				٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٣	
١٣	إشراقات الإسراء ج	٢		٢٢	الكمالات المحمدية	٢	
٢٣	الرحمة المهداة	٢		٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول	٢	نعم
٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١		٦١	السراج المنير	١	
٧٠	ثانى اثنين	١		٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١	
٨٧	تجليات المعراج	١		٩٠	شرف شهر شعبان	١	
السلسلة الرابعة : من أعلام الصوفية عدد ٦ كتب				١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة	١		٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		٥٩	الشيخ الكامل أبو الحسن الشاذلى	١	
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١					
السلسلة الخامسة : الدين والحياة عدد ٧ كتب				٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى	٢	
٣٤	كيف يحبُّك الله	٣	ننع	٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢	نعم
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١		٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة	١		٩٢	فقه الجواب أسئلة الموقع	١	

رقم	الكتاب	عدد		رقم	الكتاب	عدد	
السلسلة السادسة: الخطب الإلهامية للمناسبات عدد ٧				١٦	خطب المولد النبوى	١	
١٧	خطب شهر رجب والإسراء	١		١٨	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١	
١٩	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	١		٢٠	الحج و عيد الأضحى	١	
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١		٥٥	الخطب الإلهامية مجلد مناسبات	٣	
السلسلة السابعة : الخطب الإلهامية العصرية ١ كتاب				٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١	
السلسلة الثامنة : المرأة المسلمة عدد ٤ كتاب				٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	١	نعم
٤٣	المؤمنات القانتات	٢		٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢	نعم
٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	نعم				
السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله عدد١٢ كتاب				٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب	٢	نعم
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١		٢٨	المجاهدة للصفاء و المشاهدة	٢	
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١		٣١	رسالة الصالحين	١	
٣٢	مراقى الصالحين	١		٥٧	تحفة المحبين ومنحة المسترشدين	١	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١		٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١					
السلسة العاشرة: الأذكار والأوراد عدد الكتب: ٧				٨	مفاتح الفرج	٦	نعم
١٥	أذكار الأبرار	١		٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥	
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣		٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢	
٥٦	نيل التهانى بالورد القرآنى	١		٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢	
السلسلة الحادية عشر : دراسات صوفية معاصرة ١٦				١٠	الصوفية و الحياة المعاصرة	١	نعم
١١	الصفاء والأصفياء	١		١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١	
٢٩	الصوفية فى القرآن والسنة	٣	نعم	٣٦	المنهج الصوفى والحياة العصرية	١	
٤٢	الولاية والأولياء	١		٤٩	موازين الصادقين	١	
٥١	الفتح العرفانى	١		٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	١	
٥٨	سياحة العارفين	١		٦٣	منهاج الواصلين	١	
٦٥	نسمات القرب	١		٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١	
٧٧	شراب أهل الوصل	١		٨٣	مقامات المقربين	١	
٩٨	آداب المحبين لله	١					
السلسة الثانية عشر : الفتاوى عدد الكتب: ٦				٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١	
٧٦	فتاوى فورية ج١	١		٨٠	فتاوى فورية ج٢	١	
٨٤	فتاوى فورية ج٣	١		٨٦	فتاوى فورية ج٤	١	
١٠١	يسألونك	١					

السلسة الثالثة عشر: : أسئلة صوفية عدد الكتب: ٣				٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢	نعم
٦٩	الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية	١		٩٩	إشارات العارفين	١	
السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر عدد كتب: ٣				٨١	سؤالات غير المسلمين	١	نع
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١		٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١	
السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور : عدد الكتب: ٤				٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢	
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣		٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١	
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١					

۞ **المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون :**

كان لفضيلته مساهمات أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة وبرامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث، وهو يرحب بقوة بقنوات التليفزيون المصرى والتى هى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك القنوات على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : خطبة وصلاة الجمعة بث مباشر : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :

*جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة. الشيخ يخطب الجمعة الأولى من كل شهر بمسجد النور منذ أكثر من عشرين عاماً. * جمعة من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة. * جمعة من المسجد الكبير بمدينة بورفؤاد بمحافظة بورسعيد.

ثانيا : البرنامج العام : *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

ثالثا : إذاعة القرآن الكريم: * أمسيات دينية كثرة متعددة. * خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة. * خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون المصرى عدة مرات.

رابعا : إذاعة وسط الدلتا : * حديث الصباح. * الأمسية الدينية.

خامسا : إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج : عصافير الجنة.

سادسا : القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله. * برنامج فى زمرة النبى ﷺ.

سابعا : القناة السادسة: * حلقات من برنامج السيرة العطرة.* و برنامج آيات محكمات.

ثامنا : القناة الثامنة: * حلقات من برنامج : لقاءات إيمانية .

تاسعا : القناة الثقافية:* برنامج فتاوى على الهواء.

عاشراً : إذاعة القاهرة الكبرى: * أمسيات دينية متعددة.

حادى عشر: القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

ثانى عشر: قناة القاهرة بالتليفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزالا مستمرأن إلى تاريخه.

۞ المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحيى الشيخ العديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى، كما شارك وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات.

كما دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار سنوات كثيرة.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

		الإســـكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	٠٣_٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣_٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقـــــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥_٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠_٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠_٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم ح محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا

مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النمر
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى

أيضـــاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضـــاً قراءة الكتب وتنزيل نســخة الطباعة مجانا من موقع الشــيخ www.fawzyabuzeid.com وعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشـــر: دار الإيمان والحياة،١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٠٢، ف: ٢٥٢٦١٦١٨-٠٢

الفهرست

تمَّ بحمد الله تعالى، وإلى اللقاء مع الجزء الرابع من .. (تفسير آيات المقربين) .. إن شاء الله

تحت الطبع قريباً: كيف يحبك الله (ط٤)، حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (ط٤)